

# THE COMMANDERS

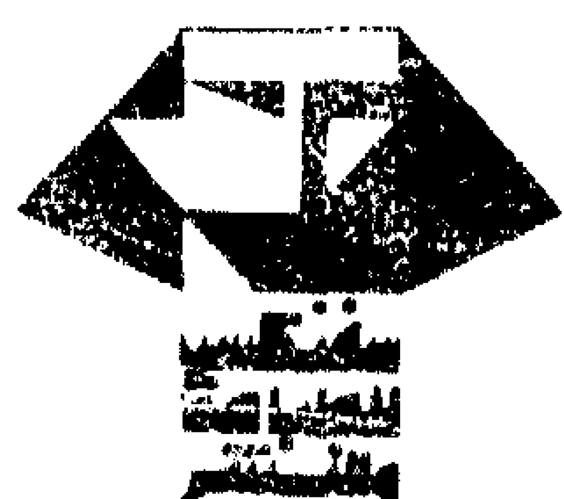
# القادة

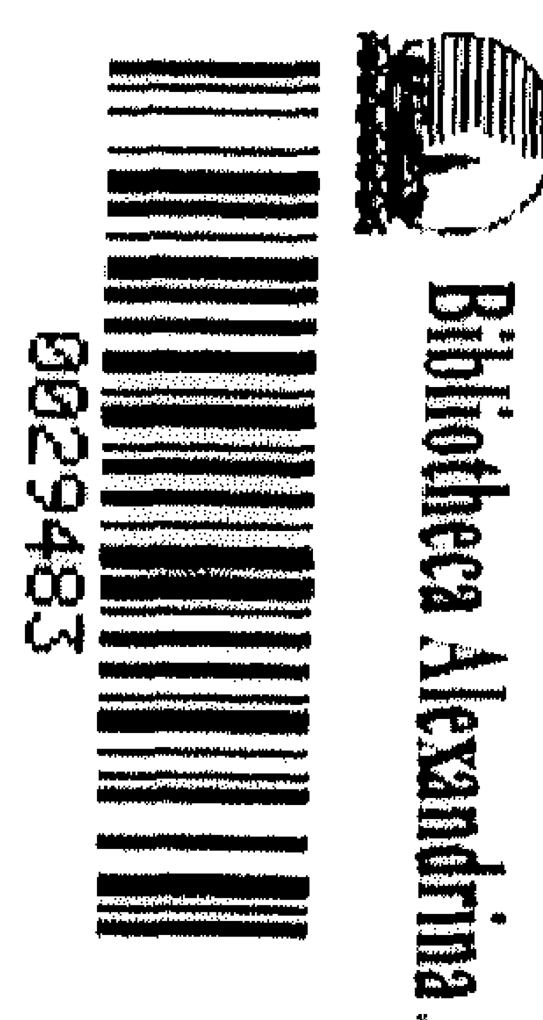
## أسرار صناعة القرار الأمريكي لحرب الخليج

تأليف : بوب وودورد



تقديم ومراجعة
عادل حمودة



# القـــادة

## أسرار صناعة القرار فى حرب الخليج

تألـيف

بـوب وود ورد

تقـديم ومـراجـعة

عـادل حمـودة

تـرجـمة

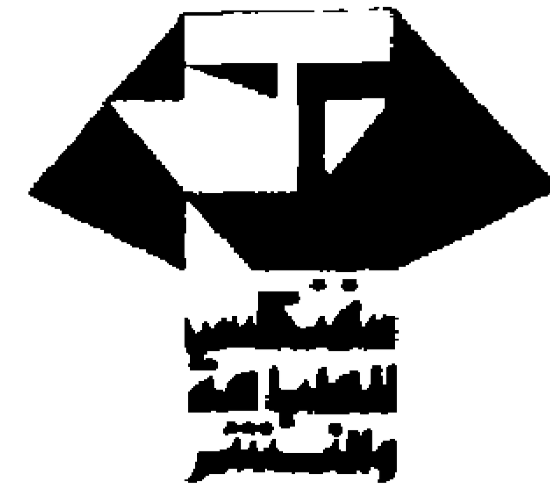
صبحى مشرقى نورس خالد جلال عبد الكريم

الغلاف للفنان

**مصطفى حسين**

الطبعة الأولى يوليو ١٩٩١






دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع
٧٦٠٢٨٥ ـ ٧٦٥٧٤٢ ـ ٣٩٢٨٥٦٩

دعـــوة

## هذه الدار

هى دار نشر حرة تعتبر ملتقى لكافة الكتاب المصريين والعرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية .

وهى تدعوهم جميعا لكى تنشر آرائهم وأفكارهم وميولهم واتجاهاتهم الفكرية المتباينة دون حظر أو إضافة أو تعقيب .

وهذه الدار مستقلة تماما لايقودها تيار محدد وإنما يحدوها الأمل فى أن تكون مركز إشعاع فكرى مستنير ومؤثر لخدمة وطننا وعالمنا العربى الحبيب .

**« النـاشر »**

## □ قبل أن تقرأ □

يبدو « بوب وود ورد » وكأنه أحد أفراد عائلة ديكتاتور « رومانيا » السابق « شاوشيسكو » .. ملامح وجهه تشير إلى ذلك .. وبشرته السمراء أيضا .. ولكن .. هذا المظهر الخارجى يظلمه .. لأنه ببساطة الصحفى الأمريكى الذى فجر فضيحة « ووترجيت » .. وأحرج الرئيس « ريتشارد نيكسون » من « البيت الأبيض » .. وحوله من زعيم أقوى دولة فى العالم إلى « فانلة » قديمة ، يمكن مسح البلاط بها .. وأثبت بذلك قول « نابليون » الشهير : « صحافة بلا دولة خير من دولة بلا صحافة » .

كان « بوب وود ورد » فى ذلك الوقت محرراً صغيرا ، مهمته فى صحيفة « واشنطن بوست » متابعة حوادث « الغش » التجارى .. ولكن .. بعد « ووترجيت » أصبح من أشهر الصحفيين فى العالم .. وضاعف من هذه الشهرة ، أن دوره فى إسقاط « نيكسون » تجسم على شاشة السينما فى فيلم سينمائى ، عنوانه « كل رجال الرئيس » ، مأخوذ عن كتابه الذى يحمل الاسم نفسه ، وألفه هو وزميله « كارل برنشتين » ، قبل حوالى ١٥ سنة .

وخلال تلك الفترة ، أصبح مساعد رئيس تحرير « واشنطن بوست » ، وأصبح على علاقة متينة بوكالة المخابرات المركزية ( الأمريكية ) مما أتاح له معرفة بعض رؤسائها عن قرب ، مثل وليم كيس ، الذى كان رجل الوكالة القوى فى عهد الرئيس « رونالد ريجان » ، والذى أمده بأسرار ووثائق كتابه : « النقاب ـــ الحرب السرية للمخابرات المركزية ـــ ٨١ ـــ ١٩٨٧ » ، وقد أثار هذا الكتاب ضجة فى بلادنا ، لأنه يتحدث عن عمليات المخابرات الأمريكية فى مصر ، وليبيا ، والسعودية ، وإيران ، ولبنان ، والسودان .

ومنذ أسابيع قليلة ، صدر كتابه الأخير ، وعنوانه « القادة » ، عن دار النشر التى نشرت له من قبل معظم مؤلفاته .. دار « سيمون آند شوستر » فى نيويورك .. والكتاب يكشف أسرار صناعة قرار الحرب الأمريكى ، فى إدارة الرئيس « جورج بوش » ، ويدلل على ما يقول بقرارين للحرب اتخذهما « جورج بوش » فى مدة سنة تقريبا ، الأول خاص بغزو « بنما » الذى انتهى بالقبض على ـــ عميل المخابرات الأمريكية المتمرد عليها ـــ الجنرال « نورييجا » وإسقاط حكمه ،

وجره إلى « واشنطن » لمحاكمته ، بعدة تهم ، منها الاتجار فى المخدرات ، وتهريبها إلى الولايات المتحدة ، ومنها قتل ضابط أمريكى كان يخدم فى « بنما » ، وضرب آخر على مؤخرته ــ أمام زوجته ــ إلى حد إصابته بالعجز الجنسى ... أما القرار الآخر ، فكان قرار الحرب فى الخليج .

باختصار .. الكتاب حول كيفية التوصل إلى القرارات العسكرية ، خلال ٨٠٠ يوم ، من ٨ نوفمبر ١٩٨٨ ، تاريخ انتخاب بوش رئيساً للولايات المتحدة ، إلى ١٦ يناير ١٩٩١ ، تاريخ بدء الحرب فى الخليج .. وحتى يفهم « بوب وود ورد » ذلك ، كان عليه مناقشة ٤٠٠ مصدر سياسى ، وعسكرى فى إدارة « بوش » .. بالإضافة إلى استدعاء ما بقى فى ذاكرته عن « البنتاجون » ، وزارة الدفاع الأمريكية ، التى خدم فيها ، منذ ٢٦ سنة ، كضابط بحرى.. ولكنه يقول إن البنتاجون ليست صاحبة قرار الحرب إلا إذا كان « البيت الأبيض » يترك لها ذلك .. فالبيت الأبيض فى النهاية هو صاحب هذا القرار .. وهذا مثير للدهشة أن يتحمس السياسيون للحرب .. وأن يسعى العسكريون إلى تجنبها .. خاصة وأن الحرب أصبحت ــ من بنما إلى الخليج ــ وسيلة سهلة للحصول على مكاسب سريعة .. وهو ما كان محرماً تقريباً ، طوال سنوات الحرب الباردة .. فالحرب الباردة كانت تؤجل الحرب الساخنة .. وعندما انتهت الحرب الباردة ، انفجرت الحروب الساخنة .. مع أن انتهاء الحرب الباردة كان يحمل الأمل للعالم فى وجود نظام عالمى جديد ، يسعى إلى السلام والرخاء .. ولكن .. ذلك لم يحدث .

لقد أعطى هذا النظام للولايات المتحدة إحساساً بالانفراد بالقوة ، جعل رئيسها « جورج بوش » يشعر بأنه يملك الأرض ومن عليها ، ويتحكم فى بلاد الله ، خلق الله ، مع أن تاريخه السابق لايشير إلى أى موهبة من أى نوع ، أو إلى نجاح فى أى منصب رسمى تولاه .. فهو عندما كان مندوبا لبلاده فى الأمم المتحدة ، قيل إن هذا المنصب أوسع منه .. وعندما سافر إلى الصين الشعبية سفيرا لواشنطن هناك ، كان مجرد ظل لنجم الدبلوماسية الأمريكية فى السبعينات .. هنرى كيسنجر .. وعندما أصبح مديرا لوكالة المخابرات المركزية .. كانت الوكالة تعانى من فضيحة ووترجيت ، ولا تحتاج إلا لمدير يقوم بتسيير الأعمال البيروقراطية فقط .. وحتى عندما اختاره ريجان ليكون نائبه فى الرئاسة . كان رقم «٢» الضعيف .. مثل أى رقم «٢» آخر .. ووصف بأنه « بوسطجى » الرئيس فى المهام المؤلمة .. مثل ترحيل الفلاشا من اثيوبيا إلى إسرائيل أيام حكم طاغية السودان .. جعفر نميرى .

فما الذى حول كل هذا الضعف إلى قوة .. وما الذى حول كل هذا الفشل إلى نجاح ؟ .. أغلب الظن أن السبب هو أن بوش من ذلك النوع من السياسيين الذى لابد أن يكون رئيساً حتى تتفتح مواهبه .. أى لابد أن يملك كل السلطة فى يده حتى تظهر « كراماته » .. ولأنه أصبح

رئيساً على كبر .. أى فى سن متأخرة .. فإنه لم يتردد فى استخدام القوة بأثر رجعى .. فكانت كل هذه الحروب التى خاضتها الولايات المتحدة فى شهور قليلة .. بعد سنوات طويلة من الاسترخاء .. إنه مثل الشاعر الفرنسى أرنولد رامبو .. اكتشف قدرته على التعامل مع المرأة متأخرا ، فتفرغ لتعويض كل ما فاته فى سنوات العجز والشقاء والحرمان .

إن بوش كان الأكثر عناداً فى أزمة الخليج .. فرئيس أركانه ومستشاره العسكرى والجنرال الأول فى إدارته كولن باول كان لايريد الحرب .. وكان بفضل الاستمرار فى الضغوط الاقتصادية لإجبار العراق على الخروج من الكويت .. بل إنه فوجىء بأن بوش يسبقه فى قرارات الحرب .. ويعلنها قبل أن يستشيره .. فالهدف الأمريكى كان حماية السعودية ثم تطور إلى تحرير الكويت .. وقد عرف كولن باول بذلك من التليفزيون ، مثله مثل أى مواطن آخر .

وخطوة خطوة يكشف هذا الكتاب هذه الأمور وغيرها .

كيف أقنعوا السعوديين بالذئب العراقى الذى لم يكن يهددهم .. وكيف فات على صدام حسين أن يقرأ عقلية الرئيس جورج بوش ؟ .. وما سر إقالة قائد سلاح الطيران الأمريكى قبل الحرب بشهور ؟ .. وماهى خطط الحرب التى استخدمت ؟ .. وكيف أديرت المعارك الإعلامية والسياسية ؟ .

الكتاب يجيب على كل ذلك وأكثر .

وإجاباته تبدو دقيقة .. فهى بالساعة والثانية .. ومنسوبة إلى مصادر لاتزال على قيد الحياة .. وهذا بالضبط سر قوة الكتاب وأهميته .

وقد سارعنا بترجمته ليكون فى متناول يد القارىء العربى بعد أسابيع من نزوله فى الغرب .. وهو ما يعكس إيمانا بأننا جزء من هذا العالم لايجوز التخلف عنه .. فالمعرفة فى الوقت المناسب .. معرفة مزدوجة القيمة .. خاصة وأن من المهم التبصير بما جرى فى الخليج .. فلو لم نمنع الكارثة .. فعلى الأقل علينا أن نفهم ما جرى حتى نواجه نتائج الكارثة بأقل الأضرار .

إنه كتاب هام .

لايحتاج إلى مقدمة .. وانما يحتاج إلى اهتمام .

**عادل حموده**
**المشرف على الترجمة العربية**

# ☐ كلمة إلى القارىء ☐

هذا الكتاب كشف حساب عملية صنع القرار العسكرى الأمريكى خلال ٨٠٠ يوم ، منذ ٨ نوفمبر ١٩٨٨ ، عندما انتخب جورج بوش لمنصبه رئيساً للجمهورية ، وحتى ١٦ يناير ١٩٩١ ، تاريخ بداية حرب الخليج .

فى البداية ، كنت قد قررت أن أركز على القيادة العسكرية والمدنية للبنتاجون ، المقر الرئيسى لأكبر « شركة » فى العالم ، وهى المؤسسة العسكرية الأمريكية الحديثة . فقد عملت لمدة عام فى البنتاجون من عام ١٩٦٩ إلى عام ١٩٧٠ كملازم بحرى وكنت فى السادسة والعشرين من عمرى . وقليل من الناس يمكنهم الخدمة فى ذلك الكيان الفريد الذى يضم ٢٣ ألف موظف ، ومبناه له ٥ جوانب وطوابقه ذات المتاهات ، والممرات ، والشبكات ، والمكاتب ، وقليل من الناس حتى لا يقدرون على زيارته كسائحين دون أن يتساءلوا كيف يمكن لذلك الكيان أن يتماسك ؟ .

وبعد ثمانية عشر عاماً كنت لاأزال أتساءل !

كان بحثى المبدئى يركز على البنتاجون تحت رئاسة بوش . لكننى قمت أيضاً بمحاورات مع سكرتارية وزارة الدفاع وآخرين من كبار المسئولين السابقين ، خدم بعضهم فى عهد كيندى . وكانت نهاية الحرب الباردة توحى بأن العسكريين سوف يقضون وقتاً هادئاً . وكانت هذه هى فرصة بالنسبة لى كى أفهم التشابكات الخفية فى وزارة الدفاع .

كان غزو بنما ١٩٨٩ ، ثم ، والأهم من ذلك ، أزمة الخليج فى عام ١٩٩٠ بمثابة نقطة تغير لكل ذلك . فلم تكن العسكرية الأمريكية لتلعب دوراً أقل أهمية فى النظام العالمى الجديد كما توقع البعض . لقد كانت تتحرك فى اتجاه نقطة مركزية .

ولقد مكنتنى هاتان العمليتان من دراسة عملية صنع القرار العسكرى فى مرحلة ما بعد حرب فيتنام والحرب الباردة .

فبعد عملية بنما القصيرة ، قضيت شهوراً أجمع حصيلة المقابلات ونقاط اتخاذ القرار التى قادت إلى تلك العملية . وبعد غزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ ركزت على تطور أزمة الخليج

وقرار شن الحرب على صدام حسين .

وتأتى كل هذه المعلومات من محاورات أجريتها مع أشخاص منغمسين مباشرة فى عملية اتخاذ القرارات ، وهم أكثر من أربعمائة شخص تحدثت معهم على مدى سبعة وعشرين شهراً . وكانت المصادر الرئيسية للمعلومات هى موظفو الرئاسة والبنتاجون سواء كانوا مدنيين أو عسكريين . ولم أتحدث مع الرئيس بوش ، لكننى تحادثت مع مشاركين رئيسيين عدة مرات وبشكل منتظم مع بعضهم أثناء تطور الأحداث . ولقد حاورت بعضهم عدة مرات تتراوح بين أربع وعشرين وست وثلاثين مرة . وتحادثت مع مصدر هام أكثر من أربعين مرة لمدد تترواح بين أربع دقائق ، فى مكالمات عاجلة أثناء الأزمة ، وساعة كاملة بشكل مسترخٍ . ولقد سمحت لى بعض هذه المصادر الهامة بتسجيل محادثاتنا على شرائط حتى يمكن أن أقص الروايات بطريقة أدق وزودتنى بعض المصادر بالمستندات والمذكرات ، والملاحظات المكتوبة ساعة وقوع الحدث ، والجداول والخطط الزمنية .

وتعبر العبارات المقتبسة مباشرة عما دار الاجتماعات والأحاديث وأستخدمت علامات التنصيص لتحدد مايقوله أحد المصادر حتى لو لم يتذكر الكلمات التى قيلت حرفياً .

أما الأفكار والاستنتاجات المنسوبة إلى أحد المشتركين فى صنع القرار فقد جاءت مباشرة من ذلك الشخص أو من مصدر علم بها منه . ولقد استخدمت أيضاً الملاحظات المدونة للمشتركين فى صنع القرار فى بعض المواضع لكى أصف الاتجاهات الشخصية بالنسبة للأحداث .

وحاولت بقدر الامكان أن أحافظ على اللغة التى استخدمها هؤلاء المشاركون فى وصف الاجتماعات والمقابلات والاتجاهات والعواطف .

وغالباً ما تحدثت إلى المشاركين فى صنع القرار خلال ساعات أو أيام من الأحداث التى لعبوا دوراً فيها . وفى بعض الحالات تحدثت إلى بعض المصادر بعد الحدث مباشرة ثم بعد عدة أسابيع من وقوعه حتى اكتشف إن كانت حكاياتهم قد تغيرت كلياً أو جزئياً .

وبشكل عام وجدت أن ما يمكننى الاعتماد عليه هو المعلومات التى أعطيت لى بعد الحدث بقليل .

ومن المستحيل إعادة ترتيب المحادثات والمقابلات كما جرت . لكننى بذلت أقصى جهد ممكن لأصل إلى ذلك .

والعديد من مصادر هذا الكتاب لديهم خبرات تمتد لعشرات السنوات من المشاركة فى المناقشات السياسية الهامة ، وهم مدربون على تذكر التفاصيل . ومع ذلك فحصت رواياتهم وتأكدت منها من مصادر أخرى .

ويمكن تصنيف هذا الكتاب على أنه وسط بين الكتابة الصحفية والكتابة التاريخية .. فالصحيفة اليومية تقول لنا ما الذى حدث ولكنها نادراً ما تذكر لماذا حدث ذلك وكيف حدث لأن هذا هو تخصص المؤرخين . وبينما ينحو هذا الكتاب إلى إعطاء شرح أكثر اكتمالاً عما تستطيعه الصحافة اليومية ، فانه لايتوافر فيه البعد التاريخى الكافى عن الحدث ومن ثم فإنه يطمح أن يكون صورة مكبرة ومركزة للأحداث المعاصرة .

وكلما زادت معلوماتى عن العسكرية الأمريكية من خلال هذا المشروع ، اتضح لى أن البنتاجون ليس دائما هو مركز صنع القرار العسكرى ، ذلك أن كبار مسئولى البنتاجون من مدنيين وعسكريين وبالذات وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان ، لا يمكنهم لعب دور كبير أو مسيطر فى عملية صنع القرار العسكرى إلا عندما يكون البيت الأبيض منشغلا بمسائل أخرى .

وكان هذا هو الحال أثناء الشهور التى سبقت عملية بنما على الرغم من أن رئيس الجمهورية بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ، قام باتخاذ قرار الغزو .

لكن أزمة الخليج كانت شيئا مختلفا . فلقد أولى الرئيس بوش وموظفو البيت الأبيض اهتماما عظيما بها فى مستهلها وأداروا الأزمة من شارع « بنسلفانيا » .. وعندما يتدخل الرئيس ومستشاروه فإنهم هم الذين يديرون العرض .

لذا ، فإن هذا الكتاب ليس كتاباً عن البنتاجون على الرغم من أن مبناه ومؤسسته العسكرية يلعبان أدواراً رئيسية فيه . كما أن هذا الكتاب ليس عما تفعله المؤسسة العسكرية غالباً ، وهو ليس عن جلب السلاح ، ولا عن مشاحنات ميزانية وزارة الدفاع أو التجنيد أو التدريبات الميدانية .

وهو لا يمس ، إلا فى حالات قليلة ، الطريقة التى خاضت بها المؤسسة العسكرية حروب الخمس سنوات الماضية . ولن يصحب القارىء فى طائرة هليكوبتر تهبط على مدينة بنما أو فى معارك الدبابات فى صحارى الكويت أو العراق .

إنه قبل كل شيء كتاب عن الطريقة التى تُقرر بها الولايات المتحدة خوض حروبها قبل إطلاق الرصاص .

والمكان الرئيسى للأحداث هو واشنطن ، والحدث الرئيسى هو الشد والجذب بين اللاعبين فى عملية صنع القرار العسكرى داخل وخارج البنتاجون .

إن عملية صنع القرار فى أعلى مستويات الحكومة القومية هى تفاعل إنسانى ذو طبيعة مركبة . والقصة الداخلية للحكومة تتضمن محادثات ، وجدل ، واجتماعات ، ومكالمات تليفونية ، وميول شخصية ، وخلفيات وعلاقات . وهذه القصة الإنسانية هى لب هذا الكتاب .

ودائما ما يكون هناك غموض تاريخى ما حول أحداث قبل عملية بنما أو حرب الخليج . ذلك

أن المسئولين الحكوميين بطبيعتهم حريصون على حماية المعلومات وغالبا ما تنقصهم الصراحة التامة .

وبينما أنا أكتب هذه الكلمات ، تقترب حرب الخليج من نهايتها . وأنا أعى أن هناك الكثير مما لا أعرفه . فخلال العامين الأولين من رئاسة جورج بوش ، قام هو ومستشاروه المقربون بصنع قرارات هامة ، وخطيرة أحيانا ، بخصوص المؤسسة العسكرية . وهذه القرارات أو الاختيارات تستحق الفحص الواعى حتى برغم حدوثها فى فترة مبكرة .

إن قرار شن الحرب هو قرار يقوم بتعريف الأمة للعالم ، بل والأكثر أهمية ، يُعرف الأمة بنفسها .

وليس هناك ما هو أخطر منه بالنسبة لحكومة قومية وليس هناك مقياس أدق منه للحكم على القيادة القومية .

**بوب ودوارد**

**١٤ مارس ١٩٩١**

## □ مفتتح □

أسرع رئيس هيئة الأركان المتقاعد ، الأدميرال ويليام جى كراو جى . آر ، يشق طريقه بين رجال الأمن على مدخل البنتاجون ، المعروف بمدخل « ريفر إنترانس » ، بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر ١٩٩٠ .

كان متأخرا عن موعد غداء خاص فى الواحدة بعد الظهر مع خليفته الجنرال كولين . إل باول .. وبمجرد أن دخل كراو ، البالغ من العمر خمسة وستين عاما ، مبنى البنتاجون أحس بجوه الثقيل الوطأة كالعادة . فقد كان كبار الضباط يسرعون فى الممر الخارجى للطابق (ء) وهم يكادون ينفجرون زهواً .

وتسرب إلى نفسه إحساس بأن هذا المبنى أقيم خصيصا لكى يبدو كل من فيه وكأنهم مشغولون .

انحرف كراو يميناً ثم دخل أول باب : الغرفة رقم ٢ إى ٨٧٨ ، وهى مكتب رئيس الأركان .. مر من منطقة الاستقبال ثم دخل الغرفة التى عمل بها لمدة أربع سنوات قبل أن يتولى باول منصبه منذ أربعة عشر شهراً .

كان باول وهو فى الثالثة والخمسين من عمره أصغر رئيس أركان فى التاريخ ، وأول أسود يحتل هذا المنصب . كان فى العادة يعطى الإحساس بالنشاط والحيوية لكنه بدا اليوم متعباً .

كان الجنرال قد أعاد تصميم ديكور مكتبه وكانت النوافذ الجديدة تطل على مشهد رائع عبر نهر بوتوماك حيث النصب القومية . وكانت هناك سجادة زرقاء داكنة ثمينة وأريكة مريحة وكرسى يتناسب معها مبطن بقماش أحمر داكن ذى رسوم رقيقة .

وبينما كانا يجلسان على مائدة الغداء الصغيرة العتيقة الطراز قال باول مازحاً : إنه كان يتمنى ألا يقبل الوظيفة وسأل كراو قائلا : لماذا لم تحذرنى ؟

وكان كراو يعلم أن باول لم يكن يعنى ما يقول إطلاقاً . وكان ذلك نوعا من الشكوى التقليدية من رجل يحب منصبه الذى يعد من مناصب القمة .

وجاء الساقى من « الميس » يرتدى سترة صفراء زاهية ليتلقى طلبيهما .. وطلب الاثنان غداءاً خفيفاً .

فى الأشهر الأربعة السابقة كان باول قد أشرف على أضخم عملية انتشار عسكرى منذ حرب فيتنام ، فقد تم إرسال حوالى مائتين وثلاثين ألفاً من العسكريين الأمريكيين رجالاً ونساء إلى الخليج كجزء من عملية « درع الصحراء » عقب غزو واحتلال العراق للكويت .. وقبل ثلاثة أسابيع كان الرئيس بوش قد أعلن قراره بمضاعفة عدد القوات لكى يتمكن من اختيار الحل العسكرى ، لطرد العراق من الكويت . وسبب القرار مجادلات عنيفة وبدا أن التأييد الإجماعى لبوش يتفكك .

وكان باول قد قال لكراو أثناء المحادثة التليفونية التى دعاه فيها على الغداء فى الأسبوع الماضى : « سمعت أنك ستدلى بشهادتك » . وكان كراو قد وافق على الإدلاء بشهادة علنية بخصوص أزمة الخليج أمام لجنة الخدمات العسكرية لمجلس الشيوخ والتى يرأسها « سام نون » الديمقراطى من ولاية جورجيا .

فعلى الرغم من تأييد « نون » لعملية نشر القوات التى قام بها بوش فى البداية للدفاع عن السعودية ضد العراق إلا انه انتقد علناً القرار الخاص بتكوين قوة عسكرية هجومية . وكان يطالب بمعرفة كيف توصل بوش إلى قناعته بأن تحرير الكويت هو من صميم المصلحة الحيوية الأمريكية وتساءل ولم العجلة ؟ ولماذا لا يعطى قرار الحظر الاقتصادى الذى فرضته الأمم المتحدة ، والذى لم يسبق له مثيل ، بقطع التجارة بين العراق ومعظم دول العالم ، الفرصة لكى يؤتى نتائجه ؟

كان كراو يحكى لباول كيف سافر عبر الولايات المتحدة ملقياً خطباً ومستمعاً للشكوك الخطيرة المثارة حول إذا ما كان تحرير الكويت يستحق حرباً . كان هناك قلق عظيم فى البلاد حول احتمالات ، ومدة ، وأهداف ، وضرورة الحرب .

وقال باول وكأنما يأتمنه على سر : نعم ، لقد أحسست بنفس الشيء .

تصاعد حذر كراو .. فلقد شاهد باول عن كثب لسنوات طويلة فى العمل وخاصة فى عام ١٩٨٨ عندما كان باول يعمل مستشار ريجان للأمن القومى .

كان لدى باول ميل لقراءة ما يفكر فيه الناس ثم يقول لهم بطريقة عامة وحذرة ما يظن أنهم يريدون سماعه . هكذا كان كراو يعتقد .

وعلى الرغم من بيانات الرئيس بوش التى تقول إنه لا يريد الحرب فقد كان كراو يشعر أن بوش متشوق لإلقاء مئات الآلاف من الجنود فى أتون المعارك . وكان أحد هؤلاء الجنود هو « بليك » بن كراو وهو نقيب فى البحرية ، يتولى قيادة كتيبة قوامها مائتا رجل ، فى الصحراء السعودية .

وقال كراو : « بعض الناس لن يحبوا ما سوف أقوله » ! .. لم يكن كراو يريد أن يقوم بعمل بروفة كاملة لشهادته أثناء حديثه مع باول ولذلك قاوم أن يقول أشياء محددة .

وأحس باول بهذا التحفظ ! .

وقال كراو : إنه يتعجب من هذا التعجل الظاهر لشن الحرب وأضاف : « الجميع نافدو الصبر » . وبدا للبعض أن المؤسسة العسكرية الأمريكية قد دربت جنودها على القتال وإطلاق النيران لكنها لم تدربهم على الصبر والانتظار .

لقد آتى الصبر ثماره فى الحرب الباردة .. ولسوف يسجل هذا التفوق فى الصبر على الاتحاد السوفيتى لمدة أربعين عاماً على أنه أعظم انتصار فى كل العصور . لماذا لا نفكر على المستوى البعيد ؟ .. كان كراو يتساءل !

إن حرباً فى الشرق الأوسط تؤدى إلى قتل الآلاف من العرب تحت أى أهداف حتى ولو بدت نبيلة ، سوف تؤدى إلى نكسة للولايات المتحدة فى المنطقة لأمد بعيد . هذا بخلاف الأمريكيين المحتمل مصرعهم .. وقال كراو : إن الحرب تؤدى إلى الفوضى ، كما أنها غير مضمونة .

ولم يوافقه باول ، أو يختلف معه . فقد كان يستمع ويومىء برأسه مشجعاً كراو على المضى فى الحديث .

وشعر كراو أثناء الحديث أن باول يريد أن يستميله ليحصل على معلومة تمكنه من التقدم والنجاح . وكان كراو من جانبه يريد أن يطرح أسئلته : أين تشينى من كل هذا ؟ . .وريتشارد تشينى وزير الدفاع هو رئيس باول المباشر .

رد باول : « سؤال صعب » !

سأله كراو بصوت منخفض : عما يعنى ذلك ؟

رد باول : « انه يحتفظ بأوراقه قريبة من صدره كما تعلم » .

كان كراو فى الحقيقة يعلم ذلك . فلقد تصادف أن كانت آخر ستة شهور له كرئيس أركان هى أول ستة شهور لتشينى كوزير للدفاع . ورأى كيف كان تشينى كتوماً .

قال باول : إن تشينى يعود من البيت الأبيض ولا يقول شيئا . وكعضو فى مجلس الوزراء كان تشينى يعقد اجتماعات مع بوش بعيداً عن الاجتماعات الرسمية لمجلس الأمن القومى ، التى كان باول يحضرها .

وتأمل كراو فى نفسه كيف أن رئيس الأركان لا يعلم موقف وزير الدفاع فيما يخص أهم قرار عسكرى يتعلق بالسياسة الخارجية ، ربما منذ عشرات السنوات .

وسأل كراو باول : ما هو موقفك من الانتشار فى الخليج ؟ رد باول : « لقد كنت أُفضل إستراتيجية الاحتواء لكن هذه الفكرة لم تلق القبول لا هنا ولا هناك » .. قال ذلك مشيراً إلى الشمال عبر النافذة والنهر .

كان كراو يعلم جيداً معنى تلك الإشارة التى تعنى أن الأوامر والقرارات السياسية تأتى من هناك وكانت كلمة « عبر النهر » تعنى البيت الأبيض .

وبالنسبة لرجل عسكرى مثل كراو كانت كلمة « الاحتواء » لها معنى محدد وهو الوقوف بحزم لمقاومة تقدم الخصم . وفى هذه الحالة كان معناها الحفاظ على الحظر الاقتصادى والضغط الدبلوماسى على صدام حسين دون مهاجمته على أمل إجباره بالفعل على الانسحاب من الكويت . وكان ذلك يختلف كثيراً عن قرار الرئيس بوش بمضاعفة حجم القوات لتوفير الخيار الهجومى .

وقال باول : إنه كان يحاول تهدئة الإدارة ، وتبريد حماسها للحرب .

وفهم كراو المشكلة .. ولكنه لم يجرؤ على أن يسأل إذا ما كان باول قد ناقش الرئيس فى ذلك علانية .. أم لا ؟

كانت إدارة بوش تظهر نفسها على الملأ وكأنها فريق واحد تغمره السعادة ويسير متحدا . وإذا كان باول صادقاً فهو قد اختلف مع بوش لدرجة ما وربما كان فى مأزق أخلاقى . كان القانون ينص على أن رئيس الأركان هو « المستشار العسكرى الأول » للرئيس ووزير الدفاع ومجلس الأمن القومى كما ينص على أن لرئيس الأركان أن يشير على هؤلاء الثلاثة « بما يراه مناسباً » وأن يقدم « مدى النصيحة العسكرية والرأى فيما يخص تلك المسألة » .

وحسب تفسير كراو للقانون فان رئيس الأركان كان عليه التزام ، على الأقل فى المسائل الكبرى ، أن يقدم للرئيس آراءه بأمانة واستيفاء . فهل قال باول لبوش فكرته عن الاحتواء ؟ وهل سيتسامح بوش مع رئيس أركان لديه اختلاف أساسى مع سياسة الإدارة ؟ فمن خلال تسعة الأشهر التى قضاها كراو فى إدارة بوش كان يعلم عن شغفه بفكرة الإجماع والولاء للرئيس ومواقفه . وما هو مفهوم باول عن واجبه وعمله كرئيس للأركان ؟

كان كراو ، يؤمن بأن على رئيس الأركان أن يقدم ما هو أكثر من النصيحة العسكرية . فبحكم كونه مستشاراً رئاسياً — بل والمستشار العسكرى الأول للرئيس — كان من غير المجدى الحديث عن المسائل العسكرية فقط لأنها لا تنفصل عن غيرها . والذين يختلفون مع الرئيس يقولون له : هذه هى مجرد نصيحة عسكرية .. ولكن بالنظر إلى العوامل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية المقترحة فهذا هو ما يجب عليك عمله .

لا محالة .. كان على باول أن يعطى نصيحة شاملة لكافة الجوانب السياسية ، وفى حالة رفضها كان يمكنه الاختيار بين الاستقالة أو البقاء مع قبول القرار ، ولم تكن هناك وسيلة أخرى غير إعطاء النصيحة المباشرة المركزة .

وفى اجتماعات البيت الأبيض أثناء حكم ريجان وبوش لاحظ كراو وسيلة شائعة للتحايل

يستخدمها بعض مسئولى الوزارات كإجراء وسط . فهم يقولون إن اختياراً معيناً يجب مناقشته وفحصه خلال مناقشة شاملة . وهى طريقة لوضع الفكرة على المائدة دون التورط فى مشكلة . وفى رأى كراو كان هذا نوعا من النصب ، فإن على مستشار الرئاسة أن يكون مستعداً للمخاطرة بنفوذه الشخصى ويعلن عن استنتاجه الشامل ، فالنصيحة دون جوهر لاتعنى الكثير . وهذا يعتبر واجبا ثقيلا على المستشارين ولكنه أيضاً ، كما يعتقد كراو ، الواجب الذى يقبضون مرتباتهم لكى يؤدوه .

ولم تكن لديه فكرة عما فعل باول وكان يشعر أن الوقت والمكان ليسا مناسبين كى يسأله عن ذلك . ولكنه ، مخلصا ، كان يريد أن يصدق أن باول قد عرض أفكاره كاملة على الرئيس .

ولم يكن فى حياته قد تعاطف مع باول أو علق عليه أملاً مثلما فعل فى تلك اللحظة .

قال كراو : « أعتقد أن هناك شيئين يصنعان رئيساً عظيما للجمهورية ويجب أن أقولهما لك لأنك من الجائز أن تكون رئيسا يوما ما » .

رد باول بتصميم : « لا .. لا » ، رافضا الإشارة إلى مستقبله السياسى وهو موضوع لا تمل أجهزة الإعلام من محاولة التنبؤ به .

قال كراو : « بل يمكن أن تكون .. وأريد أن أقول لك ، أولا ، لكى تكون رئيساً عظيماً يجب أن تكون لديك حرب .. كل الرؤساء العظماء كانت لديهم حروبهم » .

واعترف باول ضاحكا بصحة العبارة !

وأضاف كراو : « وثانيا ، يجب أن تجد حرباً تكون فيها ضحية هجوم » .

هز باول رأسه موافقاً .

ورأى كراو أن باول قد فهمه .

وعندما انتهيا من الطعام شكر كراو باول على الغداء وانصرف . لقد اكتشف أن باول لم يحاول إقناعه بأن سياسة تطوير الخيار العسكرى الهجومى هى سياسة صحيحة .. وكذلك لم يدافع عن موقف الإدارة .

وفيما بعد ، أخذ كراو يتأمل المأزق المحتمل أن يكون باول واقعاً فيه . وتذكر أنه ظل رئيساً للأركان لمدة عام قبل أن يفك لغز ذلك المنصب .

عندما يكون رئيس الأركان على صواب فعليه أن يواجه رئيس الجمهورية . وجاءت فرصة كراو بعد قمة ريجان ــ جورباتشوف عام ١٩٨٦ فى ريكيافيك ــ ايسلندا عندما اقترح ريجان التخلص من كافة الصواريخ البالستيه ( ذاتية الدفع ) . وقد كان كراو عندئذ واقعا تحت ضغط مكثف لكى يصدق على الخطة ، لكنه ذهب إلى اجتماع مجلس الأمن القومى وقال : إنه لا يستطيع

الموافقة لأن اقتراح ريجان « سوف يشكل خطراً كبيراً على الأمة » وبعد ذلك الحدث أصبحت دوائر ريجان الخاصة تستمع إليه باهتمام أكبر ، فقد كسب الاحترام .

والحقيقة البسيطة هى أن رئيس الأركان لا يمكنه أن يكون ضمن اللاعبين إلا إذا اختلف أحيانا مع البيت الأبيض وحاربه . لقد كان ذلك خطراً ، ولكن أحياناً تكون أفضل الاختيارات هى أكثرها خطراً .

وفى عام ١٩٨٧ عقد كراو تحالفاً مع نظيره السوفييتى المارشال سيرجى أخرومييف رئيس هيئة الأركان العامة السوفييتية . فعلى الرغم من كونهما قائدى أعظم قوتين متضادتين فى العالم إلا أنهما نجحا فى التوافق على المستوى الشخصى .

كان كلاهما يؤمن أنه من السهل على الساسة أن يجعلوا سوء التفاهم يدفع بالقوى العظمى إلى حافة حرب نووية . واتفقا على أن ذلك نوع من الانتحار وكان عليهما أن يبذلا ما فى استطاعتهما كى يتجنباه .

وكانت بينهما قناة اتصال سرية خاصة على أساس أن يستخدمها الواحد منهما إذا رأى أن هناك عملاً عدائياً غير مفهوم صادراً من الطرف الآخر ويمكن أن يؤدى إلى الحرب .

كان كراو يعلم أنها خطوة تنطوى على مقامرة حيث يتفق رؤساء الأركان بمثل هذه الطريقة دون تصريح من الإدارة ، لكن ذلك كان يستحق المخاطرة . وبعد عامين من ذلك وقعت المؤسستان العسكريتان اتفاقاً يجعل الاتصال بين العسكريين لتجنب الحرب أمراً قانونياً .

* * *

بعد الغداء استنتج باول أن إدارة بوش من المحتمل أن تتعرض لهجوم خفيف من جراء شهادة كراو فى اليوم التالى .

ووجد ، على وجه العموم ، أن تأملات كراو بها الكثير من الفكر ولكنها غالباً تجريدية إلى حد ما . كان الأسلوب الذى اتخذه كراو هو أسلوب المثقفين فى رئاسة الأركان . لقد ترك لباول هيئة أركان تعمل وكأنها دبابة « تفكير » ، تتردد كثيراً وتجنح للجدل وكتابة الأوراق بلا نهاية . وأعاد باول تشكيلها حسب تصوره محولاً إياها إلى هيئة أركان تنجز أعمالاً .

وفيما يخص عملية الخليج كان باول قد توقف عن محاولة تمرير إستراتيجية الاحتواء . فقد كانت لديه أوامر محددة . ولم يكن ليمنح الاحتواء أصغر حيز من التفكير الآن . لقد اتخذ رئيس الجمهورية قراره ، بطريقة لا لبس فيها ، ببناء اختيار هجومى . وشغل رئيس الأركان نفسه بتجهيز قوة هجومية مؤثرة بقدر ما يمكن .

وتذكر باول بوضوح الجهود التى بذلها لتقديم كل الخيارات الخاصة بالخليج إلى الرئيس ، بما

فيها خيار احتواء العراق ، لكى يتأكد من أن كل الاحتمالات قد تمت دراستها إلى أقصى مدى . وكان ذلك صعبا .

ففى الشهر السابق كان قد دون عدة ملاحظات لنفسه عن إطار يشمل جوانب وجهات النظر بالنسبة للاحتواء . واستخدم تعبير « الخنق » وهى كلمة أكثر فاعلية من « الاحتواء » ، وتشير إلى الحصار الذى قررته الأمم المتحدة على العراق وإلى كل الإجراءات التى اتخذها الحلفاء للضغط على صدام . وقدم هذه الملاحظات ووجهات النظر المتعارضة إلى تشينى ـــ مرتين ، ثم إلى مستشار الأمن القومى ، برنت سكوكروفت ، وإلى وزير الخارجية جيمس. ا. بيكر الثالث .

وفى عصر أحد أيام الجمعة فى أوائل أكتوبر قال تشينى أخيرا لباول : « لماذا لاتأتى معى ونرى رأى الرجل فى فكرتك » .

وكان من المقرر أن يعقد تشينى اجتماعا فى ذلك اليوم مع الرئيس فى المكتب البيضاوى . كان ذلك الوقت من اليوم مخصصاً لأعضاء الوزارة فى المناصب الحيوية أو « الرجال الكبار » كما يسميهم باول . وعادة لم يكن هو ضمنهم .

ذهب تشينى وباول إلى المكتب البيضاوى لمقابلة بوش وسكوكروفت . كانت الشمس تتدفق إلى داخل المكتب . ولسبب ما كان هناك شىء غير سليم فى الجو . كانت هناك مقاطعات ، وتعجب لأن هذا هو مكتب الرئيس وهو ليس المكان الصحيح لمثل هذا النوع من المناقشات كما شعر باول . لقد كان يفضل الجو الرسمى « لغرفة دراسة الموقف » حيث يمكن لبوش أن يظل فى حالة تركيز . كان الجو فى المكتب البيضاوى مسترخياً ومرحاً أكثر من اللازم ، وكأنهم أولاد جالسون سويا يتبادلون السخافات قبل عطلة الأسبوع .

وأحس باول أن هذه المشكلة عامة بالنسبة لهذا النوع من الاجتماعات ، فليس لها بداية أو وسط أو نهاية . فهم يركلون الكرة فيما بينهم ، وهم يضعون أرجلهم على المائدة وأحذية الكاوبوى تلمع .

وأعطيت لباول الفرصة لكنه شعر أن تقديمه لأفكاره لم يكن جيدًا كما فى محادثاته المنفردة مع تشينى وبيكر وسكوكروفت . ورغم ذلك فقد مضى قدماً .

قال باول للرئيس : إنه لكى يتم التوصل لسياسة لإرغام صدام على الانسحاب من الكويت فإن هناك طريقتين للعمل : إحداهما هى بناء الخيار الهجومى بزيادة القوات ، والثانية هى الاحتواء الذى يأخذ وقتاً أطول . ولكن النجاح فى كلتا الطريقتين يمكن الوصول إليه .

وقال للرئيس :« ولدينا هنا حالة يمكن تطبيق سياسة الاحتواء أو الخنق فيها . إذا لم تكن تريد أن تقوم بالمزيد من الاستثمار العسكرى للموقف فهذا هو البديل » .

وقال رئيس الأركان : إنه فى حالة تطبيق سياسة الاحتواء فإن حجم القوات المشاركة فيه

سيكون هو ماستصل إليه فى أول ديسمبر ، أى حوالى مائتين وثلاثين ألفاً ، وساعتها ستتم محاصرة صدام تماماً وسحقه .

وقال : « إن لهذا الاختيار ميزة ، أنه سيؤدى إلى نتيجة سواء خلال عام أو اثنين ولكنه حتما سينجح يوماً ما » .

كان رئيس الأركان يتحدث كمدافع عن الفكرة ، بطبقة صوته التى تؤيدها حركات يديه .. كان جالساً على حافة الكرسى ويداه فى الهواء تؤكدان على النقاط التى يذكرها فى الحديث . كان يتحدث باقتناع . لكنه لم يذهب إلى حدَ أن يقول للرئيس إن سياسة الاحتواء هى اقتراحه الشخصى .

وبمفهوم عسكرى فقد قال باول للرئيس : إنه يمكنه تنفيذ سياسة الاحتواء أو الخيار الهجومى .

أما الآخرون ، تشينى وسكوكروفت فقد كان لديهما أسئلة قليلة . لكن أحداً منهم ، بما فى ذلك الرئيس ، لم يتبنَّ سياسة الاحتواء . وقد كان من الممكن أن يقول باول إنها تلك هى السياسة التى يفضلها إذا أظهر واحد منهم ميلاً إليها! . لكن أحدا منهم لم يركز على مايقول و لم يسأله أحد عن رأيه الشامل . وبما أنه لم يواجه السؤال فلم يكن يعلم كيف ستكون إجابته إذا لم يسانده أحد من الحاضرين .

وأخيرا قال باول : « أين تريد الذهاب ياسيادة الرئيس ؟ إننى أفعل المزيد كل أسبوع . هناك المزيد والمزيد من القوات تتدفق » .

وقال بوش مشيراً إلى سياسة الاحتواء : « لست أظن أن هناك وقتا من الناحية السياسية لهذه الإستراتيجية » . وفهم باول ذلك على أنه يعنى أن الرئيس لم يقرر شيئا بشكل نهائى . وشعر بأن الرئيس لم ينبذ بعد فكرة الاحتواء تماماً .

وقد قال باول بعد ذلك : إن ضميره مستريح ، فلقد شرح الجوانب العسكرية لكلا الاختيارين ، وهذا أقصى ما كان يستطيع عمله .

# □ الجزء الأول □

# □ ١ □

اليوم هو الثلاثاء ٩ نوفمبر ١٩٨٨ . وباول ، عندئذ ، جنرال ذو ثلاث نجوم ويعمل مستشار الأمن القومى لريجان ، يخطو بحزم فى الأروقة الضيقة المغطاة بالسجاجيد فى الجناح الغربى للبيت الأبيض .

كان متجهاً إلى مكتبه فى الركن الفسيح والذى ربما كان ثانى المكاتب نفوذاً فى البيت الأبيض والمركز العصبى الذى كان يشغله فى السابق أمثال هنرى كيسنجر .

كان الوقت حوالى الرابعة بعد الظهر وكان جورج بوش ، نائب رئيس الجمهورية فى الرواق خارج مكتبه الصغير فى الجناح الغربى ، وقبلها بيوم كان بوش قد انتخب رئيساً للجمهورية . وكان حفل التكريم الذى أقيم له بمناسبة عودته للبيت الأبيض كرئيس منتخب قد انتهى لتوه ، وكان فى الممر يلقى بكلمات التحية ويشد على الأيادى وهو ممتلىء بالحماس والعصبية ووقعت عيناه على باول .

قال بوش : « تعال إلى مكتبى .. أريد أن نتحدث .. دعنا نتحدث » .

قال باول : إن بوش لابد أن يكون مشغولاً .

وألح بوش قائلاً : « قل لى ما الذى يحدث » وهو يجذب باول إلى داخل مكتب نائب الرئيس .. وبحكم طبيعة ومنصب باول فإنه كان مركزاً للمعلومات فى الأمور الدولية وغالباً ما كان أول من يعلم من كبار موظفى البيت الأبيض آخر مايحدث سواء بالنسبة لتطورات أزمة ما أو أحدث شائعات الشئون الخارجية من الطبقة الأولى .

وبينما كان يهنىء بوش على انتخابه رئيساً ، ابتسم باول ابتسامة عريضة تشع بالثقة .

كانت إدارة بوش الجديدة قد بدأت بالفعل تتخذ شكلاً مختلفاً ففى ذلك الصباح أعلن بوش فى هيوستن أول تعيينات مجلس الوزراء وذكر اسم قائد حملته الانتخابية وصديقه القديم من ولاية تكساس ، جيمس بيكر ، كوزير للخارجية وكان بيكر يعتبر من المطلعين على بواطن الأمور فيما يخص بوش .

وسأل بوش باول عن نفسه وعن خططه وعن المكان الذى يرى أنه مناسب له .

قال باول : « ياسيادة نائب الرئيس إن لديك من المشغوليات ما يفوقنى أهمية » .

وكان لدى بوش ثلاثة اقتراحات محددة .. أولها أن يظل باول فى منصبه كمستشار أمن قومى للرئيس لمدة ستة شهور مثلا يفكر خلالها فيما يريد عمله بعد ذلك .. وثانيها : أن يتم تعيينه فى منصب دائم فى إدارة بوش ، وثالثها : أن يأخذ منصب مدير المخابرات المركزية وهو منصب شغله بوش نفسه عندما كان فى سن باول .

ثم اقتراح آخر ، أن يصبح باول الرجل الثانى بعد بيكر فى وزارة الخارجية وهو منصب رئيسى ، وقال بوش إن أيا من تلك المناصب يمكن أن تكون تحت يده فإن أوقاتاً ممتعة وهامة قادمة فى الطريق .

قال باول : إن الجيش هو مهنته المختارة وإنه عنده الفرصة كى يبقى فيه . وأيضاً فهو الآن يدرس بعض العروض لكى يجمع بعض المال . وقال : إن عروض بوش أسعدته وهو سيدرسها مع باقى العروض الأخرى ، فهو كما يتفهم بوش ، فى مفترق طرق هام لأن خدمته كمستشار للأمن القومى فتحت أمامه الكثير من الاختيارات .

وأشار بوش ، الذى غير عمله مرات أكثر من أى شخص آخر ، إلى أنه يتفهم تماماً موقف باول .

قال باول : إن هناك الكثير مما يجب دراسته وإنه سيرد عليه ، ثم هنأه مرة أخرى .

* * *

كان هناك شيء واضح بالنسبة لباول وهو أن العرض الأول لكى يبقى فى وظيفته الحالية لبضعة شهور يعنى فى الحقيقة : لا أريدك أن تكون مستشارى الدائم للأمن القومى .

ولأن باول فهم ذلك فقد أدرك وجوب عمل تحليل جدى لإمكاناته المستقبلية ، ومن ثم جلس وكتب قائمة بالأسباب التى يمكن أن يبقى من أجلها فى الحكومة والأسباب التى من أجلها سيخرج منها .

وكان السبب الوحيد الذى يمكن أن يجعل باول يرجح الخروج من الحكومة هو المال .. لم يكن المال هو أهم شيء بالنسبة لباول ، وعلى أية حال فإن ملخص سيرته الذاتية المهنية التى كان يوزعها خفية فى عالم رجال الأعمال كانت تلقى استجابة خافتة .

كان يجب عليه أن يزن العرضين الخاصين بأن يكون إما مدير المخابرات المركزية ، أو الرجل الثانى فى الخارجية ، فإن خروجه من منصب المستشار الأمنى ، الذى كان ينسق من خلاله كل مسائل سياسة الدفاع والخارجية ، لكى يشغل منصب الرجل الثانى فى وزارة الخارجية ويكون مسئولاً عن الأعمال البيروقراطية يعنى الإقلال من رتبته الوظيفية .. كما أنه فى معظم الحالات يكون مستشار الأمن القومى أكثر نفوذاً من مدير وكالة المخابرات المركزية .

وكانت لدى باول مشكلة أخرى .. كان لايشعر بالارتياح إلى الرجل الذى كان على وشك أن يشغل منصب رئيس الجمهورية . وعلى خلاف باول ، الذى كان عليماً ببواطن الأمور من الطراز الأول للإدارة ، كان بوش هو الطفل المتبنى فى البيت الأبيض فى عهد ريجان .

وعلى الرغم من كونه داخل دائرة اللعب أكثر من معظم نائبى الرؤساء إلا أن بوش لم يكن لاعباً .. ولم تكن هناك رابطة ولاء بين بوش وباول وكما كان يعلم باول ، كانت الأحلاف الشخصية هى كل شيء بالنسبة لبوش .

كان باول منزعجاً أيضاً من الطريقة التى أديرت بها حملة بوش الرئاسية ، وخاصة إعلانات « ويلى هورتون » التليفزيونية .. كان هورتون ، وهو قاتل أسود من الطراز الأول ، قد أعطى تصريحا بالخروج من سجنه بولاية ماساتشوستس فى عطلة نهاية الأسبوع ، عندما كان مايكل دوكاكيس ، المرشح الديموقراطى ضد بوش حاكماً للولاية . وبينما كان هورتون فى إجازته من السجن طعن رجلاً أبيض واغتصب امرأة بيضاء فى ولاية ميرلاند . هل كان المحيطون ببوش يعتقدون أن مثل هذه الأمور تدخل فى صميم الحملة الانتخابية ؟ .

وبحث باول عن صديقه المخلص الشخصية الاجتماعية ريتشارد إل . أرميتاج ، مساعد وزير الدفاع لشئون الأمن الدولى . وكان أرميتاج ، وهو خريج الأكاديمية البحرية عام ١٩٦٧ ، ضخم البنيان وانفعالى الطبع ومشهوراً بالطريقة العدوانية التى أدى بها عمله كرئيس لإدارة الشئون الخارجية بالبنتاجون .

ومن عام ١٩٨٣ حتى عام ١٩٨٦ كان أرميتاج وباول الذى كان مساعداً لكاسبار واينبرجر وزير الدفاع ، يديران معظم أعمال الإدارة .

وكان أرميتاج يعلم أن جاذبية باول وطريقته المسترخية تخفى كفاءته وطموحه .. وكان رأيه أيضاً أن نصف العرض الذى تلقاه باول لكى يظل مستشاراً للأمن القومى لبضعة شهور هو من باب التأدب . ونصحه أرميتاج ألا يقبل وظيفة الرجل الثانى فى وزارة الخارجية حيث يجب أن يكون وزيراً . وقال لباول إن وكالة المخابرات المركزية لاتناسب صورته لأنها بلا سمعة أدبية ومستهلكة النشاط .

واقترح أرميتاج على باول أن يترك الأمور تشكل نفسها .

وكان باول قد بذل جهده لكى يؤمن عودته إلى الجيش فقد ذهب قبل الانتخابات ليزور صديقه الجنرال كارل فونو رئيس أركان الجيش وكان فونو ، الذى يتحكم فى ترقيات ومناصب الجيش ، متخرجاً من وست بوينت عام ١٩٥٧ ودخل الجيش قبل باول بعام واحد . وهو ضابط ممتلىء مرح له عينان سوداوان كأبناء البحر المتوسط وكان يعرف باول منذ كانا يعملان سوياً كضباطين

صغيرين فى البنتاجون قبل ذلك بسبعة عشر عاماً .. وكان باول يعتبر فونو أحد نصائحه المخلصين .

وبالرغم من أن فونو كان يريد عودة باول إلى الجيش فقد حثه على عمل ما يوفر له ولزوجته « ألما » السعادة إذا أراد باول العودة فسوف يكون له مكان . وكان فونو قد ترك منصباً خالياً عن عمد وهو منصب الترقية للنجمة الرابعة لقيادة القوات . وكانت هذه القيادة تتحكم فى احتياطى يبلغ قوامه حوالى مليون من القوات البرية ، معظمهم فى الحرس الوطنى أو على قوة الاحتياط .

وإن لم يكن هذا منصباً لامعاً فإنه على الأقل سوف يجعل باول واحداً من عشرة رؤساء أركان ( سينكس ) (CINCs) للقوات الأمريكية والوحدات المقاتلة عبر العالم وكانت هذه تذكرة نجاح هامة . وهى تعطى الفرصة لباول أن يخلف فونو فى منصب رئيس أركان الجيش .

قال باول له : إذا قررت أن آتى إليك ياكارل فسوف أفعل ماتريدنى أن أفعله .

كان باول يعتبر نفسه جندياً فى المقام الأول . فمنذ عام ١٩٥٨ قضى أول أربعة عشر عاماً له كضابط مشاة عادى دون عصبية من وست بوينت أو أى سبب آخر يدعو لنظن بأنه سيكون سريع الترق .. وكضابط صغير السن لم يكن واهباً نفسه تماماً للجيش فقد كانت خطته هى أن يستمر فيه لمدة عشرين عاماً كى يضمن معاشاً بنسبة خمسين بالمائة من المرتب .

وجاء دخوله إلى دوائر السياسة العليا عام ١٩٧٢ . ففى ذلك العام اختير المقدم كولين باول فى برنامج منحة البيت الأبيض وهو برنامج عالى المستوى يعطى صغار رجال الأعمال والمحامين وضباط الجيش ومهنيين آخرين فكرة عن فرع إدارة الأعمال الفيدرالية لمدة عام . وفى عام ١٩٧٧ ذهب إلى البنتاجون ليكون المساعد العسكرى لنائب وزير الدفاع .

وكانت أربع السنوات التى قضاها فى هذا العمل ثم ثلاث السنوات مع واينبرجر فرصة لرؤية قمة القيادة العسكرية عن كثب وكان لديه انطباع بأن نوعا جديدا من كبار الضباط يمتاز بالواقعية يمكن أن يكون أكثر فائدة للوزير وللرئيس . فقد كان أعضاء هيئة الأركان ، وهم النسق الأعلى فى الملابس المدنية ، معزولين عن العالم الخارجى ولم يكونوا قادرين بما يكفى أو راغبين فى تقييم الجوانب السياسية للقرارات العسكرية . وأيضاً لم تكن لديهم الكفاءة فى العلاقات العامة برغم أن السياسة والعلاقات العامة هما الحلبتان اللتان يحيا فيهما وزير الدفاع وينجح أو يفشل .

قرر باول أن يستمر فى الجيش . وكان الجيش هو بيته وكانت النجوم الأربع المنتظرة لها سحر غامض .

وقال له فونو عندما سمع الخبر : « إننى فى قمة السعادة .. سوف نرسلك إلى قيادة القوات » .

كان باول يعلم أنه مقدم على نوع جديد من الحياة فى أطلانطا حيث المقر الرئيسى لقيادة

القوات .. لقد كان يحس دائماً بالخطر كمستشار للأمن القومى كانت هناك مخاطرة فى كل كلمة وكل اقتراح وكل اختيار وكل عمل .. فالرئيس ريجان أعطى جزءاً ضخماً من مسئولياته لموظفيه .. ووجد باول أنه إذا قال لريجان لاتقلق بشأن شيء ما فإن الرئيس على الفور يحدق خارج النافذة ناظراً فى سعادة إلى حدائق الزهور .. وتقع المسئولية على عاتق باول .. وعلى الرغم من أن باول قد عولج مرتين من ارتفاع ضغط الدم فإنه كان يستمتع بوجوده فى هذا النوع من الحياة المليئة بالضغوط والمخاطرة .. وأطلع باول على قراره كينيث دوبرشتاين ، رئيس أركان ريجان وهو شخص متمرس من بروكلين .. قال له باول : إنه سيكون جندياً مرة أخرى ، فقد كانت تلك هى حياته .. وقال له أيضاً « يوماً ما أريد أن أكون رئيساً لهيئة الأركان » .

وكان من المحتمل أيضاً أن يصبح قائداً للجيش لكن خبرته بالسياسة فى مكتب واينبرجر والبيت الأبيض جعلته مؤهلاً أكثر لكى يكون رئيساً لهيئة الأركان .

وتأكد دوبرشتاين بنفسه من أن النجمة الرابعة اللازمة لباول قبل توليه قيادة القوات فى طريقها إليه دون تأخير .

وذهب باول ليقابل بوش ويشكره على عروضه وقال : إنه يريد الذهاب « إلى الخارج مع القديم والجديد » .. لقد كان يعرف القواعد . الرئيس الجديد يجب أن يختار فريقه .

وقبل الرئيس المنتخب قراره دون مناقشة .

وقال باول لريجان أيضاً : إنه ينوى أن يكون رئيساً لقيادة الجيش .

وسأله ريجان : « أليست هذه ترقية ؟ »

ـــ « نعم يا سيدى »

ـــ « حسناً »

* * *

تلقى العميد جوى برنت سكوكروفت مكالمة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٨٨ ، وهو اليوم السابق لعيد الشكر من صديقه الحميم ، آر . جيمس وولسى جى آر ، وهو محام ونائب وزير البحرية سابقاً . كان وولسى قد رأى افتتاحية حديثه لجريدة النيويورك تايمز ترشح سكوكروفت لاختيار بوش له كوزير للدفاع .

وقال سكوكروفت : « لن يحدث ذلك » .

وخلال ساعة سمع وولسى فى الإذاعة أن بوش قد القى بإعلانه المفاجيء أن سكوكروفت سوف يكون مستشاره للأمن القومى خلفاً لباول .

وضحك وولسى بينه وبين نفسه .. لقد كان سكوكروفت كتوماً ربما لدرجة العيب .. فعلى

الرغم من أنهما قد عملا سوياً لسنوات طويلة فى دراسات حكومية ذات سرية قصوى ، بالإضافة إلى العديد من الدراسات والاقتراحات بشأن الحد من التسليح وسياسة الدفاع ، لم يكن سكوكروفت حتى ليلمح إلى وولسى بسر طلب منه الرئيس المنتخب أن يكتمه .

وكنموذج للموظف المتواضع الجدير بالثقة ظل برنت سكوكروفت يعمل دون أن يبرز نفسه فى دوائر الأمن العليا لمدة عشرين عاماً . وقد بدأ كنائب لمستشار الأمن القومى لهنرى كيسنجر ثم ارتقى لوظيفة مستشار الأمن تحت رئاسة جيرالد فورد ( عندما كان بوش مديراً للمخابرات ) ثم عمل فى لجان رئاسية عديدة وكمستشار دولى ذى مرتب عال لدى كيسنجر .. وكان لديه ميل أن يظل فى الخلفية كمرآة تعكس وجهات نظر الرئيس .. وسكوسكروفت الذى كان أصلع ونحيفاً وأقصر قامة من بوش ويبلغ من العمر ٦٣ عاماً كان متجنباً للحياة الاجتماعية فى واشنطن وواهباً نفسه لعمله مثل قسيس .. كان عمله هو اهتمامه الأوحد . وكانت فكرة سكوكروفت عن الترفيه هى حضور ندوة عن الحد من التسلح وهو موضوع يحب كل تفاصيله الغامضة .. وقد قضى ساعة ونصف ذات مرة يقوم فيها بالتحكيم فى مناقشة على جملة واحدة مقترحة لتقرير مقدم من لجنة « الأشرطة الزرقاء » بخصوص الصواريخ الإستراتيجية . وكانت هذه هى الأوقات التى يظهر فيها أنه يحمل عاطفة تحت مظهره الشاحب كانت عواطفه تظهر أثناء مناقشة القضايا السياسية حيث يرتفع صوته لدرجة الصراخ الحاد ويلوح بذراعيه .. والمقربون من سكوكروفت يعلمون أنه فى السنوات الأخيرة كان هناك موضوع واحد يثير عاطفته . فعلى الرغم من روابطه الكثيرة الوثيقة مع إدارة ريجان إلا أنه كان ينتقدها سراً بقسوة وحدة فيما يخص السياسة الخارجية والعسكرية التى تتبعها .. وكان يعتقد أن الولايات المتحدة تحت حكم ريجان قد اتخذت لأول مرة اتجاهاً متصلباً يتسم بالغباء والسذاجة تجاه الاتحاد السوفييتى ثم عادت وألقت بنفسها بجهل فى أحضان جورباتشوف .

ولم يكن يرى أن هناك سياسة منسجمة للإدارة فيما يخص نزع السلاح النووى وكان يسمى اقتراح ريجان عام ١٩٨٦ فى ريكيافيك بالتخلص من كافة القذائف ذاتية الدفع ، اقتراحاً يتسم « بالجنون » .. وبالنسبة لسكوكروفت كانت رؤية الإدارة لدرع فى السماء يحمى الولايات المتحدة من الهجوم بالصواريخ النووية ، وهى المبادرة الاستراتيجية الدفاعية ، على أنها فانتازيا جامحة ، وكان يؤمن بأن فريق ريجان للأمن القومى قد فشل فى تعويض عدم كفاءة رئيسهم ورومانسيته فى مجال السياسة الخارجية .

وبما أن اختلافات سكوكروفت مع خط ريجان كانت معروفة جيداً فإن عودته إلى البيت الأبيض كمستشار للأمن القومى كانت علامة واضحة على أن بوش كان ينوى شق طريق جديد فى سياسة الدفاع والخارجية .

□ ٢ □

في صباح السابع من ديسمبر ١٩٨٨ ، وفى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك أعلن ميخائيل جورباتشوف أن الاتحاد السوفيتى سوف يقوم بعمل تخفيض من طرف واحد فى قواته ، يبلغ خمسمائة ألف جندى وعشرة آلاف دبابة . وكان الإعلان فى شكله ومضمونه هو بمثابة الرحيل عن الطريقة السوفييتية التقليدية فى العمل . ففى السابق ، لم يكن القادة السوفييت ليفكرون فى التخلى عن أى جزء من قوتهم العسكرية دون أن يحدث تخفيض مماثل فى الولايات المتحدة . ولكن الآن ، وحيث إن جورباتشوف كان يواجه ضغطاً اقتصادياً خطيراً فى الداخل أثناء محاولته الإصلاح فى الاتحاد السوفييتى ، فقد كان راغباً فى إعطاء هذه الإشارة المتسمة بالشهامة لكى يدعم صورته كرجل دولة وداعية للسلام .

وكان رجال جورباتشوف يبذلون جهداً كبيراً من أجل إجراء قابلة مع ريجان بعد الخطاب . وتولى كولين باول ، فى شهور خدمته الأخيرة مع ريجان كمستشار الأمن القومى ، متابعة هذا الطلب . قال باول للسوفييت إن الولايات المتحدة كانت تعتقد أنه لن تكون هناك اجتماعات مع جورباتشوف هذا العام ، وحذرهم باول من الخدع والمفاجآت . لقد قطع السوفيت عهداً على أنفسهم بأنهم لن يلعبوا ألعاباً خفية وأنهم لن يبحثوا عن المتاعب .

وبعد التنسيق مع الجناح الشرقى فى البيت الأبيض ( وهذا يعنى نانسى ريجان ) ومع رجال بوش ، قال باول للسوفييت إنه تم التصديق على الاجتماع . ولكنه ذكّرهم بأن الاجتماع سيكون مع الرئيس ريجان ونائبه جورج بوش ، وسوف يظل نائب الرئيس فى الخلفية . واتفق الجانبان على غداء غير رسمى فى جزيرة جفرنر فى ميناء نيويورك .

وبينما كان ريجان يحيى جورباتشوف ، خرج بوش من القصر ذى السبعة والعشرين غرفة والمبنى على الطراز الجورجيانى ، حيث كان الرئيسان فى طريقهما إليه للغداء ، وسار فى اتجاههما متكلفاً .

وعندما وقعت عينا جورباتشوف على الرئيس المنتخب أشرق وجهه بطريقة واضحة وأخذ يد بوش اليمنى بين كلتا يديه .

كان مستشارو بوش قد نصحوه أن يبدو متشككاً ، وقوياً بل ومتباعداً عن الزعيم السوفييتى .

وقالوا له : إن جورباتشوف ربما يحاول أن ينشل ما فى جيبه ، فالمفاوضات على مستوى عال مع السوفييت تتطلب التحضير والحذر .

وقبل أن يبدأ اجتماع الغداء ذهب ريجان وجورباتشوف إلى غرفة صغيرة ليقفا أمام المصورين . كان باول واقفاً مع بعض من نظرائه السوفييت عندما جاء إليه الكسندر « ساشا » بسمرتنيخ ، النائب الأول لوزير الخارجية والخبير المتخصص فى شئون الولايات المتحدة . قال له : « كيف حالك ياكولين ؟ مبروك على الترقية »

كانت أخبار ترقية باول للنجمة الرابعة قد وصلت إليهم فى ذلك اليوم .

رد باول : « كم أن هذا طيب منك ياساشا . إننى مندهش لأنك علمت بهذا الخبر بهذه السرعة . لابد أن يورى [ يورى دوبينين هو السفير السوفييتى لدى الولايات المتحدة ] أصبح يرسل تقاريره بأسرع من المعتاد ، أو ربما أنكم تستخدمون الآن جهاز الفاكس الذى وضعتموه حديثا » .

قال بسمرتنيخ ضاحكاً : « لا . لقد رأيت ذلك على شبكة س . إن . إن » .

رد باول : « دعك من هذا المزاح . لقد كانت السى . إن . إن تصلكم أثناء قمة ( موسكو ) فى مايو ... لقد كانت فى كل الفنادق » .

قال بسمرتنيخ : « لا . إنها عندنا بشكل دائم . إنها فى مكتبى وأشاهدها طوال اليوم » .

وقال باول : إنه يفعل ذلك أيضاً وأضاف مازحاً : إن البلدين يمكنهما توفير كثير مما ينفق على الاتصالات والمخابرات بالاعتماد على السى . إن . إن .

وقال بسمرتنيخ : إنه تأتيه فى كل يوم جمعة أعداد الأسبوع من الواشنطن بوست والنيويورك تايمز « إننى آخذها جميعا إلى بيتى وأقرأها أثناء عطلة نهاية الأسبوع ، لأن التقارير التى تأتينا من أجهزة مخابراتنا لا تعطينى البصيرة الكافية داخل أمريكا وعما يفعله الناس وما هو الذى يحرك بلدكم . ولذا فإننى يجب أن أستخدم أشياء مثل السى . إن . إن وقراءة جرائدكم » .

وبينما كان باول وبسمرتنيخ يثرثران جاء أناتولى دوبرنين ، الذى كان سفيراً للسوفييت فى الولايات المتحدة والمستبدل حديثاً ، ولكى يستمع عن كثب . وقال مازحاً إنه يريد أن يعرف كيف يحصل على إرسال شبكة السى . إن . إن فى موسكو .

* * *

فى اجتماع الغداء ، كان يمثل الولايات المتحدة ستة رجال : ريجان ، وبوش ، وجورج شولتز وزير الخارجية ، وباول ، وكين دوبرشتاين ، ووزير الدفاع فرانك كارلوتشى .

ولمدة ١٠ دقائق ظل جورباتشوف يتحدث منفرداً عن المشاكل التى كان يلاقيها فى برامج إعادة

البناء الاقتصادى الجذرية والمصارحة السياسية ـــ البيريسترويكا والجلاسنوست الشهيرتين . وقال إن البيروقراطية السوفييتية تحاربه فى كل منعطف .

ورد ريجان بأن البيروقراطية هى البيروقراطية فى كل أنحاء العالم . وكان متعاطفاً مع شكوى جورباتشوف .

وقال جورباتشوف : إن هناك فى الولايات المتحدة من هم متخوفون من حركة الإصلاح التى يتبعها .

ورد ريجان : إن نتيجة اقتراع جديد قام به البيت الأبيض أظهرت أن خمساً وثمانين بالمائة فى الولايات المتحدة يؤيدون العلاقات الإيجابية بين أمريكا والاتحاد السوفييتى .

قال جورباتشوف : «يسعدنى أن أسمع ذلك » فإن العلاقة لن تستطيع أن تدعم نفسها فى جو من الشك وإن اسم اللعبة هو « الاستمرارية » قال ذلك وهو يتوقع تأكيدا من بوش . وبدا نائب الرئيس غير متجاوب .

بدأ جورباتشوف يتحدث عن الخيول وهو موضوع يجذب اهتمام ريجان دائماً فانغمسا فى حديث يتميز بالحيوية .

وأخيرا دخل بوش فى الحديث قائلا : « ما هو الضمان الذى تستطيع أن تقدمه لى ، وأستطيع أن أقدمه بدورى إلى رجال الأعمال الأمريكيين الذى يريدون الاستثمار فى الاتحاد السوفييتى ، إن البيريسترويكا والجلاسنوست سوف تنجحان » .

ظهرت فى عينى جورباتشوف نظرة حديدية وهو يستمع للترجمة .

ثم رد قائلا : « حتى يسوع المسيح نفسه لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال » .

اندهش دوبرشتاين من الطريقة التى أزاح بها جورباتشوف بوش . إنه لم يكتف برفض سؤال الرئيس المنتخب وإنما رفض بوش نفسه .

رأى باول أن سؤال بوش كان ساذجاً ونابعاً من حب الاستطلاع . وكأنما كان بوش يطلب ضماناً من جورباتشوف أن الاتحاد السوفييتى سيكون آمنا بالنسبة للرأسمالية الأمريكية واستثمارات المساهمين الجمهوريين فى الحملة الانتخابية .

ظل بوش صامتاً لمعظم الوقت بقية الغداء متصنعاً موقفاً متباعداً حذراً . كان الجميع يعلمون أن العلاقة بين بوش وجورباتشوف كانت أهم علاقة فى الغرفة ولكنها بدت وكأنها تسير فى طريق غير محدد .

وأخيرا استدار جورباتشوف إلى بوش .

قال الزعيم السوفييتى : « دعنى انتهز هذه الفرصة لأقول لك شيئاً . ربما قال لك موظفوك

إن كل ما أفعله هو مجرد خدعة . إنه ليس كذلك . إننى ألعب سياسة حقيقية . إن هناك ثورة مستمرة منذ أعلنتها عام ١٩٨٦ . والآن الشعب السوفييتى لا يحبها . لا تسىء فهمى يا سيادة نائب الرئيس ، يجب علىّ أن ألعب سياسة حقيقية » .

دون باول ملحوظة : لقد كان دائماً يقول لمساعديه ألا يبالغوا فى تقدير كل بيان أو خطبة تصدر من الاتحاد السوفييتى . لكن ما سمعه الآن كان به نبرة صدق . لم يكن لدى جورباتشوف والنظام السوفييتى خيار . كانت واقعية ثورتهم نابعة من عدم وجود احتمالات أخرى . كانت العبارة التى قالها جورباتشوف تلقائية وبلا حذر .

لقد سمع باول تعبيرات مشابهة لها من قبل من الزعيم السوفييتى لكنه لم يسمعها تقال بهذا القدر من الاقتناع والحسم . لقد بدت له صادقة ودقيقة للغاية . بعد كل هذه السنوات تنهار الحرب الباردة تحت تأثير السياسة الحقيقية .

بعد ساعتين ونصف رفع ريجان كوباً من الشاردوناى وقال لجورباتشوف : « أريد أن أقترح نخباً لما أنجزناه ، للذى انجزناه أنا وأنت ، والذى ستنجزه أنت ونائب الرئيس بعد العشرين من مايو سوياً » .

وقف جورباتشوف ورفع الكأس ثم خفضه وتحول إلى بوش وقال :« هذه هى اتفاقيتنا الأولى » .

□ ٣ □

فى مؤتمر صحفى عُقد فى صباح يوم ١٦ ديسمبر أعلن بوش اختياره لجون تاور نائب مجلس الشيوخ السابق عن ولاية جورجيا كمرشح لتولى منصب وزير الدفاع .

وكان كريج فوللر ، رئيس أركان بوش كنائب لرئيس الجمهورية ، يراقب الموقف وهو فى حالة عدم رضا . فقد كان يدير حملة من خلف الكواليس لإفشال ترشيح تاور ، هو ووزير المالية نيكولاس برادى ، الذى كان صديقا لبوش لفترة طويلة ، وروبرت تيتر المشرف على الاقتراعات الخاصة بتقييم بوش . كان فوللر وتيتر قلقين من سمعة تاور كزير نساء ومدمن للكحوليات . وكان برادى يكره تاور بشكل شخصى .

وعلى الرغم من أن ثلاثتهم قد عقدوا اجتماعات إفطار استراتيجية فى مبنى وزارة المالية ورتبوا لاجتماعات بين بوش ومرشحين آخرين لهذا المنصب فإن الثلاثة قد فشلوا فى إيجاد بديل يتفق عليه بالإجماع .

وأثناء المناقشات مع فوللر بخصوص مرشحين آخرين قال بوش إن تاور كان موجوداً « فى السراء والضراء » . فقد ساعد بوش فى سباقه ليكون عضوا بمجلس الشبوخ فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٧٠ . جاء إلى هيوستن عام ١٩٦٨ عندما كان بوش عضواً للكونجرس ويمر بوقت عصيب بسبب التصويت على تشريع خاص بالإسكان ودافع عن بوش ضد المحافظين ذوى النفوذ . كان تاور هو أول الجمهوريين الكبار الذين اشتركوا فى حملة بوش الانتخابية عام ١٩٨٨ وكان من جنود الحملة الذين لا يصيبهم الكلل ، يقوم بالزيارات ويلقى الخطب ويبدى رأيه فى سياسة الدفاع .. كان تاور يعلم أن الولاء هو قيمة جوهرية بالنسبة لبوش ولا شىء غير ذلك .

وأسفر تحقيق أجرته المباحث الفيدرالية عن إسقاط معظم المزاعم التى كانت تدور حول تاور . وبالرغم من أن التحقيق لم يكن كاملاً فقد قال بوش لفوللر : « إننى أعلم أن هناك بعض المشاكل ولكن بإمكانى تجميل صورته » .

ولم يندهش فوللر عندما اندفع بوش فى اتجاه تاور قبل أن تأتيه المعلومات الكاملة . كان بوش يميل إلى اتخاذ قرارات دون دراسة وكان أسلوبه فى الإدارة محبطاً لفوللر . وعندما كان بوش نائباً

لرئيس الجمهورية كان كتوماً ولا يشارك أحداً فى كل شىء ، حتى مع رئيس أركانه . وكان بوش يحافظ على المعلومات كأنه رجل مخابرات وكان يقسم هذه المعلومات إلى أجزاء حتى لا يعلم أحد بالمعلومة كاملة إلا هو . وكان أحياناً يختبر النظام . فكان يتصرف فى مسألة ما دون أن يخبر رئيس أركانه ثم ينتظر لكى يرى متى سيصل الخبر إلى فوللر . وعندما يكتشف فوللر الأمر كان بوش يقول له : « إننى سعيد بأنك علمت بهذا الأمر » وكان فوللر يعرف أحيانا بالأمر بعد ست ساعات . وأحيانا يسائل فوللر نفسه عن الأمور والتطورات التى يمكن أن تكون قد فاتته .

وفى أوائل فبراير ١٩٨٩ ، بعد أن بدأت إدارة بوش عملها بعدة أسابيع ، كان ترشيح تاور مهدداً بالخطر . فقد كانت الإشاعات والادعاءات عن عادات تاور فى الشرب وحياته الشخصية منتشرة فى كل مكان . حتى أن نائب الكونجرس لارى كومبست ، وهو مساعد سابق لتاور ، قد قدم للسناتور سام نون ولجنة الخدمات العسكرية ، قصصاً عن إساءة استخدام تاور للمشروبات الكحولية أثناء عضويته لمجلس الشيوخ .

وفى يوم الثلاثاء ٧ فبراير قابل سى . بويدن جراى ، وهو المستشار القانونى للبيت الأبيض فى عهد بوش ، رئيس شئون موظفى بوش ، تشيس أونترماير ، فى حمام الرجال فى البيت الأبيض . وكان جراى ، الذى أشرف على ترشيح بوش ، قد علم بأن تاور له صلة بصفقات عسكرية فاسدة .

قال جراى لأونترماير : « تذكر أنك أول من يسمع بهذا أبدأ فى البحث عن وزير دفاع جديد ، فهو لن يستطيع الاحتمال لمدة أسبوعين آخرين » .

وفى حوالى الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم اتصل تاور بجراى فى منزله قائلا : « لا أظن الرئيس سوف يتحمل هذا لمدة أسبوعين قادمين . أعتقد أننى سأنسحب » .

ورد جراى : « لا تفعل شيئاً أكثر من ذلك حتى تتلقى تعليمات من شخص ما » .

ووعده تاور بالانتظار حتى يدرس بوش عرضه .

وفى اليوم التالى ذهب جراى إلى بوش ليقدم له تقريراً عما قاله تاور .

وقال له بوش : « تبدو أنيقاً ومسترخياً بالنسبة لهذا الموضوع ».

وقال جراى : إنه فى الواقع لم ينل قسطا كافياً من النوم ، وقال : إنه يقترح أن يسحب بوش ترشيحه لتاور .

ولم يرد الرئيس .

وبعد ذلك بساعة رأى جراى تاور فى البيت الأبيض . كان تاور قادماً من إفطاره مع بيكر

وسكوكروفت اللذين نصحاه بالبقاء .

وسأله جراى : « هل مازلت تفكر فى الانسحاب » .

رد تاور قائلا : « لا . لقد قضيت الليل أفكر فى هذا الموضوع . والرئيس يريدنى أن أبقى » .

وفى نفس هذا الصباح ذهب نون إلى غرفة التليفزيون بمجلس الشيوخ كى يجيب على أسئلة المراسلين بشأن الترشيح . ولم يكن نون ، وهو أكثر أعضاء مجلس الشيوح نفوذا فيما يتعلق بالبنتاجون ، قد أعلن موقفه بعد .

وقال نون عندما سُئل عن موقفه بشأن إدمان تاور للكحول : « إنها مسألة تتعلق بشخص هو حلقة فى سلسلة قيادية تتحكم فى ترسانة الولايات المتحدة الأمريكية . ومنصب وزير الدفاع هو منصب خطير . إن وزير الدفاع فى رأيى يجب أن يتمتع بصفاء الذهن طوال الوقت . ليس هناك شيء يسمى العمل لمدة ثمانى ساعات فى مثل هذا المنصب . إن الشباب والشابات الذين يدافعون عن أمتنا يرغبون فى أن يكون كل أفراد سلسلة القيادة متمتعين بوضوح التفكير طوال الوقت » .

وفى مساء الخميس ٢٣ فبراير صوتت لجنة نون بأغلبية ١١ صوتا إلى ٩ ، طبقاً لمناهج الحزب ، على اقتراح برفض مجلس الشيوخ لترشيح تاور .

وفى الجانب الآخر من المدينة على هضبة أوبزرفاتورى ، كان دان كويل ، نائب الرئيس بوش ، وهو عضو سابق بمجلس الشيوخ عن ولاية إنديانا ، يستقبل اثنين من الزوار . وكان هذان هما صديقاه وعضوا حزب المحافظين الجمهورى ، كين أدلمان وديك تشينى . وكان أدلمان ، البالغ من العمر ٤٢ عاماً والدارس لشكسبير والفخور بنفسه ، قد رأس لجنة الحد من التسليح ونزع السلاح أثناء رئاسة ريجان ، والآن يكتب عموداً لصحيفة تمول بالأسهم القومية . وقد انتقد فى عموده عدم تمييز تاور فى حياته الشخصية .. وقال : إن « السلوك الشخصى هو مقياس عادل للحكم على الموظف العام » .

وكان ديك تشينى هو رئيس أركان الرئيس فورد سابقا ، وهو الآن العضو الوحيد الممثل لولاية ويومينج فى مجلس النواب . وتشينى ذو النبرة الصوتية الناعمة والجادة لديه سجل تصويت من المحافظين لا تشوبه شائبة . وقد ترقى من عضو حديث بالكونجرس إلى منصب الرجل الثانى فى قيادة الحزب خلال عشر سنوات .

كان كويل يلوم المحافظين لتخليهم عن تاور فى معركته . وقال نائب الرئيس : « اللعنة . لابد من تبرئة ساحة هذا الرجل » .

فقال أدلمان : « لا تضعنى ضمن الفريق الذى يجب أن يفعل ذلك . فهذا ليس عملى » .

وقال تشينى بنبرة مسطحة : « لقد انتهى تاور . يجب عليكم إيجاد شخص يتعامل مع الكونجرس » .

وألقى كويل باللوم على نون . لقد كانت هذه لعبة قوى داخل الحزب .. من رجل طموح .

ولم يتفق تشينى معه فى ذلك . وقال : « إنما كان نون يتعامل دون مواربة . وامتدح تشينى أسلوب نون فى التعامل مع الترشيح حتى تلك اللحظة وقدرته على كسب صوت معارض فى لجنة كان يرأسها تاور بنفسه . وقال تشينى : « لاتلوموا نون » .

وفى يوم الثلاثاء ٩ مارس ، رفض مجلس الشيوخ ترشيح نون بأغلبية ٥٣ إلى ٤٧ صوتاً .

واتصل بوش بتاور قائلا له كأنه ابلى بلاء حسناً فى المعركة وأظهر شجاعة فيها . وقال الرئيس : إن المعاملة لم تكن عادلة . وجاءت باربارا بوش على الخط لتردد ما قاله زوجها . لقد كانت تلك مكالمة تعزية دافئة . وقال بوش : « إن مجلس الشيوخ قد اتخذ قراره . إننى أحترم دوره فى ذلك ولكننى لا أتفق مع النتيجة ... والآن على أية حال نحن ندين للشعب الأمريكى بأن نتحد ونسير للأمام » .

## □ ٤ □

بعد ظهر اليوم الذى أسقط فيه مجلس الشيوخ ترشيح تاور ، تلقى تشينى مكالمة من رئيس موظفى البيت الأبيض ، جون سنونو ، وهو الحاكم السابق لولاية نيو هامبشير والذى اختاره بوش بدلاً من كريج فوللر ليكون كبيرا لمساعديه .

هل يستطيع تشينى الحضور إلى البيت الأبيض فى الرابعة بعد الظهر ؟

وحسب خبرة تشينى كرئيس لموظفى البيت الأبيض فقد كان يعلم أن رئيس موظفى البيت الأبيض الحالى لم يكن ليدعوه ليدافع عن وجهة نظره على أساس أنه الرجل الثانى فى الحزب الجمهورى أثناء حمى اتخاذ قرارات الترشيح التى يتحكم فيها الديمقراطيون والجمهوريون . لابد أن هناك شيئا ما وشيك الحدوث..

وقد كان تشينى ، مثله فى ذلك مثل كل سياسى فى واشنطن ، مهتما للغاية بمعركة تاور . فإن الترتيبات الأولى للإدارة الجديدة تعتبر مؤشرا لما ستسفر عنه السنوات الأربع التالية . وكان فى اعتقاده أن الرئيس سوف يرد سريعاً على إسقاط ترشيح تاور بأن يقدم مرشحاً جديداً خلال ٤٨ ساعة ثم يختار موضوعاً جديداً للحديث فى واشنطن . كان تشينى مقتنعاً بأن فترة اهتمام العاصمة بما يجرى هى حوالى خمس دقائق وإذا طلع عليهم الرئيس بموضوع جديد عن المخدرات أو عن مبادرة جديد فى السياسة الخارجية فإن العالم السياسى ووسائل الإعلام سوف تتبعانه .

وحسب موقع تشينى وهو الرجل الثانى المنتخب حديثاً فى قيادة الحزب ، فقد كان يعمل تحت ظل بوب ميشيل النائب الجمهورى لولاية إلينوى الذى تبنى تشينى كابن سياسى ووريث مرتقب . وعلى الرغم من أن تشينى كان يبلغ من العمر ٤٨ عاماً فقط فقد كانت نظارته وشعره الناحل وطريقته الهادئة العاقلة تجعله يبدو أكبر سناً وأكثر حكمة .

كانت المناصب القيادية فى الحزب محبطة حيث كان التوازن فى صالح الجمهوريين . ومن سنوات خبرته أدرك تشينى أنه حتى الجمهوريين الكبار فى الإدارة لا يمكن الاعتماد عليهم أو طلب العون منهم دائماً . ففى بعض الأحيان كان تشينى يطلب من بوش ، وهو نائب رئيس الجمهورية ، أن يقدم بعض العون للحزب الجمهورى . لكن بوش لم يستجب خشية أن يهدد ذلك علاقته

بريجان . وكان ذلك يضايق تشيني وكان يشكو منه سراً .

* * *

وصل تشيني إلى مكتبه القديم كرئيس لموظفى البيت الأبيض ، والذى يحتله الآن جون سنونو ، فى الخامسة بعد الظهر . كان سكوكروفت موجوداً أيضاً . وتحدث الثلاثة عن هزيمة تاور وعما يجب عمله بعد ذلك .

وسأله سنونو : « إذا عرض عليك الرئيس منصب وزير الدفاع فهل ستدرس الأمر ؟ »

قال تشيني : إنه سيفعل .

سأل سكوكروفت تشيني عن صحته .

كان تشيني ، رغم أنه لا يزال فى الأربعينات ، قد تعرض لثلاث أزمات قلبية . وفى أغسطس السابق ، أجريت له عملية فى الشريان التاجى ، وهى عملية يتم فيها شق أربعة ممرات جديدة للدم ليصل إلى القلب تعويضاً عن شريان مسدود .

قال تشيني : « إنه أراد أن يجرى تلك العملية ليس لأنها ضرورية من الناحية الطبية ولكن لأنها ستمكنه من حمل حقيبته على ظهره أثناء الأسفار ومن التزحلق على الجليد فى المرتفعات . وكان طبيبه فى واشنطن قد أكد له أن صحته جيدة تماماً وأن مستوى الكلسترول منخفض وأن الأدوية التى يتعاطاها ليست لها آثار جانبية .

وقال تشيني : إن طبيبه سوف يمده بالوثائق وبشهادة طبية .

واتفق الجميع على أن يفكر تشيني فى ذلك حتى اليوم التالى ، فقد كان يحتاج للتشاور مع أسرته .

كان سكوكروفت هو مستشار الأمن القومى لجيرالد فورد عندما كان تشيني رئيساً لموظفى البيت الأبيض . وأثناء تعاملهما مع المشاكل اليومية فى البيت الأبيض ازدادا اقتراباً . وأصبح سكوكروفت الآن يؤيد بشدة ترشيح تشيني لأن يكون وزيراً للدفاع ، فقد كان يريد شخصاً معروفاً داخل البنتاجون .

وكان جيم بيكر قد أعطى تأييده بالفعل لتشيني ، فلقد عاشا سوياً حملة فورد عام ١٩٧٦ وكان تشيني يشرف عليها من البيت الأبيض وبيكر يديرها بنفسه . فى ذلك الوقت كان كلاهما جديدا على السياسة القومية . وقد استمرت صداقتهما بعد هزيمة فورد .

وبعد ذلك الاجتماع طلب سنونو سراً من جراى ، مستشار البيت الأبيض ، أن تجرى المباحث الفيدرالية فحصاً سريعاً لخلفيات مرشح آخر لمنصب وزير الدفاع وهو جون إف. ليمان ، وزير البحرية فى عهد ريجان ، وهو شخصية عدوانية يصعب الحكم عليها .

وتشككك جراى فى الأمر . فقد كان ليمان البالغ من العمر ٤٦ عاماً كثير الدخول والخروج من الحكومة وربما يعانى من مشكلة عدم استطاعته الدخول إليها مرة أخرى . والأسوأ من ذلك هو أن واحداً من مساعدى ليمان فى البحرية كان يلعب دوراً رئيسياً فى تحقيقات وزارة العدل عن الفساد والنصب فى عملية التوظيف فى البنتاجون . ومع ذلك فقد طلب جراى فحص ليمان .

وعندما عاد تشينى إلى مكتبه فى مقر الحزب وهو الغرفة رقم ١٠٤ فى مبنى كانون هاوس ، قابل سكرتيره الصحفى بيت ويليامز . وسأله ويليامز البالغ من العمر ٣٧ عاماً ، الطويل القامة والذى كان يعمل مراسلا تليفزيونياً سابقاً فى ويومينج ، عما حدث فى البيت الأبيض . ولم يكن ويليامز يعلم الغرض من المقابلة .

قال له تشينى : إن المقابلة كانت على مايرام وإنهم فى البيت الأبيض كانوا قلقين بشأن من سيخلف تاور .

وأطلت باتريشيا هاو المساعدة الإدارية لتشينى برأسها من خلال باب مكتبه متسائلة : « هل هناك ما ينبغى أن نعرفه ؟ » .

رد تشينى : لا .

ذهب تشينى مع زوجته لين ، الحاصلة على الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى ورئيس الهيئة القومية للعلوم الإنسانية ، لتناول العشاء مع أصدقائهما فى مطعم لاكولين وهو مطعم فرنسى يبعد أربعة شوارع شمال الكابيتول . وبينما كانا يدخلان من باب منزلهما فى ماكلين ، فيرجينيا ، بعد أن تناولا العشاء استقبلتهما ابنتهما مارى ، ذات الأعوام التسعة عشر والتى كانت فى أجازة الربيع من الجامعة وقالت لهما إن جيم بيكر قد اتصل تليفونيا .

واتصل تشينى ببيكر على الفور وتحدثا طويلاً . قال بيكر : إنه تسبب مائة بالمائة فى ترشيح تشينى ليكون وزيراً للدفاع وحثه على قبول المنصب .

وبعد أن وضع تشينى السماعة جلس مع زوجته لين ، التى سمعت بعض ما قيل فى المكالمة ، وتحدث معها فى الموضوع .

كان تشينى يحب مجلس النواب . فبعد وظيفته فى البيت الأبيض ، حيث كان عمله ومستقبله يعتمدان على النجاح السياسى لشخص آخر ، أصبح مستمتعاً بأن يكون ملك نفسه . لقد عاد إلى بيته مرة واحدة فقط أثناء حملة فورد الانتخابية عام ١٩٧٦ . كان تشينى أيضاً يحب مجلس النواب بجوه العتيق المعبق بالتاريخ والتقاليد . وفى عام ١٩٨٣ قام هو وزوجته لين بتأليف كتاب سوياً ، مكون من ٢٢٦ صفحة وممتلىء بالعاطفة عن رؤساء المجلس منذ هنرى كلاى وحتى سام رايبون ، عنوانه « ملوك التل » .

وأخذ تشينى يقلب فى ذهنه محاسن الوظيفة . كان قد قرر فى السابق أن لن يعود إلى الفرع التنفيذى حتى تنفتح أمامه وظيفة من ثلاث ، كانت وظيفة وزير الدفاع واحدة منها .

وكانت فكرة العمل مع بيكر وسكوكروفت فكرة لها وزنها . فأثناء عهد فورد ، رأى تشينى كيف يمكن للعملية الأمنية أن تتدهور بسبب النزاعات الداخلية وألعاب النفوذ . كانت هذه فرصة للعمل مع أناس يعرفهم وربما كانت أيضا فرصة لتصحيح بعض الأشياء .

ثم قلب الفكرة من حيث مداها القصير . وسأل نفسه عدة أسئلة : كيف يريد أن يقضى أعوامه الأربعة القادمة ؟ وهل يريد أن يعمل تحت الظل المزدوج فى المجلس تحت رئاسة بوب ميشيل والإحباط الناتج من أقلية الجمهوريين ؟ أم أنه يريد أن يكون رقم واحد فى وزارة الدفاع فى فرع تنفيذى يديره حزبه ؟ .

وتحقق تشينى من أن الأمر ليس صعباً . وقرر أنه سيقبل الوظيفة إذا عُرضت عليه .

وفى صباح اليوم التالى صعد تشينى إلى مكتبه بعد أن تحدث إلى مجموعة من محررى الصحف على الإفطار فى فندق ويلارد . ثم استدعى موظفيه ليناقش قائمة الأمور التى تهم نائب ويومينج الوحيد وهى الرى ، والأعشاب ، والحشرات ، والحرائق فى حديقة يلوستون ناشيونال بارك هذا الصيف .. إن الشعب الأمريكى يعتقد أن الحديقة قد احترقت بكاملها وكان تشينى قلقاً من توقف السياحة نهائياً ، لكنه لم يشرك موظفيه فى القضية التى كانت تشغل أفكاره .

ثم جاءته مكالمة من سنونو . وغادر موظفوه الغرفة حتى يتمكن من الحديث بحرية .

قال تشينى لرئيس موظفى البيت الأبيض : إنه يريد التقدم خطوة .

وقال سنونو : تعال إلى البيت الأبيض عند الظهر .

وعندما حان الوقت لكى يذهب للبيت الأبيض جعل سائق سيارته يتوقف عند مدخل الجناح الشرقى للبيت الأبيض — وهو المدخل الخاص بالسيدة الأولى والزوار لأغراض اجتماعية — حتى لا يلاحظه رجال الإعلام الذين يتوقعون من الرئيس لعبة جديدة بخصوص وزارة الدفاع .

* * *

فى الوقت نفسه كان جراى قد أبلغ سنونو أن جون ليمان سوف يسبب مشكلة . فعلى الرغم من أنه ليس هناك دليل إدانة ضد وزير البحرية السابق فإن التحقيقات الجارية سوف تفسد الترشيح .

قال سنونو لجراى : اجعل مكتب التحقيقات الفيدرالى يفحص تشينى سراً .

ودخل تشينى مكتباً أقامه الرئيس فى الطابق الثانى . كان هناك مكتب ضخم على أحد الجوانب وعلى الحائط كانت هناك صورة لابراهام لينكولن وهو يقابل الجنرالين جرانت وشيرمان فى نهاية

الحرب الأهلية ، وعليها عنوان « صناع السلام » . كان بوش يشير أحيانا إلى تلك اللوحة فى خطاباته .

تحدث الرجلان عن الدفاع وعن الإصلاحات التى يظن بوش أنها مطلوبة .

ولحق بهما سنونو بعد نصف ساعة .

وسأله سنونو : « إذا طلب منك الرئيس أن تكون وزيراً للدفاع فهل ستقبل ؟ » .

كان هذا السؤال تقليدياً لحماية الرئيس من رفض طلبه .

رد تشينى : « نعم سأقبل يا سيدى »

ثم تحدثوا ثلاثتهم لفترة أخرى . ولم يكن المنصب قد عرض على تشينى رسمياً .

وعندما عاد تشينى إلى مكتبه كان رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى هناك يسألون كاثى ايمبودى ، الذى يعمل مساعداً له منذ ١٥ عاماً ، عن أسماء الأشخاص الذين يمكنهم الاتصال بهم لإجراء تحقيقاتهم عن تشينى . وبعد أن قضى فى المكتب عدة دقائق اتصل به بوش .

قال الرئيس : دعنا نفعلها .

ورد تشينى : نعم يا سيادة الرئيس .

وقال بوش : إنه يريد أن يعلن ذلك فى الحال .

وفى الرابعة بعد الظهر ظهر بوش وتشينى أمام المراسلين . وبدا لتشينى أن الرئيس كان مستمتعاً بطريقة غير متوقعة بتقديم مرشحه إلى الصحافة .

* * *

كان بيت ويليامز يحضر مقابلة عن المطر الحمضى وهى قضية كبيرة فى ويومينج . ولأن اليوم كان يوم جمعة لطيفا فقد كان يأمل فى التسلل من عمله مبكراً . لكنه عندما عاد إلى مكتبه اندهش لوجود كومة من الرسائل التليفونية . كان ذلك غريباً . ما الذى يحدث ؟ وكان على موظفيه أن يخبروه ثلاث مرات قبل أن يستوعب مايقولون . ونظر إلى جهاز التليفزيون حيث كانت سى . إن . إن تظهر بوش مع تشينى وزير الدفاع « المرشح » .

وحوالى الساعة الخامسة والنصف عاد تشينى إلى مكتبه . ولم تكد التهانى تنتهى حتى دخل رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى . وأخذهم تشينى إلى مكتبه وأغلق الباب .

وأخيرا استطاع ويليامز الوصول إلى تشينى وجلس الاثنان فى ركن هادىء .

وسأله ويليامز « لماذا فعلت ذلك ؟ » وصوته ملىء بالاحباط وبه نبرة ضيق ربما بسبب عدم استطاعته مقابلة تشينى لوقت طويل .

لكن ويليامز كان يعلم أن تشينى لن يقول له شيئاً لأنهم طلبوا منه ذلك .

وبدأ تشينى يجيب : « عندما ينظر إليك رئيس الولايات المتحدة ... » وتوقف .

قال ويليامز فى نفسه : أوه ، دعك من هذا ، توقف عن مثل هذا الهراء .

واستمر تشينى فى الحديث عن قوة طلب الرئيس وشرف الخدمة الرئاسية .

وفكر ويليامز بينه وبين نفسه : إن البيت الأبيض لا يستطيع أن يبهرك فقد كنت هناك كرئيس لموظفيه وكزعيم جمهورى . وأنت بالتأكيد لا تستطيع أن تسمع الملائكة تغنى هناك .

قال تشينى : إنه يريد للإدارة أن تنجح وإنه يتطلع للعمل مرة أخرى مع سكوكروفت وبيكر اللذين قالا له : « نحن نحتاجك » .

وأدرك ويليامز أن هذين الاثنين كانا أصحاب القرار أكثر من بوش بكثير .

وكان ويليامز يعلم أن رد فعل الناس تجاه تشينى سيكون ذا مرحلتين . أولاهما أنهم سيقولون : هذا هو الرجل اللطيف ، الجذاب ، النظيف فى لعبه ، والذى يبدو معتدلاً ولا ينفجر انفعالا بسبب أى شيء . ثم سينظرون إلى سجل تصويته المحافظ وميله لمصاحبة الجمهوريين اليمينيين المتطرفين — الذين كان يحب ويليامز أن يسميهم « أكلة لحوم البشر » — ثم سيتعجبون .

لكن تشينى لم يكن محافظاً فى كثير من القضايا . وفى العموم كان ويليامز يعتقد أن رئيسه براجماتى يزن كل قضية بدقة ثم يخرج منها عادة وهو من المحافظين .

وكان الشعور العام لدى موظفى تشينى هو : ما الذى يقودنا إليه تشينى ؟ مالذى يفعله بمستقبلنا المهنى من أجل أن يرتقى بمستقبله هو ؟ وما الذى قرره بشأن مستقبلنا ؟

وكان هناك اثنان من الموظفين المعاصرين لتشينى واللذان كانا — مثل ويليامز — يريدان توضيحاً . كان واحد منهما هو آلان كرانوميتس ، الذى كان زميل تشينى فى جامعة ييل فى فصل واحد عام ١٩٦٣ عندما ترك تشينى الجامعة بسبب ضعف تقديراته .

وكان الثانى هو دافيد جريبين الذى ذهب هو وزوجته مع تشينى وزوجته إلى مدرسة ثانوية واحدة فى كاسبر . وقد وهب جريبين مستقبله لكى يدعم مستقبل تشينى . كان جريبين مصدوماً بالفعل .

سأله جريبين : لماذا ؟

قال تشينى : لقد طلب الرئيس . كيف يمكنك أن تقول لا ؟

ومن الواضح أنه رأى التعاسة مرسومة على وجوه مساعديه ، فقد قال لهم : « لقد درست القرار . وليست هناك جدوى من النظر للخلف . دعونا نسير للأمام » .

وقال تشينى : إنه فى ضوء فشل ترشيح تاور فهو لايريد من البيت الأبيض أن يتولى متابعة ترشيحه عند مجلس الشيوخ . واستدار إلى كرانوميتس قائلا : « الآن ، هل ستقوم بمتابعة جلسات ترشيحى ؟ »

ووافق كرانوميتس .

* * *

كان تشيني بمثابة لغز حتى لأقرب مساعديه . فإذا هم سألوه عن شيء محدد ، فهو عادة يقدم إجابة ، لكنه لم يكن بالشخص الذى يجلس ويفضى للآخرين بمكنون صدره . و لم يكن من السهل عليه أن يتكلم عن نفسه ومشاعره . وكان بيت ويليامز يطلق اسماً على هؤلاء الذين يرغبون فى فهم تشيني بطريقه أفضل . كان يسميهم « مشاهدى تشيني » .

وكان أحد الموضوعات التى لم يكن يتحدث عنها تشيني كثيراً هو أيام دراسته فى جامعة ييل . كان كرانوميتس يتذكر أنه فى مرحلة ما أثناء السنة الأولى أو الثانية أخذ تشيني أجازة لمدة ستة أشهر لكى يعمل كعامل يدوى أو كهربائى فى ويومينج . ثم عاد إلى نيوهافن ولكنه فى العام الأخير ذهب و لم يعد . كان تشيني يمزح مع موظفيه عن مشاكله الأكاديمية لكنه لم يقص أبداً روايته الكاملة عن حياته الأكاديمية الخافتة البريق فى جامعة ييل .

فقد حصل على درجة البكالوريوس فى عام ١٩٦٥ من جامعة ويومينج ثم تبعها فى العام التالى بالماجستير فى العلوم السياسية . وقد كان هو وزوجته « لين » التى تزوجها فى عام ١٩٦٤ مرشحين لنيل درجة الدكتوراه من جامعة وسكونسن عام ١٩٦٨ عندما حصل تشيني على منحة لعام واحد جاءت به إلى واشنطن ليعمل كموظف فى الكابيتول هيل ( الكونجرس ) . وهناك لاحظه دونالد رامسفيلد مدير مكتب نيكسون للشئون الاقتصادية ( أو . إى . أو ) وأعطاه عملاً . وعندما عين فورد رامسفيلد رئيسا لموظفى البيت الأبيض عام ١٩٧٤ أحضر تشيني إلى البيت الأبيض ليعمل كنائب له ومن هنا انطلق تشيني فى مستقبله المهنى .

* * *

وكان على كرانوميتس ، المكلف بتمرير ترشيح تشيني من مجلس الشيوخ ، أن يعلم قدر ما يستطيع عن تشيني . ولقد كان « مشاهداً لتشيني » لمدة طويلة وكان يعلم الكثير عن سجله فى الكونجرس وكانت قضايا تشيني كنائب مألوفة له . وكانت إحدى هذه القضايا هى مساعدة الكونترا فى نيكاراجوا ، وهى مسألة اهتم بها تشيني بعمق وإحساس ، كان يعتقد أن نيكاراجوا هى كوبا أخرى فى الطريق وأن حكم الساندنيستا يجب أن يطرد خارج الغلاف الجوى .
أما قضيته الأخرى فكانت الغواصات السوفييتية التى درسها بكثافة كعضو فى لجنة المخابرات لمجلس النواب .

كان ماضى تشيني سهلاً نسبياً . لم تكن لديه مشكلة الدخول والخروج من الحكومة و لم تكن عنده أموال . وقد عاش فى نفس منزله الحالى لسنوات طويلة وتزوج مرة واحدة . ولكن

تشينى قال لكرانوميتس بعد اجتماع للموظفين فى ١١ مارس إنه كانت لديه « بعض الأخطاء الشبابية الناتجة عن عدم التمييز » ، وهذه يمكن أن تكتشف . وقال إنه قُبض عليه مرتين لقيادته السيارة وهو مخمور منذ ٢٥ عاماً عندما كان فى أوائل العشرين . وأنه قد وجد متلبساً بصيد السمك فى الفصل غير المخصص لذلك حُكم عليه بغرامة . وقال تشينى عن ذلك : « لم تكن الخمس والعشرون دولاراً التى دفعتها كغرامة هى المشكلة . لقد أخذوا منى السمك » .

# □ ٥ □

وأدرك تشيني أنه بانضمامه إلى ادارة بوش متأخراً لشهور قد فاته الكثير من الأشياء الهامة .. ولذلك فقد أراد أن يلعب لعبة يلحق من خلالها بما فاته .. ففي اليوم التالى ، الأحد ١٢ مارس قاد سيارته إلى منزل فرانك كارلوتشي فقد كان كارلوتشي هو الذى عين تشيني فى عمله بالفرع الإدارى عام ١٩٦٩ ، بصفته مساعداً لرامسفيلد .. وإذا كان مجلس الشيوخ سيوافق على ترشيح تشيني ، فمعنى ذلك أنه سوف يخلف كارلوتشي الذى تم إعلامه بمغادرة وظيفته فى العشرين من يناير عندما أمر بوش بخروج كل موظفى ريجان وكان كارلوتشي لايزال متضايقاً .

قال كارلوتشي : إن تشيني يجب أن يظل قريباً من بيل كراو الذى سيوجهه الوجهة الصحيحة .

وفى اليوم التالى ذهب تشيني إلى البنتاجون لكى يزور كراو .

وبعد أن جلسا قال تشيني : « حسب فهمى ، فأنت ستستمر فى وظيفتك » .. كانت فترة رئاسة كراو الثانية لهيئة الأركان المشتركة تنتهى فى سبتمبر وطلب منه بوش أن يبقى لفترة أخرى .

ورد عليه كراو : « إننى لم أقرر ذلك بعد » فقد كانت هناك اعتبارات شخصية .

لم يكن كراو محدداً ، ولكن انطباع تشيني كان أنه يريد أن يخرج من الوظيفة .

وبعد شهرين تقريباً بدون وزير دفاع للإدارة الجديدة قال كراو إنه فى انتظار وصول تشيني .. كانت الإدارة تحتاج بالتأكيد إلى قائد سياسى .

واقترح كراو أن يتجه تشيني مباشرة إلى مكتب الوزير فى الطابق الثالث .. فقد كان واثقاً من موافقة مجلس الشيوخ .. وأضاف كراو : إن تشيني يجب أن يبقى على الأدميرال ويليام أ . أوينز المساعد العسكرى لوزير الدفاع .. فقد كان أوينز هو أفضل متخصص فى الغواصات النووية رآه كراو .. وكان يعرف أن عليه أن يظل فى الخلفية وكان يعلم أنه ليس نائباً لوزير الدفاع .

كان مستوى المؤسسة العسكرية لمنظمة جيدة الإعداد وقادرة على الحرب مستوى غاية فى الارتفاع ، حسبما قال كراو .. وقال أيضاً إنه من دواعى السعادة ، أنه ليست هناك مشكلة وشيكة الحدوث ولا تبدو فى الأفق بودار أية أزمة .

لقد كانت هناك عمليات حساسة ، وخطط للحرب وإجراءات سوف يحتاج تشيني للاطلاع

عليها بأسرع مايكون ، لكن فى اللحظة الحالية ، ليس عليه سوى التركيز على موافقة مجلس الشيوخ وعلى معركة الميزانية مع الكونجرس وهى معركة سوف يفيده فيها مركزه كعضو سابق .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالى ، سار تشينى فوق سجادة من الأخضر الفاتح ، مرتدياً حذاء كاوبوى وبذلة عمل لكى يجلس على المقعد الصغير أمام لجنة الخدمات العسكرية فى مجلس الشيوخ برئاسة نون .

وقال تشينى للشيوخ : « إننى كما تعلمون لم آت إلى هنا لأننى أردت منصب وزير الدفاع » .. لقد كان من المعروف أن تاور كان حريصا على أن يأخذ ذلك المنصب .. وأضاف قائلاً : « إننى هنا لأن الرئيس قد طلب منى أن أتحمل تكليفاً صعباً » .

وسأله السيناتور جون وايز من ولاية فرجينيا عن سجله العسكرى أثناء حرب فيتنام .

قال تشينى : « أيها السيناتور ، إننى لم أخدم العسكرية قط وأنا مرتدياً زيها » .. وشرح قائلاً : إنه عندما كان يدرس فى الجامعة أصابه الدور الاحتياطى فى الخدمة ثم أصابه الدور مرة أخرى بعد ميلاد ابنته فى عام ١٩٦٦ « لقد كنت ملتزماً أساساً بالخدمة العسكرية على الاحتياط ، صحيح أننى لم أخدم ولكننى كان يسعدنى أن أخدم إذا استدعيت » .

وخلال ثلاث ساعات من الاستجواب أشار تشينى عدة مرات إلى عمله السابق فى قضايا المخابرات والدفاع ولكنه وافق أيضا على أن السرعة تلزمه من أوجه شتى .

وجاء تقرير نون يقول : « لقد حكم عليه بغرامة ذات مرة لأنه كان يصطاد السمك فى الفصل غير المخصص لذلك » .. أما تهمتا القيادة وهو سكران فكانتا قديمتين .. ولم يجد نون ووارنر فى هذه التهم إعاقة لترشيح تشينى واتفق جميع أعضاء اللجنة على ذلك .

ولحق تشينى باللجنة أثناء الجلسة المغلقة وقال إنه يعتقد أن تهمتى القيادة أثناء السكر يجب إعلانهما ولكن اللجنة لم تر حاجة لذلك .. وكان ختام تقرير اللجنة هو أنه « لايوجد فى تاريخ تشينى مايعوقه عن الخدمة » كما يقول نون .. وجاءت ملاحظات الشيوخ الذين تحدثوا قصيرة وحماسية .. وكان هناك إحساس بالارتياح . وجاء التصويت فى صالح تشينى بنسبة عشرين إلى صفر .

وفى العاشرة والخمسين دقيقة صباح ١٧ مارس ، وهو يوم عيد القديس سانت بارتريك ، ذهب نون إلى مجلس الشيوخ وقال « إن اللجنة قد وافقت على تشينى ، بعد دراسة متأنية وشاملة » .. وكان نون يتحدث بسرعة ودون انفعال نافياً أى احتمال أن تكون اللجنة قد تسرعت فى قرارها . وبدون أن يلمح إلى أنه يشير إلى تهم القيادة مخموراً ، والتى ظلت سرية ، قال نون إنه ووارنر قد وجدا « شيئين » فى سجلات مكتب التحقيقات الفيدرالى وهى أشياء لم تؤثر على

قرار اللجنة الإيجابى النهائى ولكنهما شعرا بالالتزام أن يعرضوها على باقى أعضاء اللجنة فى الجلسة المغلقة .. وبينما توافد الشيوخ لإصدار حكمهم على تشينى رأوا لافتة على طرفى المائدة الطويلة فى مجلس الشيوخ مكتوبا عليها بحروف حمراء كبيرة « اليوم هو الاقتراع الأخير » .

وكانت نتيجة التصويت هى ٩٢ إلى صفر فى صالح تشينى .

وخلال دقائق تلقى تشينى فى مكتبه بالحزب الجمهورى مكالمة تليفونية وعرّف المتحدث نفسه باسم الأدميرال أوينز ، المساعد العسكرى لوزير الدفاع .. وخطر لتشينى أن يقول : « أيها الأدميرال ، إننى لست فى حاجة إلى ذلك الآن » ولكن تشينى كان يعلم أن حياته الجديدة قد بدأت وأن عليه أن يستمع .. وقال أوينز وهو يخاطب تشينى قائلاً : « ياسيدى » ، إنه يريد أن يحضر مع دافيد أو . كوك مدير إدارة البنتاجون لكى يؤدى أمامها تشينى القسم .. كان كوك البالغ من العمر ٦٨ عاماً معروفاً للموظفين ، الذين يربو عددهم عن ثلاثة وعشرين ألفاً ، بأنه عمدة البنتاجون .. وكنموذج لبيروقراطية وزارة الدفاع فقد كان يشرف على كل شيء ابتداءً من أماكن انتظار السيارات حتى المكاتب ، وقد أدى أمامه اليمين سبعة وزراء سابقون .

كان تشينى يريد أن يؤدى اليمين أمام الرقيب العسكرى لمجلس النواب كتحية أخيرة للمؤسسة التى كان على وشك تركها .. لكن كوك وأوينز ضغطا عليه لكى يحافظ على التقليد .

هز تشينى كتفيه ومضى معهما ، أعلن تخليه عن كرسيه فى مجلس النواب ، ثم أدى القسم بين عائلته ومساعديه .

وطلب تشينى من سكرتيره الصحفى بيت ويليامز أن يصبح المتحدث الجديد باسم البنتاجون وقبل ويليامز .. وبعد أداء اليمين كان تشينى ذاهباً إلى البنتاجون وأراد ويليامز أن يقود سيارته بمفرده ويذهب إلى هناك مستقلاً لكن دافيد إس أدينجتون أحد مساعدى تشينى ، ومحامى وكالة المخابرات السابق ، قال لويليامز إنه يجب أن يصل إلى البنتاجون ضمن موكب تشينى .. قال أدينجتون لويليامز : يجب أن يراك الناس ، إن لذلك أهمية فى واشنطن .

وسأله ويليامز : « من هؤلاء الذين يجب أن يرونى ؟ » .

قال أدينجتون : الناس الذين يعملون هناك .. من المهم أن يروك كواحد من الذين يصلون مع الرجل الجديد .. إن ذلك سيساعدك فى عملك بطريقة غير محدودة .

وهكذا ركب ويليامز وأدينجتون وديف جريبين وكاثى إمبودى فى ليموزين وزير الدفاع ذات الضوء الأحمر على قمتها .. وعلى باب البنتاجون كان هناك أشخاص فى الزى الرسمى وآخرون مدنيون وكل أنواع المتفرجين ينتظرون لمشاهدة الموكب الصغير .

وفى الطابق الثالث حيث يقع جناح الوزير كانت هناك لوحة تحمل اسم ريتشارد ب . تشينى

على الباب .. وخطر لويليامز أن هناك شيئا واحدا يجب تغييره وهو أن يكون الاسم ديك تشينى بدلاً من ريتشارد ب . تشينى ذى الوقع المخالف لشخصية الرجل .. ونوى فى نفسه أن يغير الاسم .

وداخل المكتب ، تم التقاط الصور وظهر تشينى مسروراً .

وكان تشينى قد أمضى وقتاً يفكر فى إعادة تنظيم البنتاجون . فقد كانت التعقيدات البيروقراطية ذات الطبقات المتعددة فيه بمثابة كابوس من عدم الفائدة بالنسبة لمحافظ جمهورى مثله .

وبعد ظهر الثلاثاء ٢١ مارس احتشد آلاف من الرجال والنساء مدنيين وعسكريين فى الساحة الداخلية للبنتاجون لحضور القسم الرسمى لتشينى .. الوزير السابع عشر للدفاع .. تحدث الرئيس بوش أولاً ملقياً خطبة مجهزة عن السلام من خلال القوة وعن الإصلاح والعمل الجماعى وإعطاء الفرصة . وكانت الخطبة تعكس عدم وضوح سياسة الأمن القومى للإدارة الجديدة حيث جاءت غامضة عند الحديث عن الموقف الدولى الذى سيواجهه البنتاجون بقيادة تشينى .

ثم أدى تشينى القسم مرة أخرى هذه المرة أمام قاضى الاستئناف الفيدرالى لورانس هـ . سيلبرمان .

وقرأ تشينى خطبته المجهزة من ورقة واحدة وصوته يتردد من حوائط المبنى الخمس الداخلية : « إنها تجربة ترغمنى على التواضع ألا وهى تجربة تولى المسئولية » .

وقال : « إننى أقول لرجال ونساء القوات المسلحة الأمريكية : إننى أتشرف بالخدمة معكم فى الدفاع عن الحرية » ثم خرج عن النص وقال : « أنتم يامن ترتدون الزى الرسمى سوف تكونون الأولوية رقم واحد عندى » .

وبعدها قال له ويليامز إن تأثيره فى الناس كان جيداً .

وفى نفس اليوم ذهب تشينى إلى البيت الأبيض لمقابلة سنونو ورئيس شئون العاملين ، تشيس أونترماير . وقال سنونو ، الذى يعلن دائماً أنه خصم عنيد لسياسة تخصيص الوظائف حسب الجنس والنوع ، قال لتشينى إن البيت الأبيض يريد أن يخصص الوظائف الاثنين والأربعين الكبرى الباقية الشاغرة للنساء والأقليات .

□ ٦ □

بدأ تشينى العمل بملء الوظائف الحيوية وكان قد قرر الاحتفاظ بواحد من عهد تاور وهو دون آتوود ، نائب الوزير فقد كان مؤهلاً بصفته أحد مديرى جنرال موتورز السابقين لإدارة مبنى وميزانية البنتاجون .

وكبداية للبحث عن المواهب جاء تشينى بستيف هربيتس ذى السبعة والأربعين عاماً والمتخصص فى العمليات السياسية للجمهوريين والذى خدم كمساعد خاص لوزير الدفاع رامسفيلد .. وقبل نهاية الأسبوع الأول لوجود تشينى فى وظيفته أحضر هربيتس تشخيصاً من ورقة واحدة يشمل كل وظيفة وأنواع المدنيين الذين يجب على تشينى تعيينهم لملئها .

كانت الورقة تقول إن الجيش يعانى من متاعب عميقة ، وإنه سوف يمر بأكبر تخفيض للميزانية فى الأعوام الثمانية القادمة ، مما يحتمل أن ينتج عنه الاستغناء عن أربعة من أقسامه الستة عشر .. ولذا فيجب على تشينى اختيار شخص يستطيع التخطيط لهذا التخفيض ثم يجبر الجنرالات على تنفيذه .

وقال هربيتس إن البحرية يقودها أدميرالات تقليديون يتحدون السلطة المدنية ويتحدثون لغة لايستطيع أن يفهمها غيرهم .. يجب أن يجدوا وزيراً يفهم اللغة والتقاليد دون أن يتمكن من الأدميرالات .

أما القوات الجوية فهى خارج السيطرة كلية حسب تشخيص هربتيس .

فإن رئيس أركانها ، الجنرال لارى ولش ، يحتقر المدنيين وهناك عدم تجانس فى الخدمة كلها .

وكانت هناك طريقة واحدة لضربهم : العقل .. كان عليهم أن يجدوا وزيراً مدنياً يعلم ثقافة القوات الجوية والعادات وأنظمة السلاح .. أما إذا كان الوزير غير ذى خبرة فسرعان ماسيجد ممثلاً للقوات الجوية فى مكتبه بدلاً من وجود ممثل للوزير فى دوائر القوات الجوية .

وكان تشينى بالفعل يعلم ما يكفى لأن يجعله حذراً من القوات الجوية .. كان الضباط يتميزون بنعومة الأسلوب والتظاهر بالاستجابة والمعاونة فأنت إذا طلبت منهم شيئا تجد ملخصات وبيانات توضيحية ودراسات أنيقة التجليد تخرج من أذنيك ، ثم الكثير من التحركات والورق الذى يتطاير

من حولك والعديد من الرجال فى زيهم الأزرق وقمصانهم المنشاة يجيبون على أسئلتك .. كانت القوات الجوية تبدو أكثر حذقاً من الأسلحة الأخرى وأكثر علماً بأساليب واشنطن وأكثر تعوداً على التمويه والتعمية .. ومثلهم فى ذلك كل من فى البنتاجون فهم يبيعون ، لكن القوات الجوية تتميز بمبيعات ذات أسلوب موحد وتغليف أكثر جاذبية كما لو أنهم يتحدثون بصوت واحد يبعث على الاقتناع . يجب أن تنظر جيداً ومتفحصاً كى تعلم ما الذى يحدث .. كان سلاح ضباط الطيران موحداً وغير قابل للاختراق لدرجة أنه كان يطلق عليه « الستارة الزرقاء » واتفق هربيتس وتشينى على أنه من الضرورى ليس فقط فهم القوات الجوية وإنما معرفة كيف يمكن الالتفاف حولها إذا استدعت الضرورة ذلك .

* * *

كانت لرئيس أركان القوات الجوية لارى ولش سمعة مرعبة ، ليس داخل البنتاجون فقط وإنما عبر واشنطن كلها كان يبدو عليه عدم الرضا كلما خرج من نظامه المطلق الإحكام فى الطابق الرابع حيث مكتبه الذى تنتظم فيه صفوف الأوراق والمستندات والدبابيس والملفات .. وكان يحمل فى حقيبته الدبلوماسية دستة من دبابيس الأوراق السوداء مرتبة فى نسق أنيق وجاهزة لتنظيم وجمع أى كومة من الأوراق غير المرتبة التى يمكن أن تعترض طريقه .

ومنذ اللحظة التى حضر فيها ولش جلسات الاستماع فى الكونجرس كان أسلوبه لايدع مجالاً للشك فى أنه لايعتد كثيراً بساطة التشريع الإعلامى المشوشة .. ولكن ولش أدرك أن عليه أن يقبل دور الكونجرس فى المسائل العسكرية ، وإحدى هذه القضايا أنه كان يعتقد أن الوقت قد حان لحسم المناقشة الدائرة منذ عشر سنوات حول الارتقاء بدرجة الصواريخ الأرضية العابرة للقارات والخاصة بالقوات الجوية .

كان البيت الأبيض برئاسة بوش قد أرجأ البت فى هذا الموضوع مؤقتاً ، ولكن فى الكونجرس كانت هناك مناقشة تدور حول إذا ما كانت القوات الجوية يجب أن تستخدم الصواريخ الصغيرة المسماة « بالرجل القزم » أو النوع الأكبر حجماً والمسمى « إم . إكس » وقضى ولش وقتاً فى مجلس النواب يحاول الحديث مع الأعضاء عن الاختيارات وكان يعرف طريقه فى ذلك .

وقبل الموافقة على تعيين تشينى من قبل مجلس الشيوخ ذهب ولش إلى وزير الدفاع ويليام هوارد تافت الرابع طالباً منه تصريحاً بالمشاركة فى المناقشات الدائرة فى مجلس النواب .. وقال لتافت إن القوات الجوية لايمكنها الصمت بخصوص هذا الموضوع . كان نواب الكونجرس يتساءلون عن موقف القوات الجوية ، ومع ذلك لم تكن هناك سياسة واضحة فى الإدارة بخصوص هذا السلاح من وجهة نظر بوش .

وسأل ولش تافت : هل سنلقى بأنفسنا من عربة القطار ؟ .

ليس من الحكمة أن نترك فراغاً . لم يكن من الممكن معرفة القرار الذى سيتوصل اليه الكونجرس دون مساهمة القوات الجوية فى المناقشات . كان ولش يريد التحدث إلى كبار أعضاء مجلس النواب والشيوخ .

قال تافت لولش : إنه على صواب ، وإن عليه أن يفعل ذلك .. وزار ولش سكوكروفت أيضاً فى البيت الأبيض وقال لسكوكروفت إنه على الرغم من أن الإدارة لم تكن تدرى أى خليط من صواريخ « القزم » أو « إم . إكس » تريد فإن القوات الجوية لايمكنها أن تترك الموضوع خاملاً دون البت فيه .. كان يريد جس نبض الكونجرس وأن يضع أمامه بعض الاقتراحات .

قال سكوكروفت : إنه ليست هناك مشكلة فيما يتعلق ببعض المناقشات وتبادل المعلومات ولكن سيكون للبيت الأبيض مطلق الاختيار ، وليس للقوات الجوية ، فى عرض أية اقتراحات على الكونجرس .

وبدأ ولش يزور مكاتب مجلس النواب .

وكان جورج ويلسون مراسل البنتاجون لصحيفة الواشنطن بوست عليما بالطريقة التى يسوق بها البيت الأبيض والبنتاجون الأفكار داخل الكونجرس قبل اتخاذ القرارات ، وقال له بعض المشرعين أن ولش كان يقوم بجولات تهدف إلى التوصل إلى اقتراح وسط بخصوص الصواريخ العابرة للقارات للقوات الجوية .

واتصل ويلسون بولش فى ليلة ٢٣ مارس وأكد ولش أنه « كان يحس بنبض النظام » .

وظهرت الصفحة الأولى فى جريدة الواشنطن بوست صباح اليوم التالى وعليها مانشيت يقول : « القوات الجوية تتحرك لفتح الطريق أمام موضوع الصواريخ عابرة القارات » وتقول الجريدة فى تفاصيل الخبر إن ولش اقترح خطة للتوصل إلى حل وسط وكانت هناك صورة لولش .

وقرأ تشينى الخبر وكان ذلك فى اليوم الثامن لتوليه منصبه وكان قد سمع قبلها بعدة أيام من وليام ل . ديكنسون ، الجمهورى ذى المنصب الكبير فى لجنة الخدمة العسكرية بمجلس النواب ، والممثل لولاية ألاباما ، إن ولش كان يبذل أقصى مساعيه لعقد صفقة مع رئيسها « ليس أسبين » .

وكان تشينى يؤمن منذ أن كان رئيساً لموظفى البيت الأبيض أن الصواريخ الإستراتيجية هى من شئون رئيس الجمهورية .. إن ولش لم يكن فقط يحاول أن يقوم بعمل وزير الدفاع وإنما كان يحاول أيضاً القيام بعمل رئيس الجمهورية .

وكان من المقرر أن يعقد تشينى مؤتمره الصحفى الأول كوزير للدفاع فى ذلك اليوم وجاء دون هوارد ، المتحدث باسم البنتاجون الذى كان من المقرر أن يأخذ بيت ويليامز منصبه بعد

اعتماده ، ليراجع مع تشيني بعض النقاط الهامة .. وقال هوارد إن تشيني بالتأكيد سوف يتلقى سؤالا عن الموضوع الذى نشرته الواشنطن بوست عن مهمة الجنرال ولش لجس النبض فى مجلس النواب .

وقال هوارد : « إن لديك خيارين : إما أن تتجاهل الموضوع كلية ، أو تأخذ فيه موقفاً وسطاً » .

ورد تشيني : « إن غريزتى تقول لى أن أبتر ساقيه من عند ركبتيه » قال هوارد : إنه لم يكن عادة ليوافق على ذلك ولكن هذا الموقف يتطلب معلومات من الكونجرس لكنه لم يخوله للتفاوض ، وقال هوارد إن ولش سيتضايق ولكن الخسارة يمكن إصلاحها فيما بعد .

وفهم تشيني الأهمية الرمزية للانطباع الأول ، ففى الأيام الأولى لرئاسة جيرالد فورد ظهرت له صورة فى صيف ١٩٧٤ وهو يتناول الإفطار ولاقت الصورة انتشاراً لأنها أعطت انطباعاً ببساطة لايتميز بها الحكام ودعمت شعبية فورد .. وأدرك تشيني أنه الآن مقدم على إعطاء انطباع عن نفسه ليس فقط إلى الجماهير وإنما داخل أروقة البنتاجون نفسه .. كانت واشنطن تترقب تحركاته المبكرة .. فبعد ترشيحه كتب إيفانز ونوفاك فى عمودهما « تشيني لن يستطيع السيطرة على البنتاجون قريباً » .

* * *

وجلس ولش ظهر ذلك اليوم ، مثل آلاف آخرين فى البنتاجون ، لمشاهدة أول أداء علنى للوزير الجديد فى المؤتمر الصحفى المذاع على الهواء فى دائرة البنتاجون التليفزيونية المغلقة .

وكان أول سؤال لتشيني هو الحديث عن حل وسط فى موضوع الصواريخ عابرة القارات .

ورد تشيني « من السابق لأوانه الظن بأن حلاً وسطاً قادم قريباً » .

وكان السؤال الثانى عن ولش بالتحديد .

فقد تساءل أحد المراسلين « ياسيدى الوزير ، إن الجنرال ولش رئيس أركان القوات الجوية ذهب إلى الكونجرس لكى يعمل برنامجه بنفسه .. فهل يعتبر هذا تغييراً فى سياسة وزارة الدفاع أساسه أن يقوم كل رئيس سلاح بالتفاوض على نظامه الاستراتيجى ؟ » .

قال تشيني « إن ولش لم يكن يتحرك بشكل رسمى ، ولم يكن يتحدث باسم الوزارة لقد ذهب إلى الكونجرس بدافع من نفسه » .. وسئل تشيني عما إذا كان يقبل هذا النوع من التصرفات فقال : « لا .. إننى بصراحة غير سعيد بذلك » ثم أضاف بصوت ثابت : « أعتقد أنه لايليق بضابط يرتدى الزى الرسمى أن يضع نفسه فى موضع التفاوض على ترتيب ما .. إننى لم تتح لى الفرصة بعد كى أحادثه بشأن ذلك .. فقد كنت فى البيت الأبيض هذا الصباح .. ولكن

سوف تكون هناك فرصة للحديث معه وسوف أعبر له عن عدم سرورى .. كل شخص من حقه أن يرتكب خطأً واحداً » .

وقال ويلسون مراسل صحيفة البوست والذى كتب الخبر إن ولش « أوضح أنه لم يكن يتخطاه ولا يتخطى رئيس الجمهورية » رد تشينى : « هذا جيد ، وأنا متأكد أنه سيوضح لى هذا عند حديثه معى » وسمعت الضحكات فى جوانب غرفة الصحافة .

وصعق ولش فقد كانت أولى القواعد التى يتم تعليمها فى أى كورس قيادة للمبتدئين هى أن تمتدح مرؤوسيك علناً وتلومهم فى السر .. فليس هناك إهانة أكثر من التأنيب العلنى .. إن هذا اللوم قد أذيع على العالم بأجمعه .. قضى الجنرال عدة دقائق يستعيد فيها رباطة جأشه ثم خرج من مكتبه وهبط طابقاً إلى جناح الوزير .

وقال ولش وهو واقف أمام الوزير : « إننى لا أعمل بطريقة غير رسمية ، ولم أفعل ذلك فى حياتى قط .. إننى أدعم موقف الإدارة وقد بذلت جهداً أكثر مما بذله أى شخص فى هذه المدينة كى يخرج الموضوع كما تريده الإدارة » .

قال تشينى إن الموضوع قد انتهى .

ورأى ولش أن تشينى لن يعتذر له .. كان تشينى يريد أن يهدىء الموضوع .. وظن ولش أن تشينى لم يكن يستطيع التراجع فى موقفه ، ولم يذكر ولش أمر التصريح الواضح الذى أخذه من كل من تافت وسكوكروفت .. فقبل كل شيء كان الذهاب إلى الكونجرس هو فكرته وكان كبيراً بما يكفى لكى يتحمل المسئولية عن أفعاله بصرف النظر عمن وافق عليها .

وحاول ولش أن يقنع تشينى أنه يستطيع الاعتماد على العسكريين فإن أكبر تأييد سيلقاه من البنتاجون سيأتيه من القيادة العسكرية .

ولم يناقش تشينى الأمر إلى أبعد من ذلك .

* * *

وكان كراو ، رئيس هيئة الأركان المشتركة ، فى مكتبه بالطابق الأدنى يكاد يجن غضباً ، لم تكن لديه فكرة أن الوزير الجديد سيؤنب أحد رؤساء أركانه علناً .. لم يناقش تشينى شيئاً من ذلك معه .

وكان كراو يعلم أن ذلك سيكون مؤلماً .. لقد كان دائما يحث رؤساء الأركان على أن يكونوا أكثر انفتاحا ومشاركة فى المناقشات الخاصة بالدفاع ولكن هذا الجلد العلنى سوف يدفعهم ليكونوا أكثر بعداً عن الكونجرس والصحافة .

وقال كراو لنفسه ، كم أن هذا مثير للشفقة .. هاهو وزير لم يخدم قط فى العسكرية ولم يخدم

فى أية لجنة عسكرية وهو فى أسبوعه الأول يعاقب ضابطاً كبيراً على الملأ .. إن كراو لم يسمع بمثل هذا من قبل . من الواضح أن تشينى شعر باحتياج لإقامة سمعة قوية له وأن يظهر للجميع أنه الرجل رقم واحد فى المبنى .. كان تشينى أيضاً يستميل وسائل الإعلام التى ستفسح المجال لهذا النوع من اللوم .

وبعد الظهر حان الاجتماع اليومى لتشينى وكراو .

قال تشينى « أرجو ألا يكون حديثى الشديد اللهجة سبب لك مشكلة » .. وأضاف أن ولش لم ينكر الذهاب إلى الكونجرس .

وقرر كراو أنه من الأفضل الحديث بصراحة ، وبدأ يقول : « إننى أختلف معك بكل وضوح ياسيدى وزير الدفاع .. ليس هذا صواباً » .. وشرح كراو خطورة الموضوع . لقد اتهم تشينى ولش بصورة مؤثرة بعدم إطاعة أحد الأوامر وهو انتهاك للقسم العسكرى « لقد أخطأت اختيار الشخص المفروض أن تعاقبه .. إذا كنت تريد رئيس أركان لتصفعه ، يمكننى أن أقدم لك العديد منهم » .

وشرح كراو أن ولش كان من أهدأ رؤساء الأركان وأكثرهم التزاماً وسيطرة على النفس ، وأنه كان أكثرهم استماعاً أثناء اجتماعات رؤساء هيئة الأركان فى الغرفة المخصصة لذلك فى الطابق الثانى من البنتاجون ، وأكثرهم انفتاحاً على الآراء التى تقع خارج مجالهم العسكرى .

واستمر كراو قائلاً إن تشينى إذ يدخل فى مشاحنة علنية مع واحد من رؤساء أركانه فإنه يحط من كرامته كوزير .. وإذا كان تشينى يحاول أن يظهر سلطته بهذه الطريقة العلنية فهذا يعنى أنه غير واثق من هذه السلطة .

وبدا تشينى متأثراً قليلاً من وجهة نظر كراو ولكنه احتفظ بهدوئه بينما كان يستمع إلى رئيس هيئة الأركان وهو يشويه على الفحم .

وكما توقع كراو فقد أحدثت القصة دوياً فى أجهزة الإعلام كما نشرتها معظم الصحف الكبرى على صفحتها الأولى تحت عناوين رئيسية تقول إن تشينى « يهاجم » « ويؤنب » و « يلوم » رئيس القوات الجوية .

أما بين العسكريين فقد عرف ذلك بأنه الطلقة التى سمعت فى كل أنحاء العالم ، وبدأ الضباط يتبادلون التحليلات عما سيؤول اليه مصير العسكريين تحت قيادة تشينى ، بل ومصير القوات الجوية ومصير ولش نفسه .. وكان ولش يعتبر من أول المتنافسين على خلافة كراو .

وغرق ولش فى الظل .. لم يقل شيئاً علانية ولكنه أحس أنه من الضرورى أن يتحدث إلى ضباط القوات الجوية ذوى الأربع نجوم وقال لأحد الجنرالات : « لقد قمت بمائة وسبع وثلاثين

مهمة قتالية في فيتنام ، وأطلق على الرصاص من محترفى القتل ومازلت حياً .. ولهذا فإن إطلاق الرصاص علىَّ من أحد الهواة لن يؤلمنى » .

وكان للتأنيب أيضاً صدى يتردد بين جنرالات القوات الجوية المتقاعدين وهم مجموعة قوية الارتباط فيما بينها وتهتم بسياسة البنتاجون ، وقال اثنان من ضباط الأربع نجوم لولش إنهما سيقومان بإثارة متاعب كبيرة .. وكانا يخططان للذهاب إلى الكونجرس ليجعلا أصدقاء القوات الجوية هناك يطالبون باعتذار علنى من تشينى .. وكان للضابطين صلة بأعضاء فى الكونجرس من ذوى النفوذ وبوسائل الإعلام .

وطلب منهما ولش ألا يفعلا ذلك لأن معركة بين القوات الجوية ووزير الدفاع سوف تسىء إلى الجميع .. وإذا كانا يفترضان النجاح فى عمل قضية كبرى ، فكيف سيكون ذلك مفيدا للقوات الجوية ؟ هل سيكون ذلك بالتقليل من فاعلية وزير الدفاع ؟ لابد أنهما يمزحان ، فإذا كان تشينى يحتاج إلى هذا النصر الصغير لكى يكون ذا فاعلية ، فدعه يحصل عليه .

وقال تشينى إنه سيستقيل من منصبه على الفور إذا قام الضابطان المتقاعدان بعمل شىء سراً أو علناً .. ولم يفعلا . وخلال أيام من هذا التأنيب ألمح اثنان من وزراء الدفاع السابقين لتشينى أنه اتخذ الطريق الخطأ فقد قال هارولد براون ، وزير الدفاع فى عهد كارتر ، إن الحفاظ على المظهر هو شىء هام بالنسبة للثقافة العسكرية ، وإنه يجب الحرص على عدم الاغتراب عن العسكريين .

وقال جيمس شيليزنجر الذى أدار البنتاجون فى عهد نيكسون وفورد لتشينى إنه ليس واقعا تحت خطر انقلاب عسكرى ، وإن كبار الضباط سوف يكونون دعامته المحورية عندما يحاول التصديق على ميزانيته وبرامجه .. فهم يعلمون كيف يعمل النظام ويستطيعون تطبيق أو تخريب برنامج وزير الدفاع .. وأضاف شيليزنجر إنه على العموم فإن المشكلة مع العسكريين لاتكمن فى أن كبار الضباط لايمكن السيطرة عليهم ، فبعد عمر طويل من تنفيذ الأوامر يكون الجنرالات والأدميرالات مطيعين أكثر من اللازم .

وشعر النائب « ليس أسبن » الديموقراطى من وسكونسن والذى كان يرأس لجنة الخدمة العسكرية فى مجلس النواب ، أنه قد لعب دوراً فى بيع فكرة الوصول إلى حل وسط لموضوع الصواريخ إلى ولش فى المقام الأول .

فبعد عدة أيام من التوبيخ رأى أسبن تشينى على الإفطار وانتحى به جانباً قائلاً له : « بحق المسيح ياديك ، إن ولش لم يكن ليفعل ذلك ، لقد كان دائماً يوضح أن القرار هو قرارك » .

ورد تشينى بابتسامة متفهمة قائلا : « لقد كان من المفيد عمل ذلك » ورد أسبن : حسن ، إننى أفهم هذا النوع من جداول الأعمال .

## □ ٧ □

وعندما أتم تشيني حوالى الشهر فى منصبه بدأ كراو يفهم كيف ستتشكل العملية الاستشارية الداخلية لصنع قرارات الأمن القومى تحت رئاسة بوش ، ولم يكن سعيداً . كانت معظم المناقشات فى مجلس الأمن القومى سياسية . وكانت القرارات تتخذ بناء على أثرها المتوقع على الكونجرس ووسائل الإعلام والرأى العام ، وكان التركيز يتم على كيفية التعامل مع رد الفعل . وكانت لدى كراو شكوك جادة فيما إذا كانت هذه هى المعايير الرئيسية التى يجب مراعاتها عند اتخاذ القرارات العسكرية وقرارات السياسة الداخلية .

كان يبدو أن جيمس بيكر يعتقد أن كونه وزيراً للخارجية يماثل إدارة حملة سياسية كبيرة ! بوش ضد جورباتشوف . وكان يبحث عن مبادرة للحد من الأسلحة ذات طابع درامى حتى يمكن التفوق على السوفييت دعائياً وزيادة شعبية بوش .

وكانت إحدى المشاكل الأخرى فى اجتماعات مجلس الأمن القومى هى عادة سكوكروفت فى الانغماس فى مناقشات أكاديمية مطولة يتناول فيها كل زاوية . وبالنسبة لكراو كانت هذه المناقشة مضيعة مرهقة للوقت . حتى أن بوش نفسه أوقف إحدى هذه المناقشات بطريقة مفاجئة فى أحد الأيام قائلاً : « هذا الموضوع يموت واقفاً على قدميه . هيا نرفع الجلسة » . وقال كراو من تحت أسنانه « آمين » .

وعلى الرغم من ضخامة اسم وظيفة كراو إلا أنه كان يعلم أن مركزه الفعلى فى الحكومة لا يناسب ذلك الاسم . وكان يسبب له الإحباط . فحسب القانون كان هو المستشار العسكرى الرئيسى للرئيس ووزير الدفاع ومجلس الأمن القومى لكنه فى النهاية مجرد مستشار . ولم يكن يقود أى قوات عسكرية . ومن حيث الشكل لم يكن هو كرئيس لهيئة الأركان المشتركة ولا أى من رؤساء الأركان للأسلحة الأربعة ينتمون إلى سلسلة القيادة التى كانت تمتد من رئيس الجمهورية إلى وزير الدفاع إلى العشرة رؤساء للأركان (CINCS) وهم القادة العسكريون للقوات المقاتلة . كان رئيس هيئة الأركان المشتركة يشرف مباشرة على ١٦٠٠ ضابط مقيدين إلى مكاتبهم ومأخوذين من الأسلحة الرئيسية الأربعة إلى البنتاجون .

وكان الرئيس ريجان قد وقع مذكرة فى الرابع عشر من يناير ١٩٨٧ أدخلت كراو بفاعلية فى سلسلة القيادة حيث نصت على « أن الاتصالات بين الرئيس ووزير الدفاع ورؤساء الأركان العشرة يجب أن تتم من خلال رئيس هيئة الأركان المشتركة » . لكن الاستشارة والاتصالات يمكن أن تكون مجرد شيء هش فى عملية تشكل فيها القيادة الحقيقية جوهر اللعبة .

كانت المتطلبات اليومية المحددة للمنصب تجعله يشعر بالعبء أكثر من ذى قبل . وكان مبنى الكابيتول أحياناً ما يكون محنة خالصة . فعند تقديمه للميزانية السنوية إلى اللجان المختصة كان عليه أن يجلس لساعات طويلة مستمعاً بينما يناقش العضو تلو العضو قضاياهم المتبناة . وفى نهاية إحدى جلسات الاستماع هذه همس كراو إلى واحد من مساعديه « إننى لن أمر بهذا ولا مرة واحدة أخرى بعد هذه المرة » وذهب إلى تشينى فى اليوم التالى وقال قد أتخذ قراراً نهائيا بالتقاعد .

وكان كراو يدرك أنه إذا سحب بوش كل العقبات وأمره بالبقاء فلن يكون له خيار . كان عليه أن يجد طريقه لأن يكون حازماً وهو يخبر الرئيس بذلك دون أن يبدو رافضا لبوش أو إدارته .

وأخيراً ذهب إلى البيت الأبيض وجلس مع بوش . وبعد أن شرح أنه وزوجته شيرلى قد اتخذا قرارهما معا بالمغادرة ، قال كراو لبوش « سوف أندم على اتخاذ هذا القرار أحياناً . إننى واثق من ذلك . لكننى سأقول لك إننى لن أشتاق إلى ٥٠ أو ٦٠ بالمائة من عملى لمدة خمس دقائق » .

وكان على كراو أن يستمر فى العمل أثناء ربيع وصيف ١٩٨٩ قبل أن تنتهى فترته وكانت هناك عدة مشاكل تتطلب اهتمامه . كانت بنما على رأس القائمة تقريباً . وكان الجنرال مانويل أنطونيو نورييجا هو سبب رئيسى للقلق . وكان نورييجا يقود حكما فاسداً ذا سمعة سيئة وكان مشكوكاً فيه شخصياً بتهريب المخدرات . وعلى الرغم من أنه كان أحد أعوان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى أمريكا اللاتينية إلا أن الإدارة كانت تنظر إليه الآن على أنه خارج على القانون وعدو لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية . وبالنظر إلى أن قناة بنما ذات الأهمية الاستراتيجية سوف تنتقل السيطرة عليها إلى حكومة بنما ، وبالنظر إلى وجود ١٢٠٠٠ فرد عسكرى أمريكى وعائلاتهم فى بنما ، كانت إدارة بوش تريد إخراج نورييجا .

وكان كراو يعلم أن رئيس الأركان المسئول عن بنما والمعروف ب (CINCSOUTH) أو « الجنوبى » ، وهو الجنرال فريدريك إف فورنر جى. آر من القيادة الجنوبية ، كان مشهوراً بالضعف . وكان كراو يحبه ويحترمه لكنه كان يرى أن فورنر الذى لم يخدم أبداً فى وظيفة عليا بالبنتاجون لا يفهم فى سياسة واشنطن . فكان المساعد الجديد لوزير الدولة للشئون الأمريكية وهو برناردو أندرسون ، يقود حملة للضرب بقوة على نورييجا ، وباستخدام القوة العسكرية عند الضرورة ، بينما كان فورنر يعارض ذلك . كان فورنر معارضا للتدخل العسكرى الأمريكى

العدوانى فى أمريكا اللاتينية . وبعد مجىء بوش للحكم بفترة قصيرة ، أعلن فورنر أن هناك فراغاً سياسياً فى واشنطن بخصوص بنما . ووبخ سكوكروفت فورنر بنفسه قائلا : « أريدك أن تعلم أن الرئيس كان فى غاية الغضب من كلامك » .

وكان أعضاء الكونجرس الذين زاروا بنما لملاحظة انتخابات ٧ مايو ١٩٨٩ يعتقدون أن فورنر كان داعية للسلام مما يسمح لنورييجا بتهديد الأمريكيين . وكان موظفو القيادة الجنوبية يمزحون قائلين إنهم يردون على الهاتف فى المقر الرئيسى لقيادة فورنر قائلين « هنا مقر القيادة الضعيفة » . وكان المشرعون يحثون بوش على فصله من عمله .

وكان كراو حاضراً فى اجتماع بالبيت الأبيض عندما جأر سكوكروفت بالشكوى .

فقال بوش : « لو أننى قمت بتغيير كل من يشكو منه أعضاء الكونجرس فسوف أفقد وظيفتى خلال أسبوع » .

وضحك كل من فى الاجتماع . وسر كراو أن يرى أن منصب فورنر مؤمَّن فى الوقت الحالى . وبعد ذلك دارت بين كراو وفورنر مناقشة صريحة شرح له فيها أهمية تهدئة زوار الكونجرس .

وفى يوم الثلاثاء ١٠ مايو ، كان كراو يشاهد التليفزيون مساء متابعاً تقارير بنما . كان مرشحو نورييجا الذين انتقاهم بنفسه قد تلقوا هزيمة منكرة لكنه ألغى نتيجة الانتخابات . وخرج معارضو نورييجا الذين سحب النصر من تحت أقدامهم إلى « فياإسبانيا » فى مدينة بنما فى مظاهرة احتجاج شملت الآلاف وأطلقت فيها أبواق السيارات احتجاجاً . كان ذلك عملا نادر الشجاعة بالنسبة لمعارضى نورييجا المستضعفين . كان المحتجون يصيحون بالأسبانية : « فلتسقط ثمرة الأناناس » مستخدمين اللفظ الذى يطلق على نورييجا إشارة إلى وجهه الملىء بآثار الجدرى .

ورداً على ذلك قامت القوة المسماة « كتائب الكرامة » الموالية لنورييجا بمهاجمة مرشحى المعارضة .

وأصيب مرشح الرئاسة المعارض جيللرموا إندارا ، ٥٢ عاماً وهو رجل يزن ٢٤٠ رطلاً وله وجه برىء مثل طفل زادت تغذيته عن الحد ، فى جبهته بقضيب حديدى وجهه إليه أحد أفراد كتائب الكرامة . كما قتل حارس « بيلى فورد » ثانى المرشحين من المعارضة لمنصب نائب الرئيس . وظهر فورد نفسه وهو يتلقى اللكمات واحدة بعد أخرى ، وخرج مترنحاً من سيارته متعثراً بجانب الرصيف . كان الدم يغطى عينيه ويغرق قميصه الأبيض . وعندما هاجمه أحد الأشخاص بماسورة بدأ فورد يدافع عن نفسه عشوائياً مستخدماً ذراعيه .

وأعيد عرض الفيلم مرة بعد أخرى ، مع فيلم آخر لإندارا وهو فى المستشفى ، فى التليفزيون الأمريكى . كانت صورة فورد ذى الشعر الأبيض والذى سرقت منه الوظيفة التى انتخب لها

وهو ينزف ومصاب بالعمى المؤقت هى رمز حى لدولة بلا قانون وتحكمها الفوضى فى بنما .

وصدمت مشاهد التلفزيون كراو الذى ذهب إلى البنتاجون فى ذلك المساء بملابس مدنية . كانت خمسة تقارير مبدئية عن التحرش بالجنود الأمريكيين فى بنما قد وصلت . وتلقى رئيس هيئة الأركان المشتركة استدعاء للبيت الأبيض للاجتماع مع بوش فى تلك الليلة ومع بقية فريق الأمن القومى .

كان كراو قد بلغ ضيقه من بنما مداه . لا شيء أفلح معها : لا اتهام وزارة العدل الأمريكية لنورييجا عام ١٩٨٨ كمهرب مخدرات ، ولا المفاوضات لإسقاط التهم عنه إذا ترك السلطة ، ولا الحظر الاقتصادى ولا العمل السرى لوكالة المخابرات المركزية لخلع نورييجا من كرسيه . وكانت لدى كراو مشكلة حقيقية مع مساعد وزير الدفاع لشئون أمريكا فى عهد ريجان والمتوفى الآن . فقد وصف كراو بالجبن عندما تردد كراو فى استخدام القوة العسكرية للتخلص من نورييجا .

كانت لدى كراو شكوك فيما يتعلق باستخدام القوة عامة وليس فى بنما فقط . كان يعلم أن الرؤساء أحياناً ما تكون لديهم طموحات وأفكار مبالغ فيها عن الأهداف التى يستطيعون تحقيقها عن طريق القوة العسكرية . وكانت الحرب فى اعتقاد كراو هى أمر قذر لا يمكن التنبؤ بنتائجه وليست شيئا يعامل كمجرد أداة من أدوات السياسة الخارجية . كان يفضل الاستخدام المحدود للقوة فى خطوات صغيرة لتحقيق أهداف محددة جيداً وقابلة للتحقيق . وكانت أول عملية جادة من هذا النوع هى ضرب ليبيا بالقنابل فى أبريل من عام ١٩٨٦ وقد استغرقت دقائق لكى تنفذ أهدافها فى سلاسة وتفزع القذافى وتلجئه إلى خيمته .

وكان كراو قد أيد قرار ١٩٨٧ باستخدام البحرية الأمريكية لمرافقة ناقلات البترول الكويتية فى الخليج ، وهى مهمة لها طابع محدد وهدف مرسوم هو حماية تدفق شحنات البترول .

وكانت الأهداف فى بنما واضحة : حماية مواطنى ومصالح الولايات المتحدة وإنشاء حكومة صديقة وديمقراطية . أما السؤال فكان بأى طريقة يتم ذلك ؟

فى أبريل عام ١٩٨٨ كان كراو قد صدق على بحث مفصل لخطة سرية تسمى « التيه المنمق » والتى احتفظت بها هيئة الأركان على الرف لاستخدامها فى حالة الاضطرار لاستخدام القوة العسكرية فى بنما . وكان كل من كراو وفورنر يشعر بعدم الرضا عن « التيه المنمق » لأن خططها لم تكن تعكس تماماً المدى المحتمل لسيناريوهاتها .

ولذا فقد طلب من فورنر تطوير سلسلة أخرى من الخطط لبنما . وكان من فوائد ذلك هو أن يبين لوزارة الخارجية ولإليوت أبرامز أن البنتاجون مستعد .

كانت الخطط الجديدة قد تم اعطاؤها اسما كودياً شاملاً هو ( كتاب الصلاة ) على الرغم من أن كلا منها لها اسمها السرى الخاص : ( مابعد الوقت ) كانت خطة الولايات المتحدة للدفاع عن قناة بنما من جانب واحد فى وقت الأزمة عن طريق وضع قوات بطول القناة لتأمين استمرار تشغيلها . وسوف يتم تأمين النقاط المحورية مثل سد مادن ، وهو مصدر حيوى للماء والطاقة للقناة بواسطة القوات العسكرية .

(مفتاح كلونديك ) كانت تسمى « إن . إى . أو بدون تصريح » وذلك يعنى عملية إخلاء دون مواجهة قتالية يتم إدارتها دون تصريح من البلد المضيف . وكانت تلك خطة ضخمة للسيطرة على مدينة بنما واستخدام الطائرات العسكرية والمدنية بما فى ذلك حاملات الطائرات المحملة بالهليكوبتر لإخلاء رعايا الولايات المتحدة . وبسبب وجود عدد كبير من الأمريكيين غير المقاتلين فى بنما فقد كان كثيرون من كبار الخبراء العسكريين يشعرون أن هذه المهمة كان لا يمكن تنفيذها لعدم إحكامها . ولكن الأحداث فى الشرق الأوسط جعلت كل من فى إدارة ريجان بما فيهم رئيس الجمهورية على أهبة الاستعداد فيما يتعلق بأسر الرهائن . ولذا تم وضع الخطة فى حيز إمكانية الاستخدام رغم الشكوك .

( المنطق الأعمى ) كانت خطة أصغر تهدف إلى إيفاد متخصصين عسكريين لهم مهارات مدنية لمساعدة البنميين فى إقامة حكومة جديدة . وهذه الخطة كانت معدة للتنفيذ فقط فى حالة إذا ما طلبت حكومة مدنية جديدة المساعدة .

( الملعقة الزرقاء ) كانت خطة لعمليات أمريكية هجومية ضد العسكريين الذين يسيطر عليهم نورييجا وهى قوات الدفاع البنمية . وهذه العمليات تتم إدارتها من بنما بواسطة القائد الأمريكى المحلى الذى سيتلقى الأوامر من قوة قتالية مشتركة تحتوى على وحدات من كل أفرع الأسلحة الأربعة .

* * *

وأثناء الاجتماع فى البيت الأبيض فى ليلة ١٠ مايو رأى كراو أن قرار نورييجا بإلغاء نتيجة الانتخابات التى كانت انتصاراً للمعارضة هو نكسة كبيرة لسياسة الولايات المتحدة . كان الرئيس بوش فى لهفة لأن يفعل شيئاً لحل مشكلة نورييجا . لكنه فعل ما اعتبره كراو نقطة محورية : إن أمريكا لا تستطيع أن تخاطر بجعل نورييجا شهيداً فى يوم وليلة .

وقال بوش إنه إذا تصاعدت التحرشات برجال الولايات المتحدة إلى درجة الهجوم الجسدى عليهم مثلما حدث للمعارضين البنميين فإن الموقف سيصبح غير محتمل ، لأن صور التليفزيون وهى تظهر الأمريكيين يضربون بالعصى ويهربون وقمصانهم تجف عليها الدماء سوف تستدعى

العمل الفورى .

وقال كراو إنه يريد أن يتأكد أن القوات المسلحة فى وضع يمكنها من الاستجابة .

ولأن كراو كان يعلم أن جيمس بيكر له أقوى تأثير على بوش فقد أخذ يشاهده حتى يعلم ما هو موقف وزير الخارجية من بنما . فعندما كان بيكر وزيراً للمالية فى عهد ريجان قال له إن نورييجا لا يستحق كل هذا الاهتمام . ولكن فيما بعد كان بيكر هو مدير حملة بوش الانتخابية عندما اتخذ بوش وهو مرشح خطاً متشدداً معادياً لنورييجا ورافضاً لصفقة تقوم على المساومة . وقد أعطى هذا بعداً هاماً جديداً لموضوع نورييجا وأعطى وعداً ضمنياً بأن بوش سوف يجد حلاً عندما يصل للرئاسة .

قال بيكر الآن بطريقة نصفها جاد ونصفها مزاح « لو أننا كنا نعلم أننا سنفوز هذا الفوز الكبير فى الانتخابات ما كنا قد حفرنا لأنفسنا هذه الحفرة العميقة » .

واستطاع كراو أن يرى أنه بالرغم من أن بيكر لم يكن مثل إليوت ابرامز فإنه بدا أنه يفضل اللجوء إلى الحل العسكرى قبل أى حل آخر .

وقال بوش إنه يريد استغلال العاطفة المتصاعدة ضد نورييجا فى بنما وإنه يريد أن يعلم ما إذا كانت شرائط الفيديو التى تصور بيللى فورد وهى يضرب يمكن أن تستخدم لتكوين اتجاه مؤيد للأمريكيين ومضاد لنورييجا فى أمريكا اللاتينية . وكانت نبرة الاجتماع تقول إن الإدارة يجب أن تتخذ خطوة رمزية محسوبة .

وفى تلك الليلة ، قرأ مارلين فيتزووتر المتحدث الصحفى لبوش ، بيانا معتدل اللهجة يدين فيه أحداث العنف .

وعلى مدى ٢٤ ساعة حاول كراو وتشينى تكوين اقتراح عسكرى للرئيس .

وكما هو الحال فى معظم الخطط العسكرية فإن خطة ( كتاب الصلاة ) ذات الأربعة أجزاء والمكتوبة جيداً لم تكن تنطبق على الوضع الحالى : فالقناة لم تكن فى خطر ، ولم يكن هناك داع لعمل إخلاء شامل للأمريكيين ، ولم تكن هناك حكومة جديدة لكى تتم مساعدتها ، والقيام بعمل عسكرى هجومى ضد قوات الدفاع البنمية سيكون إجراء متطرفاً .

واقترح كراو على تشينى زيادة عدد القوات الأمريكية فى بنما بحجم لواء قدره من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ رجل . ويمكن عمل ذلك ضمن هالة ضخمة تعطى رسالة نفسية ومعنوية لنورييجا ورجاله . ووافق تشينى .

واتصل كراو بفورنر على الخط السرى . وسأله أولاً إذا كان محتاجاً لملحق لقواعد الاشتباك — إرشادات المعارك القتالية التى تبين متى يمكن استخدام القوة وبأى حجم — حتى يمكنه أن يجعل

قواته فى وضع هجومى أكثر .
قال فورنر : لا . وأضاف أنه لم تحدث عنده حادثة واحدة جدية تتضمن استخدام القوة فى غير محلها بواسطة رجاله الاثنى عشر ألفاً وأنه يريد أن يبقى القواعد على بساطتها .
واقترح كراو إرسال لواء تدعيمى لكن فورنر قال إنه لا يحتاجه . وعندما حاول كراو أن يشرح أن عليهم توصيل رسالة ما قال فورنر إن التوسع فى إرسال آلاف القوات قد يشكل عبئاً غير ضرورى .

قال كراو إن الأمور تتحرك بسرعة كبيرة وإنه ربما يتعين على فورنر أن يقبل نوعا ما من زيارة القوات لأسباب سياسية .

* * *

وقرر كراو أن هناك خطوة إضافية يمكن اتخاذها للتحضير وهى نشر قوة صغيرة ، عالية المستوى ، للعمليات الخاصة سراً فبعد فشل عملية إنقاذ الرهائن فى إيران عام ١٩٨٠ ( عملية صحراء واحد ) أنشأت وزارة الدفاع قيادة العمليات الخاصة المشتركة ( جسوك Jsoc ) أو ("J-sock") ، لإجراء عمليات مضادة للإرهاب . وكانت جسوك ، التى يرأسها عميد جيش ، تتخذ مقرها فى فورت براج ، فورث كارولينا ، وكانت تحتوى على مجموعات من رجال العمل . وكانت أعلى مجموعة منهم تتكون من ثلاث كتائب دلتا راقية المستوى وفرق (SEAL) البحرية ( بحر — جو — أرض ) . وكانت كل كتيبه دلتا تحتوى على ما يقرب من ١٢٠ إلى ١٣٠ رجلا بقوة نيران تكفى لجعل أى معركة تبدو كأنها صورة نووية من الحرب العالمية الثالثة . كانت تكليفات دلتا تمتد إلى خمس سنوات وكان متوسط عمر الفرد فيها ٣٠ عاماً . وكان كل الأفراد ذوى خبرة وقدرة على التحرك بشكل مفتوح فى معظم البلدان . وأثناء وجود أفراد دلتا فى الخارج يمكنهم ارتداء الزى المدنى ، ويتحدثون اللغة المحلية ويطيلون شعورهم ويفعلون كل ما هو ضرورى للامتزاج بالثقافة والناس . وكانت هناك فصيلة فى حالة طوارىء دائمة وجاهزة للسفر خلال أربع ساعات .

وكان فريق SEAL رقم ٦ ، وهو المعادل البحرى لدلتا ، أكثر فرق SEAL الثلاثة رقياً — كان صفوة الصفوة . كان متوسط أعمار الفريق ٢٠ عاماً . وكان عليهم أن يكونوا فى قمة اللياقة البدنية حيث ربما يضطرون للسباحة لساعات طويلة قبل القتال على الأرض . وكان فريق SEAL ٦ ومقره فى نورفولك يضم مئات الأفراد مقسمين إلى وحدات من ٣٠ فرداً ، ويمكن نشر فصائل من ١٤ رجلا بطريقة فردية . وكان هذا الفريق ، المجهز بكل شىء ابتداء من أجهزة التنفس الصناعى تحت الماء التى لا ينتج عنها فقاعات إلى أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا

الاستطلاع ، يضيف إلى قدرات الولايات المتحدة بعداً جديداً وهى تترقب حركة نورييجا القادمة .

كان إرسال القوات الخاصة إلى بنما سيوفر للرئيس مرونة كبيرة ، ويضع أفضل فريق لتحرير الرهائن تملكه العسكرية فى الموقف . اتصل كراو بقائد ( جسوك ) على التليفون السرى ونبهه إلى أن بعض فصائله يمكن أن تطلب .

وصدق تشينى على اقتراح كراو بأن يرشحوا للرئيس إرسال فريق دلتا وجزء من فريق SAEL رقم ٦ إلى بنما .

ثم اتصل كراو بفريد فورنر فى بنما . ومرة أخرى قال الجنرال إنه لا يريد المزيد من الانتشار للقوات التى تريد أن ترسلها له البنتاجون . كانت هذه هى إحدى المرات القليلة أثناء خدمة كراو التى يصادف فيها قائداً يرفض المزيد من القوات .

وأشار كراو إلى احتمال وصول قوة من حوالى ألفى رجل بالإضافة إلى فريق من دلتا ووحدة من SEAL إلى بنما إذا وافق الرئيس .

كان فورنر منزعجاً من دفع واشنطن له . كانت خطة ( الملعقة الزرقاء ) تتضمن أن تقوم وحدة دلتا بالقبض على نورييجا والآن ها هى دلتا قادمة . كانت الولايات المتحدة قاب قوسين أو أدنى من التدخل العسكرى الذى كان فورنر مازال يعارضه بقوة . وأوضح أنه يشعر بأن أى عملية خاطفة يتم إجراؤها ــ كجزء من عملية ( الملعقة الزرقاء ) أو مستقلة عنها ــ ستشكل مخاطرة كبيرة . فإذا فشلت العملية فسيكون فى ذلك تصعيد كبير للموقف يعرض كل رعايا الولايات المتحدة للخطر .

كان احتمال القيام بعملية خاطفة هو احتمال بعيد فى رأى فورنر . وكان تعقب نورييجا هو أمر صعب على المخابرات الأمريكية . فلم يكن فورنر يعلم إلا نادراً أين كان نورييجا وأين يكون فى أى وقت وإلى أى مكان سيذهب بعد ذلك ــ وهى معرفة ضرورية للقبض عليه .

ومن خلال مصدر سرى وهو الكولونيل جيلرمو ونج ، رئيس المخابرات العسكرية لنورييجا ، علمت القيادة الجنوبية أنه كانت لدى نورييجا خطتان لينفذهما فى حالة إذا ما وقع عليه هجوم شخصى أو طاردته القوات الأمريكية . كانت واحدة منهما هى أن يذهب إلى التلال ويقود حرب عصابات من هناك ، والثانية هى أن يأخذ رهائن أمريكيين . ولأن فورنر كان يعلم أن العملية العسكرية الخاطفة إذا فشلت فسوف يبدأ كابوس الرهائن ، فقد كان يؤمن بأن اختيار العملية الخاطفة بأى شكل هو نوع من « البلاهة » .

* * *

ورغم شكوك كراو فى مدى حكمة عملية خطف نورييجا فقد كان يعلم أن عليه دراسة إمكانية ذلك . لكنه كان عليه ، قبل أن يصل لنتيجة لهذه الدراسة ، أن يعرف ما الذى سيقبله تشينى . كان كراو يشعر بأنه لم يكن يعرف تشينى جيداً ، ذلك الرجل الذى لا يبدى ما يبطن . لكن تشينى فى أحد الأيام أثناء مناقشة خاصة تخلى عن حذره قائلا لكراو « هل تعلم أن الرئيس لديه تاريخ طويل من الأعمال السياسية الانتقامية » . وقال إنه إذا ضايق أحد بوش فإنه يدفع ثمن ذلك ، وعدد أسماء بعض الضحايا وأضاف : إن بوش يتذكر وعليك أن تتوخى الحذر .

وفكر كراو فى أن هذه الفكرة هامة جداً ( إن بوش يتذكر وعليك أن تتوخى الحذر ) . هل كان ذلك تحذيرا متعمداً لكراو ؟ أم تذكيرا لتشينى نفسه ؟ لم يكن كراو متأكدا على الإطلاق . ولكن كان من الواضح أن تشينى خائف من بوش .

لم يبدُ على الوزير الجديد أنه يأنف هذه الأنواع من التحركات الهجومية التى كانت تتم دراستها لكى تنفذ فى بنما . ففى أول شهرين له كوزير دفاع أصر على أن تقدم له دراسة عن إمكانية الانتقام للعمل الإرهابى الذى وقع فى ٢١ ديسمبر ضد طائرة بان أمريكان ١٠٣ وتفجيرها فى الجو فوق لوكبيرى باسكتلندا مما تسبب فى قتل ٢٧٠ شخصا . كانت هناك شكوك فى تورط ليبيا وسوريا وإيران فى هذه العملية . ولقد صدق على خطط بالانتقام من تلك البلدان فى حالة ثبوت ذلك . وعلى الرغم من هذا المؤشر المبكر لاستعداد تشينى لاستخدام القوة فإن كراو لم يكن متأكدا من رأى تشينى فى اختطاف نورييجا .

وذكر كراو فى إحدى الجلسات إمكانية ذلك قائلاً لتشينى إنها مخاطرة كبيرة وقد لا تكون خطوة حكيمة . واستعرض تشينى تفاصيل هذا الاختيار وقال إنه يفضل القيام به إذا حانت الفرصة وإذا كانت هناك أعمال مخابرات جيدة لمعرفة أماكن تواجد نورييجا وإذا قام نورييجا بعمل سافر مستفز . لكن تشينى قال إنه لن يحبذ ذلك إذا كان سيسفر عن سلبيات سياسية .

وفى يوم الثلاثاء ١١ مايو انتهى تشينى وكراو من العمل فى الاقتراح الذى سيقدمانه لبوش وهو : نشر علنى للقوات بالإضافة إلى إرسال سرى لكتيبه دلتا وجزء من فريق SEAL رقم ٦ . ووافق بوش على الاقتراح .

وبعد ظهر ذلك اليوم ظهر الرئيس لفترة قصيرة فى غرفة الصحافة بالبيت الأبيض ليعلن أنه سيرسل فى الأيام القليلة القادمة عدداً من القوات الإضافية إلى بنما قوامه ١٨٨١ جنديا أمريكيا . وعندما سئل إذا كانت الولايات المتحدة سوف يسرها أن ترى محاولة انقلاب ضد نورييجا أجاب بوش وهو يخطو جانبا « لقد أكدت ماهى اهتماماتى فى هذه اللحظة ، وهى الديمقراطية فى بنما ، وحماية حياة الأمريكيين هناك » .

وفى مقابلة صحفية تمت بعد ذلك ، سئل سكوكروفت عما ستفعله القوات بشأن تزوير الانتخابات فقال « إننى لا أتذكر أن الرئيس قد قال إن قواتنا ذهبت هناك لاستعادة الديمقراطية » إن نشر القوات هو ببساطة « إجراء وقائى حذر » .

كان اسم العملية الكودى هو « راقص التمرود » وتتكون من ١٧١٦ فرداً من الجيش و١٦٥ من مشاة البحرية .

وفى اليوم التالى ، الجمعة ١٢ مايو صدق تشينى سراً على إرسال الجزء السرى من القوات .

ومعظم الذين أتيح لهم معرفة تفاصيل هذه العملية السرية قيل لهم إن الوحدات ترسل إلى هناك لاحتمال القيام بعملية إنقاذ للرهائن . وبما أن نورييجا « وكتائب كرامته » لن يتورعوا عن عمل أى شىء ضد الأمريكيين فى بنما فقد كان وجود قوات جاهزة لتنفيذ عملية إنقاذ معقدة هو قرار حكيم .

ولكن « دلتا » كانت لها مهمة أخرى أيضاً . فقبل ذلك بشهر تم القبض على عميل للمخابرات المركزية الأمريكية اسمه كيرت ميوز لأنه كان يدير شبكة إذاعية وهى جزء من عملية المخابرات السرية للإطاحة بنورييجا . وقالت تقارير المخابرات إن حارساً يحمل مدفعاً رشاشاً ويقف خارج زنزانة ميوز لديه أوامر بقتله إذا ظهرت بوادر عدوان أمريكى . وكانت وكالة المخابرات المركزية قلقة للغاية بشأن ميوز وأرادت أن تتفادى تكرار ما حدث عام ١٩٨٤ من اختطاف ثم قتل رئيس محطتهم فى بيروت ، ويليام باكلى . ففى تلك القصة كان عجز الوكالة عن تحديد مكان وإنقاذ أحد أفرادها جعلها تبدو ضعيفة . ولذلك ضغط مدير المخابرات ، ويليام هـ . وبستر على تشينى لكى يقوم العسكريون بوضع خطة لانقاذ ميوز تكون جاهزة للتنفيذ فى سرعة .

وكانت زوجة ميوز تعمل موظفة فى وزارة الدفاع فى بنما مما جعل ميوز معولاً وله الحق — حسب إحدى الاتفاقيات — فى زيارات منتظمة من محام أمريكى وطبيب . وقد أبلغ هذان أن ميوز الذى كان محتجزاً فى سجن موديلو ، المواجه لمقر نورييجا الرئيسى المسمى بالكوماندانتسيا ، يلقى معاملة طيبة . ولكنه كان مهدداً بصفته رهينة أمريكية لنورييجا .

وتم تطوير خطة خاصة باسم كودى « الحفرة الحامضة » لكى تنفذها « دلتا » لإنقاذ ميوز فى عملية تستغرق تسع دقائق .

ومن وجهة نظر عسكرية كان استخدام فريق « دلتا » أو فريق SEAL لتحرير رهينة أو سجين أمريكى لا يختلف كثيراً عن اختطاف نورييجا من بين حرسه الكثيف .

* * *

ورأى كراو أن الرئيس بوش — وهو مدير سابق لوكالة المخابرات المركزية — كان فى غاية

القلق على رجل الوكالة المسجون . وكان بوش قد أوضح أيضا أنه كان يريد للعسكرية أن تكون قادرة على الإمساك بنورييجا وإحضاره للولايات المتحدة لمحاكمته .

وكان لدخول دولة مستقلة ذات سيادة والقبض على زعيمها دلائل قد تكون هائلة الخطورة . ولكن كراو لم ير أية علامة تدل على أن العواقب قد تمت دراستها بشكل مكتمل .

وقال كراو ، رئيس هيئة الأركان المشتركة لقائد ( جسوك ) على التليفون السرى « إننى لا أستطيع التنبؤ بما سيفعله الرئيس ولكن كن على أهبة الاستعداد » .

* * *

وركب بوش طائرة تابعة للقوات الجوية فى ١٣ مايو متجها إلى الميسيسبى لإلقاء خطاب افتتاحى . واستدعى المراسلين المسافرين معه إلى قمرته ليقول لهم إنه ليس على خلاف مع العسكريين فى بنما . وإنما مع نورييجا وأساليبه البلطجية . ودعا الرئيس ، فى أقوى تعليقاته العلنية حتى ذلك الحين الشعب والجيش فى بنما للإطاحة بنورييجا قائلا « يجب عليهم أن يفعلوا كل ما فى وسعهم لإخراج نورييجا من هناك » . وكان من غير المعتاد لرئيس أن يدعو لانقلاب علانية ومعلناً الهجوم بجرأة على حاكم أجنبى . وعندما سئل بوش إن كانت هناك حدود لما يعنى كلامه قال « لا . إننى لن أضيف إلى ذلك أية كلمات حذرة » .

* * *

وبعث كراو إلى الجنرال فورنر برسالة سرية يقترح فيها خطة للعسكرية الأمريكية للقيام بتدريبات جديدة فى بنما مؤكدة بقوة حقوق الولايات المتحدة طبقاً لمعاهدات قناة بنما . وفى ١٧ مايو رد فورنر قائلا إنه مستعد .

وقال كراو لفورنر فى محادثة هاتفية سرية إن بوش قد صادق على التدريبات وأضاف قائلا « ولكن يجب ألا تقوم بعمل أى شىء مستفز » .

كان فورنر قد تعود على تنفيذ سياسة خاصة ببنما بها الكثير من التلميحات والنقاط الخفية . وترجم تعليمات كراو الجديدة على أنها تعنى أن القيادة يجب أن ترهب نورييجا ، وتريه الحزم وتخلق فى ذهنه الوساوس عن نوايا الولايات المتحدة ، وتتصرف بقوة ولكن بدون بدء معركة يمكن أن تؤدى إلى رد مسلح من الجيش البنمى . وبدا ذلك كأنه خيط رفيع .

وفى الأيام التالية بدأ نورييجا يتراجع . فقد تلقى فورنر تقارير من المخابرات بما فى ذلك بعض التقارير من العميل السرى الكولونيل ونج ، تظهر أن نورييجا كان يطلب من قواته أن تتوخى غاية الحرص أثناء أى مواجهات مع الأمريكيين ويجب عليهم ألا يعطوا الفرصة للأمريكيين بالرد المسلح عليهم . وطبقاً لأحد هذه التقارير حذرهم نورييجا قائلا « لاتضايقوا الأمريكيين » .

وأدرك تشينى أن فورنر كان خبيراً فى شئون بنما ــ وربما كان أكثر خبرة من اللازم . ولم يكن الوزير راضياً عما يبدو بين السطور فى رد فعل القيادة الجنوبية على الأحداث . فكلما تم اقتراح أى عمل عدوانى ، كإرسال قوات جديدة أو تأكيد حقوق الولايات المتحدة ، تحدث فورنر معارضا لذلك . وكان لدى الجنرال أسباب وجيهة دائما ، لكنه لم يبدُ متحمساً لحل مشكلة نورييجا فى الوقت الحالى .

واستنتج تشينى من ذلك أن الجنرال قد أصبح بنمياً . وبالنسبة لتشينى فقد كان يرى أن الولايات المتحدة أمامها خياران إذا قرر بوش التدخل فى بنما : أولهما تنفيذ العملية الهجومية ( الملعقة الزرقاء ) ضد القوات المسلحة البنمية وثانيهما هو خطف نورييجا . ولم يكن فورنر متحمساً لأيهما . والأكثر من ذلك أنه لم يبدُ عليه أنه سيتحمس تحت أى ظروف .

* * *

وسمع جاك مارش سكرتير الجيش ذو الشخصية الاجتماعية أنه ستكون هناك لعبة كراسى موسيقية فى الصفوف العليا للمؤسسة العسكرية . كان على تشينى أن يبدأ فى اختيار رئيس جديد لهيئة الأركان المشتركة . وفى ٣٠ مايو عندما تناول تشينى الغداء مع مارش فى ميس ضباط الجيش الشهير بوجبات السمك على الغداء ، أراد مارش من تشينى أن يضع فى اعتباره اختيار جنرال من الجيش للوظيفة .

وهنا تحدث مارش إلى تشينى بعبارات براقة عن واحد ممن يعجب بهم ــ وهو الجنرال ماكسويل ريد ثورمان .

□ ٨ □

قبل موعد الغداء بلحظات فى يوم ١٣ يونيو أسرع رجل صغير البنية متوسط الطول ذو رأس ضخم ونظارات سميكة ، يهرول فى الممر الخامس للطابق الثالث فى البنتاجون .

ولأنه لم يكن يرتدى الزى العسكرى الأخضر ويضع أربع نجوم على كل كتف فقد كان من الممكن الظن بأنه أحد محاسبى الميزانية فى البنتاجون .

ولأنه كان عازباً ومدمن عمل لم يكن يستكثر على نفسه ومرؤوسيه أن يعملا ليلاً ونهاراً ودون إجازة أسبوعية كانت له لهجة مباشرة نفاذة ولم يكن يقبل أعذاراً وربما لم يكن فى المؤسسة العسكرية الأمريكية بأكملها رجل فى مثل حدته .

كان الجنرال ماكسويل ثورمان ـــ ٥٨ عاماً ـــ فى طريقه إلى غداء خاص مع تشينى وجاك مارش وكان مارش قد رتب اللقاء .. كانت فرصة نادرة لثورمان وهو يقترب من نهاية خدمته أن يتحدث مع وزير الدفاع لقد كان الجنرال هو قائد التدريب والشئون المعنوية وهما عقل الجيش منذ عام ١٩٨٧ وقضى حياته كضابط جيش أدى ٢٨ مهمة فى ٣٦ عاما خدم آخر ست سنوات منها برتبة جنرال ذى أربع نجوم .

وكان مقرراً أن يحال إلى التقاعد بعد شهرين ، ومثل كل الضباط ذوى الأربع نجوم كان سيرحل دون أن يترقى إلى إحدى الوظائف التى هى ملء السمع والبصر كرئيس سلاح أو رئيس أركان .. وإذا كان ثورمان يفتقر إلى الشهرة العامة ، فقد عوض ذلك داخل الجيش حيث كان يقترب من الأسطورة وتطلق عليه أسماء مثل « ماكس المجنون » وماكستوالله » والامبراطور ماكسميليان » .

وكان مكتب سكرتير الجيش يماثل مكتب تشينى فى الاتساع .. ووفى المنتصف كان هناك مكتب عملاق من طراز لينكولن صنع لابن إبراهام لينكولن ، روبرت عندما كان يخدم كوزير حربية من عام ١٨٨١ إلى عام ١٨٨٥ واتخذ تشينى مقعده على مائدة الغداء الصغيرة التى تقع مباشرة تحت لوحة من القرن التاسع عشر تصور الجنرال جورج واشنطن مع قواته فى فالى فورج . جلس مارش على رأس المائدة ينظر إلى مقابر أرلنجتون القومية عبر النافذة . لقد كان يعتقد دائماً أنه من المناسب أن يطل مكتبا سكرتير الجيش وسكرتير البحرية الذى يعلوه بطابق على هذا المنظر

الذى تبدو فيه أحجار المدافن فى صفوف لا نهائية ، تذكر بالثمن الحقيقى الملموس للحرب .

وبمجرد أن بدأ الغداء قال ثورمان على الفور إنه سوف يعطى لوجهات نظره فرصة للتعبير بدون دبلوماسية تخفف من حدتها وبدون تلوين . ووصف كيف نظم آليات التجنيد الحديثة فى الجيش ، مؤسساً لقوة المتطوعين ، ومحولاً جيشاً أجوف وهابط الروح إلى جيش فخور بنفسه .

وكان ثورمان يعلم أن تشينى واقع تحت ضغط من عدة جهات من بينها البيت الأبيض لكى تشترك القوات المسلحة بطريقة مؤثرة فى حرب المخدرات . وقال ثورمان « انظر ، إننى لا أفهم يا سيدى تشينى ما هى وجهة نظرك فى هذا ولكن هناك الكثير من الفرص فى حرب المخدرات » . كانت هذه حالة حيث تجرجر العسكرية أقدامها .

وقال : إن وزارة الدفاع يمكنها أن تكون أكثر إقداماً فى الحرب ضد المخدرات . فإن قدرتها على التجسس بالأقمار الصناعية ومتابعة صفقات البنوك الدولية هى قدرة تفوق العادة . ولن يجرؤ أى من ملوك المخدرات على الدخول فى المنافسة إذا تدخل الجيش بقدرته على التجسس .. حتى الاستطلاعات الروتينية بالرادار يمكن أن تعنى القبض على العديد من شحنات المخدرات .

وفى نفس الوقت فإن الفرق الخاصة يمكنها أن تعطى البوليس المحلى والعسكريين درساً فى كيفية السيطرة على منافذ التهريب . وقال ثورمان إن الولايات المتحدة ليست عاجزة عن خوض حرب المخدرات . إن المسألة فقط تنحصر فى عدم اتخاذها قراراً بذلك .

وازدادت حماسة ثورمان وهو يتلو منولوجه قائلا إنها مسألة تتعلق بجدية الهدف .

وآمن تشينى بأن مارش كان على حق فيما يتعلق بثورمان لقد كان هذا رجلاً مستقيماً لا يقول كلاماً فارغاً . كان ثورمان قادراً على أن تسفر قيادته عن نتائج واضحة . وفى الوقت الذى يرى فيه الضباط الآخرون العقبات كان ثورمان يرى الممكنات . وعلى الرغم من أن الجنرال كان يفتقر للمسة الأخيرة التى تجعله مرشحاً لمنصب رئيس هيئة الأركان إلا أن تشينى كان متأكداً تماماً من أن منصب رئيس أركان سوف يكون مفتوحاً بأسرع من المتوقع .

* * *

فى السادس من يوليو تلقى فورنر مكالمة من كارل فونو قائد الجيش الذى قال إنه يريد أن يذهب إلى بنما لزيارته . وسأل فورنر : لماذا ؟

ولم يفصح له فونو عن السبب برغم كونه صديقاً جيداً له . لكنه قال إنه سيقضى ساعة واحدة فقط هنالك .

وفكر فورنر : ساعة واحدة ؟ هذه أخبار سيئة بالتأكيد .

ولكن منذ شهر واحد فقط جاءه طلب بأن يمد فترته ( كرئيس أركان الجنوب ) لمدة عام

آخر ، أى حتى صيف ١٩٩١ .

وعند وصول فونو إلى مقر القيادة الجنوبية أخذ فورنر إلى غرفة صغيرة حتى يكونا وحدهما .

وقال له فونو وهو ينظر مباشرة فى عينيه « يافريد ، إن الرئيس قد قرر عمل تغيير » .

شعر فورنر بالمرض . كما لو أن أحداً قد ركله فى بطنه بقوة . أربعة وثلاثون عاماً فى الجيش ... هى كل حياته « لماذا يا كارل ؟ » .

رد فونو « لست أعلم .لقد جاء سكرتير الجيش وقال لى الخبر وقال إننى لن استطيع إبلاغك » وأوضح فونو أنه قد قال لمارش إن فورنر صديق حميم له ويستحق من باب اللياقة أن يعلم بالخبر وجهاً لوجه وإن كان عليه أن يكتم الخبر .

وألح فورنر على معرفة سبب فصله .

وكرر فونو « لست أعلم السبب ، كل ماأعرفه هو ان القرار لا رجعة فيه » واقترح فونو أن يجدوا سبباً مثل الصحة ، أو الأسرة ، أو عمل جديد أو أى شىء .

و لم يقبل فورنر تغطية الأمر بقصة . لقد كان يفهم القواعد : إنه يخدم لصالح الرئيس ويحتاج لتأييد رئيس الأركان ورئيس الجيش . وغادره فونو بعد ٤٥ دقيقة أخرى ليركب طائرته إلى واشنطن .

واحتفظ فورنر بالأنباء السيئة لنفسه . لقد وعد بكتمان السر و لم يكن هناك أحد على أية حال يريد أن يحدثه فيه . وخطر له أن القسم الذى يؤديه ضابط الجيش هو قسم غريب فى معظم الأحيان . كيف يمكن تصور أن يقسم على كتمان سر فصله من وظيفته .

وعندما تحدث فورنر أخيراً مع كراو تليفونياً تظاهر الاثنان بأنهما لم يسمعا الخبر . وقال كراو : عندما تأتى إلى واشنطن فى المرة القادمة احرص على أن تزورنى .

كان القرار قد اتخذ فى غيبة كراو عن البلاد . وعندما علم به قال لتشينى « أتمنى ألا تفعل شىء من ذلك القبيل دون أن تشركنى فيه » .

ورد تشينى « إن البيت الأبيض هو الذى فعلها » . وأنحى باللائمة على سكوكروفت للطريقة المفاجئة النهائية التى اتخذ بها القرار .

وبعدها بأيام كان فورنر فى واشنطن . وذهب إلى مكتب كراو . قال كراو « يا فريد ، أظن أنك تعلم أن الرئيس قد قرر أن يقوم بتغيير . وكل ما أستطيع قوله لك هو إننى لا أعلم شيئاً . لم يستشرنى أحد . لقد اتخذ القرار عندما كنت فى الاتحاد السوفييتى » . واقترح كراو أن يصعدا معاً للطابق الثالث ويقابلا وزير الدفاع .

وأشار تشينى إلى المقاعد المريحة على مائدة اجتماعاته الصغيرة وجلس هو الآخر .

قال تشينى « لقد قرر الرئيس أن يقوم بعمل تغيير » . وفكر فورنر فى نفسه : إنها نفس الجملة مرة أخرى . كأنهم جميعاً مبرمجون . لقد كانت الجملة تفصح عن الكثير كما تخفى الكثير أيضاً . كان تشينى يبدو مسترخياً . وبينما كان ينظر فى عينى فورنر لم يكن يبدو عليه الشعور بالذنب أو الحاجة للدفاع عن نفسه .

وقال فورنر وهو يتماسك « أعتقد أنه بعد أربعة وثلاثين عاماً من الخدمة فإن لى حقاً فى سماع توضيح » .

قال تشينى « إن هذا ليس له علاقة بك ولا بأدائك . إنه قرار سياسى » .

تساءل فورنر : لماذا ؟ وماذا يعنى ذلك ؟

وجلس كراو متصلباً وصامتاً فى مقعده .

وكان فورنر يضغط على تشينى .

قال تشينى بحزم « لقد حان الوقت للتغيير » . وكلما سأله فورنر بطريقة مختلفة ظلت إجابة تشينى كما هى .

قال فورنر « يمكنك أن تسميها كما شئت ولكن بتعبيرى أنا لقد استرحت ــ لقد استرحت لأول مرة فى حياتى المهنية » .

لم يقل تشينى شيئا . وعندما استنفد فورنر كل طريقة ممكنة ليوجه نفس السؤال قال تشينى إنه يريد إعداد جدول لتغيير القادة .

واتفقا على أن يوم فورنر الأخير سوف يكون بعد شهرين أى فى نهاية شهر سبتمبر .

ونهض كراو وفورنر لكى يغادرا . وتأمل تشينى بينه وبين نفسه أن فورنر فعل كما يفعل كل الجنرالات دائماً . لقد تحمل ضربة البلطة وأدى التحية العسكرية ثم أصبح فى النهاية جنتلمان هادئاً .

ولم يتحدث كراو وفورنر أثناء هبوطهما الدرجات السبع والعشرين إلى الطابق الثانى . ولم يقل كراو إنه يوافق أو لا يوافق . لقد تم اتخاذ القرار . لقد قرر الرئيس . كانت هذه هى الطريقة . لكن كراو كان يشعر بالمرارة . فقد كان المدنيون يستطيعون الرقص من حوله وقتما شاءوا . لقد كان كراو لديه قلقه على فورنر ولكن الطرد لم يكن عادلاً . لقد كان فورنر ينفذ جوهريات سياسة الرئيس والتى كانت لا تزال هى تجنب المواجهة العسكرية المباشرة مع نورييجا .

وإذا كان البيت الأبيض يخطط لتغيير السياسة فيجب أن يواجهوا ذلك دون مواربة وادعاء أن هناك قائدا خنوعاً هو سبب المشكلة . ولكن كان الأسهل هو طرد فورنر ، ولوم فورنر وجعل فورنر هو محور القضية . ولهذا لم يستطع تشينى أن يبدى سبباً .

والأمر المرعب بالنسبة لكراو هو اللامبالاة التى أبداها وزير الدفاع بشأن مستقبل جنرال ذى نجوم أربع .

* * *

وفيما بعد ، وفى يوليو ، كان رئيس الجيش فونو ، يتقصى ماكس ثورمان حتى « سانتا فى » ، نيومكسيكو . لم يكن قد بقى سوى أقل من شهر على موعد تقاعد ثورمان الذى يرسل الدعوات لحفل تقاعده حريصاً على دعوة كل زملائه وأصدقائه ونصحائه الذين عرفهم طوال ست وثلاثين عاماً فى الخدمة .

وشرح له فونو أن فورنر سيغادر مقر القيادة الجنوبية أسرع من المتوقع فيما يسمى « تقاعدا غير مبرمج » . وسأله فونو : هل تريد أن تأخذ ذلك المنصب وتذهب إلى بنما لمدة عامين ؟

ورد ثورمان « حسن ، دعنى أفكر فى ذلك الأمر لمدة عشر دقائق وسوف أرد عليك » .

وقال فونو : « رد علىّ الآن » .

وقال ثورمان : « حسنا . إننى أقبل » .

ورتب ثورمان موعداً مع فورنر ليبدأ فى إطلاعه على مهام القيادة وقال لفورنر « أريدك أن تعلم أن ليس لى يد فى ذلك » .

ورد فورنر « لو كنت أظن أن لك يداً فى ذلك فإنى لم أكن لأتواجد هنا معك » .

كان فورنر لا يزال مصدوماً لكنه كان قد قضى وقتاً لكى ينظم مشاعره وكان يعلم أن بعضاً من هذه المشاعر كانت متناقضة . كان يفهم المتطلبات الرئاسية ويؤمن بها . ولكنه كان قلقاً من أن القضايا العسكرية فى بنما قد سيطرت عليها السياسة مما يشكل سابقة خطيرة . وكان متأكداً من أنه كان يقوم بعمله بكفاءة فيما يتعلق بالتنفيذ الدقيق لتعليمات بوش وتشينى وكراو ، لا أكثر ولا أقل . فإذا كانت الوسيلة الوحيدة التى يستطيع بها القائد أن يستمر هى توقع اتجاه الرياح السياسية التى تهب فى واشنطن ومحاولة التسابق مع السياسة الرسمية فإن العسكرية إذن قد تلوثت بطريقة لا أمل فيها .

* * *

أخذ تشينى وكراو اقتراحهما إلى البيت الأبيض وهو الاقتراح بأن تبدأ القيادة الجنوبية سلسلة من التدريبات المكثفة لتأكيد حرية الحركة الممنوحة للعسكريين الأمريكيين فى ظل معاهدات قناة بنما . كانت بعض الحقوق المنصوص عليها فى تلك الاتفاقيات لم تمارس منذ سنوات ، ولقد حان الوقت لإرسال رسالة واضحة إلى نورييجا .

كانت لدى فورنر السلطة للتصديق على تدريبات ذات مستوى غير عالٍ تسمى نموذج (١)

ونموذج (٢) وهى تحركات لأعداد صغيرة من القوات الأمريكية . أما النموذجان (٣) و (٤) فقد كانا يعرفان بأنهما أقصى أنواع الاستفزاز ويتضمنان المئات من القوات الأمريكية ويحتاجان لإخطار الرئيس قبل التحرك بأربع وعشرين ساعة .

وفى السبع عشر من يوليو صدق بوش على خطة تقوم بمقتضاها القيادة الجنوبية بالإقدام على تأكيد حقوق الولايات المتحدة فى ظل المعاهدات عن طريق هذه التدريبات الجديدة .

وبعدها بثلاثة أيام أعلن تشينى أن فورنر سيتقاعد .

وأعلن أن ثورمان سيحل محله .

وفى جناح مريح وجيد الإضاءة خلف نقطة حراسة فى المقر الداخلى لهيئة الأركان المشتركة فى البنتاجون كان العميد توماس و . كيلى يصرخ فى أحد التليفونات وهو جالس خلف مكتبه .. وكان ينبه على أحد ضباطه أن يكون أكثر يقظة .. كان كيللى وهو شخص عريض الصدر فى السادسة والخمسين وذو ثلاث نجوم ، كان رئيس عمليات شرطة المرور الخاصة بكراو وهيئة رؤساء الأركان المشتركة .. وكمدير لأفراد العمليات أو ( ج ٣ ) ، كان كيللى يعيش فى عالم العجلة .. فإذا كان القذافى يتململ أو إذ اختفى جورباتشوف لمدة إسبوع أو إذا حدث انقلاب فى جزيرة فى الكاريبى فإن المشكلة تقع أتوماتيكياً فى طبق كيللى .. لقد كان مسئولاً عن التأكد من أن القوات الأمريكية هى فى وضع يسمح لهم — من حيث القوة المناسبة والخطط — بالاستجابة إلى كل ما يمكن أن يحدث .

كان ( ج٣ ) هو مركز للتنسيق والمعلومات .. وكمدير لهذا المركز كان كيللى يحيا بين المصائب والفرص .

ولأنه كان حسب طبعه وتدريبه قائد دبابة فقد كان من النوع الذى يصر على شرب البيرة من علبة ويلقى بالنكات البذيئة فى أكثر حفلات الكوكتيل الرسمية . ولكن رغم فظاظة حديثه فقد كان فيه جانب معقد التفكير .. فهو من فيلادلفيا وحاصل على درجة فى الصحافة من جامعة تمبل وكان كاتباً ذا اسلوب مؤثر وعندما كان ذا نجمة واحدة ، كان يعمل تحت رئاسة كراو فى إيطاليا عندما كان رئيساً للأركان لجنوب أوربا وعندما طلب كراو كيللى لكى يستعين به فى العمل فى عمليات خاصة لهئية الأركان المشتركة قال كيللى : « هذا جميل ، فأنا قائد دبابة » .

ورد كراو « إن ما أريده هو شخص يستطيع التهجى » .

ولأن كيللى كان مدركاً أن النموذج (٣) والنموذج (٤) من التدريبات فى بنما يمكنهما إشعال مواجهة فورية ربما تحتاج إلى قرارات من رئاسة الجمهورية فإن كيللى قد قام بتشغيل كل خطوطه .. كان يعلم أن خطط بنما هى أهم عمليات فى الوقت الحاضر وكان يأمل أن يستطيع أن يخفف

من وقع مفاجآتها على الجميع .. وفيما عدا بعض الأحداث التى ليست لها أهمية تذكر فإن التدريبات الأمريكية ــ وكان كيللى يطلق عليها « حماقات الجنوب » ــ لم يبد أنها تستفز قوات نورييجا .. وقد حاول كيللى وأفراد مخابراتهم أقصى ما بوسعهم لكنهم لم يستطيعوا الإشارة إلى دليل واحد على أن نورييجا أو جيش بنما يواجه القوات الأمريكية .. وقد أبلغت امرأة أمريكية واحدة أنها اغتصبت ولكن ذلك لم يمكن اتهام رجال الجيش البنمى به .. وادعى بحار أمريكى أن بعض رجال الجيش البنمى قد أخذوه وأرغموه على أن يركع ويتلو صلاته بينما تظاهر واحد منهم بأنه سيطلق عليه الرصاص ، لكن البحار لم يقدم دليلاً .. وقد كانت هناك حوادث إطلاق نار بجانب منشآت أمريكية لكن اتضح أنها صدرت من صيادين . واستنتج كيللى أن نورييجا كان يتجنب المواجهة بكل حرص .

* * *

وفى الخامس من أغسطس جلس عميد الجيش كارل . و . شتاينر بين كبار رجال فورت مونرو ، فرجينيا ، وهى قلعة ساحلية تاريخية بالقرب من نورفولك وبها قيادة التدريب والشئون المعنوية . فقد تحول الاحتفال بتقاعد الجنرال ثورمان إلى مجرد تسليم للقيادة حيث إنه كان سيصبح ( رئيس الأركان الجنوبى ) . ولكن شتاينر ، قائد قوة الجيش ١٨ المحمولة جواً والتى مقرها هو فورت براج ، أراد أن يكون موجوداً على أية حال . فلم يكن يحب أن تفوته فرصة الاجتماع بأصدقائه بطريقة غير رسمية كما يحدث أثناء احتفالات تسليم القيادة ، وكان ثورمان صديقاً قديماً له . وشتاينر المشدود القامة والبالغ من العمر ٥٢ عاماً ، والقادم من تينسى ، كان يتولى أحد قيادات الجيش ذات الأولوية وكان مكلفاً بالتعامل مع أى أزمة فى أى مكان من العالم خلال فترة زمنية قصيرة . وكان أى من رؤساء الأركان يمكنه طلب الواحد وأربعين ألف رجل الذين يشكلون قوته للمساعدة فى تنفيذ أية خطة أو الاستجابة إلى أى طارىء . وكانت القدرة الحديثة على النقل الجوى بواسطة سلاح الطيران ، الذى كان مستعداً لنقل الفرقة ١٨ فى زمن قليل ، تعطى رجال شتاينر نفوذاً بين معظم قوات الولايات المتحدة . فإن بإمكانهم الوصول لمكان أى أزمة أسرع من أية قوات أمريكية أخرى ، اللهم إلا إذا كان مشاة البحرية قد انتشروا بالفعل على سفن سلاح البحرية .

وقبل تعيين شتاينر كان قائداً لقوات الصفوة ( جسوك ) وهى قيادة قوات العمليات الخاصة المشتركة والفرقة ٨٢ المحمولة جواً . وربما لم يكن هناك جنرال فى جيش أمريكا لدية خبرة أكثر منه فى مجال الاستجابة الحربية السريعة .

وبعد الاحتفال تقدم ثورمان من كارل شتاينر وضغط بإصبعه برفق على صدر الجنرال ذى

الثلاث نجوم قائلا « ياكارلوس ، إنك الرجل الذى أعتمد عليه فى بنها ، إننى أعتمد عليك فى كل خططى الخاصة بنشر القوات وأى عمليات قتالية » .

ولم يبد على شتاينر أنه فهم تماماً .

واستمر ثورمان قائلا : « إننى أحتاج رجلا يخطط لتنفيذ العمليات هناك إذا كان من الضرورى أن تنفذ وأريدك أن تسافر . ورد شتاينر « لكنك بالفعل لديك قوة مهام مشتركة هناك »

وكان فورنر قد عين جنرالاً ذا نجمتين فى بنها لكى يتولى قيادة قوة المهام المشتركة التى من المقرر لها أساساً أن تستخدم القوات الموجودة هناك بالفعل بشكل دائم للتعامل مع أى أزمة وتستدعى الإمدادات عند الحاجة .

قال ثورمان « هل تستوعب ذلك ؟ إننى أضعك فى موقف المسئولية » .

ـــ « نعم يا سيدى . إننى أفهم ذلك » .

قال ثورمان « إن لدى مسرحاً للعمليات بأكمله كى أديره وسوف أقوم بكل واجبات رئيس الأركان بينما تقوم أنت بالتخطيط لتنفيذ العمليات وتدريب القوات الموجودة هناك بالإضافة إلى العمليات نفسها . إن كل أفرع الأسلحة هى تحت إمرتك » .

ولم يكن ثورمان قد قاد القوات فى الميدان منذ ١٤ عاماً . وبما أنه قد أصبح رئيسا للأركان فقد كان يعلم أنه سيكون إدارياً ومشرفاً . وكان يحتاج إلى مقاتل وكان شتاينر هو جوهر ذلك القائد المقاتل الميدانى الصلب . ويماثل ذلك فى الأهمية أن ثورمان كان يعلم أن شتاينر كقائد للفرقة ١٨ كان لديه أفضل العتاد ، وطاقم عمليات ثلاثة أضعاف حجم طاقم رئيس الأركان ، وورشة مخابرات كبيرة وأفضل اتصالات .

وتساءل ثورمان « هل فى عمرك سمعت عن « يوليسيس جرانت شارب » ؟ » كان الأدميرال شارب هو رئيس أركان القيادة ( المرتكزة فى هاواى ) للمحيط الباسفيكى . وكانت لديه السلطة العسكرية الشاملة على منطقة الباسفيكى ، بما فى ذلك فيتنام ، فى بداية الحرب عام ١٩٦٤ .

ورد شتاينر « لا . يا سيدى » .

وتساءل ثورمان ثانية « هل سمعت عن الأدميرال ماكين ؟ » .

كان جون س . ماكين هو رئيس أركان الباسفيك من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٢ .

ـــ « نعم »

ـــ « هل لاحظت أن أدميرال ماكين كان عنده شخص يسمى وست مورلاند يقاتل فى سايجون ؟ » .

ـــ « نعم يا سيدى »

قال ثورمان : « سأكون أنا ماكين وستكون أنت وست مورلاند . فلترتب نفسك لأننى لا أستطيع إعطاءك أية تعليمات . لكن فى حالة التصديق على نقلى هناك ... » .

ورد شتاينر « نعم يا سيدى »

* * *

وبدأ شتاينر بتشغيل مرؤوسيه على الفور . لم يكن شتاينر قد ذهب إلى وست بوبينت مثله فى ذلك مثل ثورمان وكيلى وباول وإنما كان حاصلا على درجة فى الزراعة من معهد تينسى الفنى .

وكان شتاينر المعروف بالإقدام والمغامرة شخصية يصعب الحكم عليها .

ففى عام ١٩٨٥ كان القائد الأرضى للعمليات الخاصة عندما اختطفت السفينة « أكيلى لاورو » . وفى سيشيل عندما ذهب فريق دلتا للقبض على المختطفين لم يعترف برفض الإيطاليين تسليم المختطفين . وكاد يطلق النار على القوات الإيطالية ، ثم تعقب ، دون تصريح من الإيطاليين ، الطائرة التى أقلت المختطفين إلى روما . وأدى هذا إلى أحتجاج شديد من الحكومة الإيطالية وسبب نكسة فى العلاقات الأمريكية الإيطالية لبعض الوقت .

وكان كيللى يؤمن بأن شتاينر هو قائد عظيم رغم أنه يفتقر إلى الذوق ويميل إلى الحديث دون تمييز . وكان يمكنه التعامل مع شتاينر طالما أنه ليس سفيراً إلى فرنسا .

* * *

وبعد أن ترك ثورمان مقر قيادته مر بفترة كان يسميها كما يقول الإنجليز « ورقة شجر الحديقة » . فلمدة خمسين يوماً حتى يتسلم القيادة من فورنر كان على ثورمان أن يظل جنرالاً بلا قيادة .

وقال ثورمان لكراو بعد أن أقيم له مكتب مؤقت فى البنتاجون « ماذا تريدنى أن أفعل فى هذه الأيام الخمسين ؟ هل لديك أوامر لى ؟ » .

قال كراو « أريدك أن تنظر للأشياء نظرة جديدة . لا نظرة قديمة . نظرة جديدة وعيون جديدة . فسوف يكون عليك التعايش مع كل ما تقترحه إذا وافقنا عليه فى هيئة الأركان المشتركة »

وقال كراو إن تيار الأحداث فى بنما يشير إلى أن نورييجا يتجه إلى حافة الهاوية . فإن سلوكه لا يمكن التنبؤ به ، والشد والجذب هو لعبة خطيرة . وقال رئيس الأركان كراو « إن نورييجا يثبت أنه غبى ولذلك فمن المحتمل جداً أنك ستحارب هناك . وإذا كان عليك أن تحارب فمن المجدى أن تتأكد من أنك مستعد للحرب » .

واقترح كراو أن يقرأ ثورمان خطط ( كتاب الصلاة ) بإمعان ويقتلها بحثاً ثم يعطر التقرير اللازم .

— «كن مستعداً »

— « نعم يا سيدى »

ذهب كراو إلى تشينى أيضاً واقترح وضع بنما فى مستوى حالة حرب . وقال كراو إن أفضل طريقة لعمل ذلك هى نقل مقر قيادة الجنوب بأكملها من بنما إلى مكان آخر مثل فلوريدا . وذلك لأن رئيس أركان الجنوب يعطى اهتماماً أقل للقوات الموجودة خارج بنما . ويمكن الإبقاء على قيادة مقاتلة داخل بنما تتولى التركيز على المشاكل الموجودة هناك .

ورد تشينى بأن ذلك سيسبب مشكلة سياسية كبيرة . فمهما كان الشكل الذى سيتم به ذلك ، ستظهر الولايات المتحدة بمظهر الهارب . لا أستطيع أن أفعل ذلك مهما كانت الفضائل التى تميز هذا الاقتراح .

* * *

وكان كيللى يشاهد وصول ثورمان من مكتبه فى نقطه ( جى — ٣ ) بقليل من التعجب وكثير من السرور وقال كيللى « إنك لا تحتاج أن تبذل مجهوداً لتعبئة ثورمان ، فهو يتعبأ فى اللحظة التى يصحو فيها من النوم ، وهى منتصف الليل » . وكان كيللى يعتقد لبعض الوقت أن فكرة الجنرال فورنر بإبقاء قوة المهام المشتركة المقاتلة فى بنما هى فكرة بيزنطية . فليس لدى القيادة الجنوبية الطاقة ولا الأفراد ولا الاتصالات لإدارة أى عملية حربية كبيرة . وظن كيللى أن فورنر قد أبقى على سيطرة العمليات فى بنما حتى يكون لديه فرصة أفضل لمنع استخدام أمريكا للقوة العسكرية هناك . وشرح كيللى كل ذلك لثورمان عندما جاء إلى مكتبه كرئيس لأركان الجنوب . واتضح لكيللى أنه كان يضيع وقته لأن ثورمان قال إنه قد قرر بالفعل الطريقة التى يتولى بها أمر هذا الموضوع .

وسأل كيللى : « شتاينر ؟ »

— « طبعاً »

وقال كيللى لنفسه إن هذا تحرك يتسم بالحكمة .

وأدرك الرجلان أن أمر بوش بإجراء التدريبات التى تؤكد حقوق اتفاقية القناة يمكن أن تتسبب فى حدوث شىء فى أى ثانية .

كان ثورمان يريد أن يعلم المزيد عن خطط ( كتاب الصلاة ) وما يستطيع الجنرال شتاينر أن يفعله فى الحقيقة . وذهب إلى فورت براج .

لم يكن شتاينر موجوداً ولكن ثورمان نجح فى أن يجعل فورنر يرسل بعض المخططين العسكريين من القيادة الجنوبية فى بنما إلى فورت براج . وعلى مدى ثمانى ساعات شرحوا له الأهداف التى

سيتم ضربها ، والمخابرات ، وسياق الأحداث .

وبهت ثورمان . كانت الخطط مبنية على أساس القوة الموجودة وكانت الإمدادات ، فى حالة حدوث تدهور للعمليات ، يتوقع أن تصل فى خمسة أيام ! وهذا يضمن أن تأمين العمليات سوف ينسف . فسوف يعلم نورييجا بالطبع أن الأمريكيين قادمون . كانت الخطط تتعارض مع اثنتين من الضروريات الأساسية للحرب وهما : المفاجأة والسرعة .

ولكن البناء للعمليات الذى يستغرق خمسة أيام كان متعمداً ـــ وكان جزءا من خطة فورنر الاستراتيجية . كان فورنر يشعر أنه إذا رأت قيادة الجيش البنمى أن الولايات المتحدة تحشد قواتها للهجوم أو تتحرك بقوة غزو ، فقد كانت هناك فرصة ٥٠ إلى ٥٠ أنهم سيطيحون بنورييجا بطريقتهم .

وحتى إذا كان ذلك صحيحاً فإن نسبة ٥٠ إلى ٥٠ لم تكن جيدة بما فيه الكفاية لثورمان .

# □ ٩ □

رأى كولين باول حياته وهى تتغير أثناء الشهور التى ترك خلالها البيت الأبيض . فبعد أن عاش لمدة عامين فى قلب عاصفة السياسة ، صار يطفو فوق مياه هادئة ، لا تعكر صفوها الأحداث ، فى قيادة القوات فى أطلانطا . ذلك أن باول عندما سلم وظيفة مستشار الأمن القومى إلى خليفته ، برنت سكوكروفت ، اتبع تقليداً عسكرياً قديماً هو أن الضابط الذى يعفى من وظيفته يؤدى التحية العسكرية ويغادر الثكنة ولا يتصل بها مرة أخرى أبداً . ولذا لم يحادث باول سكوكروفت منذ ذلك الحين .

كانت هناك بين الحين والحين أشياء تذكره بأنه غير منسى . ففى نهاية مارس عام ١٩٨٩ تلقى كلمة من بوش مكتوبة على أحد كروت الملاحظات الخاصة به . وكانت تبدأ بكلمة إلى « كولين » وكانت الورقة عبارة عن تهنئة فى سطر واحد لباول على تعليقه « النجمة الرابعة اللامعة » . هكذا كانت طبيعة بوش : أن يتذكر حدث شخص هام فى حياة الآخرين ، مثل الوصول إلى أعلى رتبة فى الجيش ، ويكتب لهم سطرا أو سطرين على عجل . واحتفظ باول بالورقة ليضمها إلى الكتيب الذى يجمع فيه القصاصات .

كان باول يقضى وقته فى ذرع البلاد جيئة وذهاباً زائراً للوحدات المختلفة التابعة « لقيادة القوات » وهى هيئة تشبه المظلة وينضوى تحت لوائها الاحتياطى الاستراتيجى للجيش بأكمله ويبلغ تعداده مليون فرد سواء فى الخدمة الفعلية أو على الاحتياط أو قوات الحرس الوطنى .

وذهل باول لأن العمل فى هذه الوحدات كان يجرى على نفس الوتيرة كأن شيئاً لم يتغير . كانت الشيوعية تنهار فى أوروبا الشرقية . وعلى الرغم من ذلك كانت ثلاجات الجيش لا زالت تصنع الثلج من أجل الحرب الباردة . وعندما تستمع إلى القادة والضباط والأفراد يتحدثون وتشاهدهم يعملون يخيل لك أن الخطر السوفييتى لم يتزحزح قيد أنملة . كان التخطيط والتدريب ما زالا يركزان على السيناريو الضخم الخاص بالحرب العالمية الثانية ومئات الآلاف من الجنود الأمريكيين يتدفقون لتدعيم أوروبا والذود عنها ضد غزو سوفيتى واسع النطاق .

كان باول يعلم أن موضوع التغيير فى الاتحاد السوفيتى هو مسألة يدلى كل واحد فى الإدارة

فيها بدلوه كما شاء . فقد تنبأ تشينى علانية « بفشل جورباتشوف المطلق » واحتمال استبداله بزعيم أكثر معاداة للغرب . واختلف معه البيت الأبيض فى ذلك صراحة . وفيما يخص باول فقد كان يعتقد أن حلف وارسو فى خطر ، فقد كان تحالفاً غير مقدس ولم يكن الجيش السوفييتى سوى قوة احتلال . أما الاتحاد السوفييتى نفسه فقد تغير بما يفوق التصور . وفى كلمة ألقاها باول فى ربيع ذلك العام لمجموعة من الضباط الشبان قال أنه لن « يراهن على » أن خليفة جورباتشوف سيتحرك ليهدد الغرب . وقال باول « إن الدب يبدو حميداً ، فإذا نحن فتحنا باب العضوية فى حلف الأطلنطى صباح الغد فسوف تأتينا طلبات عديدة خلال أسبوع من بولندا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، ويوغوسلافيا ، وربما من إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وربما حتى من أوكرانيا » .

وقال باول لبعض من أصدقائه المقربين وزملائه إنه قد أقدم على مخاطرة كبيرة فى ذلك الخطاب وخاصة فى معارضته لتشينى . كان باول معتاداً على أن يتم تمشيط بياناته العلنية بحثاً عن المعانى الخفية والآن قال أنه يتوقع الكثير من اللغط بسبب ما قال . لكن البيان لم يسبب دوامة من ردود الفعل كما توقع . ورأى باول أنه لأول مرة منذ سنوات لا تشكل كلماته أى أهمية . كان فى ذلك إقلال من شأنه ولكنه أيضاً كان فيه تحرير له .

وفى يوم السبت ٦ أغسطس وصل باول إلى بلمونت هاوس ، وهو ضيعة فى ضواحى بالتيمور تم تحويلها إلى مركز للمؤتمرات ، ليحضر اجتماعاً على مدى ثلاثة أيام لكبار جنرالات الجيش يدعو إليه الجنرال فونو سنوياً . وفى صباح اليوم التالى قرأ باول ببعض الانزعاج خبراً فى جريدة النيويورك تايمز عنوانه « التدافع بالمناكب لخلافة رئيس هيئة الأركان المشتركة » . وكان الخبر مصحوبا بصور لباول والجنرال روبرت هيريس ، نائب رئيس هيئة الأركان على أنهما على رأس المرشحين للمنصب . وقال الخبر إن « الجنرال باول كان على اتصال بالسيد تشينى من خلال عدة خطابات » . وكان المعنى الضمنى لذلك واضحاً وهو أن باول كان يقوم بحملة لاختياره للمنصب .

كان باول قد كتب خطاباً واحداً فقط إلى تشينى وكان عبارة عن تقرير ربع سنوى روتينى لوزير الدفاع مطلوب تقديمه من رؤساء الأركان العشرة . وكان من الواضح أن بعض المسئولين أرادوا أن يعطوا الانطباع بأن باول كان يغازل تشينى خارج القنوات الرسمية . لكن باول لم يكن يحاول عمل لوبى لنفسه بل ولم يكن يشجع أى أحد على مساعدته أيضاً ، على الرغم من علمه بأن فرانك كارلوتشى كان يروج له عند تشينى وعند كل من فى واشنطن بصفته المرشح المثالى للمنصب .

وكان تقييم باول الشخصى للموقف هو أن هيريس هو الفائز لأنه كان يتمتع بتأييد الأدميرال

كراو . والأكثر من ذلك أن باول كان يفترض أن سكوكروفت لن يستريح مع مستشار الأمن القومى السابق وهو يأتى له كرئيس الأركان وربما يعقب على آرائه أيضاً . ولم يكن باول متأكداً أن تشينى يجنده . فقد عمل الاثنان سوياً فى عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ أثناء مناقشات الكونجرس المتنوعة بخصوص تدعيم الكونترا فى نيكاراجوا وهى قضية تشينى المفضلة . وأخيراً حسم الأمر باول أثناء تمثيله للبيت الأبيض فى عهد ريجان قائلا إن الكونترا ليست لهم أهمية عسكرية كما أنهم قد توصلوا لاتفاق مع الديمقراطيين ، ومن هنا ظن باول أن تشينى اعتقد أنه ليس راسخ العقيدة . لقد كانت الكونترا بالنسبة لليمينيين من أمثال تشينى هى اختبار عباد الشمس ، وتخيل باول أنه قد رسب فى ذلك الاختبار .

ولأن باول قد اشترك فى اختيار عشرات الناس للوظائف المدنية والعسكرية العليا ، بما فى ذلك الثلاث رؤساء السابقين لهيئة الأركان فقد كان يعلم أن عملية الاختيار لا تتم على أساس علمى . وعندما كان يحضر اجتماعات فى مكتب الوزير أو فى البيت الأبيض بخصوص وظيفة عليا يذكر أحد الحاضرين حقيقة واحدة عن أحد المرشحين ــ قائلا مثلاً إنه « شخص جيد » أو أنه يتمتع بتأييد شخصية هامة ــ كانت المجموعة كلها تعتبر هذا أساساً لاختياره . وغالباً لم يكن هناك شىء يسمى البحث عن المواهب أثناء عملية الاختيار .

وبما أن باول لم يكن قد سمع شيئاً من تشينى نفسه أو من معارفه العديدين فى واشنطن ، الذين لم ينبسوا ببنت شفة ، فقد استنتج أن الأمر قد انتهى .

* * *

وحتى من قبل التصديق على تشينى كوزير دفاع فلم يكن يفكر فى باول كرئيس للأركان . فإن رئيس الأركان سوف يكون اللاعب الخامس فى فريق بوش للأمن القومى الذى يتكون من بوش وبيكر وسكوكروفت وتشينى . وكان يجب عليهم اختيار الرجل الصحيح .

ولقد تحدث تشينى مطولاً مع فرانك كارلوتشى ، أكبر المؤيدين لباول ، والذى كان يقول إن باول هو واحد من أفضل حلالى المشاكل فى واشنطن . ومهما كانت المهمة الملقاة على عاتق باول كبيرة أو صغيرة أو روتينية أو غير عادية فإن باول كان يقوم بها مباشرة محرزاً نتائج دون ضجة . ولمدة الست سنوات السابقة التى عمل فيها مساعداً عسكرياً لواينبرجر ، ونائباً لكارلوتشى فى مجلس الأمن القومى ومستشاراً للأمن القومى لريجان ، فإنه لم يرتكب خطأ كبيراً واحداً . ولم يكن أحد يزيد عنه علماً بقضايا السياسة الخارجية والدفاع والشئون العسكرية . وكانت لباول آراء قوية يدافع عنها ، كما قال كارلوتشى ، لكنه كان يعلم متى يصدع للأوامر ويجارى رئيسه . وقال كارلوتشى أيضاً إن باول لا يمل ولا يكل ولا يفقد حماسه . كما أن لدية قدرة ملحوظة

على التحمل ويستطيع إنجاز كم هائل من العمل .

وكان تشينى ، مثل كل الناس تقريبا ، يرى أن باول جذابا ومحبوب . وكان يتذكر مفاوضات باول مع الديمقراطيين أثناء مناقشة مساعدات الكونترا . وعلى الرغم من أن تشينى لم يتفق معه ، إلا أنه كان يشعر أنه ينفذ رغبات ريجان ، ولا يتحدث بالأصالة عن نفسه . والآن كان يريد أن يعرف المزيد عن باول بنفسه ، وأن يتأكد أن باول سيقوى مركزه فى البيت الأبيض ، وعند العسكريين ذوى الزى الرسمى وفى مبنى البنتاجون .

كان تشينى يعتقد أن ملء الوظائف العليا هو أهم واجباته . فقد كانت إحدى المشاكل فى البنتاجون هى كثرة الأشخاص على كل المستويات الذين يحاولون أداء أعمال الآخرين . فغالبا ما كان المرء يجد العسكريين وهم يؤدون وظائف المدنيين وبالعكس . ولم يكن تشينى يريد رئيساً لهيئة الأركان يحاول أن يكون وزيراً للدفاع . وبالنظر إلى خلفية باول اللامعة فى مكتب واينبرجر وفى البيت الأبيض فى عهد ريجان فقد كان ميالاً لتعيينه .

ورتب تشينى زيارة سريعة مفاجئة فى الصيف لباول فى قاعدة فورت مكجفرسون ، جورجيا ، وهى مقر قيادة القوات . وكان أحد الأسئلة التى تدور فى ذهنه هو إذا ما كان باول عرضة لما يسميه تشينى « أعراض هيج » . ففى عام ١٩٦٩ ذهب الكولونيل ألكسندر هيج ليعمل لدى هنرى كيسنجر فى البيت الأبيض وقضى أربعة أعوام فى البيت الأبيض ثم عاد إلى البنتاجون برتبة جنرال ذى أربع نجوم كنائب لرئيس هيئة الأركان . وكان تقدم هيج السريع بفضل رعاية كيسنجر والرئيس نيكسون له غير مقبول بصورة جيدة على الإطلاق فى الجيش أو فى مبنى البنتاجون . كان هيج يعتبر صلته بالبيت الأبيض وسام شرف على صدره مما أعطى انطباعاً قوياً بأن رأسه قد امتلأ بحب السلطة .

وأجرى تشينى قياساً على خبرته الشخصية كرئيس سابق لموظفى البيت الأبيض ثم كعضو جديد بالكونجرس . وكان الكثيرون يرون أن هذا نزول عن مركزه لكنه لم ينظر إلى ذلك بهذه الطريقة أبداً . كان مستريحاً كعضو جديد وكان يحاول أن يجعل كل من فى المجلس يعلمون أنه لم يكن يفتقد ماضيه فى البيت الأبيض وأن ذلك الماضى لا يجعله شخصاً أكثر أهمية . وكان يريد أن يتأكد أن باول كان راضياً بنفس القدر عن نصيبه فى الحياة وأنه ليس مستشاراً رئاسياً سابقاً ناقماً ومتلهفاً للعودة للطريق السريع .

وفى أطلانطا قدم له باول شرحاً مستفيضاً أظهر أنه كان مستغرقاً تماماً فى عمله الحالى . وأن مرؤوسيه يحبونه . وكان يبدو أنه يرعى وظيفته كرئيس لأركان قيادة القوات ، فيقضى وقتاً مع الأفراد ويفكر فى الحرس الوطنى والاحتياط . وناقش الاثنان على الغذاء فى مقر إقامة باول الرسمى

مستقبل الجيش وفلسفتهما الشاملة فى الدفاع .

وبينما كان تشينى ينظر ويستمع ، أدرك أن باول سعيد برجوعه للجيش وأنه لم يكن يعانى من الآثار السيئة لمغادرة واشنطن ، مثل حب الاستطلاع المرضى عن لعبة القوة فى الإدارة . ولم يناقشا منصب رئيس هيئة الأركان .

* * *

لم يكن تشينى قد استقر رأيه على باول بشكل نهائى . وبينما كان يقلب الأمر فى رأسه كان يزن عيوب باول . كان أحد هذه العيوب هو أن باول لم يكن فقط أصغر رئيس أركان سلاح وإنما كان أيضاً أصغر من يحملون أربعة نجوم . وحتى إن لم يكن باول مصابا « بأعراض هيج » فقد كان تشينى يعلم أنه ستكون هناك بعض المعارضة من العسكريين لاختياره رجلاً كانت وظائفه العليا السابقة هى مهام سياسية . وبسبب هذه الفكرة فقد أمعن تشينى النظر فى بوب هيريس نائب رئيس هيئة الأركان كمرشح محتمل . لكن كراو كان قد رشح هيريس ، وبصرف النظر عن كل شيء ، فإن تشينى لم تعجبه فكرة أن يختار كراو خليفته . إن السيطرة المدنية سوف تتدعم إذا اختار القادة المدنيون ــ الرئيس ووزير الدفاع ــ رئيس هيئة الأركان الذى يريدونه .

وأخيراً اتخذ تشينى قراره فى صالح باول . ولم يخبر أحداً بذلك حتى أوائل أغسطس عندما ذهب سراً إلى البيت الأبيض وتحدث إلى الرئيس . وكان الهدف من ذلك هو تهدئة الأمور وتجنب صراع كبير داخل الإدارة على منصب رئيس هيئة الأركان . ولم يكن تشينى يريد سكوكروفت أو بيكر أو سنونو أن يرشحوا له اسماء أخرى . وقال لبوش إنه قد تفحص كل المرشحين وهم : رؤساء الأركان العشرة ، ورؤساء الأسلحة الأربعة ونائب رئيس هيئة الأركان . وقال إن كلا من باول وهيريس كان على رأس القائمة ، وإنه يرشح باول .

كان بوش أيضاً معجباً بباول ولكنه أراد أن يتأكد من أن ترقية الرجل ، الذى كان يحمل ثلاث نجوم منذ ستة أشهر فقط ، لا تسيء إلى العسكريين فى المناصب العليا حيث تؤخذ مسألة الأقدمية بجدية بالغة . وطلب الرئيس من تشينى أن يتحدث إلى باول فى هذا الشأن بالتحديد .

وفى اليوم الثالث لمؤتمر قادة الجيش ، فى بلمونت هاوس كان باول يحضر اجتماعاً فى حوالى الثانية بعد الظهر عندما تسلم رسالة تطلب منه أن يتصل بوزير الدفاع . وفى الخامسة بعد الظهر كان باول ، مرتدياً ملابس مدنية عادية ، جالساً فى مكتب تشينى .

ودخل الوزير فى الموضوع مباشرة قائلا لباول إنه من أول المرشحين لرئاسة هيئة الأركان . وشرح تشينى ــ ملمحاً لصلة باول بواينبرجر وكارلوتشى ، وزيرى الدفاع فى عهد ريجان ــ أن هذا نظام حكم جديد ، وأنه نوع مختلف من الوزراء . وأن أحد سماته المميزة هى زيادة سيطرة

المدنيين فى البنتاجون .

ولم يجادل باول ولذا فقد طرح تشينى السؤال : هل أنت مهتم بمنصب رئيس هيئة الأركان ؟ هل هذا منصب تريده ؟ رد باول بالإيجاب ولكنه أضاف « إننى لست أبحث عن هذا العمل . إننى سعيد حيث أنا . إذا وقع اختيارك على شخص آخر من قائمة المرشحين فلن أتضايق إطلاقا . ولكن إذا كنت أنت ورئيس الجمهورية تريدانى ، فسأؤدى العمل » .

وبدأ تشينى يعدد لباول مؤهلاته لشغل هذا المنصب : (١) أنت تعرف مبنى البنتاجون (٢) أنت تعرف البيت الأبيض (٣) لقد قمت بما يجب عليك فى الجيش ولديك ما يثبت ذلك (٤) أنت تعرف عن الحد من السلاح وهو موضوع ستكون له أهمية فى السنوات القادمة (٥) إننى أعرفك وعملت معك بصورة جيدة عندما كنت أنا فى قيادة مجلس النواب .

وكانت المشكلة أن باول هو أصغر المؤهلين لهذا المنصب من ذوى الأربع نجوم . سأله تشينى مباشرة : هل سيسبب لك القفز من فوق رؤوس كل هؤلاء الضباط الكبار مشاكل ؟

وكان عند باول الانطباع أن السؤال جاء من الرئيس . ورد بأن هذا سؤال عادل ولكنه يعتقد أنه لن تكون لديه مشكلة فى التعامل مع رؤساء الأركان . فقد كان يعرف معظمهم جيداً وقد عمل معهم . وقال إنه بالفعل قد قيم المسألة وإذا كان يرى أنها ستكون مشكلة مستعصية على الحل فسوف يقول ذلك .

ووافقه تشينى وقال إنه يريده فى ذلك المنصب « سوف يكون هذا هو اقتراحى على الرئيس » .

وغادر باول البنتاجون وهو يشعر أن الصفقة قد تمت . فإن تشينى لم يكن يضع نفسه فى موقف يقول فيه إنه سيطرح اسم باول على الرئيس إذا كان هناك احتمال أن يضطر للعودة قائلا له إن الرئيس قد رفض . لابد أنه قد سوى مسألة الاختيار مع القائد الأعلى للقوات المسلحة قبل أن يتحدث إليه .

وذهب تشينى إلى البيت الأبيض وأبلغ بوش بإجابات باول . وصدق بوش على اختياره .

واتصل تشينى بباول فى اليوم التالى ٩ أغسطس ليقول إنه تحدث مع الرئيس وإن كليهما يريدان باول لرئاسة هيئة الأركان . وهكذا عرض عليه تشينى المنصب رسمياً وقبله باول .

وكانت أول اتصالات باول التليفونية هى مع فونو ، رئيس الجيش . وكان الاثنان قد اتفقا مسبقاً على أن يتبادلا المعلومات إذا سمعا إشاعة عن مناقشه بخصوص رئيس هيئة الأركان القادم .

قال له باول « لقد اتفقنا أنا وأنت على أننى سأتصل بك وها أنا أتصل بك » .

كان فونو الذى ظل أعلى منصباً من باول طول الواحد والثلاثين عاماً الماضية قد أصبح الآن أقل منصباً .

قال له فونو مباركاً « إن رؤساء الأركان سيؤيدونك ولكن الشيء الذى يريدون معرفته هو ما الذى يحدث . إذا كنت سترتكب خطأ فليكن ذلك الخطأ هو إحاطة رؤساء الأركان علماً أكثر مما يجب » . وقال لباول أن عمله كرئيس لهيئة الأركان سيكون هو توصيل البضائع من رؤساء الأركان عبر النهر إلى البيت الأبيض ، وسوف يعتمدون عليه فى ذلك لأنهم لا يحضرون الاجتماعات الشديدة الأهمية لمجلس الأمن القومى .

وفيما بعد ، فى ذلك اليوم ، ذهب تشينى إلى غرفة رؤساء الأركان وأبلغهم . وتسربت الأنباء على الفور داخل المبنى وإلى وسائل الإعلام .

واتصل كراو بباول فى أطلانطا ليهنئه . وحيث كان باول سيصل إلى واشنطن فى اليوم التالى لإعلان توليه منصبه رسمياً فقد دعاه كراو على العشاء هو وزوجته « إلما » .

أربعون يوما كانت أمام باول قبل أن تبدأ جلسات الاستماع بمجلس الشيوخ للتصديق على ترشيحه . وقرر باول أنه لا يحتاج إلى أن يعتكف لكى يدرس كيف سيتعامل مع منصبه الجديد . لم تكن لديه خطة للتغيير ولم يكن يريد أن يقحم أفكاراً جديدة . كان ما يريد هو أن يفحص العمليات العسكرية الرئيسية التى يمكن أن تنفذ بعد توليه لمنصبه .

كان يتوقع أن هناك عدة أزمات يمكن أن تظهر فجأة سواء بتحذير مسبق أو دون إنذار ، ولذا فقد أراد أن يتأكد أن هناك خططا عسكرية على الرف للتعامل معها . كانت الخطط هى بضاعته المخزونة فى عمله الجديد . وكان باول يعلم أن صورته بين بعض كبار الضباط هى صورة جنرال واشنطن المدلل الذى لم يمر سوى بترقيات سياسية سريعة . وكانوا سيطالبون بمعرفة ما إذا كان هذا الصبى من البيت الأبيض يعلم أى شيء عن تفاصيل العمل العسكرى الميدانى .

ولعلمه بأن بنما كانت أزمة على وشك الانفجار فقد طار إلى فورت براج ليدرس خطط بنما . وبينما كان هناك هبت عاصفة مفزعة جعلته يبقى فى فورت براج لمدة يومين . وانتهز كارل شتاينر فرصة هذا التأخير ليشرح لباول بالتفصيل المكثف أن الفرقة ١٨ كانت قادرة على أن تقوم بإمداد قوات جاهزة خلال ١٢ ساعة إذا دعت الحاجة لذلك فى أى جزء من العالم .

وراجعا سوياً خطط ( كتاب الصلاة ) الخاصة ببنما بما فى ذلك عملية ( الملعقة الزرقاء ) الهجومية ضد الجيش البنمى . واندهش باول لكثرة عدد الأيام التى يحتاجها تصعيد بناء القوات . فقد يتغير مصير المعركة خلال يوم واحد أو حتى عدة ساعات . ولم تأخذ الخطط ذلك فى الاعتبار . وأوضح باول لشتاينر أن الفرقة ١٨ يجب أن يكون لها القدرة على التحرك بنفس سرعة الأحداث . لقد كان الجيش الجديد الأكثر خفة قادراً على ذلك ولكن الخطط الموضوعة لم تكن تستغل هذه القدرة . كان يجب أن تتحرك الأمور بشكل أسرع وأسرع .

لم تكن الخطط توفر إمكانية المفاجأة ولا غزواً يتم تحت جنح الظلام . كانت أجهزة الرؤية الليلية والتكنولوجيا الأخرى توفر لأمريكا قدرة لا تنافس على شن هجوم ليلى كبير تضرب فيه أهدافا متعددة فى وقت واحد . إن العمليات الليلية هى الميزة العظمى للجيوش الحديثة . وسأل

باول : أين كل هذا ؟

ولم يكن متلهفاً على تغيير الخطط بين يوم وليلة ولكنه رأى أنه من الواجب مراجعتها ودراستها بالتفصيل . كان يجب أن يدرسوا إمكانية إيجاد مفهوم يؤكد عنصر المفاجأة والسرعة والهجوم الليلى .

وفى الحال جعل شتاينر خمسة من أفضل ضباطه فى بنما ليعيدوا العمل فى الخطط . وزودهم بوسيلة اتصال عن طريق القمر الصناعى حتى يستطيع التحدث إليهم الغلم فوراً بأى تحسين يدخلونه على الخطة .

* * *

وفى النصف الثانى من أغسطس تلقى تشينى معلومات من المخابرات ومكتب التحقيقات الفيدرالى تشير إلى أن لورد المخدرات فى كولومبيا ، بابلو إسكوبار جافيريا ، البليونير الذى يرأس جماعات ترويج المخدرات ، موجود فى بنما وربما كان يخطط لنقل قاعدة عملياته إلى هناك . وكان إسكوبار الذى وضعته مجلة « فورشن » فى قائمة أغنى عشرة رجال فى العالم كان الرئيس المطلق لصناعة المخدرات الممنوعة فى العالم قاطبة . وطبقاً للمخابرات ، كان من الواضح أنه كان يعتقد أن نورييجا سيضمن له حماية أكثر مما يجد فى كولومبيا حيث بدأ المسئولون يتحركون بجدية أكثر فى تعقب لوردات المخدرات . كانت هذه معلومات جيدة بالنسبة لتشينى وكانت عن أشياء لا تجيد المخابرات عادة العمل فيها .

وكانت الإدارة على وشك أن تعلن خطة شاملة للحرب على المخدرات وكان الرئيس سيقوم بإلقاء خطاب على الأمة بخصوص هذا الموضوع فى مساء يوم ٥ سبتمبر . وأحس تشينى بضغط عليه ليقوم بعمل شىء للمساعدة فى هذه المشكلة . فقد كان يحس بإحباط بوش يبلغ مداه .

وكانت إحدى العلامات الدالة على أن الإدارة كانت جادة فى مهاجمة المخدرات هى تقرير جديد شامل فى ٢٩ صفحة صادر فى ٢١ يونيو ، تبدى فيها وزارة العدل رأيها القانونى الذى ينص على أن لرئيس الجمهورية سلطة شرعية لأن يأمر المباحث الفيدرالية باختطاف هارب من العدالة يقيم فى بلد أجنبى . ويمكن لهذا أن يتم حتى لو كان الاعتقال مخالفاً للقانون الدولى الجارى العمل به ، طبقاً لهذا الرأى القانونى الذى يبطل رأياً أبدى عام ١٩٨٠ أثناء إدارة كارتر ، ينص على العكس تماماً ، وهو أن مكتب التحقيقات الفيدرالى لا يمكنه أن يطبق قوانين الولايات المتحدة خارج البلاد .

وكان الرأى الجديد يمكن أن ينطبق على نورييجا وإسكوبار .

وكان تقرير المباحث الفيدرالية عن مكان وجود اسكوبار يبدو وكأنه مخرج كانت هناك حاجة

ماسة إليه . وسأل تشينى كراو إذا كانت هيئة الأركان تستطيع المشاركة فى عمل شيء يساعد فى المجهود المبذول لاعتقال إسكوبار . فعلى الرغم من أن العسكريين لايستطيعون القيام بضبط المجرمين إلا أن تشينى كان يشعر أن قواته يمكنها تقديم مساعدة جوهرية .

وصدق رئيس الجمهورية على مشروع خطة قدمها تشينى والمحامى العام ، ريتشارد ثورنبرج ، لاعتقال إسكوبار . وكانت المرحلة الأولى من الخطة هى وضع « عيون » على الأرض للقيام بعمل استطلاع تكتيكى للمكان الذى يختفى فيه إسكوبار طبقاً لمعلومات المباحث الفيدرالية . وهناك وحدة عمليات خاصة موجودة فى بنما فعلاً ويمكنها القيام بذلك . كما يمكنها تأكيد معلومات المباحث الفيدرالية وهكذا يمكن خطف إسكوبار سريعاً . وسوف تقوم العسكرية بعمل المخابرات ، والاتصالات وإسباغ الحماية ولكن الذى سيقوم بالاعتقال هم أفراد المباحث الفيدرالية أو وكالة مكافحة المخدرات المصاحبين للفريق .

وكانت هناك ثلاثة آراء فى صف العملية . أولا ، أن القبض على إسكوبار هو غنيمة ضخمة فى حرب المخدرات وسوف يؤكد أنه لا ملجأ لتجار المخدرات وخاصة فى بنما . ثانيا ، أنه سيصيب نورييجا بالهلع إذ سيفترض أن الدور عليه فى المرة القادمة . وثالثا ، كان كتبة الخطب فى البيت الأبيض يبحثون عن أمثله ملموسة للنجاح فى حرب المخدرات كى يضمنوها خطبة الرئيس القادمة وكان القبض على إسكوبار يضرب مثلاً مذهلاً .

وفى النهاية لم تنفذ العملية ، فإن المباحث الفيدرالية لم تكن على اتصال منتظم بالمرشد الذى قدم لهم المعلومات غير المحددة عن مكان وجود إسكوبار المزعوم . وذهبت وحدة القوات الخاصة للبحث عن المنزل ولكنهم لم يعثروا عليه وكان هناك أيضا دليل على أن التقرير الخاص بوجود إسكوبار فى بنما هو تقرير مصنوع كجزء من عملية وخز تقوم بها المباحث الفيدرالية ضد مهربى المخدرات الآخرين .

وأكتأب تشينى لأنه لم يستطع توفير معلومات أكثر دقة . وأمر هيئة الأركان بزيادة قدراتهم المخابراتية .

* * *

ولأن القبض على إسكوبار لم يتم تنفيذه فقد كانت هناك مساحة خالية فى خطاب الرئيس القادم عن حرب المخدرات . ولكى تملأ هذه المساحة قام مساعدو الرئيس بجعل وكالة مكافحة المخدرات تستدرج أحد المشتبه فيهم كتجار للمخدرات إلى حديقة لافاييت بارك أمام البيت الأبيض لعقد صفقة لبيع « الكراك » على عتبة دار الرئيس . وقال رئيس الجمهورية للأمة وهو ممسك بكيس محرز ممتلىء بالكراك أمام الكاميرا فى ٥ سبتمبر « هذا هو كوكايين من نوع « كراك » تم ضبطه

منذ عدة أيام بواسطة رجال مكافحة المخدرات فى حديقة مقابلة للبيت الأبيض . وكان يمكن أن يكون ذلك هيروين أو نوعا أشد خطورة . إن له شكلاً بريئا كالحلوى لكنه يحاول مدننا إلى ميادين قتال ويقتل أطفالنا » .

وكشف صحيفة الواشنطن بوست على الفور أن صفقة البيع كانت ملفقة وهو كشف يحرج الإدارة . وأدت كل الدعاية عن المخدرات إلى تركيز الضوء على نورييجا كرمز للعجز الأمريكى فى وجه المخدرات غير المشروعة .

وأثناء رحلة فورنر الأخيرة إلى واشنطن قبل أن يترك منصبه القيادى قام بزيارة وزارة الخارجية للتحدث مع لورانس إيجبلبرجر ، نائب الوزير . واشترك فى الحديث المساعد الجديد لشئون القارة الأمريكية ، آرونسون ، وذكر احتمال الحل العسكرى فى بنما .

وقال إيجبلبرجر بثقة تنبع من خبرة ثلاثين عاماً فى وزارة الخارجية « إننا لن نغزو بنما أبداً » .

وبعد مقابلة فى البيت الأبيض تمت فى سبتمبر قال كراو لكبار أعضاء هيئة الأركان « إننى لا أعلم ما الذى سيحدث ، ولا أعلم ما الذى سيعجل بحدوثه ، ولكننى مقتنع بأننا سنضطر إلى التدخل عسكرياً فى بنما لحسم الموقف وأننا نحتاج لأن نكون مستعدين لعمل ذلك .

* * *

وفى صباح أحد أيام الثلاثاء الممطرة ، فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٩ ، ذهب باول إلى مبنى الكابيتول هيل لحضور جلسة التصديق على ترشيحه من قبل لجنة الخدمة العسكرية بمجلس الشيوخ . وكان قد رتب فى ذهنه بعض أهداف الجلسة . أولاً كان يريد أن يبلغ اللجنة أنه يدرك أن العالم يتغير . وثانياً أراد أن يقول أنه ، بالرغم من هذه التغيرات ، لا يريد أن يتجاهل صراخ العسكريين بسبب تخفيض الميزانية . وثالثا أنه لا يريد الحديث ضد الأدميرال كراو . كان يريد جلسة لا ينتج عنها خبر .

وفى نهاية الجلسة الهادئة قال السيناتور نون لباول « إن الوزير واينبرجر قد أرسى معايير معينة لاستخدام القوات المسلحة الأمريكية فى الخارج » .

وابتسم باول نصف ابتسامة . فقد كان يتذكر جيداً ربيع عام ١٩٨٤ عندما كان يعمل مساعداً عسكرياً للوزير الذى كتب مسودة خطاب تحتوى على ست محكات لاستخدام القوة العسكرية . وبمجرد أن تم توزيعها للتصديق عليها من الإدارة تسببت فى معارك دامية . كان كل رؤساء الأركان باستثناء رئيس هيئة الأركان الجنرال جون و. فيسى جى آر ، معارضين لها . وقام روبرت مكفرلين ، مستشار ريجان للأمن القومى ، بتأجيل الخطاب إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية فى الخريف .

وفى النهاية ، كما هى العادة ، نفذ واينبرجر ما يريد ، فقد ألقى الخطاب فى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ أمام نادى الصحافة القومى . وكان يشعر أن ذلك من أهم مظاهر تثبيت سلطته . وكانت المحكات الست هى : (١) « أن الولايات المتحدة لا يجب أن تأمر قواتها بالقتال خارج البلاد إلا إذا كانت القضية هى بالتأكيد حيوية لمصالحنا القومية » . ، (٢) إن أمر القتال فى الخارج يجب أن يصدر « عن نية واضحة على النصر » . (٣) أن ذلك يجب أن ينفذ من خلال « أهداف سياسية وعسكرية محددة بوضوح » (٤) « يجب أن تتم إعادة التقييم والتعديل بشكل دائم عند الضرورة » (٥) « يجب أن يتوفر لذلك تأييد الشعب الأمريكى ونوابه فى الكونجرس » . ، ثم (٦) « يجب أن تكون هذه الخطوة هى الملاذ الأخير » .

وكان باول يعلم أن الخطاب كان جزءاً من صراع العمالقة بين واينبرجر ووزير الخارجية جورج شولتز . فقد كانت وزارة الخارجية تطالب فى أحيان كثيرة بحلول عسكرية لمشاكلها بينما كان واينبرجر والعسكريون ، الذين اضطروا فعلاً لاستخدام القوة ، يلتزمون جانب الحرص .

وفى رأى باول كانت هذه قواعد جيدة ولكنه لم يكن متأكداً من أنها يجب أن تعلن . فهذا الإعلان يعطيها جموداً كالصخر ، حتى إذا استخدمت أمريكا القوة يظهر أحد الأشخاص معترضاً وقائلاً : مهلاً إنكم أغفلتم واحدة من القواعد .

وسأل نون باول « هل تعتقد ، كما قال بعض المدعوين بالخبراء ، أن هيئة الأركان تحت قواعد واينبرجر هى غير راغبة فى استخدام القوة العسكرية فى الخارج فى بعض حالات الطوارىء ؟ »

وأجاب باول « إن خبرتى من خلال الأعوام الماضية هى أن هيئة الأركان المشتركة هى مستعدة تماماً للاقتراح على الرئيس استخدام القوة العسكرية فى بعض المواقف » . وضرب مثلاً على ذلك بمهمة مرافقة الناقلات الكويتية فى الخليج العربى ، وضرب ليبيا ، وغزو جريناد عام ١٩٨٣ .

واستمر باول قائلا « لذا فليس هناك تردد فى استخدام القوة العسكرية كأداة سياسية عندما تكون المهمة واضحة وعندما تكون خضعت لتفكير ودراسة حذرة وتم اعتبار العواقب الناشئة عن استخدام القوة العسكرية » .

ومضى باول فى حديثه « لست أظن أنهم سيقرأون قائمة واينبرجر قائلين : وآه ها ! إن الشرط رقم (٣) لم ينفذ » . إن خطاب واينبرجر الشهير وإرشاداته هى إرشادات مفيدة ، لكننى لم أنظر إليها قط على أنها سلسلة من الخطوات يجب القيام بكل واحدة منها قبل أن تقترح هيئة الأركان القيام بعمل عسكرى .

وصوتت اللجنة مؤيدة ترشيح باول . وخلال يوم واحد صدق مجلس الشيوخ بأكمله على ترشيحه بالتصويت المعلن وهو إجراء يتخذ فى المسائل المثيرة للجدل .

□ ١١ □

تسلم ماكس ثورمان القيادة الجنوبية فى بنما من فورنر فى يوم السبت ٣٠ سبتمبر .. وحضر كبار الضباط العسكريين والملحقين من سفارات دول أمريكا الجنوبية الأخرى احتفال تسليم القيادة فى بناسيتى .. وبعدها توجه ثورمان إلى عمله مباشرة متلقياً شروحا مكثفة عن كل بلد تقع فى نطاق مسئوليته .. وعمل طوال اليوم التالى وهو يوم أحد وبعد العشاء ، فى حوالى التاسعة والنصف تلقى مكالمة من مساعديه كانت محطة وكالة المخابرات المركزية تبلغ أنها تلقت معلومات من زوجة أحد كبار ضباط الجيش البنمى ـــ لم يكن اسمه واضحاً ـــ أن زوجها كان يخطط لانقلاب ضد نورييجا فى الصباح التالى ويريد من الجيش الأمريكى أن يغلق بعض الطرق .. وكانت معلومات المرأة غامضة .

وقال ثورمان : « حسن ، يجب أن تنفذوا من خلال هذا الغموض وتصلوا إلى أى ممن يقولون إنهم يريدون أن يفعلوا شيئاً .. فلتكتشفوا ما الذى يحدث بحق الجحيم » .

وذهب ثورمان إلى مركز قيادته فى تانيل حيث مقر إقامته المؤمن بجانب هضبة فى مرتفعات كوارى فى بناسيتى .

وفى حوالى الثانية صباحاً وصل اثنان من رجال المخابرات المركزية .. وقال واحد منهما « لدى أخبار سيئة نحن لانحب الرجل الذى يقود الانقلاب » .. وعرفا الرجل بأنه الرائد مويزس جيرولدى وهو عضو هادىء فى قيادة جيش نورييجا ويبلغ من العمر ٣٨ عاماً .. وقد تقابلت المخابرات المركزية مع زوجته أولاً ثم معه .. كان جيرولدى بحكم رتبته كرائد فى قوات الدفاع البنمية فى وضع يسمح له بتنفيذ انقلاب ناجح .. ولكنهم اكتشفوا انه قد ساعد نورييجا فى إحباط محاولة انقلاب منذ عام ونصف فقط ، فى مارس ١٩٨٨ .. واعتقل جيرولدى المشتركين فى الانقلاب وحبسهم نورييجا وعذبهم والآن يأتى نفس هذا الشخص ليطلب من الجيش الأمريكى إغلاق طريقين حيويين يؤديان إلى بناسيتى أمام قوات نورييجا .

وتشكك ثورمان على الفور بأن هذه محاولة للزج به شخصياً فى عملية مجنونة ووضعه فى المواجهة عن طريق المساندة العسكرية ثم كشفه كأبله ، وتحطيم سمعته فى أول أيام قيادته .

وسأل ثورمان : هذه هى خطة جيرولدى إذن ؟ ماذا ينوى المتآمرون أن يفعلوا مع نورييجا ؟

ورد واحد من رجلى المخابرات : « إنهم سيقنعونه بالتقاعد » .

وانفجر ثورمان : « ماذا تقول ؟ » .

ـــ « أقول إنهم سيتحدثون إليه ليقنعوه بالتقاعد وهم يأملون أنه لن يكون موجوداً فى الكوماندانسيا عندما يبدأ الانقلاب » .. كان جيرولدى قد خطط للاستيلاء على الكوماندانسيا ، وهى مقر نورييجا ، وعزله عن مرؤسيه واتصالاته ثم الاتصال به وإقناعه بأن حكمه قد انتهى وأن عليه التقاعد فى سلام ويذهب إلى الريف .

قال ثورمان : « دعنى أرى إذا كنت أفهم هذا جيداً . إنه خارج الكوماندانسيا وهم سيتحدثون إليه فى التليفون ويقنعونه بالتقاعد فى سلام » .

ـــ « نعم » .

قال ثورمان : « هذا محال أن يصدقه عقل .. لم لا يمسكون به ويفعلون شيئاً به ؟ إننى لم أسمع قط بشىء مثل ذلك ـــ هذه حكاية بلهاء » .

بعد أربع وعشرين ساعة فقط من توليه القيادة يحدث هذا وقرر ثورمان أنه من الأفضل أن يبلغ واشنطن .. ونجح فى الاتصال بالجنرال كيلى فى بيته فى الثانية والنصف صباحاً على التليفون السرى .

قال ثورمان : « عندى بلاغ لك .. هناك انقلاب يحدث » .. ولخص له ما قال رجال المخابرات وأضاف أن الموعد المقرر للانقلاب هو التاسعة صباحاً ـــ أى بعد حوالى ست ساعات ـــ وأن جيرولدى قال إنه سيذاع قبل ذلك بربع ساعة من محطات التليفزيون الرسمية .

وسأله كيللى الذى كان يحمل ثلاث نجوم فى مقابل أربع يحملها ثورمان : « ماذا تقترح يا سيدى ؟ » .

قال ثورمان : « هذا أمر بسيط هذا الانقلاب سيىء الدوافع وسيىء التخطيط ـــ هؤلاء الناس سوف يحاولون إقناعه بالتقاعد ـــ وسيىء القيادة ، فهذا الرجل لايعرف من سيكون معه فى الانقلاب .. إنها خطة معيبة عيباً قاتلاً واقترح ألا نتورط فيها فلتبتعدوا عنها تماماً » .

* * *

أما باول الذى تسلم رئاسة هيئة الأركان فى منتصف ليلة ١ أكتوبر بدون احتفالات ، فقد قضى يوم الأحد فى منزله فى انتظار بداية يومه الأول فى العمل .. وكان نائماً عندما اتصل به كيللى .

قال كيللى لرئيسه « إن لدينا مؤشرات تقول إن انقلاباً سيقع فى بنما » .

واتفق باول أن يقابل كيللى فى البنتاجون خلال ساعة ولكنه قبل أن يذهب أيقظ تشينى

ليخبره .. ثم توجه فى أمطار ما قبل الفجر لكى يبدأ يوم عمله الأول أربع ساعات مبكراً .. وعندما وصل إلى مركز القيادة العسكرية القومى وهو الجزء المنعزل من البنتاجون حيث يذهب وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان وكبار مساعديه لمتابعة وإدارة العمليات ، لكم كيللى فى ضلوعه لأنه ايقظه مبكراً هكذا .. وقاما بوضع عدد من الضباط فى حالة استعداد ( كفريق عمل للأزمات ) لمتابعة الموقف وتنسيق أى استخدام للقوة .

وبعد أن قرأ باول ملخصاً عن الانقلاب قال إنه يبدو كشىء أبله .. ولايبدو أن هناك سبباً للولايات المتحدة للاشتراك فيه .. ولم يحبذ كل من باول وكيللى فكرة التورط السريع وقال باول إن التخلص من نورييجا يجب أن يتم حسب جدول أمريكى وليس عن طريق انقلاب نصف ناضج يقوده رجل نصف ناضج .

ولأن باول كان يريد اتخاذ الحد الأدنى من الإجراءات بما لايورط أمريكا فى عمل أحمق فقد كانت طلبات قائد الانقلاب تمثل مشكلة .. واقترح تشينى ووافق على إجراء تدريب عادى يشترك فيه عدة مئات من القوات الأمريكية على واحد من الطرق التى طلب المتآمرون على الانقلاب غلقها .. أما الطلب الثانى ، والخاص بتأمين ( جسر الأمريكتين ) الذى يعبر القناة إلى داخل مدينة بنماسيتى ، فسوف يقترب بالقوات الأمريكية من المقر الرئيسى لنورييجا ولايمكن عندئذ القول بأنه تدريب روتينى ولم يوافق باول على الاقتراح .

* * *

وتحت مكتب باول بطابق واحد كان الأدميرال ادوارد د . شيفر أو ( تر شيفر ) مشغولاً بمعلومات المخابرات .. كان شيفر ذو الثمانية وأربعين عاماً نائب مدير وكالة مخابرات الدفاع الخاص لهيئة الأركان ـــ أى ضابط مخابرات باول ـــ وكان يعمل لفترة طويلة كأخصائى لمخابرات البحرية ولديه خطوط اتصال جيدة مع كل وكالات المخابرات العسكرية ووكالة المخابرات المركزية واستخدم هذه الاتصالات فى ذلك الصباح لوضع تقييم للموقف أمام باول .. قال شيفر إنه بلغة المخابرات يمكن أن يكون الرائد جيرولدى « سنارة » ـــ أو شركا مرسلا للتضليل والخداع ـــ وأضاف أن « نورييجا ربما كان يحاول أن يجعلنا نبدو أغبياء » .. كان يبدو أن جيرولدى يخطط لانقلاب ضد الكوماندانسيا وليس ضد نورييجا .. وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه يعتمد على الفكرة الخاطئة بأن الاستيلاء على مبنى هو الاستيلاء على السلطة .. كان الأمر فى غاية الغرابة وهشاً لدرجة التفكير فى إحالة نورييجا إلى التقاعد مع إعطائه معاشاً كاملاً .. وقال شيفر لرئيسه إن وكالة المخابرات المركزية ليس لها دراية تامة بالموقف .

وأخذ باول شيفر وكيللى وصعدا إلى مكتب تشينى . كان البيت الأبيض يحاول إقامة مؤتمر على

الفيديو السرى مع البنتاجون كى يتم إعلام بوش بالموقف ولكن الأجهزة لم تكن بصورة جيدة .. واقترح سكوكروفت أن يأتى تشينى وباول وسكوكروفت إلى البيت الأبيض فى التاسعة من صباح ذلك اليوم للاجتماع مع الرئيس . ركب تشينى وباول واحدة من السيارات وتبعهما شيفر فى أخرى .. وفى المكتب البيضاوى لخص باول الموقف : لم يكن من الممكن الاعتماد على القائد أو الخطة .. واقترح أن يحجم الرئيس عن اتخاذ أى اجراء وأن ينتظر مزيدا من المعلومات وقال باول إنه إذا كان هناك انقلاب فيجب رؤيته وهو يكتمل قبل العمل .

ووافق الرئيس .

وعندما لم يحدث الانقلاب فى ذلك اليوم مررت زوجة جيرولدى رسالة بأنه سيحدث فى اليوم التالى .

وانتهى تشينى وباول من اجتماعاتهم المقررة مع وزير الدفاع السوفييتى — ديمترى يازوف — وهو أول وزير دفاع سوفييتى يزور الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية .

وتحدث باول مع كيللى قبل أن يغادر البنتاجون من أجل حضور مأدبة غداء على شرف يازوف — فى أندرسن هاوس — وهو قصر قديم فى ماساتشوسيتس آفينيو ، يستخدم لاستضافة كبار الضيوف الأجانب .. واتفق الاثنان على أن الانقلاب ربما كان مجرد كلام .. وأبلغ شيفر أن لديهم معلومات أخرى غامضة عن انقلاب آخر فى طريقه للفقس .. وتحول الحديث إلى حديث عن انقلاب رقم واحد وانقلاب رقم اثنين .

قال كيللى « فى ظنى أنه لن يكون هناك انقلاب » .

* * *

وفى بنما ، فى صباح اليوم التالى استيقظ ثورمان فى الخامسة وفى الثامنة إلا ثلثا كان هناك إطلاق نار فى الكوماندانسيا على بعد ميل من مقر قيادة ثورمان فى كوارى هايتس .. واتصل ثورمان بباول قائلاً « يقال إن نوريجيا هناك ولكننى لا أستطيع أن أشهد بذلك فإننى لم أسمع صوته » كان يحب أن يتنصت بنفسه من خلال أجهزة التنصت الإليكترونية .

وحوالى التاسعة صباحاً كان واضحاً لباول أن هناك انقلاباً يتم ولكن لم تكن هناك معلومات محددة عن وجود نوريجا فى الكوماندانسيا .. واتصل باول بتشينى ، الذى كان فى حافلة مع يازوف يتجولان فى ميدان معركة جيتسبرج الأهلية فى بنسلفانيا ، ليقول له إن الانقلاب قد بدأ وبعد الظهر تماماً أغلقت القوات الأمريكية فى بنما الطريق المقابل لفورت أمادور وكأنها تقوم بتدريب روتينى .

كانت فرقة المشاه الخامسة المتمركزة فى أمادور هى أقرب وحدة للكوماندانسيا .. وبعدها بعشر

دقائق أعلن الراديو المحلى عن الانقلاب .

وحوالى الثانية عشرة وثمانى عشرة دقيقة ، تم إبلاغ ثورمان أن اثنين من الملازمين البنميين ، اللذين عرفا نفسيهما بأنهما مفاوضى الانقلاب ، كانا على البوابة الأمامية لفورت كلايتون وأعطى ثورمان تصريحا للعميد مارك سينسيروس ، الذى كان يرأس قوات جيش القيادة الجنوبية الأمريكية أن يتحدث معهما .

وقال الملازمان إن نورييجا ومرؤسيه هم داخل الكوماندانسيا تحت سيطرة قادة الانقلاب الذين كانوا يبحثون عن وسيلة مشرفة لنورييجا كى يبقى فى بنما .

وقال سينسيروس إن الولايات المتحدة سوف تحتجز نورييجا إذا أحضر إلى فورت كلايتون .

قال الملازمان إنه ليست لديهما النية لتسليم أى شخص للولايات المتحدة .. وطلبا أن يتم إغلاق جسر الأمريكتين .

واتصل ثورمان بباول على الخط السرى فى الواحدة والنصف بعد الظهر .

كان باول قد تلقى تقريراً واحداً من المخابرات يقول إن نورييجا محبوس فى غرفة بها تليفون .. وربما كان لايزال يحكم فعلى الرغم من أن المتمردين لم يبد أنهم يسيطرون تماماً على نورييجا فإنه لم يظهر على شاشات التلفزيون كما هو المتوقع إذا كان قد أحبط محاولة الانقلاب .. ولذلك فمن الجائز أن يمر ببعض المتاعب .. هكذا ظن باول .

وقال ثورمان إنه ليس متأكداً من طبيعة ما يجرى أيضاً .. والشيء الوحيد الذى كان متأكداً منه هو أنه كانت هناك طلقات نارية فى الصباح .. أما فى الوقت الحالى فهو يتبع سياسة بوش القائمة بتجنب المواجهة والتصعيد مع نورييجا وقواته .. وحيث إن الانقلاب لم يكن تحت إشراف الولايات المتحدة فقد تساءل ما الذى يمكن أن تفعله الولايات المتحدة وهل يمكنه القبض على نورييجا ؟ .

قال باول : « إذا أحضروه لك يمكنك أن تعتقله لكن ليس من سلطتك أن تذهب وتأخذه » .. سيكون من الأفضل أن يسلموه طوعاً .

قال ثورمان : « روجر » ( وتعنى الموافقة ) .

ودرس باول مع ثورمان ثلاث خيارات :

١ ـــ إذا أحضر المتمردون نورييجا إلى قاعدة أمريكية فيمكن قبوله « بحرارة » .

٢ ـــ إذا استطاعت القوات الأمريكية أن تساعد المتمردين تحت غطاء من السرية التامة فى إحضار نورييجا إلى قاعدة أمريكية فيمكن عمل ذلك على مسئولية ثورمان .. ويمكن لثورمان أن

يقول للمتمردين « إذا كنتم تريدون المساعدة فى إخراج نورييجا دون توريط القوة الأمريكية بشكل علنى فسنقدمها لكم » .. وسوف يعنى ذلك جندى أو اثنين من الأمريكيين لا أكثر .

٣ ـــ إذا كان ثورمان يعتقد أن هناك فرصة لأخذ نورييجا علناً بقوة أمريكية صغيرة فيمكنه البدء فى التخطيط لذلك .. ولكن هذا سوف يعنى تصعيداً للموقف يتطلب سياسة جديدة من الإدارة وهذه القوة الأمريكية الصغيرة سوف تحتاج للتصديق من الرئيس بوش وقال باول « إن لدينا السلطة هنا ، يجب أن أذهب إلى الرئيس » وأضاف باول أن الاتصالات مع البيت الأبيض قائمة وأن بإمكانه الحصول على تصريح من الرئاسة إذا كان ثورمان يعتقد أن العملية ستنجح .

وبعدما استشار باول المحامين فى هيئة الأركان أعطى تعليمات لثورمان أن يتأكد من وجود ضابط قانون أمريكى مع المباحث الفيدرالية أو وكالة مكافحة المخدرات لكى يقوم بإلقاء القبض على نورييجا .. وقال « أريد عملية ضبط جيدة » .

وبالرغم من أن الانقلاب كان يبعث على الأمل حتى هذه اللحظة فإن باول لم يشعر أنه يجب أن يقترح أن تقوم أمريكا بتقديم المزيد من العون ، على الأقل حتى يوفر ثورمان المزيد من المعلومات وأطلع باول تشينى على كل ذلك بعد أن عاد من البيت الأبيض ومعه يازوف وترك تشينى الوزير السوفييتى فى مكتب خارجى ريثما يشرح الموقف لبوش وسكوكروفت وبيكر ويأخذ موافقة رئاسية على الخيارات المطروحة . كان كل من باول وتشينى الآن يشعران بأن الوقت ربما قد حان للإقدام على عمل وأرادا أن يتأكدا أن ثورمان كان جاهزاً للتدخل بطريقة تحافظ على الخط السياسى الذى رسمه الرئيس .

وفى حوالى الثانية والنصف بعد الظهر أبلغهم ثورمان بفشل الانقلاب وأدرك باول أن كل شىء قد انتهى وضاعت الفرص مهما كانت فرصاً غير دقيقة وظهر نورييجا فى الحال على شاشات التلفزيون فى بنما يدين المتمردين والولايات المتحدة على محاولة « إقامة حكومة من الخائنين » .

وتحركت الولايات المتحدة بسرعة كى تنأى بنفسها عن الانقلاب مصرة على أنها لم تكن عملية أمريكية ولم تتم تحت إشراف أمريكى .

وقال مارلين فيتزووتر وزير الإعلام إن موظفى الإدارة قد سمعوا لغواً عن التخطيط للانقلاب ولم يكن لديهم معلومات مباشرة .

وقال « إن الرئيس لايعلم ووزير الخارجية لايعلم ووزير الدفاع لايعلم عن الانقلاب شيئاً » .

وعاد تشينى إلى البنتاجون فى الوقت الذى كان الموظفون يتوقفون خارجين ليملأوا أرض الاستعراضات .. كانوا مجتمعين ليشاهدوا الوصول الشرفى لباول ، فى الثالثة بعد الظهر .. وتحول اليوم إلى يوم صيفى هندى .. فقد ظلت الريح القوية تهب عبر النهر .

وهلل الجمع بينما كان تشينى يصطحب باول إلى المنصة .. وخطا باول مسرعاً وهو يستعرض حرس الشرف .. ثم قال تشينى للجمع الغفير إنه سيقضى وقتاً مع رئيس هيئة هيئة الأركان الجديد على مدى أربع سنوات أكثر من الوقت الذى يقضيه مع عائلته .

وظهر باول مسترخياً وهو يجلس واضعاً ساقاً على الأخرى والشيء الوحيد الذى أوحى بانشغال ذهنه كان أنه يطوى ويفرد يديه الكبيرتين وعندما جاء دوره فى الحديث وصف لوحة معلقة فى بئر سلم البنتاجون تصور وصف كنيسة من الداخل قائلاً : « كنيسة كبيرة ، والشمس الساطعة تتدفق من خلال زجاج نافذة ملون جميل .. والكنيسة خالية إلا من عائلة واحدة تصلى عند المذبح .. وضوء الشمس يغمر العائلة أم وأب وابن صغير وابنة ، والأب يرتدى الزى العسكرى ويشعر المرء من خلال اللوحة أنه لم تبق غير لحظة واحدة قبل أن يذهب الأب للحرب » .

« وكلما مررت بهذه اللوحة تمر بخاطرى صلاة قصيرة من أجل كل هؤلاء الذين يخدمون هذه الأمة فى وقت الخطر » وتحت هذه اللوحة هناك قول مكتوب للنبى إشعيا تقول كلماته :

« ويسأل الرب الإله : من سأرسل ؟ من الذى سيذهب من أجلنا ؟ ويأتى الرد : ها أنا أرسلنى » .

ثم قال باول أثناء خطابه : « إن ذهنى اليوم مشغول بأن الفترة المقبلة علينا يمكن أن تكون أكثر الفترات تاريخية فى عهد ما بعد الحرب .

لقد رسم الرئيس بوش والوزير تشينى الطريق الصحيح ـــ وهو انتهاز كل الفرص أثناء توخى الحرص والحذر » .

وأضاف باول « وإذا نجحنا فإن رجال ونساء قواتنا المسلحة لن يدفعوا سوى ثمن الاستعداد الأبدى ، وليس الثمن المأسوى الغالى المتمثل فى الحياة » .

وصعدت إلى باول ماريبل باتشر ، مساعدته التنفيذية فى البيت الأبيض كان أبواها مريضين ، وعلى مدى الأسابيع السابقة كان باول وأرميتاج يتبادلان الأطمئنان عليهما بأن يتصل بها أحدهما كل يوم وكانت قد سمعت أنباء الانقلاب فى بنما وأدركت أن باول كان شديد العصبية وسألته : « كيف تسير الأحوال مع تشينى ؟ كانت تعلم أن باول كان قلقاً من جهة تشينى أثناء تحقيقات إيرا ـــ كونترا . كان تأييد تشينى لأوليفر نورث على طول الخط يضايق باول .

وابتسم باول فقد كان الانقلاب هو بالضبط ما يحتاجانه هو وتشينى لكسر الحواجز بينهما لقد قال لها « إن عملية الارتباط تسير على مايرام .. ليس هناك ضير من الأزمات لإيجاد الترابط » .

* * *

قضى بيت ويليامز الكثير من الوقت فى مكتب تشينى فى ذلك اليوم بينما كان باول فى صحبة

رئيس عملياته كيلى ورئيس مخابراته شيفر يترددان على الوزير لإحاطته بما يستجد . كان ويليامز مندهشاً لدقة تلخيصات باول .. فلو أن غريباً دخل الغرفة وسئل من هو المستجد فيها لم يكن ليخمن أبداً أنه باول .. وكان يملأ الغرفة رئيس هيئة الأركان واثقاً من نفسه تماماً .. وكان يملأ الغرفة تماماً .. وكان فى شخصيته ما يوحى بأنه يقول « تنحَّ عن طريقى فأنا رئيس هيئة الأركان » ولاحظ ويليامز أن باول كان يعمل بجد ليسيطر على كل المعلومات التى تتدفق على تشينى .

وسأل باول ويليامز بعد واحدة من هذه الجلسات وهما يسيران معا فى الممر « هل لديك خط معلق معى ؟ » .. كان الخط المعلق هو وصلة تليفونية أتوماتيكية تسمح لشخصين بالاتصال ببعضهما على الفور عن طريق ضغط زر واحد على جهاز التليفون ينتج عنه رنين وضوء على الجانب الآخر ..

ـــ « لا يا سيدى » .. على الرغم من أن ويليامز كان يحمل رتبة أربع نجوم إلا أنه أراد أن يظهر احترامه وهو يحدث رئيس هيئة الأركان .. لم يكن لديه خط مباشر مع كراو ولم يكن ليفكر أبداً فى طلب خط .

قال باول « سوف أعتنى بذلك » .

* * *

وعلى مدى اليومين التاليين ـــ الأربعاء والخميس ـــ هاجم الجمهوريون والديموقراطيون فى الكونجرس الإدارة لفشلها فى استغلال محاولة الانقلاب .. فقال النائب الديموقراطى « ليس أسبن » : « يجب أن نكون مستعدين لاقتناص أى فرصة أثناء الفوضى والارتباك اللذين تسببهما محاولة الانقلاب .. كى نفعل شيئاً حيال السيد نورييجا » .. واتهم السيناتور جيسى هلمز ، النائب الجمهورى من نورث كارولينا ، وأحد المجاهدين الرئيسيين ضد نورييجا ، الإدارة بالجمود وقال :

« بعد هذا الذى حدث لن نتوقع من فرد فى الجيش البنمى أن يتحرك ضد نورييجا » .. وفى يوم الخميس ذهب هلمز إلى ساحة مجلس الشيوخ وألقى خطاباً ادعى فيه بناء على مصادره الخاصة أن قادة الانقلاب قد عرضوا تسليم نورييجا ولكن أمريكا رفضت .

وقال سام نون « بين الحين يجب أن نتنبأ بنجاح سياستنا فى تشجيع الانقلابات ويجب عندئذ أن نكون جاهزين » .. وقال النائب ديف مكيردى وهو ديموقراطى معتدل من أكلاهوما « إن ماحدث بالأمس يجعل جيمى كارتر رجل المواقف الحاسمة إن عنصر التخاذل بدأ يتصاعد مرة أخرى » .

وقارنت افتتاحيات الصحف الحادث بمهمة إنقاذ الرهائن فى إيران وفشل الرئيس كيندى فى

خليج الخنازير .. وكان عمود جورج ويل فى صحيفة الواشنطن بوست ، والذى ينتقد فيه تصرف جورج بوش حيال محاولة الانقلاب ، عنوانه « رئاسة غير جادة » .

وفى اجتماع بالبيت الأبيض فى نهاية الأسبوع دافع نائب مستشار الأمن القومى ، روبرت جيتس ، دفاعاً حاراً عن وكالة المخابرات المركزية ومعلوماتها عن الانقلاب قائلاً إنه لم تكن هناك وسيلة لمعرفة ما إذا كان نورييجا تحت التحفظ أم لا لأن محاولة الانقلاب لم تكن تحت إشراف أو سيطرة الولايات المتحدة .. وكان المعروف فقط أن المتمردين قد احتجزوا نورييجا لمدة ساعتين على الأقل .

وعجلت الفرصة المفقودة بعملية إعادة النظر فى أهداف الإدارة فى بنما .. هل كان الهدف هو الاحاطة بنورييجا ؟ أم القبض عليه وإحضاره إلى الولايات المتحدة لمحاكمته ؟ أم المساعدة فى إقامة حكومة جديدة ؟

وكان فى غاية الوضوح لباول أن بلاغة بوش المتشددة تجاه نورييجا لم تكن تعادلها خطط محددة أو خطط طوارىء من جانب وكالة المخابرات أو العسكريين .

وكان جون سنونو مهتاجاً .. كاننت القضية قضية تنسيق ــ فقد كان واجبه الأول كرئيس لموظفى البيت الأبيض هو التنسيق ــ ولم يكن هناك الكثير مما يجب تنسيقه وكان ينخس الناس أكثر مما يجب .

وصرح بوش « لقد انتهى وقت الهواة .. وقال لمجلس الأمن القومى إن نورييجا ستزل قدمه يوما ما وإنه يريدهم أن يكونوا مستعدين . لايجب ترك شىء للصدفة .. وقال الرئيس : « إننى أريد بعضاً من التخطيط والمتابعة » .

وبعد ظهر يوم الجمعة ــ السادس من أكتوبر ــ ذهب بوش إلى مركز والتر ريد الطبى العسكرى لإزالة ورم حميد من أحد أصابعه .. وسأله مراسل بعد العملية « ماذا عن بنما ياسيدى ؟ كثير من النقاد يقولون إنك ضيعت الفرصة » .

قال بوش « حسن ، يبدو أن بعض الناس كان يريدون منى أن أطلق كل قوتى العسكرية وأدخل وأقبض على نورييجا كما يقولون .. أعتقد أن هذه التهمة قادمة من أناس متضايقون مثلى لما حدث .. لكننى أعتقد أن هذا هو ادعاء .. وهكذا تقول ، ماذا كان يمكن للقائد الأعلى للقوات المسلحة أن يفعل ؟ أعتقد أنه كان يمكنك التفكير فى عمل أى شىء لكن هذا ليس من الحكمة وليست هذه هى الطريقة التى أخطط بها لإدارة العسكرية والشئون الخارجية لهذا البلد » .

وعندما سئل عما إذا كان سيستخدم القوة العسكرية للمساعدة قال بوش « إننى لا أصادر على أى اختيار .. ولكن هذه المرة يجب النظر إلى النتائج ويجب الأخذ فى الاعتبار حياة الرعايا

الأمريكيين ، وحياة أفراد قواتنا ، والنظر إلى ما نريد أن نفعل ـــ لكننى بالتأكيد لن أرفض ذلك الاحتمال » .

وفى مؤتمر صحفى صباحى فى ١٣ أكتوبر وجه لبوش المزيد من الأسئلة بخصوص بنما .

« إننى لن أمانع فى استخدام القوة إذا كان يمكن عمل ذلك بطريقة حكيمة ، ولذا ، بتعبير آخر ، أنا لن أرفض اقتراح باستخدام القوة أبداً » .

وقال أيضاً « إننى أضع فى اعتبارى حياة الأولاد الأمريكيين ولن أدفع بهم إلى ميدان المعركة بسهولة حتى أشعر بالرضا عن ذلك وحتى يشعر هؤلاء الضباط الكبار الذين أثق فيهم تماماً بالرضا عن ذلك » .

وعندما سئل « هل تم فصل أى أحد مؤخراً ؟ » أجاب بوش « لا .. ولن يفصل أحد لأنهم جميعاً قد أدوا عملا طيباً .. وإننى لم أفقد ثقتى بأى من كبار موظفينا الذين يتناولون هذه المسائل بما فى ذلك ـــ وأريد أن أكرر هنا ـــ ضباطنا العسكريين فى بنما .. لاأحد على الإطلاق .. وبالتأكيد ليس الجنرال باول » .

ولم يعجب باول استخدام تعبير « إننى لم أفقد ثقتى » فقد كان يعلم جيداً أن هذه العبارة تستخدم عندما يكون فقد الثقة وارداً .. وفكر فى نفسه « يا إلهى .. ما الذى يحدث لهذه المدينة .. لقد رأى معارك عاطفية بخصوص السياسة الخارجية من قبل ولكنها لم تكن بهذه الحدة ولا الانتشار لقد غاب عن واشنطن لمدة ستة أشهر فقط ولكن كل شىء قد تغير .

وكانت فى رأيه هناك عدة أسباب لهذا الهياج أن الأسبوع الماضى كان غير ممتلىء بالأخبار .. ورجال الصحافة يمقتون الفراغ ودائماً يعثرون على شىء يملأونه به .. وثانيا أنه كلما كان هناك تناقض بسيط بين البلاغة الكلامية والفعل ـــ كما حدث فى خطاب بوش السابق عندما قال « يجب أن يفعلوا كل ما بوسعهم لإخراج السيد نورييجا من هناك » ـــ كان المراسلون يقتنصون الفرصة بقسوة وثالثا فإن الضيق من نورييجا قد بلغ حد الحمى . ورابعاً وربما الأهم قضية صورة الرئاسة والشكوك التى تحوم حول بوش أنه متخاذل .. فبعد تسعة أشهر فى الرئاسة لم يحدد بوش نفسه وترك فشله سؤالاً أساسياً : هل كان بوش فى جوهره متردداً وغير قادر على الحسم ؟ .

كان باول يشعر أن الحكم على رئاسة بوش لايجب أن يتم من خلال هذه القضية .. وببعض من الحماس قال باول لبوش « لم يكن هناك « هناك » .. فلم يكن المتمردون محددين بما فيه الكفاية ولم يكن لديهم خطة حقيقية .. وربما كان الاشتراك الأمريكى فيها سيجعل الحال أكثر سوءاً .

وقد كتب صديق لباول ـــ وهو الكولونيل المتقاعد هارى ج . سامرز جى . آر ، الذى كان يحتل كرسى الجنرال دوجلاس مكارثر فى الكلية الحربية عموداً فى إحدى الصحف عن القصة

وتحت عنوان : « الطنين حول انقلاب بنما هو أقل ما يجب أن يقلقنا » قرأ باول : « فى الأسبوع الماضى ، سواء أدركنا أم لم ندرك ، رأينا لمحة من الجحيم ، فقد ظهر أن عملية صنع القرار الأمنى وهى قلب وروح دفاعاتنا القومية ، هى فى حالة فوضى .. وكان ذلك اكتشافاً مخيفاً ..

فإذا كان قادة أمتنا قد تعثروا بمثل هذا السوء فى أزمة صغيرة مثل بنما فماذا سيفعلون أمام خطر جسيم ، هل سيكونون مازالوا يقلبون فى الأوراق ويدرسون الخيارات بينما صواريخ العدو قادمة فى المدى ؟ » .

وقد وصف سامرز بيكر وتشينى وباول بأنهم « أفضل وأذكى المخضرمين الجدد فى إدارة الأزمات على أعلى المستويات ومع ذلك فقد فشلوا » وعزا ذلك إلى أسلوب اللجان فى صنع قرار القيادة « إنها حالة انسداد شريانى قاتلة أصابت القمة ــ لقد انسدت شرايين القيادة والسيطرة العسكرية » .

واقترح كاتب العمود أن يتعامل رئيس الجمهورية ورئيس هيئة الأركان مباشرة مع العسكريين كما فعل روزفلت فى الحرب العالمية الثانية .

ولم يكن باول يشعر أن ذلك ممكن .. فإن أسلوب صنع القرار عن طريق عمل لجنة والأخذ فى الاعتبارات وجهات نظر كل الوزارات والوكالات هو أسلوب وجد لكى يبقى ولكنه اتفق أكثر مع فكرة أن الاتصالات بينه كرئيس هيئة الأركان ورؤساء أركان الأسلحة والقادة الحربيين الآخرين يجب أن تكون أكثر مباشرة .

واجتمع باول وتشينى ليناقشا الأمر للمرة الأخيرة .. وتساءلا إذا كانت تلك هى اللحظة المناسبة والانقلاب المناسب الذى يمكن أن تسانده ويجب أن تسانده الولايات المتحدة فهل كانوا جاهزين ؟ والإجابة ــ مع الأسف ــ كانت لا .

وخطر لتشينى أنه إذا كانت الأوضاع متدهورة لدرجة أن ضباطا مثل جيرولدى ــ وهو حليف سابق لنوريجا ــ راغبون فى الإطاحة به فإن آخرين سوف يحاولون مرة أخرى وقد حان الوقت للذهاب إلى لوحة التخطيط .

* * *

وفى بنماسيتى رفع ثورمان قدميه ونظر خارج نافذته وحدد خطوة أولى ، إذا كانت هناك مشاحنة كبرى قادمة مع نوريجا فيجب عليه إخراج رعايا الولايات المتحدة من بنما .. ولذا فقد بدأ فى إصدار سلسلة من الطلبات إلى واشنطن لكى تصرح له بارسال هؤلاء الرعايا إلى الولايات المتحدة أو نقلهم إلى قواعد عسكرية أمريكية داخل بنما .

وتم استدعاؤه للشهادة فى جلسات مغلقة للجنتى الكونجرس ومجلس الشيوخ للخدمة

العسكرية .. وكان ثورمان يحس بالثقة فى نفسه بعد عشر سنوات من الظهور أمام مثل تلك اللجان .. وقد تعلم أهمية أن يحفظ واجبه جيداً وأن يلقى للمشرعين بأنباء سارة جديدة .. وفى جلسات منفصلة امتدت كل منها إلى ثلاث ساعات كان يواجه أساساً بسؤال واحد : هل ضيعنا فرصة ذهبية ؟ وكانت إجابته : لا .. وقدم المعلومات التى كانت متوفرة فى وقت الانقلاب وتفصيلات من محاضر التحقيق التى تمت بعد الحدث ذكرها شهود عيان من الكوماندانسيا وأظهر لهم بطريقة روائية منتظمة ومحكمة أنه فى الوقت الذى كان فيه ضباط اتصال الانقلاب يتحدثون إلى الجنرال سينسيروس كان الانقلاب قد انتهى داخل الكوماندانسيا .

وقال ثورمان للشيوخ : « سأعود إلى بنما وأضع خطة طوارىء جيدة » .

قرأ ثورمان الأوراق .. كان من الواضح أن لا أحد ــ لا الرئيس بوش ولا تشينى ولا باول ولا هو نفسه ــ سيتحمل فشلاً آخر أو حتى فشلا محتملا .

فقبل اثنين وعشرين عاماً قضى الرائد ماكس ثورمان سنة فى كلية القادة والأركان فى فورت ليفنورث وكان أحد الدروس التى تعلمها هناك هى أن الضابط عليه واجبان : أولهما ، إطاعة الأوامر الصريحة من رؤسائه ، والثانى هو فهم المهام الضمنية التى هى جزء من تلك الأوامر والتأكد من أن هذه المهام قد نفذت أيضاً .. وكلما كانت رتبة الضابط أعلى واجهته أوامر ضمنية أكثر .

وكانت المهمة الضمنية فى بنما بسيطة : إذ حدث ذلك مرة أخرى فمن الأفضل لك أن تكون مستعداً .. وكلمة « ذلك » لم تكن تعنى الانقلاب فقط .

وكان ثورمان متأكداً أن جورج بوش وماكس ثورمان وكل من بينهما على دراية تامة بما يجرى .

وذهب ثورمان لزيارة باول .

وسأله باول : هل التخطيط يواكب جو الحدة الجديدة ؟

ووعده ثورمان بحدة جديدة . كان أكبر من باول بست سنوات ومنذ أسبوعين كان أقدم منه .. كان ثورمان يعرف القواعد وكان يتحدث باحترام ولكن وقتاً طويلاً كان قد مر منذ أن وجه اليه أحد أمراً .

وسأله رئيس الأركان : « هل أنت تصقل خططك وكل شيء ؟ ورد ثورمان : « بالتأكيد هذا ما نفعله الآن .. نحن نقبض رواتبنا لكى نفعل ذلك .. نحن مشغولون بذلك وعندما أنجز الأمر سأبلغك .

أمر ثورمان أكثر من ١٣٠٠ رجل وامرأة تحت قيادته بارتداء زى معارك الأدغال المموه بالأشكال الخضراء والبنية .. وأمر بإزالة أجهزة صنع المرطبات التى كانت بجوار مكاتب مخابرات القيادة حتى لا يتجمع الضباط حولها ويكونوا هدفاً لتجسس الجيش البنمى .. كما كثف مراحل التدريب (٣) و (٤) مرسلاً عدداً من الأفراد يتراوح بين ١٥٠ وخمسمائة رجل إلى كل مكان فى مناورات فى أرجاء بنما فى قوارب وعربات برمائية وهليكوبتر دبابات وطائرات وعلى الأقل كان هناك تدريب هليكوبتر كل ليلة .. وكانت هذه التدريبات مخططا! لها أن تبدو عشوائية ولكن الكثير منها تضمن أهدافاً فعلية يمكن قصفها إذا جاء الأمر ببدء العمليات الهجومية ضد قوات الدفاع البنمية .

وذات ليلة فى الأسبوع التالى للانقلاب الفاشل وصل الجنرال شتاينر إلى قاعدة هوارد الجوية فى بنما على متن طائرة سى — ٢٠ وكان هو وكبار مخططيه وقادته يرتدون الملابس المدنية كى يتسنى لهم التحرك خفية دون أن تلاحظهم قوات الدفاع البنمية .

وقابل ثورمان شتاينر وقال إنه يريدهم أن يحسنوا خطة الطوارىء « الملعقة الزرقاء » حتى أدق تفاصيلها أو كما قال بتعبيره : « حتى عين القط » .

ورد شتاينر : نعم ياسيدى .

قال ثورمان : ثم تقومون أنت والفرقة ١٨ بعمل بروفة عليها كل شهرين .

قال شتاينر : نعم يا سيدى .

قال ثورمان : كل شهرين للعشر سنوات القادمة .. « ولن أكون هنا ولكن شخص آخر سيكون موجوداً » .

وتم التصديق فى ١١ أكتوبر على طلب ثورمان بنشر المزيد من قوات الشرطة العسكرية .. وفى الحال تم وضع دوريات شرطة طوال ٢٤ ساعة فى اليوم على طول بعض الطرق الحساسة .. وأمر ثورمان طائراته الهليكوبتر أن تقوم بتدريبات تحليق فوق قيادة الكتيبة ٢٠٠٠ لقوات الدفاع البنمية ، وهى قوة قوامها ثمانمائة رجل يعتبرون من أقوى وأفتك رجال بورييجا ومتمركزون فى

فورت سيمارون شرق بنياسيتى .

وكانت قيادات قوات الدفاع البنمى مألوفة بالنسبة لباول فعندما كان يعمل كمستشار لريجان للأمن القومى قضى ساعات طوالا يدرس ملفات ضباطهم بحثاً عن بديل لنورييجا .. ولم يجد أحداً . كان أكبر عشرة أو عشرين ضابطاً لايهمهم سوى النفوذ الشخصى والثروة ولم يكن من الممكن على الإطلاق أن تساند الولايات المتحدة هؤلاء « البلطجية » ومن وجهة نظر باول كان أفضل الممكنات هو الكولونيل إدوارد وهيريرا هاسان ، وهو سفير بنما السابق إلى إسرائيل ولكن سمعته قد شوهت فى أعين بعض البنميين بسبب تورطه فى عدة خطط لانقلابات دبرتها وكالة المخابرات المركزية ولم يكتب لها النجاح .

وكانت تقييم كيلى لقوات الدفاع البنمية أكثر قسوة .. كان يشعر أن هناك معلومات تكفى لاستنتاج أن كل قادتهم الكبار هم قتلة ويمارسون التعذيب .

ولم يكن باول واثقاً أنهم بهذا القدر من السوء ولكن كيف يخاطر العسكريون الأمريكيون بنفوذ الرئيس بوش والولايات المتحدة باشتراكهم ولو بطريقة ضمنية أو غير مباشرة فى تنصيب حاكم آخر أنانى وجائع للسلطة !!

لم يكن ذلك ممكناً فى رأى باول .. وقرر أن هناك حلاً واحداً يتمثل فى جعل خطة « الملعقة الزرقاء » أكثر طموحاً فيجب أن تكون أى عملية هجومية ضد قوات الدفاع البنمى هى عملية شاملة ، ويجب أن تؤدى إلى القبض على أو طرد القيادة عن آخرها ثم عندئذ يستطيع القادة السياسيون المدنيون تولى السلطة .

وأصدر باول توجهيات إلى ثورمان ترشده إلى أن قيادة ( أركان الجنوب ) يجب أن تكون مستعدة لخطة طوارىء فى بنما فيما لايزيد عن ساعتين من لحظة تلقى الأمر تنفذها القوات الموجودة بالفعل هناك ، أما بالنسبة لعملية هجوم شامل ضد قوات الدفاع البنمية فإن خطة ( الملعقة الزرقاء ) يجب تغييرها جذرياً حيث يجب على ثورمان أن يحشد قواته لهجوم واسع النطاق فى ٤٨ ساعة فقط بدلاً من خمسة أيام .

* * *

وأثناء الأسبوع التالى للانقلاب أمر باول كيللى وشيفر بإقامة خلية تخطيط سرية صغيرة فى البنتاجون تتكون من ضباط من مجموعة عمليات كيللى ( جى — ٣ ) وضباط مخابرات شيفر ( جى — ٢ ) .. وعلى هذه الخلية أن تعمل بشكل وثيق مع ثورمان وشتاينر ورجالهما للتأكد من أن كل التفاصيل معروفة ومنسقة بينهم .

ومن الناحية التقليدية كان كل من العمليات والمخابرات يعملان بصورة منفصلة .. ولكن

باول كان يريدهما الآن أن ينشل كل منهما ما فى جيب الآخر .. فقد كان النجاح لأى عملية هجومية خاطفة هو التأكد من أن القوات الأمريكية تعلم كل شيء ممكن عما تهاجمه بالإضافة إلى كيفية مهاجمته بتفصيلات تصل إلى معرفة أى جماعة سوف تدخل من أى باب فى أى مبنى وكان على المخططين التأكد من أن كل ملف لكل هدف ـــ والمحتوى على المعلومات والخرائط والرسوم التوضيحية وكل ما يخص الوحدات الأمريكية المكلفة بضرب هذا الهدف ـــ هو ملف حديث ومتوفر لكل من يريد الاطلاع عليه .. كان هناك أكثر من اربع وعشرين هدفاً .

* * *

وفى يوم السبت ١٤ أكتوبر ذهب كارل شتاينر إلى كنيسة بول كامب المعمدانية فى نوكسفيل ـــ تينسى ـــ ليحضر زفاف ابنته وبعد الحفل التالى للزفاف جذبه شخص ليتلقى مكالمة من البنتاجون وكان على شتاينر أن يطير إلى واشنطن فى الصباح التالى لكى يعطى رئيس هيئة الأركان شرحاً غير دورى عن التقدم الذى تم إحرازه فى مراجعة خطة ( الملعقة الزرقاء ) .

ووصل شتاينر إلى مركز القيادة العسكرى القومى فى البنتاجون يصحبه الجنرال جارى لاك ـــ ٥٢ عاماً ـــ وهو طيار ومظلى قصير القامة وأبيض الشعر كان لاك هو القائد العام لقيادة العمليات الخاصة المشتركة ( جسوك ) .

وقال شتاينر لباول إن هناك تعديلات جوهرية فى خطة الملعقة الزرقاء تجرى الآن أولها أن القوات التقليدية وقوات العمليات الخاصة سوف يتم توحيدهما تحت قائد واحد ـــ هو شتاينر نفسه ـــ وسوف يعطى أوامره مباشرة إلى مختلف قادة الأسلحة بما فيهم الجنرال لاك الذى سوف تكلف قوات عملياته الخاصة بالتعامل مع أخطر استحكامات جيش الدفاع البنمى .. وتضم هذه الاستحكامات كلا من الكوماندانسيا والكتيبة ٢٠٠٠ فى فورت سيمارون ، وسجن موديلو حيث كان كيرت عميل المخابرات الأمريكية محتجزاً .

وكان شتاينر يخطط لإرسال ١١٠٠٠ جندى إضافى إلى بنما للحاق بالثلاثة عشر ألفاً الأصليين فى حالة تلقيه أمر الثمانى وأربعين ساعة .. كان يشعر أنه من المهم الدخول بالقوة كلها مما سيمكنه ضرب الأهداف التى حددها مخططوه جميعها فى وقت واحد .. إن ضرب جميع الأهداف فى وقت واحد سوف يقلل من الخسائر ويشغل كل وحدات قوات الدفاع البنمية ويؤكد الإطاحة بكل قيادات تلك القوات .. وقد تضمنت خطته استخدام فرق خاصة للعمليات النفسية لتشيع الذعر بين قوات الجيش البنمى وضباطه وتشجعهم على الاستسلام .

وقال شتاينر إنه تم وضع الخطة كى تنفذ أثناء الليل وأن تعليمات ثورمان له هى إجراء « بروفات » تقشعر من كثرتها أبدان البنميين وهم يشاهدونها فى الأرض والجو .

وسأله باول عما سيحدث إذا قامت محاولة انقلاب جديدة وقرر الرئيس أن يساندها . كان باول يريد أن يكون قادراً على إبلاغ وزير الدفاع ورئيس الجمهورية أن العسكريين لديهم خطة لاستلام نورييجا من قادة الانقلاب المفترض حدوثه أو خطفه .

قال شتاينر إن القوات التى تم نشرها فى مايو أثناء تنفيذ خطة ( رقصة التمرود ) يمكن أن تشكل قوة الاستجابة السريعة وأن هناك أفراد عمليات خاصة على الأرض فى بنما يمكنهم الاستجابة لأوامر الرئيس ولكن شتاينر أكد على أن القوات الموجودة داخل بنما بالفعل لن تكون كافية لعمل كل ما هو مطلوب واقترح شناينر على باول مرة أخرى أن يتم تنفيذ عملية الملعقة الزرقاء بشكل شامل .

ووافق باول .

* * *

وفى اليوم التالى ١٦ أكتوبر استدعى باول الجنرال لاك إلى مكتبه فى العاشرة صباحاً لعمل جلستين كل منهما نصف ساعة لإيضاح ما يتم التدريب عليه وبعدها بخمس ساعات ذهب باول ولاك إلى المكتب البيضاوى مع تشينى لعمل ايضاح عن الخطتين السريتين للعمليات الخاصة .

وبدأ تشينى الشرح قائلاً إنه يريد للرئيس أن يدرك أن القوات الخاصة التى ستتلقى منه الأمر بالانتشار يمكنها أن تكون فى بنما خلال تسع ساعات : أربع ساعات للتجمع وخمس ساعات للسفر بالطائرات .

وكانت خطة الطوارىء الأولى للعمليات الخاصة تحمل الاسم الكودى ( الثعبان البرى ) وشرح لاك جملة كيفية ذهابه إلى بنما أو إلى أى مكان فى العالم إذا استدعى الأمر ، بقوة قوامها حوالى ثلاثمائة رجل يمكن استخدامهم لإنقاذ الأمريكيين أو أى رهائن آخرين ويمكن أيضاً استخدام الفريق لخطف أحد ملوك المخدرات أو نورييجا نفسه .. وهذه القوة متخصصة فى اقتحام أى شىء بالقوة سواء كان ذلك بلداً معادياً أو مبنى محتجزا فيه الرهائن .

وكان الفريق يشتمل على :

* سرب من ( دلتا ) يستطيع توجيه ضربات علنية أو مستترة ليلاً أو نهاراً .. ويمكن استخدام السرب بكامله أو نشر أجزاء منه .

* قافلة من طائرات الهليكوبتر تحت الاسم الكودى ( الرصاصة الفضية ) .

* عناصر من فريق SEAL ٦ لأى عمليات تحت الماء أو إبرار على الشواطىء .

* فرق مخابرات خاصة لتوفير المساندة للقائمين بالعمليات .. هناك فريق يتكون من ثلاثة متسمعين تحت الاسم الكودى ( رباعى روبن ) يسافرون ومعهم أجهزة معقدة يمكن استخدامها لمراقبة التليفونات دون قطع الأسلاك أو التنصت على المحادثات على البعد دون الحاجة إلى تثبيت

ميكروفونات صغيرة .

* وحدة طبية ووحدة اتصالات وأفراد قيادة وسيطة .

* وفى النصف ساعة الثانى قدم لاك خطة ( الحفرة الحامضة ) التى يمكن بواسطتها إخراج ميوز من سجن موديلو .

وقبل ذلك بشهر كان بوش قد تلقى التماسا شخصياً من ميوز يرجو فيه المساعدة فى خطاب تم تهريبه داخل كتاب . كان باول يدرك جيداً أثر السجناء الأمريكيين على الرؤساء .. وقد أصبح رد الفعل المبالغ فيه تجاه الأسرى الأمريكيين فى الخارج نموذجاً تطبيقياً .. وكان أسلوب باول بالنسبة للمواقف التى تتخذ حيال الرهائن هو محاولة التحكم فى ردود الأفعال وعواطف الرئيس إن أمكن .. وقد خلقت وكالة المخابرات المركزية ضغطاً هائلاً على العسكريين كى يضعوا خطة إنقاذ وأوضح بوش أنه سيأمر بالإنقاذ إذا كان هناك دليل على أن حياة ميوز تتعرض للخطر .

وعرض لاك صوراً أخذت من الجو للسجن والطريق الذى ستتخذه طائرات الهليكوبتر الهجومية .. كما عرض نموذجاً مفصلاً لمبنى السجن فى صندوق يفتح تلقائياً ويظهر الحى الموجود فيه السجن وطبيعة الأرض والسجن نفسه بنقاط الحراسة والمداخل والمخارج ومكان زنزانة ميوز بالضبط وهى زنزانة فى الطابق الثانى مساحتها ٨ × ١٢ قدماً .. كان قد مر على ميوز فى الحبس الانفرادى بهذه الزنزانة ستة أشهر الآن .

وأعطى لاك وصفاً بالدقيقة والثانية للعملية التى ستقوم فيها دلتا بهجوم متوافق التوقيت ثم تتوجه إلى زنزانة ميوز بعد شل حركة الحراس وربما دون قتلهم وسيؤدى ذلك إلى تحرير وتأمين ميوز ووضعه على الطائرة فى تسع دقائق .

ولم يكن تشينى يقترح تنفيذ هذه العملية . كان الغرض من الشرح استعراض القدرة وإظهار أن البنتاجون قد استجاب لطلب الرئيس ووكالة المخابرات بعمل خطة .. كان تشينى يعلم أن الرئيس واقع تحت ضغط من ويليام وبستر مدير وكالة المخابرات الذى كان بدوره واقعاً تحت ضغط خبراء العمليات السرية .. وكان الرئيس متعاطفاً .. كما كان يعلم تشينى .. مع رغبة وكالة المخابرات فى تجنب تكرار حادث قتل رئيس محطة بيروت ، ويليام باكلى بأى ثمن وكان تشينى وباول متأكدين من أن الرئيس سوف يأمر بعملية الإنقاذ إذا كان هناك خطر على حياة ميوز .

وعلى الرغم من ذلك كان تشينى يعمل جاهداً لعدة شهور كى يرطب الحماس لتنفيذ عملية الإنقاذ .. وكان السبب الأول هو أن ميوز لم يكن يتعرض لخطر عظيم ويتم إطعامه ومعاملته جيداً .. والسبب الثانى هو أن عملية الإنقاذ سوف تجعل كل من فى بنما يلاحظون أن الولايات المتحدة لها هذه القدرة على الاختطاف السريع كما أن عندها العزم على استخدامها .. وكان تشينى يعتقد أن

هناك أهدافاً أخرى ذات قيمة أكبر تناسب عملية الاختطاف السريع مثل أحد ملوك المخدرات أو نورييجا نفسه .. وكان من عدم الحكمة إضاعة هذه القدرة على ميوز وحده .

وبالإضافة إلى ذلك كان تشيني يعتقد أن عملية إنقاذ كبرى فى السجن الذى يقع أمام مقر قيادة نورييجا مباشرة سوف يشكل مواجهة مباشرة مع قوات الدفاع البنمية .. وكما حذر محامو تشيني ، فإن هناك عواقب لايمكن التنبؤ بها لانتهاك سيادة دولة أخرى للإفراج عن سجين واحد تم القبض عليه لانتهاكه القوانين المحلية .. لو كان ميوز هو الهم الوحيد لأمريكا فإن عملية الإنقاذ ستكون مقبولة عقلانياً ولكنْ هناك آلاف من الأمريكيين الآخرين فى بنما ويمكن أن تصبح أى جماعة أو فرد منهم رهينة أو سجيناً .

* * *

كانت قد تمت فى السابق إعادة بعض من قوات العمليات الخاصة المرسلة إلى بنما إلى الولايات المتحدة .. والآن كان ماكس ثورمان يريد المزيد فإذا كان عليه خطف نورييجا أو إنقاذ كيرت ميوز أو بعض الرهائن بشكل عاجل فقد كان يحتاج إلى قوة على أرض بنما وليس إلى قوة فى فورت براج تنتظر أن ترسل .. وبحلول يوم الجمعة ٢٠ أكتوبر طلب ثورمان ووافق باول على القيام بنشر سرى لفريق العمليات الخاصة فى بنما بقيادة الجنرال لاك .. وحمل باول أمر الانتشار إلى تشيني الذى كانت موافقته لازمة لأى نشر للقوات فى أى مكان من العالم .

وكانت الأسباب المقدمة لهذا النشر هى : التحضيرات العادية الحريصة من أجل عمل المزيد من تدريبات المرحلة (٣) و(٤) والاستجابة للتوترات الزائدة فى الموقف ، وتدعيم القدرة على الاستجابة للطوارىء .. وبالإضافة إلى هذا أن التدريبات التى ستقوم بها هذه القوات وقوات أخرى فى بنما سوف تشكل « بروفة » رائعة للعمليات الفعلية .

كان تشيني معجباً بالفارق بين ثورمان وفورنر السابق له الذى لم يكن يريد المزيد من القوات .

ووقع تشيني دون جدال أوامر الانتشار الخاص ذى الاسم الكودى ( الطرد الأنيق ) وهو يتكون من سرب : دلتا و ( الرصاصة الفضية ) ذات الست عشر هليكوبتر والمتسعمين الثلاث على الإشارات المخابراتية ( رباعى روبن ) بالاضافة إلى لاك ومرؤوسيه من الخبراء . وكان الفارق الرئيسى بين هذا الانتشار والقوات المطلوبة لخطة لاك ( الثعبان البرى ) للإنقاذ أو الخطف هو أنه لم يكن هناك فريق SEAL 6 متضمنا فى ( الطرد الأنيق ) .

ومسروراً بتلقى المزيد من القوات .. أرسلهم ثورمان فى تدريبات ليلية مكثفة تتسم بالمخاطرة العالية التى لم تسفر إلا عن حدوث آثار اصطدام بهياكل طائرات الهليكوبتر .

* * *

وعمل رئيس أركان الجيش فونو على أن تكون له يد فى التخطيط لبنما فاستدعى شتاينر ولاك .. وهما من جنرالاته إلى واشنطن فى ٢٧ أكتوبر من أجل شرح شامل خاص عن التغيرات التى تتم فى عملية الملعقة الزرقاء .. وقال فونو بعد أن سمع إطار الخطة « إن هذه خطة غاية فى التعقيد » كان هناك أكثر من ٣٥٠ طائرة وهليكوبتر سوف تطير جنبا إلى جنب فوق بنما .. وحث لاك شتاينر على التأكد من التنسيق بين هذه الطائرات قائلاً « يجب عليكم عمل أكبر عدد من البروفات على شىء كهذا بقدر ما تستطيعون » ورد شتاينر « نعم يا سيدى » فقد كان يقضى ثلث وقته تقريباً فى التخطيط والتجريب من أجل بنما .

فلكى تتم إدارة هذا العدد من الطائرات فى مثل هذه المساحة الصغيرة ليلاً يجب تزويد كل طيار ومساعد طيار وأفراد الطاقم بأجهزة رؤية ليلية بالغة الحساسية تجعلهم يرون الليل وكأنه نهار .. ومن خلال هذه النظارات سيمكنهم تمييز القوات الأمريكية عن القوات البنمية ويتجنبون أسلاك الكهرباء والأبراج والعوائق الأخرى .. ولمساعدة هؤلاء الذين يرتدون نظارات الرؤية الليلية سوف تكون هناك طائرات من طراز ايه سى ـــ ١٣٠ مجهزة بأضواء كاشفة ذات أشعة تحت الحمراء .. وحين تدور هذه الطائرات عالياً عن الأرض يمكن لكل منها إضاءة مساحة فى حجم عدة ملاعب لكرة القدم .

وقال شتاينر لفونو « سوف نمتلك الليل » .

* * *

وفى يوم الاثنين ٣٠ أكتوبر وقع ثورمان وثيقة سمكها ربع بوصة معنونة « رئيس أركان القيادة ـــ أمر قيادة العمليات رقم ١ ـــ ٩٠ الملعقة الزرقاء » كانت الخطة مبنية على أساس ثلاثة مبادىء ـــ المفاجأة التامة وأقل نسبة خسائر على الجانبين ( وخسائر الأهداف المدنية ) وأقل عدد من القوات .

وفى يوم الأربعاء فى الثانية بعد الظهر ذهب الجنرال كيللى مع مخططى ( جى ـــ ٣ ) إلى مكتب باول وأعطوه شرحاً مفصلاً عن ( الملعقة الزرقاء ) كان ذلك هو اليوم الثلاثين لباول كرئيس لهيئة الأركان المشتركة وبعد ذلك بيومين أى فى الجمعة ٣ نوفمبر قدم ثورمان وشتاينر ولاك شرحاً ملخصاً لرؤساء الأركان جميعهم مبينين كيف يمكن إحضار قوة فى حجم فرقة من أحد عشر ألف رجل إلى بنما للمساعدة فى الإسراع بإخراج نورييجا وقوات دفاعه .. وقال لاك لإنه من الواضح أن عملية إنقاذ كيرث ميوز لن يتم تنفيذها بشكل مستقل فإنه سوف يدمجها فى خطة ( الملعقة الزرقاء ) وشرح لاك أنه إذا تم تنفيذ ( الملعقة الزرقاء ) فإن ميوز سيكون فى خطر ولذا فإن إنقاذه يجب أن يتم فى أول لحظات أى عمليات هجومية .

وأيضاً فى ٣ نوفمبر أصدرت وزارة العدل مذكرة من ٢٨ صفحة إلى سكوكروفت ذهبت فيها إلى أبعد مما وصل اليه القرار السابق بأن من حق مكتب التحقيقات الفيدرالى إجراء اعتقالات خارج البلاد فقد اختتمت هذه المذكرة الجديدة بأن القانون الذى يحظر على العسكريين إجراء الاعتقالات داخل الولايات المتحدة لا ينطبق فى الخارج وهكذا يمكن للعسكريين أن يقبضوا على تجار المخدرات والهاربين خارج البلاد .. وقررت المذكرة أن هذا التفسير « هو ضرورى لتمكين بعض القوانين الجنائية من أن تنفذ ولتجنب الحد غير المشروع من السلطات الدستورية لرئيس الجمهورية » .

وفى نفس الوقت تقريباً جاء للمخابرات توجيهات من الرئيس تخول للوكالة صرف مبلغ يصل إلى ثلاثة ملايين دولار على الخطط السرية التى تهدف إلى تجنيد ضباط عسكريين بنميين وبعض من هم فى المنفى للإطاحة بنورييجا .. وبالتالى أصبح البنتاجون ووكالة المخابرات المركزية يتنافسان على من يخلص بوش من مشكلة نورييجا أولاً .

وفى الأسبوع التالى أخذ باول شارحى ( جى ـــ ٣ ) إلى تشينى لتقديم إطار ( الملعقة الزرقاء ) .

كان أحد الأهداف هو قاعدة ريو هاتو على بعد ٧٥ ميلا جنوب غرب بنماسيتى حيث تقع قوات نورييجا الشرسة المدربة فى كوبا والمسماة بقوات ماتشو دى مونتى وهى نفس القوات التى أحبطت محاولة انقلاب أكتوبر وكانت الخطة تستدعى استخدام طائرات القوات الجوية الجديدة من طراز إف ١١٧ أ أو الشبح لإلقاء ألفى رطل من القنابل على الثكنات لكى تشل وتشتت حركة قوات الدفاع البنمى الموجودة بداخلها .. كانت الطائرات الجديدة الراقية التصميم والتى لم تستخدم من قبل تتكلف الواحدة منها مائة مليون دولار .. وهذه الطائرات التى تستخدم أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا وخبرة التصميم تم صنعها لتكون غير مرئية بالفعل لردار العدو ولديها قدرات فى إصابة الأهداف بدقة غير عادية .

وضحك تشينى قائلا : « دعكم من هذا المزاح ياأخوة .. الشبح ؟ هل تريدون استخدام الشبح ؟ كان تشينى يضع فى ذهنه الانتقادات التى وجهت لعملية جرينادا عام ١٩٨٣ عندما تنافست أفرع القوات المختلفة لكى تشارك بنصيب أكبر فى العملية .. إن الشبح يمكن أن يشكل دوراً كبيراً للقوات الجوية فى عملية ( الملعقة الزرقاء ) .. وسأل تشينى بحدة « لماذا تريدون بحق الجحيم أن تستخدموا ١١٧ ؟ إن آخر مرة فحصت فيها الموضوع لم يكن هناك تهديد جوى خطير .

شرح باول وضباط ( جى ـــ ٣ ) أن شتاينر هو الذى طلب ذلك لأن طائرات إف ١١٧ أ سوف توفر أفضل وأدق قدرة على القصف الليلى .. فإن لديها أكثر أجهزة التوجيه الرادارى

تقدماً مما يمكن الطيار من توجيه قنابله إلى أهدافها بالضبط بدرجة دقة تبلغ الكمال .

وأيضاً ستستخدم طائرات إف ١١٧ أ لقصف أحد أماكن اختباء نورييجا فى شرق بناسيتى .

واستجوبهم تشينى بدقة فى ذلك متسائلاً : إذا تم تنفيذ هذه الخطة أن يكون من المعروف لهم إن كان نورييجا فى الجانب الشرق أو الغربى من بنما ؟ وإن لم يكن فى الجانب الشرقى لن تكون هناك حاجة لضرب الهدف أليس كذلك ؟ .

وتم حذف الهدف من القائمة بعد ذلك .

* * *

كان شتاينر وثورمان لازالا يريدان المزيد من القوات للمركز فى بنما .. فقد أظهرت محاولة الانقلاب الفاشلة حقيقة أنه ليست للولايات المتحدة طريقة جاهزة لمهاجمة الكوماندانسيا بالنيران الثقيلة ولا وسيلة لمنع الكتيبة ٢٠٠٠ الخاصة بنورييجا من السير عشرة أميال من فورت سيمارون لإنقاذه فى الكوماندانسيا .. وفى أوائل نوفمبر طلب شتاينر قوة تتضمن :

* أربع دبابات شيريدان .

* كتيبة محمولة جواً .

* ست طارئرات أباتش إيه إتش ــ ٦٤ متنوعة وقوية وهى طائرات تشبه العناكب الطائرة ولها قدرة على الطيران الليلى الدقيق .. وبحكم تصميم الأباتشى كقاتلة للدبابات فإنها كثيفة التسليح بقذائف هيل فاير ( أو نيران الجحيم ) والصواريخ والمدافع البرجية من عيار ٣٠ مم المتسلسلة النيران ( أى التى تستخدم الذخيرة بطريقة المدفع الرشاش ) .

* ثلاث طائرات هليكوبتر استكشافية من طراز أو إتش ــ ٥٨ .

ووافق ثورمان وباول على الطلب ووقع تشينى فى ٧ نوفمبر أمر الانتشار الذى أعطى الاسم الكودى ( المأدبة اللبقة ) .

* * *

كان ثورمان منشغلا بالانتقادات التى وجهت إلى غزو جرينادا عام ١٩٨٣ عندما كان التنسة يتم بشكل بلغ من السوء درجة أن الوحدات لم تكن تستطيع التحدث إلى بعضها .. كانت الأجهزة وموجات التردد اللاسلكى وإجراءات كل فرع من فروع الأسلحة غير متوافقة ولم تكن هناك خطة اتصالات شاملة ومشتركة .. ولذا فقد أخذ يفحص الآن بنفسه نشرات الاتصال وخططه وأوامره فى ( الملعقة الزرقاء ) كانت دفاتر تعليمات اتصالات العمليات الإلكترونية تصنع كومة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أقدام .

وأمر ثورمان مخططيه مصرا على تلقى معلومات منتظمة منهم طوال السهر قائلا : « إننا لن

نكرر أيا من ذلك الهراء الذى حدث مرة أخرى ، فلتتقنوا عملها هذه المرة » وكان يريد التأكد من أن القوات الجوية بوسائل انتقالها وطائرتها التكتيكية متماسكة تماماً من حيث اتصالاتها بالجيش وبوحدات العمليات الخاصة .. وعندما انتهى من ذلك كان قد فحص كل صفحة بنفسه وتم تلخيص كومة دفاتر تعليمات اتصالات العمليات الإلكترونية إلى وثيقة سمكها بوصة واحدة .

وصدق ثورمان أيضاً على خطة لتقليل عدد الرعايا فى بنما إلى خمسمائة عائلة أما باقى الرعايا الآخرين فيتم ترحليهم إلى الولايات المتحدة ابتداء ١٦ نوفمبر .

* * *

وأثناء أسبوع عيد الشكر فى ٢٠ نوفمبر طار شتاينر وفريق من مخططيه إلى بنما للتفتيش على التدريب والتمرين .. وللمرة الثانية فقد وصلوا ليلاً يرتدون الملابس المدنية .. وأراد شتاينر تقريراً مفصلاً عما تم عمله فى الفترة الماضية من كل واحد من القادة الأمريكيين يغطى كل ما حدث يومياً منذ زيارته الأخيرة .

ولم يكن يريد ملخصات شاملة .. واستمع فى صبر دون ملل من التفاصيل ولم يرض عن خطة الطيران للعمليات الليلية وهى جزء حيوى من ( الملعقة الزرقاء ) .

ولأن شتاينر كان يأمل فى العودة لتناول عشاء عيد الشكر فى فورت براج فلم يكن قد أحضر حتى زيه الرسمى .. ولكن بعد وصوله بقليل أبلغت السفارة الأمريكية فى بنما أن رجلاً قد حضر إليها ليلاً ويدعى أنه يعمل لدى عصابة مدلين لتهريب المخدرات ( أحد الكارتلات ) وقال إن الكارتل ( العصابة ) قد ضاقت ذرعاً بمساندة الولايات المتحدة للحرب ضد المخدرات فى كولومبيا حيث كان يتم ضرب الكارتل بطريقة مؤذية ولذا فإنها ستنتقم .. وكانت معلوماته غاية فى الدقة : كانت الكارتل فى طريقها لشحن وزرع عشر عربات ملغومة بالقنابل فى منشآت أمريكية وسوف توجه القنابل إلى مدى واسع من الأهداف بما فى ذلك الضباط والجنود والرعايا .

وقال المبلغ إن أحد الأهداف هو مستشفى جورجاس العسكرى الأمريكى .. الذى يقع بالقرب من مقر قيادة ثورمان فى كوارى هايتس وكانت المستشفى بلا حماية حيث إنها تقوم بمحاذاة قاعدة جبل وأسفلها ساحة انتظار سيارات .. ويمكن لعربة ملغومة واحدة نسفها بشدة .

وتم تعريض الرجل لاختبار كشف الكذب لمعرفة مدى صدقه وكانت النتائج غير واضحة .. وتم عمل اختبار آخر نجح فيه وعندما تلقى ثورمان المعلومات فى مقر قيادته اتصل بشتاينر قائلاً : « انظر إن ماسنفعله هو أن نستعد الآن » .

ـــ تمام يافندم .

وقال ثورمان « أنث الآن تقف يا صديقى » .

وكان يعنى بذلك أنه يعطى الأمر لقوة شتاينر للمهام المشتركة أن تبدأ العمل فى تلك اللحظة « ابدأ العمليات » .

كان شتاينر الآن هو قائد العمليات الحربية لكل القوات .. فإذا حدث شيء وأمرت واشنطن بالرد عليه عسكرياً كان على شتاينر القيام بهذا الرد .

وقال ثورمان : « إنك المسئول عن كل شيء » .

ــ نعم يا سيدى .

قال ثورمان : « لقد قتل أحد الأمريكيين .. سوف ننسف نورييجا إن السيد نورييجا سيذهب » .

ــ تمام يافندم .

وبعث ثورمان لباول برسالة يبلغه فيها أنه تم التشغيل الطارىء لقوة المهام المشتركة .

لم يكن باول سعيداً .. كان قرار تشغيل قوة المهام المشتركة قراراً يخص تشينى وباول نفسه .. كان ثورمان يقود قواته فى بنما وفى بقية مناطق القيادة الجنوبية ولكنه لايقودها فى أى مكان آخر .. لم يكن من سلطته وحده أن يأمر شتاينر بالتحرك لأنه كان يتبع قيادة القوات فى الولايات المتحدة .

واتصل باول بثورمان على التليفون السرى قائلاً له بسخرية : « إن قرارك ناتج عن تفكير عميق .. لماذا لا تستأذن فى المرة القادمة ؟ لماذا لاتجعلنى أتخذ القرار بنفسى من هنا » .

كان ثورمان يشعر أن تحريك قوة المهام المشتركة واضح بطبيعته فى ظل التهديد بعمليات تفجير سيارات ملغومة .. فبعد الانقلاب الفاشل وبعد انتقادات الصحافة وبعد تعليقات الكونجرس منذ سبعة أسابيع فقط فإن على الرئيس أن يرد عسكريا إذا حدث هجوم بالقنابل .. هل كان عنده خيار آخر ؟ .

قال ثورمان لباول : « اسمع ياصديقى إذا انفجرت قنبلة هنا فإن يفجر الأحداث » .

قال باول : إن ذلك يتحمل أن يكون صحيحاً ولكن القرار هو قرار الرئيس ووزير الدفاع .

قال ثورمان « إذا انفجرت قنبلة لعينة فإن لدينا مشكلة خطيرة وخاصة إذا قتل أمريكيون » .

وخطر لباول أنه من اللطيف أن يكون لديك قائد يتميز بالإقدام ولكن عليه أن يراقب ثورمان مراقبة لصيقة .

وأبلغ باول تشينى وكان تشينى قلقاً من حدوث انفجارات سيارات ملغومة شبيهة بما جرى فى بيروت يقتل فيها العشرات أو المئات .. ولأن هناك ثلاثة عشر ألفاً من القوات فى بنما وكلهم هناك لحماية المصالح الأمريكية فإن الخطر سيكون أكبر . وتساءل تشينى كيف يمكن ألا يأخذ المرء

بجدية بلاغاً عن سيارات ملغومة فى بنا تحت اشراف ميدلين كارتل .. نعم إن ماكس تصرف بإقدام ولكن ربما هذا مادعت الحاجة إليه .. وهكذا قرر تشينى أن يدعم ثورمان تماماً .. ويمكن لقوة المهام المشتركة الاستمرار فى العمل .

ووضع ثورمان القوات الأمريكية فى حالة استعداد قصوى لمواجهة التهديد الإرهابى وتم إغلاق القواعد بإحكام مطلق .. وكان كل شىء وكل فرد يدخل من جميع البوابات يخضع لتفتيش ذاتى بالغ الدقة .

وطلب ثورمان أيضاً استدعاء كل فرق الكلاب المدربة على اكتشاف القنابل ووصلت معظم هذه الفرق وتم أيضاً إرسال عملاء من قسم التحقيقات الجنائية وخبراء الأمن البدنى إلى القيادة الجنوبية وصدق تشينى على انتشار قوات التأمين هذه فى ذلك الأسبوع تحت الاسم الكودى « ضربة القطب » .

وتولى شتاينر قيادة كل إجراءات الأمن هذه .. وقال وهو يحاول تنفيذ طلب ثورمان بإرسال الكلاب إليه « اللعنة .. ليس من الضرورى أن يكون كلباً مدرباً .. يمكن أن يكون أى نوع من الكلاب » وفحص شتاينر كل قنوات الاتصال وأقام المزيد من البروفات على جمع المعلومات والعمليات الليلية المكثفة .

وقامت القوات الأمريكية بأعمال تفتيش مشددة على السيارات فى مستشفى جورجاس العسكرى .. واحتج أعضاء من كتائب الكرامة الخاصة بنورييجا مدعين أن الناس يتم منعهم من الذهاب إلى أعمالهم وكانت هناك مباراة كبيرة فى الشد والجذب ولكن لم يتم إطلاق النار .. وكان من اللازم إرسال قوات أمريكية لإجبار « كتائب الكرامة » على المغادرة .

وفى الوقت نفسه بدأ باول وآخرون يتساءلون عن الرجل الذى ظهر فى السفارة الأمريكية بهذه الادعاءات عن السيارات الملغومة .. وبدأ باول فى تطبيق أحد مسمياته على الموقف بأكمله مسمياً إياه « مثير للشك » كان الرجل يأتى إلى السفارة طوال الأسبوع ليلة بعد ليلة مصراً على أنه كان فى الدوائر الداخلية للكارتل طوال اليوم .. واستنتج باول أنه إذا كان ذلك حقيقياً فإن الكارتل لن تدعه يذهب فى الليل بتلك البساطة .. لم يكن ذلك مقبولاً للعقل .. كانت القدرة الاستخبارية للعسكرية الأمريكية كلها مشوشة و لم يكن هناك أدنى تأكيد للأشياء التى كان الرجل يقولها .

وتم حبس الرجل مع جهاز كشف الكذب للمرة الثالثة وفشل فشلاً ذريعاً .. وقالت كل الوكالات والأقسام المشتركة فى العملية إنه إما أن الرجل كان يكذب أو أن هناك عملية خداع مخططة بدقة للتشويش على الولايات المتحدة وإفزاعها .

وفى نهاية نوفمبر .. وبعد التشاور مع باول قام ثورمان بحل قوة المهام المشتركة وأعاد شتاينر إلى الولايات المتحدة .

* * *

كانت « البروفات » للوحدات المنفردة فى إطار ( الملعقة الزرقاء ) تتم بصورة طيبة ولكن ثورمان قرر أن يقوم بإدارة تدريب استعداد مشترك أثناء شهر ديسمبر يتم فيه عمل بروفة شاملة للخطة .. وقرر أن تجرى قوات العمليات الخاصة والقوات الموجودة داخل البلاد تدريباتها فى بنما فى حين تجرى معظم وحدات التدعيم والمساندة تدريباتها فى الولايات المتحدة .

وبالإضافة إلى ذلك كان يتم إجراء تدريبات الاستعداد الليلى على فترات منتظمة فى بنما وهو تدريب كان يشعر ثورمان أنه سيساعد على تغطية أى قوة أو تحرك كبير فى حالة حدوث عمليات فعلية .

وتم عمل تدريب على خطة إنقاذ ميوز فى منطقة منعزلة فى فلوريدا على مبنى تم إنشاؤه على هيئة سجن موديلو وفى ثلاثة أرباع حجمه .

* * *

وعندما عاد الجنرال كيللى إلى واشنطن كان يفكر فى التحول الجذرى للقيادة الجنوبية الذى حدث فى حوالى شهرين فقط . كان الجنرال السابق فورنر يبدو غير قادر على تخيل استخدام القوة العسكرية فى بنما فى حين أن ماكسويل ثورمان كان يرى الحرب قادمة .

# □ ١٣ □

فى أواخر يوم الخميس ٣٠ نوفمبر ، جاءت تقارير يعتمد عليها إلى البنتاجون تفيد بأن قوة من المتمردين يبلغ قوامها ألف رجل قد استولت على قاعدتين عسكريتين فى الفلبين . وانزعج باول الذى كان قد قضى معظم يومه فى جلسات مناقشة الميزانية مع رؤساء أفرع القوات المسلحة ورؤساء الأركان .

كانت هناك شائعات مطردة بأن هناك من يدبر لانقلاب ينهى به حكم الرئيسة كورازون اكينو المهزوز الذى استمر لمدة ثلاثة أعوام ونصف . لكن المتمردين الآن لديهم طائرات .

صعد باول إلى مكتب تشينى ومعه الخرائط وتقارير المخابرات وقال للوزير إن الموقف لا يبعث على الاطمئنان . وبعد أن راجع باول آخر المعلومات ذهب إلى بيته لتناول العشاء .

وفى الوقت ذاته كان هناك اجتماع للجنة نائبى الوكالات قد بدأ فى البيت الأبيض وحضره نائب باول ، الجنرال روبرت هيريس ممثلاً لهيئة الأركان المشتركة . وظل النواب يتابعون الأزمة خلال الليل بعد أن فضوا اجتماع البيت الأبيض وظلوا مجتمعين من خلال دائرة فيديو مؤمنة . وفى أحد تطورات الموقف جاء طلب من وزير الدفاع الفلبينى لتدخل الولايات المتحدة .

قال هيريس إن القواعد الأمريكية فى الفلبين لا يجب أن تستخدم فى التدخل فى النزاعات الأهلية وكذلك كان روبرت جيتس ، نائب سكوكروفت غير راض عن التورط العسكرى الأمريكى .

وبعد الحادية عشرة بقليل عاد باول إلى البنتاجون ليشترك فى اجتماع رسمى لمجلس الأمن القومى عن طريق الفيديو أيضا . وكان دان كويل نائب رئيس الجمهورية سيتولى رئاسة اجتماع مجلس الأمن القومى لأن الرئيس كان على متن طائرة هو وبيكر وسكوكروفت فى الطريق إلى مالطة لاجتماع قمة مع جورباتشوف .

وبينما بدأت التقارير عن قصف بالقنابل يقوم به المتمردون اتخذ باول مقعده فى غرفة متابعة الأزمة فى مركز القيادة العسكرى القومى فى البنتاجون . وكان هيريس يجلس إلى يمينه وعن يساره كان الأدميرال هانتيجتون هارديستى ، رئيس الأركان المسئول عن الفلبين وباقى منطقة الباسفيك . ولم يشترك تشينى الذى كان فى منزله يعانى من انفلونزا أصيب بها فى رحلة طويلة إلى أوروبا فى

مؤتمر الفيديو ولكن خطا تليفونياً مباشراً من مركز القيادة إلى بيته تم إنشاؤه حتى يستطيع باول إعلامه بما يجرى أولاً بأول .

وفى غرفة متابعة الأزمة بالبيت الأبيض كان كويل على رأس المائدة بينما جلس روبرت جيتس عن يمينه وعن يساره جلس رئيس موظفى نائب الرئيس ، ويليام كريستول . وكانت شاشة الفيديو الضخمة أمامهم مجزأة إلى أقسام مخصصة لكل من باول ، وممثل وكالة المخابرات المركزية ، ومحام من وزارة العدل وهنرى إس روين مساعد وزير الدفاع لشئون الأمن القومى ، وممثل وزارة الخارجية لورانس إيجلبرجر نائب الوزير .

قال إيجلبرجر « انظروا ، ليس لنا خيار ، يجب أن ندخل ، بشكل ما ، هذه حكومة ديمقراطية كنا نرعاها . فى الحقيقة لا يجب أن يكون هناك جدال . لايمكن أن يكون هناك جدال » واقترح إيجلبرجر أن تقوم وزارة الدفاع بإيجاد كيفية للتدخل ، ولكن لاشك أن شيئاً ما يجب أن يتم عمله .

وبعد حوالى نصف ساعة من المناقشة لم يتبنَّ أحد بصورة جدية وجهة نظر إيجلبرجر الرئيسية . فالبنظر إلى الدور الرئيسى الذى لعبته الولايات المتحدة فى إخراج الدكتاتور فردناند ماركوس فإن عليها التزاما بالوقوف وراء نظام أكينو .

وكان يبدو أن الأزمة تأخذ شكلا جدياً . وتلقى باول تقارير أن قصر أكينو الرئاسى يتم قصفه . وعقب هذه التقارير جاءت طلبات سريعة من الحكومة الفلبينية أن تقوم القوة الجوية الأمريكية إف ـــ ٤ المتمركزة فى قاعدة كلارك الجوية بضرب القاعدتين اللتين استولى عليهما المتمردون واستخدموهما لشن الغارات على قصر الرئاسة . وكانت الطلبات مصحوبة بادعاءات أن التدخل الفورى لازم وضرورى لترجيح كفة الحكومة وإنقاذ أكينو . ثم أعقب ذلك طلب آخر أن تقوم أمريكا بقصف مستودع للذخيرة يبدو أن المتمردين يستخدمونه .

وكان باول قلقا من أن الطلبات تفتقر إلى الدقة والإيجاز . كانت كل الطلبات تصل إلى البنتاجون عن طريق السفير الأمريكى فى مانيلا ، نيكولاس بلات ، منسوبة إلى أكينو أو وزير دفاعها فيدل راموس . كان باول يشم رائحة الرعب قادمة من الفلبين .

وقال كويل إن عليهم أن يقدموا اقتراحاً للرئيس بوش وأشار إلى اعتقاده بأن طلب مسز أكينو هو طلب شرعى وأن الولايات المتحدة يجب أن تستجيب له . ووافق كل من مندوبى وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية .

وركز باول على عدم اليقين الذى يسود الموقف مشيراً مرات عديدة إلى أنهم قد تلقوا تقارير ولكنهم لا يمكنهم أن يكونوا متأكدين من أى شيء .

وسأل باول : ماهو غرضنا ؟ إذا كنا سنفعل ذلك فيجب أن أقول لرجالى ماهى المهمة . وردت وزارة الخارجية والبيت الأبيض بأن المهمة هى مساندة مسز أكينو وإبقاؤها فى السلطة .

وسأل باول : ماهو الهدف المباشر من ضرب المطارين ؟ وأجاب بنفسه على سؤاله : لمنع طائرات المتمردين من الإقلاع . وقال إن هذه الطائرات الفلبينية هى من طراز ت ـــ ٢٨ ، تعود إلى أيام الحرب العالمية الثانية وتستخدم محركات دفع . وهناك طريقة لمنعها من الاقلاع وإبقائها على الأرض . وإن لديه مقاتلات قاذفة نفاثة متقدمة من نوع إف ـــ ٤ تستطيع دون إلقاء أى قنابل أن تخيف أى طيار لطائرة ت ـــ ٢٨ وتضطره للتفكير مرتين قبل الاقلاع . وأضاف قائلا : « أعتقد أنه يمكننا عمل ذلك دون التورط فى مزيد من المتاعب » .

وقال باول إن الطلبات الفليبينية أكثر غموضاً من أن تترجم إلى أوامر لطيارى إف ـــ ٤ الأمريكيين . فلم يكن لديه معلومات دقيقة عن الأهداف « إنك لا تستطيع أن تتصل بشاب فى الثانية أو الرابعة والعشرين من عمره وتقول له اذهب واضرب هنا » . وقال إن القنابل شىء مخيف وفتاك وليست له القدرة على التمييز .

كان لدى باول عدم ثقة فى قوة سلاح الطيران وهو شعور طبيعى بالنسبة لضابط جيش . إن القنابل الكبيرة دائماً ما تبشر بإنجاز عظيم ولكنه غالباً ما رآها تفشل ـــ فى فيتنام مثلاً . لكنه احتفظ بهذه الأفكار لنفسه .

وقال إن عدم وضوح هدف القصف ليس هو الغموض الوحيد فى المسألة وإنما أيضاً إنه لا يستطيع أن يضمن من هو الجانب الذى سيستفيد من هذا القصف . وقال باول إن هذه القواعد فليبينية وبالتالى سيكون فيها متمردون وموالون للحكومة . وستكون النتيجة أن أمريكا فى النهاية ستقتل الفلبينين . وقال باول إذا قتلنا الفلبينين فلن يسامحنا أحد فى الفلبين .

إن العداء لأمريكا كان دائماً يختمر تحت سطح هذه الأمة التى يبلغ تعدادها ٤٠ مليونا ذوى حساسية تجاه ماضيهم كمستعمرة . وكان باول يستطيع أن يتخيل مسز أكينو وهى تحضر الصلاة على جثث الجنود القتلى ـــ سواء من الموالين أو المتمردين ـــ وتدين الولايات المتحدة .

واقترح باول قائلا : « دعونا نجرب شيئاً أقل من القصف فلا يمكننا دس أنفنا عميقاً داخل نزاع عائلى » .

وبعد أن عبر باول عن وجهة نظره ساد السكون فى مؤتمر الفيديو . واتصل بتشينى ليشرح له أن شيئا غبيا على وشك الحدوث وسوف يسبب مشاكل سياسية كبيرة للولايات المتحدة وعلاقاتها العامة . وأن هناك كثيراً من الأفراد الذين لم يلقوا قنابل فى حياتهم على وشك أن يتخذوا قراراً بعمل ذلك . وقال باول إن بإمكانه إيجاد بديل لذلك .

ودعاه تشينى أن يفعل ذلك بسرعة . واتصل بالقوات الجوية رقم واحد مباشرة من تليفونه السرى وطلب أن ينتظروا اقتراح باول قبل اتخاذ قرار .

وكان باول لا يزال قلقاً من أن معلوماتهم لا تزال جيدة . كان من المحتمل أن تكون قادمة من طفل خائف هناك . وبدأ يملى اقتراحه البديل متبدعا قواعد جديدة للاشتباك للتحكم فى سلوك واستجابات الطيارين الأمريكيين . وطرح الإرشادات التالية :

القاعدة الأولى : يجب على الطيارين الأمريكيين التحليق فوق القواعد الجوية التى تم الاستيلاء عليها وإظهار نواياهم العدوانية إلى أقصى حد ــ أو بتعبير آخر أن يرهبوا بأزيز طائراتهم طيارى ت ــ ٢٨ الرابضين على الأرض .

ثانيا : إذا بدأت طائرات ت ــ ٢٨ أو أى طائرة أخرى تابعة للمتمردين التحرك على ممر الاقلاع يجب أن يبدأ الطيارون الأمريكيون فى إطلاق النار أمامهم ــ وهى طلقة التحذير الكلاسيكية .

ثالثا : إذا أقلعت طائرات المتمردين من على أرض المطارين فى أى مرحلة يقوم عندئذ الطيارون الأمريكيون بإسقاطها . وكان باول مؤمناً بأن ذلك فيه تحقيق لنفس غرض طلب أكينو وهو : إعاقة طائرات المتمردين . ووافق كل من الجنرال هيريس والأدميرال هارديستى على اقتراحه .

ولم يكن لدى باول وقت ليسأل أحداً آخر النصيحة كما يفعل عادة فلم يأخذ موافقة على اقتراحه من أى لجنة تمثل الوكالات ولم يعرضه على مستشار قانونى . وبدلاً من ذلك مرر القواعد الجديدة المقترحة إلى تشينى فى بيته وإلى كويل فى البيت الأبيض .

وكان كويل قد طلب مكالمة هاتفية إلى القوات الجوية رقم واحد حتى يستطيع محادثة الرئيس وتقديم اقتراح له .

واستؤنفت مناقشات مجلس الأمن القومى . ولأن باول كان مدركاً لاحتياجه لكسب الوقت فقد ألقى المزيد من الأسئلة والاعتراضات .

قال باول « إذا كان الغرض هو منع الطائرات من الإقلاع فلماذا ندمرها ؟ » . وجادل قائلا إن خططا تحتوى على الميزة الاضافية المتمثلة فى تقليل المخاطرة على القوات الأمريكية ، على الأقل مبدئياً ، وتقليل فرص إيذاء أى أحد إلى الحد الأدنى . إن مسز أكينو لا تطلب أقل من التدخل الجذرى الأمريكى ولكن هناك خطوات أصغر يجب اتخاذها فى البداية .

وقال باول « إن لدينا مصالح فى الفلبين تتجاوز مسز أكينو » فلنفترض أن الانقلاب قد نجح . نحن لا نريد أن نبدأ بطريقة خاطئة مع قادته حتى قبل أن يتولوا السلطة . ووافقت المجموعة على اقتراح خطة باول على رئيس الجمهورية .

وعندما نجح باول فى الاتصال بالقوات الجوية رقم واحد كان هنالك بعض التوتر . كان سكوكروفت يبدو عازفاً عن إعطاء سلطة إدارة الأزمة إلى كويل . قال له نائب الرئيس إنه ليست هناك حاجة لإعادة تصوير الموقف التكتيكى لمرافقى الرئيس فى طائرته عبر الأطلنطى لأنه يمسك بحقائق الموقف فى غرفة إدارة الأزمة بالبيت الأبيض .

وطلب كويل التحدث إلى الرئيس . وقال سكوكروفت إنه لايريد إيقاظ بوش الذى كان يحصل على ساعات قليلة ثمينة من النوم قبل اجتماعات مالطة مع جورباتشوف . ولكن كويل أصر واستجاب سكوكروفت أخيراً وأيقظ بوش .

وقال كويل لبوش بينما كان روبرت جيتس يستمع إلى المكالمة فى البيت الأبيض : نحن نقدم لك اقتراحاً نوافق عليه بالاجماع بأن نتدخل ولكن بهذه الطريقة . وبدأ يطرح قواعد باول الثلاث للاشتباك . ووافق بوش .

وحوالى الواحدة والنصف صباحاً بتوقيت واشنطن دى . سى . أطلقت القوات الجوية طائرات إف ــ ٤ .

وجاء طلب من الفلبين أن تقصف الولايات المتحدة بعض ناقلات الأفراد المدرعة التى تعتقد حكومة أكينو أن المتمردين يستخدمونها . قال باول إنه لا توجد طريقة لمعرفة أى ناقلات أفراد مدرعة يستخدمها المتمردون وأيها يستخدمها الموالون .

لم يكن من السهل التعرف عليها مثل طائرات ت ــ ٢٨ المتمردة . واقترح الانتظار .

وبمجرد أن بدأت طلعات إف ــ ٤ لم تأت بلاغات عن أى طائرة من طراز ت ــ ٢٨ فى الجو أو عن أى قصف جديد من المتمردين .

وفى حوالى الثانية والنصف صباحاً اتصل كويل بالرئيسة أكينو ، وطلب منها أن تعيد صياغة طلبها للمساعدة حتى يبدو أن الولايات المتحدة قد نفذت الذى طلبته على الرغم من رفضها ، فى الواقع ، لطلبها الأول الخاص بالقصف . وهذا سوف يمكنها من حفظ ماء الوجه بينما تستطيع الإدارة ــ التى تعتبر مساندتها لأكينو شيئا مقدساً ــ أن تقول إنها نفذت طلبها .

وجاءت مسز أكينو على هاتف غرفة إدارة الأزمة قائلة فى صوت مرح وواثق « هاللو ياسيادة نائب الرئيس » .

وسألها كويل إن كانت قد أرادت الولايات المتحدة أن ترغم طائرات المتمردين على البقاء على الأرض .

أجابت بالإيجاب وقالت إن ذلك هو ما أرادته وإن طائرات إف ــ ٤ كانت موفقة حتى الآن .

قال لها كويل : « نحن معك » .

أما مستشار البيت الأبيض ، بويدن جراى ، الذى استدعى إلى البيت الأبيض ليتناول النواحى القانونية لأى قرار يتخذ بالتدخل ، فقد اعتقد أن أكينو تمسك بزمام الأمر أكثر من كويل . ولكن بالنسبة لجراى فإن أفضل أداء ذلك الصباح قد جاء من باول . فلم يكن رئيس هيئة الأركان يوقف نائب الرئيس فقط ولكن صوته كان هو الصوت الوحيد الذى تحدى الاجماع بالموافقة على طلب أكينو الأول بالقصف .

كان جراى يعلم أن بلداً بعيداً يمكن أن يظهر فجأة ويلعب دوراً غير متناسب مع حجمه فى مقدرات أى رئيس لأمريكا . فقد تسببت أزمة الرهائن الإيرانية بين عامى ١٩٧٩ ـــ ١٩٨٠ بشكل كبير فى إنهاء رئاسة كارتر . وبعدها بست سنوات كانت صفقات السلاح السرية لإيران هى أحرج اللحظات لإدارة ريجان . كان جراى يشعر أن بوش كان سيهمه أن يسمع ما الذى جعل تلك الأمسية ملهمة ومن الذى اعتنى بالمحل أثناء غياب الرئيس .

كان باول لا يزال قلقاً بشأن اضطراب الموقف . كان يعلم من محاولات الانقلاب السابقة فى الفلبين أن معظم العسكريين وكبار اللاعبين ينتظرون ليروا من سيكسب قبل إعلان تأييدهم لجانب دون الآخر . كانت العسكرية الفلبينية قوة سياسية هامة ، ومع ذلك لم يكن أحد فى البنتاجون أو البيت الأبيض يعلم شيئا عن موقف فيدل راموس وزير الدفاع . وعندما أثار باول السؤال اقترح كويل عليه أن يتصل براموس شخصياً .

لم يكن قلقاً من أن ينحاز راموس إلى جانب المتمردين . كان يعتقد أن راموس لن يتحرك أثناء الانقلاب وهو موقف يمكن أن يكون ، سواء عن قصد أو بدون قصد ، قاتلا لمسز أكينو .

كان مركز قيادة البنتاجون لديه عدة أرقام تليفونية عادية لراموس وأمر باول أحد قادة البحرية بأخذ خط تليفون عادى والبدء فى طلب الأرقام . واستغرق الوصول لراموس ٤٠ دقيقة .

كان باول حريصاً على ألا يدخل فى مناقشة سياسية مع وزير الدفاع . فسأل راموس عن تقييمه للموقف . ورسم راموس صورة وردية . قال إن المتمردين كانوا مجموعة صغيرة وأن الموالين يسيطرون على الموقف . وبالرغم من قصف القصر فى البداية فإن مسز أكينو لن يفكر فى إخلائه . وقال إنها تعتزم البقاء .

وشرح باول قرار الولايات المتحدة بمحاولة التخويف وقال إنه من جهته يرى أن ذلك قد نجح حتى الآن .

ولم يبد راموس شكوى من عدم إسقاط القنابل حسبما طلب وقال إن حكومة الفلبين شاكرة لجهودات الولايات المتحدة .

وفى حوالى الثالثة صباحاً بدا أن كل شيء يمضى فى مساره الطبيعى وأن المناقشات تحولت

إلى ما يجب قوله للصحافة وللكونجرس . وتصدى باول للسؤال مقترحاً التركيز على إعادة صياغة الطلب التى حث كويل أكينو على عملها . وتم اتخاذ قرار بأن هذه هى القصة التى سيتم إعلانها بدلاً من الحقيقة المتمثلة فى رفض الولايات المتحدة طلب أكينو بقصف طائرات المتمردين .

وفى حوالى الخامسة والنصف صباحاً ، استنتج كويل وباول والآخرون أن ليس هناك المزيد مما يمكن عمله . فقد هبط الظلام فى الفلبين ولا تستطيع طائرات ت ـــ ٢٨ العمل ليلاً .

وعاد باول إلى بيته لينام لمدة ساعتين .

* * *

وغادر كويل ورئيس موظفيه ، بيل كريستول ، البيت الأبيض ولديهما بعض الانطباعات عن عملية صنع القرار التى دارت فى المساء . لقد كانت تلك أول فرصة لكويل ليتصرف كمدير لإحدى الأزمات للإدارة ، ولكن كليهما كان يعلم أن بوش قد اتخذ القرار النهائى .

ولاحظا مدى جوددة أداء رئاسة هيئة الأركان وبالذات باول . وكان كويل قد أيد بشدة ترشيح باول لرئاسة هيئة الأركان ضد هيريس ، الذى لم يكن معجباً بمبادرة الدفاع الاستراتيجى وهو البرنامج المفضل لنائب الرئيس . لقد سيطر باول وهيئة أركانه على كل ما ورد لوزارة الدفاع فى ليلة صنع القرار الطويلة تلك . ولدهشة كويل وكريستول فإن باول ، وليس ممثل تشينى المدنى ، هو الذى سيطر على مناقشة سؤال ماذا يجب أن يقال للصحافة وللكونجرس . والأهم من ذلك جميعاً . فقد أتى باول بوسيلة أقل إقداماً ولكنها أكثر فاعلية لحل الأزمة بأكملها .

وصل بيت ويليامز إلى البنتاجون فى حوالى السادسة صباحا ليرى ما ستقوله وسائل الإعلام . وبعد أن لخص له ما قيل أراد ويليامز التأكد من أن أحدا لن يروج قصة أن أكينو كانت تريد قصف شعبها . وفى الحال بدأت المكالمات تأتى من مراسلين يرغبون فى تجميع أطراف القصة . وبعضهم كان عنده رواية تؤكد أن كويل قد أدى أداءا صلباً وثابتاً وملأ الفراغ الناتج عن غياب الرئيس بإدارته للأزمة .

وبنيت القصص الجديدة على أساس ذلك الموضوع . ونشرت مقاله فى اليوم التالى فى جريدة لوس أنجلوس تايمز يقول مطلعها « لقد جاءت لدان كويل لحظته تحت الشمس بعد منتصف الليل بقليل ، وقد كانت فرصة للمعان فتشبث بها بكل ما أوتى » .

ورأى باول أن الحكاية بأكملها أكدت بعضاً من أفكاره الشخصية عن استخدام القوة العسكرية .

وأول هذه الأفكار هو أية ليس هناك استخدام شرعى للقوة العسكرية دون هدف سياسى واضح ـــ وكانت فكرة القصف لا تتفق مع هذه القاعدة .

والثانية هى فكرة أحس باول أن أفضل من عبر عنها هو المؤرخ الأثينى ثوسديدس ( ٤٧٠ ـــ

٤٠٠ ق . م ) : « من كل مظاهرة القوة يظل التحكم فى النفس هو ما يترك أقوى انطباع عند الرجال » .

وأعجب باول بالفكرة لدرجة أنه احتفظ بها معروضة تحت الزجاج الذى يغطى مكتبه فى البنتاجون .

والثالثة هى أن إظهار الرغبة فى استخدام القوة غالباً ما يؤدى إلى إنجاز المهمة بنفس القدر وربما بطريقة أكثر تأثيراً من استخدام القوة ذاته . إن تهديداً جراحياً أنيقاً يمكن أن يأتى بالعجائب .

* * *

كان شعور باول جيداً جداً بعد قضائه شهرين فى عمله . كان كل شىء يقع فى مكانه وهو يحل المشاكل والأزمات اليومية . والأكثر من أى شىء ، فقد كان هو ضابط الحركة الذى يصل القوات العسكرية بالنظام السياسى ، والنظام السياسى بالقوات .

وكانت القوات مدربة وجاهزة . وأراد باول أن يتأكد من عدم تكرار سنوات ما بعد فيتنام . فقد خدم هو بنفسه جولتين فى فيتنام حيث حضر بعض المعارك ولكنه غالباً ما كان يعمل كمستشار وكضابط إدارة . وفى بداية السبعينيات ، بعد أن عاد إلى الولايات المتحدة ، كان لديه شعور عميق بالرفض والنقص كضابط جيش محترف . كانت البلاد تبدو وكأنها تبنى حاجزاً بينها وبين العسكريين . وكان البنتاجون عندئذ يتحرك فى اتجاه تكون قوات كل أفرادها من المتطوعين . وفيما يخصه هو فقد كان القرار بإلغاء القرعة معناه أن البلاد قد قالت للعسكريين « نحن لا نريد أن نكون معكم أيها الناس » .

وانطوى الجيش الذى تسوده المعارك الداخلية على نفسه فى بداية السبعينيات ليعكف على حل مشاكله . وكان باول يرى ذلك الجهد عن قرب . ففى عام ١٩٧١ تم تكليفه بالعمل كمحلل فى مكتب الجنرال ويليام إى . ديبوى ، مساعد نائب رئيس أركان الجيش . وفى رأى باول ، كان ديبوى هو عقل الجيش وهو الرجل الذى نجح فى إصلاحه بعد فيتنام . كان ديبوى خشناً ومتعالياً لكنه متفتح عقلياً وراغب فى الاستماع . ولم ير باول شخصاً أفضل ينسق لتنفيذ هذه الخطط ، ثم يشرف على التنفيذ ، ثم يشجع النقد العنيف للمشروع الذى كان من صنعه .

وفيما بعد أثناء السبعينيات ، وبينما كان الكثيرون فى الجيش يعانون من آثار مرضية ، كان ديبوى قد تصور خطة مبدئية لعقيدة قتالية جديدة . وتمت إقامة مستويات تدريب لكل شىء ابتداءاً من الحد الأدنى لعدد تمرينات رفع الصدر عن الأرض التى يجب أن يستطيع تأديتها الجنود ، إلى أهداف الرماية ، إلى الوقت الذى يجب أن تستغرقه الكتيبة فى عبور نهر . ورأى ديبوى أن الجيش يجب أن ينجز الآلاف من المهام السرية ، والكثير منها متكرر وممل ولكنها جميعاً تضيف إلى مجموع

الفشل أو النجاح . كان المفتاح هو التأكد من أن هذه المهام تؤدى جيداً تحت ضغط ظروف المعركة .

التدريب دون كلل هو قلب الجيش الجديد . وبالنسبة لباول كانت أهم نتيجة لتشريعات ديبوى هى خلق مركز التدريب القومى على مساحة ١٠٠٠ ميل مربع فى جنوب وادى الموت . وابتداء من عام ١٩٨١ ، بدأت وحدات الجيش المقاتلة فى الذهاب إلى هناك لتمضية أسبوعين دفعة واحدة ليلاً ونهاراً لقتال قوة معادية مدربة خصيصاً على التكتيكات السوفييتية . كانت واقعية المعركة والذخيرة الحيه تجعل الجنود والضباط يقتربون من المعركة الحقيقية لأقصى درجة ممكنة . كان هناك تشجيع فعلى للأخطاء . وأصبح « التعلم من خلال الأخطاء » هو شعار هذه التدريبات القوية .

وفى رأى باول ، فإن ديبوى قد شن الحرب على الجيش القديم ، محولاً إياه إلى قوة جاهزة .

وكان رئيس الجيش ، فونو ، الذى عمل أيضا مع ديبوى ، مؤمناً بإنجيل التدريب . فقد كان يقوم برحلة شهرية عبر منتصف مساحة الولايات المتحدة إلى فورت ليفنورث ، كانساس ، لتجديد علم العمداء والمقدمين عن كيفية قيادة وحدات الجيش الرئيسية . وعندما كان يخاطب جمهوراً يقارب سبعين فرداً كان يعظهم لمدة ساعتين دون الاستعانة بملاحظات مكتوبة . وقد قال إحدى هذه الجلسات فى ذلك الخريف « إن ضعف التدريب يقتل الجنود . إذا لم يكن الجيش الأمريكى غير جيد التدريب فلن تستطيعوا لوم الكونجرس ، ولا لوم وسائل الإعلام ولا يمكنكم لوم الآخرين . لأنه سيكون خطأكم ، خطأكم ، خطأكم وخطئى لأننا لم نقم بعملنا . إننا لا يمكننا أن نترك حدثاً يموت لأنه أو لأنها لم يدرب أو تدرب بصورة صحيحة ، لأنه إذا حدث ذلك ، فإنه يقع على ضمائرنا وعلى أيدينا » .

وكان باول يشعر أيضاً أن المفتاح الآخر لنجاح الجيش والمؤسسة العسكرية بالكامل — هو الفهم الناضج للعلاقات العامة والسياسة وكيفية استخدامهما . ففى ١٣ ديسمبر كان يخاطب الضباط فى جامعة الدفاع القومى فى واشنطن حيث كان يدرس منذ ١٣ عاماً . وتحدث مطولاً عن مسئولية الضابط العسكرى الجديد فى فهم العناصر السياسية والإعلامية لعمله .

ووصف رئيس هيئة الأركان كيف كان يبذل جهداً فى علاقته بالمراسلين الصحفيين حتى يثقون فيه ويقبلوا شرحه للأحداث . وقال « بمجرد أن تحركوا قواتكم كلها وتعلموا بأن كل شىء قد تم الاعتناء به ، وجهوا اهتمامكم للتليفزيون لأنكم تستطيعون كسب المعركة أو خسارة الحرب إذا لم تتعاملوا مع الخبر بشكل جيد » .

وقال إن السياسة هى ركن أساسى . « إننى أقضى معظم وقتى فى استشعار البيئة السياسية . إن الناس يقولون أحيانا ، حسن ، إن باول جنرال سياسى على أى حال . وواقع الأمر هو أنه ليس

هناك جنرال غير سياسى فى واشنطن ، إن كان سينجح ، لأن هذه هى طبيعة نظامنا . إنها الطريقة التى تعمل بها وزارة الدفاع . إنها الطريقة التى تشكل بها معادلات السياسة الخارجية . إنها الطريقة التى نحصل بها على الموافقة على سياستنا » .

# □ ١٤ □

كان الجنرال كيلى فى منزله مساء السبت ١٦ ديسمبر عندما دق جرس التليفون فى الساعة ٩,٢٥ .. كانت المكالمة من قيادة العمليات الجنوبية ومديرها الجنرال هيرتزوج يتحدث من مدينة بنما وكان يبدو منفعلا .

قال هيرتزوج : « لقد أطلق النار على شاب وممكن أن يكون قد مات » .. وسأل كيلى عن تفاصيل أكثر فقال هيرتزوج إنه ملازم من مشاة البحرية كان فى الراحة ولانعرف ماذا يحدث الآن ونحن نتابع الأمر » .. وقال كيلى : « حسنا » ، وأنهى المكالمة وبدأ فى طلب مكالمة أخرى .

كان باول فى منزله الساعة السادسة والربع فى الدور العلوى فى غرفة المعيشة وبها مكتبه وغرفة للتليفزيون وغرفة صغيرة للطعام ، وعادة تقضى عائلة باول معظم أوقاتها هناك بعيداً عن الطابق الأول الواسع الذى يستخدم فى المناسبات الرسمية .. وكانت كل الدلائل التى تأتى من المخابرات تشر إلى أن عطلة نهاية الأسبوع ستكون هادئة وكانت « ألما باول » تقرأ عندما دق جرس التليفون .

ورد باول : « جنرال باول يتحدث » .

وبدأ كيلى يقدم تقريرا عن حادث إطلاق النار فى بنما وقال باول : « اللعنة » وطلب من كيلى أن يقدم تقريرا عن التطورات وتلقى تقريرا فى الحال بأن ملازم البحرية قد أصيب إصابة بالغة وتبعه بتقرير آخر يؤكد أنه قد مات فى المستشفى وكان اسمه الملازم روبرت باز .

وطلب باول ، تشينى فى منزله وقال له : « لقد بدأت الأمور تتصاعد » .

وذهب كيلى إلى مكتبه فى البنتاجون وتبعه مساعده للعمليات ، الأدميرال جو لوبيز وهو ضابط نشط وكونوا مجموعة عمل للأزمات الصغيرة من أركان حرب متخصصين وبدأوا العمل فى الحال فى مركز القيادة المحلية .

كانت هناك تفاصيل أكثر عن واقعة إطلاق النار .. منها أن باز كان ضمن أربعة ضباط فى الراحة وبدون سلاح وفى الملابس المدنية ذهبوا لتناول العشاء فى مدينة بنما ومن الواضح أنهم أخطأوا الطريق إلى شارع يسمى أفينيو بالقرب من مركز قيادة الدفاع وأوقفت سيارتهم وحاول جنود قيادة الدفاع إخراجهم منها وصوبوا أسلحتهم عليهم وحاول قائد السيارة أن يسرع بعيداً عن الطريق

ولكن فتح أحد الجنود النيران وجُرح باز ومات فيما بعد فى مستشفى جورجاس العسكرى .

كان كيلى لا يزال يسترجع كل الحوادث الكبيرة التى حدثت وتعرض فيها الأمريكيون للمهانة فى بنما ولم يتمكن من وضع يديه على أى شيء حاسم ونهائى ليقيم الدليل على أن نورييجا أو قواده كانوا يريدون الاحتكاك والتحرش المباشر ، وحتى الآن لم يمت موظف أمريكى بواسطة جنود بنما .

وفى موعد مبكر فى ذلك المساء وصل الجنرال ثورمان إلى قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطون فى زيارة خاطفة لمدة يومين للمدينة التى تضم البنتاجون والكونجرس وكعادته فى كل مرة يزور فيها العاصمة أخرج قصاصة من الورق ودون فيها مناطق المسئولية فى ترتيب أبجدى وعلى رأس القائمة : الأرجنتين ، بوليفيا ، كولومبيا ، حتى أورجواى ، فنزويلا . وفى النهاية يضيف واشنطون . وهى آخر ولربما أهم منطقة للعمليات .

ومن أندروز ذهب لزيارة شقيقه فى المدينة وتناول عشاءه وذهب إلى الفراش .. وفى الساعة ١١ م أوقظ من النوم وأخبروه بحادثة إطلاق النار وذهب مباشرة إلى البنتاجون — حيث طلب بنما ليتحدث إلى هيرتزوج . وأشارت المخابرات ان نورييجا شخصيا تولى مسئولية متابعة ما جرى بعد الحادث .

واخذ ثورمان يفكر مع نفسه : إن أشياء دائما تحدث عندما أكون هناك .. وبدأ يرى الأحداث تتوالى فى رأسه : إنه الوقت المناسب لكى أعود ثانية » . وطلب طائرته الخاصة فى الساعة الواحدة صباحا ، من يوم ١٧ ديسمبر ، وتوجه فى رحلة طيران لمدة خمس ساعات إلى بنما .

* * *

فى الساعة السادسة صباحا كانت التقارير تتوالى من بنما وأشارت حادثة أخرى وقعت فى نفس نقطة التفتيش الخاصة بقوات الدفاع البنامية PDF . فقد أوقفت تلك القوات كلا من الملازم البحرى آرم . جى . كيرتس وزوجته بونى حوالى نصف ساعة قبل حادثة إطلاق النار وطلبت منهما الانتظار للتفتيش والتأكد من هويتهما وبينما كانا ينتظران شاهدا إطلاق النار واقيتدا معصوبى العينيى إلى مكتب قريب ثم إلى بناية ، اتضح فيما بعد أنها مركز القيادة ( الكوماندانسيا ) .

وحضر استجواب كيرتس وزوجته والذى استمر لمدة اربع ساعات ، ضابط برتبة رائد ، وخلال ذلك الوقت تعرضا للضرب والإهانات اللفظية ورُكل كيرتس فى مؤخرته مرارا وضُرب فى فمه واجبر هو وزوجته على الوقوف فى زنزانه وأياديهما على رؤوسهما ، وانهارت بونى كيرتس ( ٢٣ عاما ) بعد نصف ساعة وعندما اعترض الملازم كيرتس حشوا فمه بورقة . وجاء أفراد من قوة الدفاع البنمية وقالوا : « دعنا نقتلهما الآن » ، دعنا نتخلص منهما .. ووجهت بندقية

إلى رأس الملازم كيرتس ، وقيل لزوجته إن الضرب المتكرر على مؤخرة زوجها سوف يجعله غير قادر على معاشرتها . وفى أوقات متعددة هددوا باغتصابها ، ووضعت على كرسى واستجوابوها عن عمل زوجها ، وادعوا أن زوجها يعمل بالمخابرات المركزية .

وبعد أربع ساعات أُفرج عن آل كيرتس وعادوا إلى محطة القاعدة البحرية الأمريكية حوالى الساعة ٢,١٥ صباحا وذكروا ما حدث لهما .

وتسأل كيلى : هل وصلت الأمور إلى هذا الحد من عدم الاستقرار ؟ لقد كان نورييجا يقبض على الأمور بيد من حديد . ولم يعد الأمر الآن مسألة شاويش أو ضابط لايعرف الضبط والربط ، ولكن المسألة الآن هى نظام لا يمكنه التحكم فى نفسه .. هل فقد نورييجا سيطرته على قواته ؟ وهل أصبحت قوات الدفاع فى طريقها إلى التمرد ؟ .

وأبلغ كل من باول وتشينى عما حدث لآل كيرتس من اعتقال وتحرش . وقال تشينى : انه يريد أن يعقد اجتماعا فى البنتاجون الساعة العاشرة صباح الأحد لمناقشة الأمر .. واستدعى سكوكروفت وقال إنه يعتقد أنه سوف يكون هناك اجتماع مع الرئيس فى ساعة متأخرة من اليوم . ووصل ثورمان إلى بنما الساعة ٦ صباحا وتوجه إلى قيادة الأركان لاستعراض الموقف .

وفى الساعة ٨,٣٠ صباحا توجه باول إلى البنتاجون وجلس مع كيلى ومجموعة « الأزمات » وكان نورييجا قد أصدر منشورا ألقى فيه بتبعية إطلاق النار على الضباط الأمريكيين الأربعة واتهمهم بخرق نقطة التفتيش بسيارتهم وإطلاق النار على رجال الكوماندانسيا ، وقال : إنهم جرحوا ثلاثة من البنميين بينهما جندى وطفلة عمرها سنة واحدة .

قال كيلى : إن حديث نورييجا هراء !

وتمكن جهاز الاستماع بالمخابرات الأمريكية من سماع نورييجا على التليفزيون والراديو وهو يختلق قصصاً غير حقيقية لإلقاء اللوم على الأمريكيين .

وتحدث باول مع ثورمان على خط التليفون الخاص .

وحصل ثورمان على دعم مكون من ١٢٣٠٠٠ جندى من القوات التى تسمى « تحذير دلتا » وهى تمثل الدرجة الثانية من درجات الاستعداد القصوى .

وتقرر تحديد تحركات الجالية الأمريكية فى بنما .. وقال ثورمان : إن ما يفعله نورييجا هو أعلى درجات الاشتعال . وذكر باول : بأن الجهاز التشريعى الذى عينه نورييجا منذ يومين قد أطلق على نورييجا « الرئيس الأعلى للتحرر الوطنى » وأعلنوا أن بنما فى حالة حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وقال ثورمان إن تحرشات قوات الدفاع البنمية قد أعطت نورييجا ما أراد .

وقال ثورمان : إنه يرى ثلاثة خيارات

(١) لا للعمليات العسكرية ـــ فقط الاحتجاج .
(٢) القيام ببعض الاعتداءات على قوات الدفاع البنمية .
(٣) اتمام الخطة الزرقاء بالكامل .

وقال ثورمان : إذا لم نفعل شيئا فسوف ندفع ثمناً غالياً وسوف يُضخم ذلك الذين يساندون نورييجا .. « ان قتل باز عمدا يستدعى الرد » .

ورفض ثورمان الاختيار الثانى .. انهم يقتفون أثر نورييجا ويعرفون أماكنه طوال ٨٠٪ من الوقت فإذا فُرض وطاردته القوات العسكرية الأمريكية ولم تتمكن منه فإن ذلك سوف يشكل خطراً بالغاً على حياة الأمريكيين فى بنما .

وأوحى ثورمان بالاختيار الثالث وهو القضاء على قوات الدفاع البنمية والانتهاء من كل هذا كلية .. إن قوات القيادة الجنوبية على اتم استعداد .. لذلك .

وبعد عشر دقائق قال باول : حسناً .. دعنا نتمسك بذلك .. إننى سوف أناقش تشينى وأعود إليكم فيما بعد .

وذهب باول إلى مكتب تشينى حيث جلسا قبل الساعة العاشرة صباحا ووجد باول من تشينى أُذنا صاغية .

قال تشينى : إنه يريد أن يسمع باقى الأطراف .. وفى هذه اللحظة التحق بهما روفن مساعد وزير الخارجية وريتشارد براون من العلاقات الخارجية وبيت ويليام المتحدث الرسمى وقائد البحرية الأدميرال أوينز وديف أدينجتون المساعد المدنى الخاص وكيلى وشيفر من الأركان المشتركة . وتم إستعراض آخر التقارير عن مقتل الملازم باز وحزب الملازم كيرتس وزوجته ، وقال تشينى : أنه يريد توصيات ودار حول الغرفة طالبا رأى كل رجل منهم . ولقد رؤى أن الحل العسكرى لابد أن يوضع فى الاعتبار .

وتساءل المدينون إن كان الحل العسكرى صائبا وسألوا : إن كان مقتل الملازم باز ـــ وهو الموضوع الأساسى ـــ يستدعى حلا عسكريا .

ورد باول : « كل ما أعرفه أنه قد مات » وأضاف قائلا إنها الحادثة الأكثر خطورة فى بنما خلال ٢٣ عاما .

وقال المدينون : هل أُخضعت كل التفاصيل للدقة وهل باول متأكد تماماً ؟ وهل ادعى نورييجا أن الأمريكيين قاموا بإطلاق النيران أولا ؟ وهل الإسراع والهروب من نقطة التفتيش كان مبررا لقوات بنما لإطلاق النار ؟

وعندما أدلى كل بدلوه شكرهم تشينى بأدب . ومهما تكن النتائج فلقد تحقق ويليامز أنهم فى

مأزق وقال لتشينى إنه قد تحدث مع ضابط العلاقات العامة للقيادة الجنوبية فى بنما . الذى قال له إن الملازم كيرتس مستعد للذهاب إلى التليفزيون ليحكى ماحدث له هو وزوجته . ورأى ويليامز أن ذلك فرصة لإثارة الموضوع على نطاق واسع . وقال تشينى : « دعه يفعل » .

لقد رأى تشينى أن الأمريكيين العسكريين والمدنيين فى بنما فى خطر . ووافق باول على هذا الرأى .

وفى الاجتماع أيضا امتد الحديث إلى الاضطرابات التى تجرى فى بنما منذ زمن بعيد وكان الحديث صريحا ، وقال ، تشينى : إن عليهم التزاما إذا ظلت قواتهم هناك . وقال باول : علينا ألا نسمح بأى عمل من هذا القبيل . وربما حان وقت العمل الجاد .

وقال تشينى : نعم فالمسألة ليست فقط مسألة نورييجا ولكن مسألة كل قوات الدفاع البنمية أيضا .

ولكن أخيراً توصلوا إلى نقطة حيث يمكنهم تبرير التدخل العسكرى الأمريكى .

وقال باول إنه سوف يستدعى أركان حرب القيادة المشتركة ويستمع إلى آرائهم ليتأكد أنهم فى نفس القافلة .

* * *

وبالرغم أن رئيس الأركان هو المستشار الرئيس العسكرى لرئيس الجمهورية ولوزير الدفاع ، فإن الآخرين ، الذين حضروا الاجتماع كانوا يتمتعون بنفس الصلاحية وأراد باول أن يكون لهم علاقة وطيدة بالنظام ولكن من خلاله هو شخصيا فهو الذى سيذهب إلى اجتماعات البيت الأبيض ويتولى شرح الموضوعات المهمة ويحمل وجهة نظرهم إلى الرئيس .

ولكن ــ حتى الآن ــ لم يكن باول يعرف ، كيف يفكر البيت الأبيض فى هذا الموضوع فهو لم يتحدث إلى الرئيس بوش أو سكوكروفت أو بيكر ، ولم يكن الوقت متاحاً لرؤية ما سوف يأتى من أسفل . ولم يشأ باول أن يستدعى رؤساء الأركان إلى البنتاجون حتى لا يلفت نظر الصحافة ، خاصة وأن اليوم هو الأحد .

ولكن بدلا من ذلك ، أرسل إلى كل منهم يقول : إنه يريد تناول القهوة معه فى الساعة ١١,٣٠ صباحا فى قيادة الأركان .

كان فيونو يعيش بالقرب من الحى الأول وكان فى حالة استعداد لتنفيذ أى أمر وكذلك كان رئيس العمليات البحرية كارل تروست والذى أُبلغ مُسبقا بحادث مقتل باز وبحادث الملازم كيرتس وزوجته وقد اتصلوا به فى الكنيسة الصغيرة بفناء البحرية بواشنطون .. وكان رئيس مشاة البحرية آل جراى فى حالة استعداد كعادته وأيضا الجنرال ولش الذى يبحث عن المتاعب .

وتجمع القادة الأربعة فى مكتب باول ، الذى زينت ألما باول حوائطه بالصور التذكارية التى تستعرض حياة باول العسكرية .

قام باول بتحية كل فرد منهم بحرارة ، آل لارى ، كارل وكارل ، وأخذوا أماكنهم وقدمت القهوة .. وقام كيلى بتلخيص كل الأحداث التى وقعت لمدة عشر دقائق وأمدهم بآخر الأخبار عن مقتل باز وإهانة آل كيرتس ، وقد رأى كيلى مدى الاهتمام والإثارة على وجوه القادة بسبب ما حدث لآل كيرتس على أيدى رجال نورييجا ، منهم قد أساءوا معاملة أمراة غير محاربة ، لقد كان آل كيرتس أبرياء تماما ، وكان كل جريمتهم أنهم شاهدوا حادث مقتل باز . وقام كيلى بسرعة بتقديم ملخص خطة الهجوم ( الملعقة الزرقاء ) ، والتى سبق وإن علموا بها منذ شهر . وأخبرهم باول بأنه قد قابل تشينى ورجال مكتبه هذا الصباح ، وأنه هو ووزير الدفاع سوف يشيران على الرئيس بوش بعد ظهر اليوم بأن تُنفذ ( خطة الملعقة الزرقاء ) ، وقال باول : إن نورييجا قد ضغط علينا كثيراً ولا يمكن مسامحته .

وقال : إنه وتشينى يحبذان سماع رأيهم ، عسكريا وسياسيا ، فما هى النصيحة التى يرغبون فى تقديمها له كأشخاص أو كجماعة لحملها للوزير والرئيس ؟ وقال كارل فيونو : إن « الملعقة الزرقاء » خطة جيدة ــ ومعقدة .. نعم ولكنها تحقق الأهداف فى نسف قوات الدفاع البنمية . وأن أى محاولة للتحول عن الخطة أو تقديم أى بدائل أقل يجب أن تُقاوم . إنه لا يزال يحتفظ بذكريات حية عن فيتنام حيث كانت القيادة المدنية غير مستعدة لتقديم القوات الكافية لتحقيق الهدف العسكرى ولكن بنما ليست فيتنام ومن ثم يجب أن تتم العملية كلية وبالقوات الكافية للتأكد من النصر . إن القوات مستعدة ومدربة بينما كانت الوحدات فى فيتنام تنقصها القيادة والخبرة .

ومن الناحية العسكرية قال فيونو : إن العملية مدعمة تدعيماً كافياً لتحقيق المهمة المرسوم لها .

وقال الجنرال آل جراى : « إن عالمى مقسم بين أعمال مقبولة وأخرى غير مقبولة .. وما جرى لرجالنا فى بنما غير مقبول . إن الحال لن يتحسن ما لم نتدخل ، إن هذا هو وقت الحسم .. كان تماما مع الحل العسكرى . وكان متأكدا أن الشعب البنمى يزيد أن يتخلص من نورييجا .. إنهم سوف يرقصون فى الشوارع إذا أقدمت الولايات المتحدة على إزاحته .. ولقد لاحظ كيلى فى صمت أن جراى يبدو موافقا مائة فى المائة وتكلم بحماس تشوبه المرارة .

وقال جراى : إن هناك وحدة مشاة من عدة آلاف متجهة من هاواى ، أتموا مهامهم وتدريبهم عال جداً لأنهم مدربون على العمليات الخاصة ، وكل ما سوف نفعله هو إعطاء الأوامر للسفن أن تتجه يمينا .. ويمكن لمشاة البحرية الوصول إلى الساحل الغربى لبنما فى عدة أيام .

وقال باول : « هذا حسن ، ولكن لا يمكننى تغيير الجدول الزمنى للخطة الآن » .

إن كل فرد فى الغرفة يعلم أن مشاة البحرية ستأخذ وقتاً طويلاً جداً لتصل إلى هناك » .

وقال باول بكل وضوح إن خطة الملعقة الزرقاء قد رُسمت لضمان النجاح السريع ، بقوة قوامها ٢٤,٠٠٠ من القوات الأمريكية ضد ١٦٠٠٠ من الدفاع البنمى .. منهم ٣٥٠٠ فقط ذو خبرة قتالية عالية فى القتال الليلى والمداهمة ، وكان لباول رأى انه عندما يلقى بالرجال والسلاح إلى معركة فسوف يتفوق الأمريكان ..

واقترح جراى أن تتحرك سفن برمائية مع مشاة البحرية حيث إن هذه السفن ستكون أيضا خارج سواحل نيكاراجوا وسوف يكون هذه السفن مستعدة إذا حاول الساندنيستا عمل أى شىء .

لقد تحدث جراى معظم الوقت وأخيرا قال باول هذا حسن وسوف نضع ذلك فى الاعتبار .

إن للبحرية سفنا الكاريبى والهادى لمقاومة عملية تهريب المخدرات وان الادميرال كارل تروست يعلم ذلك ويمكن استدعاؤهم ، وشعر رئيس العمليات البحرية أن الولايات المتحدة لأسباب عملية تحتفظ فى بنما بقوات قوامها ١٣٠٠٠ ، وأنه فقط يكفى إسقاط نورييجا وعدة عشرات من الضباط العظام . وبهذا يمكن تحييد قوات الدفاع البنمية .

واستمع الجنرال ولش بهدوء ، ولم يتحدث كثيرا ووصل إلى قناعته الشخصية بأن هذا الاجتماع هام جداً . ولأسباب وجيهة فإن القادة متحفظون عادة فى استخدام القوات العسكرية ، وأنهم عادة لا يؤيدون القرارات المتسرعة أو السياسية وقال ولش : إن سوء معاملة الزوجين تشير إلى حالة من الفوضى أكثر من مقتل ضابط أمريكى من مشاة البحرية ، وأراد أن يتأكد ان كلا الحادثين ليسا خطأ من بعض الجنود البنميين .

وقال باول وكيلى : انهما متأكدان تماما وأن الإشارات التى تلقتها المخابرات عن نورييجا توضح أنه شخصيا يقوم بتغطية ما يفعله رجاله .

وفى هذا الجو رد ولش قائلا : « إما أن تترك الولايات المتحدة بنما نهائيا أو تستمر فى وجودها وتنفذ الخطة العسكرية » . وترى الولايات المتحدة أنها مسئولة دولياً عن حماية قناة بنما ولا يمكن لها أن تتراجع مثل ما فعلت وتراجعت إلى خليج جوانتانامو وهو الملجأ الوحيد الباقى للولايات المتحدة فى كوبا ، وفى هذا السياق ليس هناك أى خيار غير الاستمرار فى الخطة العسكرية .

ولا يزال ولش يلاحظ الحاضرين بعناية وقال لهم : إن عليهم أن يتفهموا الآثار الجانبية السلبية التى قد تحدث من مثل هذا الهجوم المكثف ، وخلال كلامه أعطى باول والآخرون له آذانا صاغية .

وقال ولش : ان أول سقطة جانبية هى التوقع بأن بلدان أمريكا اللاتينية سوف تعارض على

الأقل ما يفعله الأمريكيون ، وسوف تتأزم سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة لعدة سنوات وكذلك فإن الاعلام سوف يهاجم الولايات المتحدة وفى الواقع يجب أن تكون الولايات المتحدة مدركة ذلك وتتوقع أن تدافع شعوب أمريكا اللاتينية عن أصدقائها .

وبالرغم من موافقة باول على ذلك إلا أنه اجاب أن زعماء أمريكا اللاتينية سيكونون سعداء فى أنفسهم بالتخلص من نورييجا .

وقال ولش : ومع ذلك فيجب أن نواجه هذه السقطة ، ويضاف إلى ذلك : إن من الممكن أن تكون ردود الفعل سلبية فى بعض البلدان الأخرى حيث توجد بعض القواعد الأمريكية الكبيرة مثل الفلبين .

والسقطة الثانية ، كما قال ولش ، هو احتمال المقاومة غير المتوقعة التى من المحتمل أن تبديها قوات الدفاع البنمية وعلى الولايات المتحدة أن تتخذ كل الاحتياطات وتحشد القوات اللازمة لمواجهة أى موقف فى أى زمان ومكان .

والسقطة الثالثة هو أن بعض النقاد من الممكن أن يقولوا إن وزارة الدفاع تفتقر إلى الإعداد الجيد ولذلك انتهزت هذه الفرصة لتستعرض قوتها العسكرية .

ورابعا ، كما قال ولش ، مشكلة « داوود وجوليات » وأن بعض المشاعر الشعبية ــ تحت سيطرة الإعلام فى هذا البلد ــ سوف ترى أن نورييجا يواجه قوة غير متكافئة وغير عادلة .

وخامسا : يجب أن نكون متأكدين من أننا لن نواجه موقفا كموقف خليج تونكن . وكان ولش يشير إلى الحالة المزدوجة فى عام ١٩٦٤ من هجوم فيتنام الشمالية عبر سفن الولايات المتحدة . والتى أدت إلى قرار من الكونجرى بمنح الرئيس جونسون صلاحيات استثنائية أن يهاجم فيتنام .

وقال ولش : وفى هذه المرة يجب أن تكون العسكرية الأمريكية متأكدة تماما بأن التحريض حقيقى وانهم لايمكنهم العيش فى بنما فى ظل هذه الظروف لدرجة أنهم لا يمكنهم أن يسألوا مواطنيهم أن يعيشوا هناك .

كانت هذه قائمة كبيرة من السلبيات ولم يكن معروفا ماذا كان يعنى ولش من هذه المجادلة . وأخيرا لخصها . فطالما هم يذهبون إلى هذه السلبيات وعيونهم مفتوحة وأنهم ملتزمون بالتغلب عليها عندما يواجهونها فإنه يؤيد العملية ولا توجد حلول أخرى .

وأخيرا قال باول : « إننى وكيلى سوف نرى الرئيس وإن توصياتى هى أن تنفذ الملعقة الزرقاء .. إننى أريد ان أتأكد أننا كلنا متفقون » ودار حول الغرفة طالباً توصياتهم النهائية . وكان القادة الأربعة كلهم معه .

وركب باول وكيلى السيارة ومعهماالخرائط التى توضح مواقع الهجوم فى بنما واتجها إلى البيت الأبيض .

كان اليوم يوم أحد شتوى جميل والمدينة مستعدة لأعياد الميلاد . كان وقتاً للعائلة والسلام ، وربما أصعب وقت يمكن أن يُوحى فيه إلى الرئيس بعملية هجوم عسكرية .

كان كيلى وباول يرتديان الملابس المدنية عندما ذهبا إلى الدور الثانى فى البيت الأبيض لمقابلة الرئيس بوش لمدة ساعتين .

كان بوش يستعد للكريسماس ومن بين حفلاته العديدة للاحتفال بهذه المناسبة ، حفلة كان يقيمها للأصدقاء المقربين فى الدور الأول مع المغنين الذين يرتدون ملابس القرن الثانى عشر .

وكان تشينى قد حضر عدة حفلات بمناسبة الكريسماس منذ الصباح فى البنتاجون ووصل بيكر وسكوكروفت وبوب كيتس والمتحدث الصحفى للبيت الأبيض مارلين فيتزووتر .

وكان بوش يرتدى قميصاً أبيض وبليزر أزرق وبنطلون رماديا وحذاء بنيا وجوارب حمراء براقة . وأحد الجوارب عليه كلمة مرحة والآخر عليه كلمة « كريسماس » واعتقد كيلى أنه لم ير مثيلا لهذا الجورب .

ولاحظ باول أن نائب رئيس الجمهورية كويل وكذلك رئيس موظفى البيت الأبيض سكان سونونو لم يحضرا . ولخص باول لبوش الحقائق فى ٧ دقائق عن مقتل باز والتحرش وإهانة آل كيرتس . ولاحظ كيلى أن بوش والآخرين كانوا مضطربين للغاية بسبب الحادث الأخير من مقتل باز ولذلك فلقد وقف كيلى بكل ثقة بجانب الغزو وقال إن هذين الحادثين لم يسبق لهما مثيل حتى فى أثناء حكم نورييجا لبنما .

وقدم باول خياراً واحداً فقط للرئيس كان « الملعقة الزرقاء » وسأل بوش : لماذا لا نذهب ونأتى بنورييجا ؟ .. قل لى لما لا نفعل ذلك بقوة صغيرة !

وهنا قال باول إن استخدام القوة بكثافة هو فى الحقيقة أقل مخاطرة .. إنه الطريق الحكيم . وإذا أخذنا نورييجا من الممكن أن يحل محله شخص فاسد مثله .

وحذر باول قائلا : « سوف نجعل دماء الأمريكيين تسيل » .

وربما تسيل دماء أكثر فيما لو استخدمنا قوة صغيرة بدلا من استخدام قوة كبيرة تطيح بقوات الدفاع البنمية . وقال باول : أنه يريد ٤٨ ساعة على الأقل مقدما ليجهز ويعبىء القوات والنقل بالطائرات لعملية « الملعقة الزرقاء » . وأن ساعة الصفر المثالية هى الواحدة صباحا وهو وقت متأخر وكان لمفاجأة قوات الجيش البنمى وكذلك فإن الواحدة صباحا وقت مناسب للمد العالى وهو استثمار حقيقى لمشاة البحرية لأنه فى المد المنخفض فان مساحات كبيرة من أماكن الإنزال على الشواطىء تكون موحلة وهذا يعوق مشاة البحرية أكثر ومزية أخرى هى أن هناك طائرة واحدة فقط المفروض أن تهبط الساعة الواحدة صباحا فى مطار توريخوس الدولى والمطار هدف

أساسى .. وسيسهل فى ذلك الوقت الحصول عليه .

إن عملية « الملعقة الزرقاء » سوف تجهز كلية على قوات الجيش البنمى وكذلك على الحكومة البنمية . وقال باول : « إننا سوف نمتلك بنما لعدة أسابيع » .. إن هذه العملية ليست عملية جراحية وليست عملية غزو وخروج .. إن أشياء سيئة سوف تحدث يا سيدى الرئيس .-سوف تكون هناك خسائر من عندنا وعندهم ، ولكننا سوف نبذل كل قصارى جهدنا لتقليل الخسائر إلى الحد الأدنى »

وتساءل سكوكروفت عن مستوى الخسائر فقال باول : « إننا سوف نجرح بعض الناس ، وسوف تكون هناك خسائر فى الأرواح وسوف تكون هناك فوضى . وسوف نقوم بمهام الحفاظ على القانون » وتحاشى ذكر عدد معين . وقال إنه سوف يضمن نجاحا سريعاً ولكن لايمكنه أن يحدد الوقت المطلوب لإتمام ذلك .

وقال باول : « لاتسألنا يا سيدى الرئيس بعد يومين متى ستعودون إلى قواعدكم .. فمن الممكن ان تستسلم قوات بنما بمجرد نزولنا هناك ملوحين « مرحبا باليانكى » أو « ربما سيكون قتالاً وحشياً قذراً لمدة أسابيع » .

وقال الرئيس : « حسنا » .. إننى لا أعرف !

وخشى باول ان يكون الاجتماع مثل مركب شراعية تتقاذفها الرياح إلى الأمام ، وإلى الخلف ولا تعرف أين سترسو . وبعد ما أجاب باول على الأسئلة التى وُجهت إليه أنهى حديثه قائلا : « توصياتى هى أن نسير فى الخطة بكاملها ويمكننى أن أقول لكم إن كل القادة يوافقوننى كرجل واحد » وعندما أنهىٰ باول حديثه توجه تشينى للرئيس قائلا : « إننى أؤيد ما أوحى به باول » وكان هناك انطباع عند باول أن صمت تشينى النسبى يعنى أنه قد تحدث مع الرئيس بوش قبل الاجتماع وعندما شعر تشينى أن ما يريده معروض للبحث لم يرغب فى التحدث كثيرا .

ولكن فى الواقع فإن تشينى لم يتحدث مع بوش على انفراد . ولكن ببساطة أنه بعد الانقلاب الفاشل فى بنما أصبح واضحا لديه أن الرئيس يريد حلا لهذه المشكلة . والآن جاء دور باول ليحمل الكرة ويقدم الخطة العسكرية .

وقال بيكر : « إننى اعتقد أننا يجب أن نذهب ! وكما تعلم فإن الخارجية تؤيد الهجوم العسكرى منذ زمن طويل ولكن كانت هناك مخاوف من السلبيات » .

ودار وزير الخارجية حول العالم ليعرف ماذا سيكون رد الفعل بعد الغزو . وقال إن منظمة الدول الأمريكية تشعر بالالتزام لشجب التدخل ولكن هذا متوقع . وبعض دول أمريكا اللاتينية والعالم الثالث سوف تشعر بالالتزم نفسه . والمكسيك سوف تتأثر بذلك وحتى الحلفاء

والحكومات الصديقة فى أوروبا الغربية ، سيتأثرون . سوف ينتهزون الفرصة لإحراج العم سام . وكذلك السوفييت سوف يدلون بأقوالهم السلبية المعتادة . وقال بيكر :

ولكن هذه الانتقادات ستكون كلامية فقط لأن لا دولة فى العالم ، لا تريد من داخلها ألا يسقط نورييجا ، وأضاف : « بل أن معظم هذه الدول سوف ترسل بالطرق الخلفية بانه محايد أو سعيد بما فعلنا » . وقال بيكر : إن الخارجية سوف توضح المسألة للحكومات الأخرى ، الحلفاء والسوفييت وبالطبع فلقد أراد الرئيس ان يقوم ببعض الاتصالات .

ودخل سكوكروفت ثانية إلى المقلاة كما رآها باول فان سكوكروفت كان يردد ما أثاره بوش . وسأل سكوكروفت ثانية : « ما هو مستوى الخسائر » وقالها بصوت عال .

وقال باول : « لا يمكن تحديد الأعداد » .. من الصعب تحديدها ولكن هناك قوة كبيرة ستتقاتل وهذا يعنى أن الدماء ستكون كثيرة أيضا .

إن هناك ٢٨ هدفاً بالإضافة إلى التركيز على القوات البنمية ومن هذه الأهداف الأماكن التى يتحول منها نورييجا ، ومراكز قواته وسد مادن الذى يتحكم فى المياه المندفعة إلى القناة والذى يجب حمايته ، لأن تعرضه لأى خسارة سوف يجعل القناة غير صالحة للاستعمال لمدة عام .

وخُطط لأشتراك المخابرات المركزية فى تنفيذ العملية .

وكان عليها أن تجيب على سؤال : هل يُقبض على نورييجا ؟ .. وقالت : أقوى رجال العمليات الخاصة سيتعقبونه .

وكان احد أهداف بوش الرسمية إعادة الديمقراطية إلى بنما فهل يمكن أن يتحقق هذا وكيف ؟

وسأل شخص ماذا عن رد فعل الجمهور والصحافة .

وعلق مارلين فيتزووتر والذى تحدث قليلاً قائلا : إنه يعتقد أن كليهما سوف يكون إيجابياً . وقال لبوش وبالطبع سوف تكون هناك بعض العناصر فى الصحافة التى سوف تنتقدك . ولكنه شخصيا يعتقد أنها سوف لا تكون مشكلة كبيرة .

وبعد ساعة و ٤٠ دقيقة قال بوش ملخصاً وجهة نظر نورييجا .. إن هذا الشخص لن يتراجع إن المسألة لن تكون أسوأ مما هى عليه الآن .

وفى عقل باول فان الأسئلة الست الرئيسية التى كانت تدور فيه قد أجيب عليها .

هل كان هناك تحريض كاف ؟ نعم . وهل خرجت قوات بنما عن الطاعة ؟ .. نعم مرة ثانية — وهل ستحل خطة الملعقة الزرقاء المشكلة ؟ نعم .. وهل ستقلل الخطة من الخسائر ؟ نعم .. وهل ستأتى بالديمقراطية ؟ نعم .. ورد الفعل بين الجمهور والصحافة ؟ .. من المحتمل أن يكون إيجابيا !

وقال بوش : « حسنا . دعونا نسير » ونظر إلى باول وقال بهدوء : « إننا سوف نسير » .

— « تمام يا سيدى » .

واندفعت الدماء فى جسم كيلى فلأول مرة كمدير للعمليات لمدة عامين فإنه يشرك شبانا أمريكين صغاراً فى العمليات وأن بعضهم سوف يموت . والآن نُزع صمام الأمان من فوهة البندقية .

وكانت عملية الملعقة الزرقاء تحتاج ٤٨ ساعة على الأقل مقدما قبل ساعة الصفر فى الواحدة صباح يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر .

وطلب أحد المجتمعين بتكتم الأمر . فأعطى بوش توجيهاته بأن يكون الحد الأدنى من الأشخاص ضروريا لتنفيذ العملية .

* * *

وعاد كلا من باول وكيلى إلى البنتاجون .

وقال باول لكيلى : لا أريد نشر الأوامر أريد فقط أن تستدعى القادة بالتليفون حفاظا على الأمن . وأضاف : « إن نائب وزير الدفاع جنرال بوب هيرس ورئيس الأركان المشتركة جنرال ميشيل كارنز يمكن إبلاغهم فى اليوم التالى » .

وتساءل باول وكيلى : كم من الوقت يمكن الاحتفاظ بالسر ؟

وكانا يأملان أن يظل الأمر سراً فى يوم الاثنين ولكنهما أضافا أنه ربما تسربت بعض المعلومات يوم الثلاثاء وربما يكون التسرب متأخرا . لإعطائهم الفرصة لعمل مفاجأة ساعة الصفر . وعند عودة باول إلى البنتاجون استدعى الأربعة المشتركين مباشرة فى العملية .

أحدهم ماكس ثورمان وقال له باول : إن عملية الملعقة الزرقاء قد وُوفق عليها ولكن الأمر الرسمى لن يأتى قبل اليوم التالى .

فقال ثورمان : « روجر » .. أى يعنى تمام يا افندم .

وكذلك استدعى باول قائد العمليات الخاصة جنرال جيمس . ج . ليندساى وقائد القوات المشتركة ، جنرال ادوين . اتش . بروبا جورينور ج.

وفى قاعدة سكوت فى الينوى ، لم يتلق الجنرال هاتسفورد جونسون أى أمر . فلقد ترك البنتاجون منذ عدة شهور عندما كان مديراً للقيادة المشتركة تحت قيادة الأدميرال كراو ولكن لا تزال صلاته وثيقة بواشنطون وفى صبيحة يوم الأحد تسلم هو ورجاله كلمة غير رسمية برفع درجة الاستعداد للملعقة الزرقاء . ولكن بعض ضباط أركان جونسون أخبروه بأنهم لن يتمكنوا من إيجاد الطيارين بسرعة وبدرجة كافية لهذه المهمة . ولكن بعد ظهر ذلك اليوم قيل لهم : خفضوا درجة الاستعداد . وعودوا إلى الحالة الطبيعية . وعندما جاء باول اندهش جونسون قليلاً مما سمعه منه .

قال باول : « لقد خولنى الرئيس أن أخبرك أننا سوف ننفذ الملعقة الزرقاء » .

وقال جونسون : « ونحن مستعدون للذهاب بالرغم من التحذيرات عن النقص فى الطيارين »

استدعى باول كل الرؤساء ليبلغهم بموافقة بوش واعتذر لفيونو لعدم حضوره إلى حفلته التى يقيمها بمناسبة الكريسماس فى ذلك اليوم بعد الظهر . وكذلك لم يحضر تشينى وتأكد باول أن القيادات الرئيسية قد أُبلغت بالأمر .

وأشيع أن سرب الطيران الرئيسى « دلتا » واسمه الكودى « مجموعة الازيتك » ومجموعة « الرصاصة الفضية » للطائرات العمودية ربما ستترك أمريكا لمواجهة أى عمليات تخريب حول العالم . وأن معظم العمليات الحربية الخاصة سوف ترسل إلى بنما أكثر من ٤٠٠٠ رجل .

وصدر أمر بإرسال ٢٠ مجموعة استكشاف وطائرات عمودية مهاجمة إلى بنما على الطائرات العملاقة سى ٥٠ وعليها أن تفرغ شحناتها بالليل وتختبىء فى الهناجر حتى ساعة الصفر .

* * *

وكان كيلى يعلم كيف يحافظ على سرية العمليات وعند عودته إلى مكتبه فى البنتاجون استدعى فريق عمليات الأزمات فى بنما للعودة إلى الوطن ثم استدعى ضابط العلاقات العامة والأركان المشتركة الكابتن روين . ايه . شارب وأبلغه أن يأخذ أجازة الكريسماس .

وعندما أنهى كل شىء قام كيلى باستدعاء مساعدة للعمليات الحالية جو لوبيز وأربع ضباط برتب صغيرة من فريق مكتبة المتخصصين فى أمريكا اللاتينية وأجلسهم على الأرائك الجلدية بمكتبه .

وقال لهم « إننا سوف ننفذ الملعقة الزرقاء » وطلب منهم السرية القصوى وأمرهم أن كل خطوة يجب أن تتم بسرية تامة .

وتسلم كيلى مكالمة من جنرال لندساى رئيس الأركان لقيادة العمليات الخاصة وقال لندساى إنه يعتقد أن هذا اسم فظيع لعملية . وسأل كيلى هل ترغب أن يقول لك أحفادك إنك كنت فى ملعقة زرقاء ؟

وتذكر كيلى وربما يكون اسوأ من ذلك فإن أحد خطط بنما تسمى « المنطق الأعمى » وأن عمليات أخرى قد أطلق عليها أسماء غريبة طوال السنوات الماضية . وأن أحد الجنرالات قد أتم عملية « حجر عثرة » « وفول ليما » ولقد ناقش كيلى اسم جديد مع جو لوبيز واقترح مارأيك فى « الحركة » فقط .

ورد لوبيز مارأيك فى كلمة « السبب » ؟ وأرسل الاسم إلى سلسلة القيادات ووفق عليه . ووصل « فاكس » من بنما من مخابرات البحرية يشرح ما حدث للملازم البحرية كيرتس وزوجته بونى كيرتس بالتفاصيل والمعاملة التى تلقتها وهى أسوأ مما عرف الرئيس بوش وتشينى وباول .

إن الملخص الذى يحتوى على صفحتين ونصف ومختوم وصل فى ١٧ ديسمبر الساعة ١٢,٣٧ ويقول عن استجواب مسز كيرتس : إن المحقق قام بعمل بعض التعليقات الجارحة مثل« اذا لم تقولى الحقيقة فسوف أضع اصبعى فى داخلك . هلى تفضلين ان أضع ٩ بوصات بداخلك ؟ » .

وذهب باول إلى قيادة الأركان وهناك تلقى بعض المكالمات للتأكد من أن القيادات الأخرى قد أبلغت بما سنقوم به وبعد المكالمات كان لديه وقت كاف ليجلس مع نفسه .. إن الرجال ذاهبون إلى الحرب وإنه شخصيا يعرف ولكن سمع وقرأ عن الشكوك الشخصية التى يشعر بها القائد فى ليلة المعركة .

إن عملية الملعقة الزرقاء عملية معقدة تحتاج للدقة فإن خطأ واحداً قد يؤدى إلى سلسلة من الأخطاء مثل حوادث الطريق السريع .

إن المقاتلات القاذفة اف ــ ١١٧ ستصل من قاعدتها فى نيفادا وسوف تضرب « ريو هاتو » وهى قاعدة رئيسية لقوات الجيش البنمى قبل دقيقة واحدة من وصول الريتجرز هناك .. إن تأخير الطائرات أو تقديم الريتجرز معناه كارثة . وإن مدفعية السفن أى سى ١٣٠ لديها عشر دقائق للاستعداد ولتدمير الكوماندانسيا قبل هجوم المشاة . وتساءل باول إذا كانت فرق مشاة البحرية قد تم ربطهم بخطوط اتصال جيدة وتساءل أيضا : هل سيعمل الجميع كفريق متكامل فى تنفيذ باقى الخطة .

وأين نورييجا ؟ وهل علم ؟ وهل سيشك فى أى شيء ؟ وهل اكتشف الأمر .

## □ ١٥ □

عندما توجه باول مبكرا إلى داخل البنتاجون يوم الاثنين ١٨ ديسمبر ، شعر بعدم الارتياح وذهب إلى أعلى لكى يحضر تشينى بسرعة و لم يكن تشينى نفسه يشعر بنفس الإحساس . فعندما قبل وظيفة وزير الدفاع كان يعرف أن هذه الوظيفة تعنى استخدام القوة وإرسال الرجال إلى الموت وعندما وصل إلى البنتاجون قرأ كل التقارير التى كُتبت بعد المعارك الرئيسية التى خاضتها القوات الأمريكية منذ حرب فيتنام .. إنه كان فى البيت الأبيض إبان حكم فورد وخلال الجلاء عن جنوب شرق آسيا فى عام ١٩٧٥ وخلال حادثة ماياجويز فى نفس العام عندما استولى الكمبوديون على سفينة تجارية وأرسل مشاة البحرية لإنقاذ طاقم السفينة . وأثناء الغزو كان قد أُفرج عن طاقم السفينة وقُتل ٤١ أمريكيا فى هذه العملية .

واحتك احتكاكا مباشراً بالناس الذين على القمة : الرئيس ، ومستشار الأمن القومى ووزير الدفاع .. وهم يخوضون فى العمليات الحربية دون داع وبطريقة غير مجدية .

وفى تقارير عام ١٩٨٣ قرأ الكثير عن حرب بيروت وعمليات جرانادا . وقرر تشينى أن العلاج الوحيد هو الوضوح ووضع سلسلة من القيادة النظيفة ــ وباختصار ــ أن يسعى كلما أمكن ، ودون تدخل من أعلى ــ إلى الابتعاد عن الأزمات .

ولكونه الوسيط المهم بين العسكريين والبيت الأبيض شعر تشينى أنه يمكنه أن يفعل الكثير ليقلل من التدخل ليحتفظ بسلسلة قصيرة من القيادة وليتأكد أنه فهم ووافق على الخطة ليتمكن من الإجابة عن أى سؤال قد يوجه إليه من البيت الأبيض .

وفى ذلك اليوم ، سأل تشينى كثيرا من الأسئلة ، وخُيل لباول أنه يريد أن يعرف كل شىء عن الخطة ، نزولاً إلى مستوى السرية .

ثم استدعى باول كيلى وبدأ استجوابه الشخصى . لقد أراد أن يستعرض كل عنصر فى الخطة على انفراد .

وسأل باول بطريقة المواجهة : لماذا تفعلون ذلك ؟ مشيراً إلى أحد أهداف العمليات الخاصة .. وأجاب كيلى أحسن الإجابات على كل سؤال وعلى أسئلة عديدة أخرى بينما كان باول يستعرض الخطة .

وأتم باول استعرض الخطة وأهمية تكثيف القوات فى العمليات بغرض تقليل المخاطر والخسائر .

وفى رأى كيلى ، كانت المسألة كما لو كان باول وصل إلى مكتبه وأخرج مكنسة كهربائية وراح ينظف كل شيء حتى نفسه شخصياً . إن مخاوف القائد قبل المعركة ليست مخاوف شخصية أو خوفا من الفشل ولكن أكثر من ذلك بكثير ، فهى نوع من الخوف الأخلاق . وأمكن لكيلى أن يرى ذلك من خلال باول .. كان باول خائفا من أن يلقى بأناس فى التهلكة بسبب الغباء .

وكان لكيلى مشاغله الخاصة ، لقد كان يفكر فى اليوم الذى سيحال فيه إلى المعاش ولا يريد أن يترك الخدمة وهو فى حالة من المهانة .

وأراد باول معرفة الكثير عن الطائرة الشبح اف ـــ ١١٧ ـــ إيه وعن دورها فى الخطة فى مهاجمة معسكرات القوات البنمية .

وقال كيلى : سوف نلقى قنبلتين زنة كل منهما ٢٠٠٠ رطل على بعد ٥٠ ياردة من المعسكرات وهذا قد يُحدث بعض الأضرار فى النوافذ مما يخيف القوات فى المعسكرات وربما تحدث بعض حرائق الكهرباء وليس أكثر من ذلك .

وقال باول : من يقول ذلك ؟

وقال كيلى : خبراء القنابل يقولون ذلك .

وتحدث كيلى مع كارل ستنير عن القنبلة الارتجاجية وكان يعرف أن ستنير لا يثق كثيرا فى الطائرة الشبح والتى لم تختبر بعد . إن خمسين ياردة ليست مسافة كبيرة لتجنب الخطأ .

وتأكد باول أن الولايات المتحدة تريد الحفاظ على بنما متماسكة بعد الغزو وهذا يتطلب المساندة الشعبية من البنميين ، وهذا يعنى قتل أقل عدد منهم فأن الجنود البنميين سوف يكونون نائمين فى المعسكرات . وتمنى باول أن يستسلموا ، وأمر أن تكون المسافة بين سقوط القنبلة والمعسكرات كبيرة جداً . وأن يكون الهدف على بعد ٢٠٠ ياردة بعيداً عن المعسكرات .

وعندما كان باول يستعرض المراحل المختلفة ، شعر بالارتياح . لقد علم أنه يتبع الدروس التى استفادها من خبراته العسكرية .. لقد قام بتدريس هذا الموضوع بالذات عندما كان برتبة رائد فى عام ١٩٦٦ .. ـــ موضوع « العمليات والتخطيط » ـــ فى مدرسة المشاة بفورت بينتج فى جورجيا .

وفى المساء شعر باول بإحساس تاريخى بالرضا .

* * *

وكان ستنير قد وصل إلى بنما فى ذلك المساء من يوم الاثنين مرتديا الملابس المدنية . وفى الساعة ١٠ مساء جمع كل القيادات حتى مستوى الوحدة ووقف أمام ٣٠ ضابط وقال لهم : « هذا

كل شيء .. سوف نبدأ » .. ولم ينس احتياطات الأمن . وكان ستينر متخوفا من تسرب أنباء الغزو واتفق أن يُبلغ الأمر للضباط الساعة ٨ مساء الليلة التالية ، فقط قبل خمس ساعات من ساعة الصفر وتُبلغ القوات الساعة ١٠ مساء . ويُستدعى الجنود ويُبلغون بالأمر ثم يتفرقون ليتمكنوا من حشو ذخائرهم والاستعداد ، ولن يُسمح لأحد باستخدام التليفون .. وأعطى ستينر أمراً بعدم زيارة درجة النشاط وعدم إعطاء إشارة من أى نوع .

* * *

وكان تشينى أيضا متخوفا من تسرب أنباء الغزو وقرر أن لا يبلغ بيت ويليامز مركز الصحافة وهو مجموعة الصحفيين الذين سوف يتمكنون من تغطية الغزو إلى كل مؤسسات الأخبار حتى نشرة الأخبار المسائية فى الليلة التالية . وهذا يعنى أقل من ٦ ساعات من ساعة الصفر مما يجعل الأمر مستحيلا بالنسبة للمراسلين الذين لن يتمكنوا من إرسال أخبارهم إلى بنما قبل عملية الغزو المسماة « سبب فقط » .

وقد أبدى وزير الدفاع قلقه لباول من أن كل شيء يتسرب . ماذا سيحدث لو انكشف الغطاء ؟ وأصبح على لسان العامة ؟ وهل سيتمكن ماكس أو تكون له القدرة على البدء فى العمليات ؟ ولنفرض أننا أدرنا جهاز التليفزيون وجاءت كلمة « الأمريكيون قادمون » ـــ هل سيتمكن ماكس أن يبدأ القتال بما لديه من رجال ؟

وقال باول لكيلى : إنهم يمكنهم البدء مبكراً . وفى ساعة متأخرة من ذلك المساء وبعد نشرة أخبار الاثنين المسائية ، جلس توم كيلى على مكتبه هادئاً جداً قائلا لنفسه : إن أمامنا ٣٠ ساعة على ساعة الصفر وإن كل شيء مَر دون أخطاء . وبالرغم من التدريبات والتخطيط والأموال وكل التفاصيل التى وضعت لتجنب أى خطأ فإنه يشعر أن ثمة خطأ ما سوف يحدث . وقرر أن يشغل نفسه فى أشياء أخرى .

* * *

وفى الساعة ٧ صباحا فى اليوم التالى ـــ الثلاثاء ١٩ ديسمبر استدعى باول مساعده للعلاقات العامة الكولونيل بيل سمولين وأبلغه أن العملية سوف تبدأ وطلب منه الالتزام بالسرية .

وقال باول : « أريد أن تسير الأمور بشكل عادى كلما أمكن » ونظر إلى جدول مقابلاته اليومى ولاحظ أن هناك غداء مع مدير الأكاديمية البحرية توم ديلى .

وكان ديلى قد طلب من باول أنه فى حالة فوز فريق البحرية فى مباراة كرة القدم فإنهم يأملون أن يتناولوا طعام الغداء معا فى البنتاجون ، ولقد كسبوا المباراة ـــ وكانت الجائزة غداء فى البنتاجون مع تشينى . ولقد كان هذا الموعد فى أسوأ الظروف وذلك قبيل أكبر عملية عسكرية تقوم بها

الولايات المتحدة منذ سنين .

وقال باول : سوف أتناول طعام الغداء » ودام ذلك ٤٥ دقيقة .

وفى نفس اليوم كان هناك موعد غير مهم مع تيفانى ستارك وهى فتاة مراهقة ابنة كولونيل فى السلاح الجوى ولقد اختارت تيفانى باول كموضوع لها لورقة عمل تقدمها للمدرسة الثانوية ولقد كُلفت من المدرسة بعمل موضوع عن شخصية مشهورة . وقرر باول أن يحافظ على الموعد والذى كان مقرراً له ١٥ دقيقة . وقبل أن تأتى تيفانى مع والدها إلى مكتب باول الساعة ٣٠ : ٤ مساء كان باول مضغوطا وقال لمساعديه : لا يمكننى إعطاء ١٥ دقيقة من وقتى الآن .. اختصروها إلى ٥ دقائق .

وقابلت تيفانى ، باول الذى أجاب على أسئلتها وكانت حول ما الذى دفعه للبقاء فى الجيش ، وهل فكر يوماً ما فى أنه سوف سيكون جنرالا ؟

وباقى اليوم كان مملوءا بالاجتماعات والمقابلات وكلها تدور حول ما قبل الغزو . وتوجه تشينى وباول إلى البيت الأبيض لإبلاغ بوش بآخر التطورات . وحول سؤال عن استخدام الطائرة الشبح إف ــ ١١٧ ــ إى المقاتلة ، قال بوش : « إذا كانت أحسن طائرة ، استخدموها » .

وأراد تشينى معلومات أكثر عن الطائرة ولاحظ باول أن كيلى والقادة الآخرين عادة ما يذهبون إلى مكتب تشينى ويبلغون بيل اوينز مساعده العسكرى عن الأمور المختلفة ، وقرر باول أنه سوف يبلغ وزير الدفاع بكل المعلومات بنفسه ووجد باول نفسه مشغولاً جداً وعليه أن يقابل وزير الدفاع بصفة مستمرة كلما احتاجه .. وقال باول لقادة العمليات : « اذهبوا إلى وزير الدفاع وقولوا له أى شيء يريد معرفته » .

* * *

وحوالى الساعة ٥ مساء كان هناك اجتماع لأركان الحرب مع باول لاستعراض المراحل النهائية .. وجاء تشينى ليلحق بهم .

وقال قائد البحرية جراى لتشينى : « لا تقلق حول التقارير الأولية . إنها عمليات مسائية وإن ثمة أخطاء تحدث ، ولكن فى الصباح سوف ترى عملية ناجحة » .

وكان باول سعيداً لأنهم توقفوا أخيرا عن التدخل فى الخطة .. ووجه اهتمامه نحو قلقه من وسائل الإعلام ، وقيل إن محررى شبكتى الانباء سى بى اس (CBS) ، ان بى سى (NBC) قد قالوا : إن لديهم أخبار بأن ثمة عملية ما من العمليات وشيكة الوقوع ، ولكن ليست لديهم فكرة عن أبعادها . وفى شبكة CBS استهل دان رازر الأخبار قائلا « إن طائرات النقل الحربية الأمريكية قد تركت فورت براج ، شمال كارولينا ، وهى قاعدة الصفوة العسكرية للفرقة ٨٢ المحمولة جواً .

ولم يُشر البنتاجون إن كانت متجهة إلى بنما أم لا ولكنهم سوف يقولون فقط إن قواتْ الفرقة ١٨ المحمولة جواً تقوم ببعض التدريبات » .

وقال محرر شبكة NBC إد رابيل : « لقد طارت الستار لفير سى ١٤١ إلى بنما بعد ظهر اليوم وكانت تهبط هناك بمعدل طائرة كل عشر دقائق . وعندما كانت تصل هذه الطائرات ، شُددت احتياطات الأمن حول القاعدة وأمكن مشاهدة الجنود الأمريكيين بملابسهم الحربية وبكامل عتادهم حول القاعدة .. وبعد انتهاء التقرير الملخص أشار رابيل قائلا : « لا أحد يمكن أن يؤكد أن هذه الطائرات هى جزء من مجموعة الغزو الأمريكية — ولكن التوتر كان عاليا على الجانبين فى هذا المساء حول إمكانية ضربة أمريكية » .

ولقد شاهد باول تقارير التليفزيون وتأكد أن كل شيء يسير على ما يرام وعليه أن يشكر بعض المحررين .

ودُهش كيلى من أن أخبار الغزو لم تتسرب .

وعندما عاد باول للعشاء فى منزله أخبر « ألما » أنه ذاهب ثانية إلى البنتاجون ولا يعرف متى سيحضر . وعرف أنها قد لاحظت كل التحركات والمكالمات التليفونية ولكن لم يقل لها ماذا يحدث ، ولم يفعل ذلك أبداً . إن سياسة عائلة باول هى التفريق بين حياة المنزل وحياة العسكرية كلما أمكن .

وعاد باول إلى البنتاجون بعد العشاء واستراح قليلا . وكان المبنى هادئا ، وفى غرفة الأزمات فى المركز الوطنى للقيادة الحربية حيث كان يعمل ١٥ شخصا فى جو من الإثارة والقلق . أُدير جهاز التليفزيون على قنوات سى ان ان — C N N الثلاث على شاشة على الحائط حيث كل البيانات عن وضع عملية الغزو المسماة « سبب فقط » .

وجلس كيلى وشيفر فى وسط الغرفة أمام منضدة طويلة . وكان كيلى يدير الأمور ويتدارس مع ثورمان فيها .

وكان كيلى يستفسر بشدة عن أماكن اختفاء نورييجا . لقد فقدوا أثره حوالى الساعة ٦ مساء وكان كيلى يقول : « أين هو ؟ إن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى فى أثره لأكثر من عام . وبالرغم من أن هناك أكثر من فريق يتابع تحركات نورييجا فى بنما إلا أنه قد أفلت » .

وفى الساعة ٣٠ : ١١ قدم ثورمان تقريراً يقول إن نورييجا من الممكن أن يكون فى مدينة كولون وهى آخر مكان شُوهد فيه .

ووصل باول إلى غرفة الأزمات فى الساعة ٥٢ و ١١ وكان يرتدى سويتر أسود — وعلى كتفيه أربع نجوم — وسرواله الأخضر العسكرى ، وقميصه مفتوح من الرقبة حيث ظهرت فانلته التى

شيرت البيضاء .

* * *

ولقد تمكنت بعض قوات الدفاع البنمية من سماع محادثة بين جنديين حول ساعة الصفر وأبلغ ذلك إلى نورييجا وقال نورييجا : « إن الأمريكيين لن يأتوا ، إنهم لايمكنهم أن يفعلوا ذلك » ودعا إلى عقد اجتماع فى الكوماندانسيا فى اليوم التالى الساعة ٨ صباحا لاستعراض الوضع .. وتمكن جهاز الاستماع الأمريكى من التقاط جزء من محادثة بين بعض جنود بنما وقال أحدهم : « إن اللعبة سوف تبدأ الساعة الواحدة » .

وكان ستينر مقتنعاً بأن ذلك إشارة إلى ساعة الصفر .. ورفع سماعة التليفون الخط المباشر مع ثورمان . وقال ستينر : « يجب علينا تقديم الموعد » .

وسأل ثورمان : « كم من الوقت تريد أن تقدمه ؟ » .

ــ مارأيك فى ثلاثين دقيقة ؟

حسنا ، افعل ذلك .

وأرسل ثورمان هذه المعلومات إلى واشنطن ولم يسأل الموافقة .

ولكن كانت هناك بعض التعقيدات وكان يجب إقامة كوبرى هزاز على القناة حيث تتمكن اربع من الدبابات طراز شيريدان من التحرك نحو التل وإصابة الكوماندانسيا بنيران مباشرة . وكانت هناك سفينة فى القناة وكان يجب إبعادها قبل عودة الكوبرى الهزاز إلى مكانه .

وفى الساعة ١٢,٠٧ صباحا أرسل ثورمان أوامره الرسمية إلى قيادة الأركان أن تنفذ عملية إنقاذ للأمريكيين فى بنما قبل ساعة الصفر ب ١٥ دقيقة أو فى الساعة ١٢,٤٥ .

وفى الساعة ١٢,١٨ أصدر أوامره بتنفيذ الهجوم على الكوماندانسيا فى نفس الوقت أصدر كذلك أوامره إلى الضفادع البشرية فى بوينتا بايتشيلا بأن يأتوا إلى الشاطىء ليعطلوا طائرة نورييجا النفاثة والتى يمكن أن يهرب بها .

ووصلت إخبارية عن جرح موظفة أمريكية بواسطة رجال الدفاع البنميين فى قاعدة البروك الجوية الأمريكية فى بنما ، ووصلت هذه الأخبار إلى باول وآخرين فى غرفة الأزمات فى الساعة ١٢,٢٩ . وفى الخمس دقائق التالية استمعوا إلى تقارير من ثورمان عن إطلاق النيران فى فورت امادور وكذلك طلقات مدافع آلية فى الأماكن الإستراتيجية للأمريكيين عبر القناة وكذلك فى قاعدة البروك . وأبلغ بوش كلا من تشينى وباول ان نقطة اللاعودة يجب أن تتحقق عندما يحلف « إندارا » القسم الرئيسى لبنما ويطلب التدخل الأمريكى .

وقال بوش : « إذا لم يقم اندارا بهذا الدور فيجب التفاهم معه » .

وسمع ثورمان قسم « اندارا » كرئيس جديد لبنما .

وبالرغم من وصول بعض الوحدات إلى المكان مسبقا فإن التنفيذ الفعلى لخطة « سبب فقط » قد بدأ . قبل ساعة الصفر بـ ١٥ دقيقة .. وجاء صوت ثورمان عبر الميكروفون فى غرفة الأزمات مُخبراً بحدوث اشتباكات فى منطقة الكوماندانسيا وكان جيش الدفاع البنمى يطلق النار على طائرة هليوكوبتر جاءت لإنقاذ الأمريكيين بالقرب من سجن موديللو .

وكانت الفرقة قد قسمت إلى مجموعات عمل مثل مجموعة العملْ الحمراء ومجموعة عمل السنكى ومجموعة سمير إف أى ، وأوكلت إلى مجموعة السنكى مثلا مهمة حماية فورت أمادور وكانت مجموعة العمل الحمراء مسئولة عن حماية مطارات توريخوس وتوكومن وريو هاتو .

وقبل موعد العملية وصل الرئيس بوش إلى المكتب البيضاوى مرتدياً سويتر أزرق داكنا فوق قميص ورباط عنق ووقع على أمر قيادة يخُول القوات العسكرية القبض على نورييجا وأشخاص آخرين فى بنما بتهم تتعلق بالمخدرات .

وفى الساعة ١٢,٧٥ ، سمعت أصوات النيران على جانب الأطلنطى فى بنما ، وفى الساعة الواحدة صباحا تحرك العسكريون رسمياً وهم فى حالة استعداد تام تسمى ( ديف كون ١ ) وهذا يعنى أن الهجوم فى طريقه ، وفى نفس الوقت جاءت الأخبار إلى غرفة الأزمات تقول إن رئيس جيش الدفاع البنمى فى المنطقة الثالثة وهى إحدى المناطق العسكرية السبع قد خرج من القتال .

* * *

ومن خلال خبراته أثناء حكم فورد فى البيت الأبيض تعلم تشينى ردود فعل البشر فى الأزمات . فإن المواقف سوف تتراكم والكل سوف يبقى طوال الليل لسماع آخر الأنباء وعندما تأتى ساعة الحسم سيكون الكل غير قادر على الحكم الصحيح . ولذلك ذهب تشينى إلى مكتبه بعد العشاء ونام فى غرفة الصغيرة هناك . وبعد عدة ساعات قام من النوم . ولأول مرة استخدم الدش الموجود فى مكتبه .

ثم توجه إلى غرفة الأزمات حيث رأى أن باول وكيلى وشيفر كانوا هناك . وكانت الساعة قد جاوزت الدقيقة بعد الواحدة وجلس بجوار باول على المنضدة الطويلة .

ووصل فى الحال تقرير ثان من القيادة الجنوبية يتعلق بالمنطقة الثالثة للقيادة البنمية ولقد أمر القائد البنمى جنوده بالتوقف عن القتال .

وفى الساعة ١,٠٧ كان هناك تقرير بأن قوات الولايات المتحدة استخدمت ميكروفوناً وأمرت القوات البنمية بإلقاء السلاح ولكن الرد جاء إطلاق النار .. وبعد دقيقتين جاءت الأخبار بأن القوات الأمريكية قد هاجمت قيادة نورييجا .

وفى الساعة ١,١١ استمع باول وتشينى إلى الأخبار بأن فريق « دلتا » قد وصل إلى سطح سجن موديللو .

وفى الساعة ١,١٤ عُلم أن قوات الجيش البنمى قد تراجعت إلى قاعدة البروك .

وفى ١,١٧ قالت القيادة الجنوبية : إن الكوماندانسيا كانت تطلب التعزيزات .

وفى الساعة ١,١٩ جاءت الأخبار أن قوات المظلات قد هبطت على هدف مهم فى منطقة ريو هاتو .

وأبلغ ثورمان فى الساعة ١,٢٨ إن قائد جيش الدفاع البنى أمر قوات الفرقة الخامسة بالتوقف عن القتال .

وقال التقرير التالى : إن مبنى مشاة البحرية فى السفارة الأمريكية قد اشتعلت فيه النيران من جراء القنابل التى تسقط عليه .

وكان هناك تقرير بأن الطائرة الهليكوبتر التى تحمل السجين ميوز من سجن موديللو قد سقطت ومن المحتمل أن يكون طاقم الطائرة وكذلك السجين قد ماتوا . وقد ارتسمت خيبة الأمل على وجه باول . وكان الرئيس بوش قد طلب إنقاذ السجين ميوز والآن قد سقطت طائرته .

وفى نفس الوقت جاءت الأنباء تقول إن القوات الأمريكية قد هجمت على ما يبدو ملجأ لنورييجا . وهو منزل ساحلى ولكن وجد المنزل خالياً . وخيم جو من التشاؤم على الغرفة .

وكان باول يعرف أن نورييجا يستخدم مخبأ آخر فى شقة بالقرب من كولون وأبلغ ثورمان بذلك .

وقال باول لثورمان : « متى ستأخذ الشقة » .

وقال ثورمان : « إننا نعمل على ذلك » .

وجاء ثورمان ومعه الأخبار بأن الشقة وجدت خالية . وكانت هذه هىَ الأنباء الثالثة المثبطة للهمم فى فترة قصيرة .

* * *

وفى البيت الأبيض أدار بوش جهاز التليفزيون فى مكتبه ، وفى الساعة ١,٤٠ ظهر مارلين فيتزووتر على الشاشة يقول : « لقد وجه بوش قوات الولايات المتحدة الأمريكية فى الساعة الواحدة صباحا هذا الصباح بخطة مدروسة إلى بنما لحماية حياة الأمريكيين وتوطيد الديمقراطية والحفاظ على معاهدة قناة بنما وإعطاء درس إلى مانويل نورييجا » .

وفى يوم الجمعة الماضى قال فيتزووتر للصحفيين المجتمعين أمامه : « إن نورييجا أعلن حالة الحرب ضد الولايات المتحدة » .

وتساءل أحد الصحفيين : « ألم يقبض على نورييجا بعد يا مارلين ؟ »
ورد فيتزووتر : « إننا لا نعرف كم سيأخذ ذلك من وقت ولكن هذا هو هدفنا النهائى ! »
وسأل أحد الصحفيين : « مارلين .. هل تقول لنا من يتولى قيادة العمليات ؟ » .
ـــ إن قيادة العمليات هى داخل البنتاجون !

* * *

وقبيل الساعة ٢ صباحاً تسلم باول وتشينى كلمة من ثورمان بأن كل شيء هادىء فى السفارة الأمريكية وأن كل شيء على مايرام فى مطار توكى من .. وجاءت الأخبار بأن قائد جيش الدفاع البنمى فى المنطقة السادسة ، قد أمر قواته بالانسحاب من أماكنهم قبل وصول الأمريكيين .

وفى الساعة ٢,٢٠ صباحا وصلت أخبار تقول إن السجين ميوز قد نجا من سقوط الطائرة . وفى الحال أصبح الجو أكثر بهجة وتحقق باول وتشينى أنهما قد أتما هدفاً أساسياً .

ورفع باول السماعة وطلب مدير المخابرات المركزية « وبستر » وقال له : « إننى أريد أن أخبرك بأننا أنقذنا رجلك والآن هو فى أمان » .

واتصل تشينى بالبيت الأبيض فى أول محادثة بعد وصوله إلى غرفة الأزمات فى تلك الليلة . ثم تحدث إلى سكوكروفت وطلب بوش أن يتسلم مكالمات تشينى كل نصف ساعة .. والآن قال تشينى لبوش إنهم تمكنوا من إنقاذ ميوز وإن فريق الدلتا قد أتم عمله فى زمن قياسى .

وجاءت التقارير فى الساعة ٢,٤٠ تشير إلى أن قيادة الكوماندانسيا تشتعل فيها النيران .

وجاءت أيضاً الأخبار بأن نورييجا لايزال طليقاً . وماعدا ذلك فإن العمليات عموما تسير سيراً حسناً . وبعد الساعة ٣,٠ بقليل علموا أن قوات الجيش البنمى فى كولون ومطار توكى بالقرب من حدود كوستاريكا قد سقطت وأن القوات البنمية تستسلم فى كل اتجاه دون مقاومة واستمع باول لذلك وأخذ يدون ملاحظاته وتحدث بهدوء إلى تشينى ولم يحاول أحدهما التدخل شخصياً فى إدارة العمليات . وشعر كلاهما بأنه يجب ترك ثورمان ورفاقه يؤدون عملهم .

وجاءت أخبار سيئة بأن مجموعة القوات الخاصة الأمريكية قد تحركوا إلى مطار بوينتا باتشيلا قبل ساعة الصفر لتعطيل طائرة نورييجا الخاصة ولكنهم قوبلوا بوابل من الرصاص من أفراد الجيش البنمى وقتل أربعة وجُرح سبعة منهم . وأن موت هؤلاء الصفوة قد أزعج المجتمعين فى غرفة الأزمات .

وقد ظلت مسألة نورييجا عالقة فى ذهن باول طوال الليل . وفى الساعة ٣,٣٩ تسلم إشارة من المخابرات بأن الديكتاتور لايزال آمنا .

وبُنى التقرير على التدخل فى مكالمة تليفونية . وبعد ساعة ونصف جاءت الأخبار من القيادة الجنوبية

بأن نوريجا يختبىء فى منزل آمن ولكن غير معروف مكانه .

وظل تشيني يبلغ الرئيس بآخر الأخبار كل نصف ساعة وقال وإن الكوماندانسيا قد تفككت أوصالها وتم الاستيلاء على معظم الأهداف وأمكن التخلص من معظم القوات النظامية لجيش الدفاع البنمى .. وفى الساعة ٤ صباحا ذهب بوش لسريره . وفى الساعة ٤,٣٠ صباحا بدأ باول فى تحضير تقريره عن التفاصيل الحربية لأن الرئيس بوش سوف يوجه خطابا إلى الأمة الساعة ٧ صباحا ثم مؤتمراً صحفياً فى البنتاجون يعقده تشيني وباول .

* * *

وفى الساعة ٦,٣٠ صباحاً توجه بوش إلى المكتب البيضاوى بعد ان أعُد له خطاب من ١١ فقرة و لم يكن هناك وقت لطباعة هذه الفقرات وكان عليه أن يلقيها مكتوبة على الآلة الكاتبة وبها ملاحظات بخط يده على الهامش .

وفى الساعة ٧,٢٠ كان بوش يقف أمام الكاميرات وقال : « إن تهديدات الجنرال نورييجا العصبية وهجومه على الأمريكيين فى بنما خلق جواً من الخطر عند ٣٥ ألف مواطن أمريكى يعيشون فى بنما » .

« إن الولايات المتحدة تنوى سحب قواتها التى أرسلت حديثا إلى بنما بأسرع مايمكن » .

وذكر سامعيه : « بتلك الصور المريعة لنائب الرئيس البنمى المنتخب وهو مغطى بالدماء من رأسه إلى إخمص قدميه والذى ضُرب بغير رحمه » .

وقال بوش : « لقد قمنا بهذا العمل فقط بعد ما توصلت إلى قرار واقتناع بأن كل الطرق الأخرى قد أوصدت » .

وبعد ذلك مباشرة ظهر كل من تشيني وباول فى البنتاجون فى مؤتمر صحفى لإبلاغ المحررين عن الموقف وأجابا على الأسئلة التى وجهت إليهما .

ووجه تشيني بيانا من ٧ فقرات ثم أخذ باول المنصة ووقف كيلى بجوار الخرائط .

وقال باول : « إن هناك تفاصيل لا أود أن أخوض فيها لدواعى أمن العمليات » . وكان باول يتحدث دون الاستعانة بالمذكرات وأخذ وقتا أكثر من تشيني وكان يتحدث بكل ثقة عن جغرافية بنما وتفاصيل العمليات وعن الوحدات وتمركزها وكان يتحدث بلغة الرهبان ليُظهر أنه يعرف قواته : فرقة المشاة ١٩٣ ووحدة المشاة السابعة والفرقة ٨٢ المحمولة جوا وفرقة البوليس الحربى ١٦ وهكذا ...

واشار إلى أكثر من ١٦ وحدة .

وقد بدأ حديثه بإعلان نجاح القوات الأمريكية فى الاستيلاء على سجن جمبوا حيث كان هناك

أشخاص من قوات الدفاع البنمية المقبوض عليهم بتهمة الانقلاب ، والآن لدينا حوالى ٤٧ أو ٤٨ من المسجونين السعداء الذين أُفرج عنهم . وكذلك تحدث عن سلامة المحطة الرئيسية للكهرباء وسد مادن . وعن حماية قاعدة هيوارد الجوية ومطار توريخوس الدولى .

وقال باول : « إننا لم نتمكن بعد من تحديد مكان الجنرال . ولكن عملياً فإننا أوقفنا ديكاتوريته فى هذه البلاد والآن هو مُطارد وسوف يعتقل كذلك » . وقال إن بعض النيران اشتعلت بالسفارة الأمريكية ولكن لم يُصب أى فرد .

وان التقارير المبدئية تشير إلى قتل ٩ من الأمريكيين وجرح ٣٩ .

ووجُهت معظم الأسئلة إلى باول .

وسُئل عن نورييجا فقال : « لقد أظهر قدرة كبيرة على النجاة من الكارثة ولكن مع الوقت سنرى إذا كان فعلا سينجو منها أم لا ؟ » .

كانت هناك أسئلة أكثر عن نورييجا .. فرد عليها :

— إننا نبحث عنه ، أنه لا يدير أى شيء .. إننا نملك كل القواعد التى كان يمتلكها منذ ثمانى ساعات مضت !

وعندما انتهى المؤتمر الصحفى وقف باول أمام الميكروفون .

وقال : « كل ماأريد أن أقوله لكم هو أن تتفهموا مدى تعقيد العمليات وكيف واجهناها بكل كفاءة ونحن جميعا .. وزير الدفاع وأنا وكل المساعدين نأسف بكل شدة على الضحايا ولكن هذا ضرورى فى السعى لمصالحنا القومية والقتال من أجل الديمقراطية » .

* * *

ولم تكن ألما باول تعلم أن زوجها سيظهر على شاشات التليفزيون هذا الصباح . ولكن قام أحد أفراد العائلة بإبلاغها واتصلت به متأخراً فى ذلك اليوم بالبنتاجون قائلة : « لقد كنت رائعا » .

* * *

وبدأ باول فى تلقى المكالمات من القادة فى كل مكان يعرضون قواتهم واستعدادهم للمشاركة بكل حماس . ومن بين هؤلاء قائد الوحدة العاشرة المحمولة جودا فى فورت كامبل . والتى وضعت على أتم استعداد للذهاب إلى نيكاراجوا إذا قام السندينستا بأى عمل حربى . وكذلك فلقد قامت الولايات المتحدة باستخدام أقمار الاستطلاع على كوبا ونيكارجوا لمعرفة ما إذا كانت هذه الدول سوف تأتى لنجدة نورييجا .

وكذلك الصور التى أرسلت من فورت براج عبرالأقمار الصناعية إلى القيادة الجنوبية والتى

أمدت ثورمان وستينر بمعلومات مصورة عن مطار توكى من مثلا وعن أماكن أخرى فى بنما والتى شملت أيضا الكوماندانسيا وفروت سيمارون وريو هاتو .

ومن الأشياء التى شدت انتباه الإعلام وجود بعض الرهائن وأمكن الإفراج عنهم فى فندق ماريوت فى اليوم الثانى للعمليات عندما استولت القوات الأمريكية على الفندق وأطلقت سراح الرهائن .

وكانت هناك آراء كثيرة حول ذهاب أمريكا إلى بنما وفى المؤتمر الصحفى يوم الثلاثاء وهو اليوم التالى للغزو .

سئل بوش عن إدانة السوفييت للغزو .. فقال : إنه يريد أن يرسل برقية إلى جورباتشوف تقول « إذا قتلوا أمريكيا من البحرية ، فهذا شيء سيء . إذا هددوا بطريقة وحشية زوجة مواطن أمريكى وهددوها جنسيا وضربوا زوجها على مؤخرته مرارا وتكرارا ، عندئذ أرجو أن تتفهم ياسيد جورباتشوف بأن الرئيس سوف يفعل شيئا » .

* * *

ان الفشل فى القبض على نورييجا وكذلك عمليات النهب فى بناسيتى أدت إلى ظهور الصحف بأخبار سيئة يومى الخميس والجمعة . وكانت هذه الأيام هى أسوأ أيام باول . ولكن فى يوم الأحد عندما ظهرت القصص المشجعة . ذهب بوش لزيارة البنتاجون وقال لباول :

صديقى باول « لقد كانت الأشياء محزنة بالامس ولكن الآن تبدو بلاشك أحسن » .

لقد كان وجود نورييجا طليقا يمثل ضغطاً على العمليات ورصدت الولايات المتحدة مليون دولار مكافأة لمن يقبض عليه أملا فى أن يتقدم أحد .

ووصلت التقارير بأنه قد وجدت بقايا مخدرات وبعض الأوراق الدينية .. وقال باول : إننا سوف نحطم صورة ذلك الروبين هود .

وفى اليوم التالى الأحد ٢٤ ديسمبر الساعة ٣,٣٠ مساء وصلت سيارة إلى الممثل البابوى للفاتيكان فى بنما نونثيو . ونزل منها الجنرال نورييجا مرتدياً تى شيرت وحاملاً بندقية نصف آلية ايه كى ــ ٤٧ على كتفه ودخل إلى المبنى وطلب اللجوء السياسى .

ورأى باول أن ذلك لن يحل المشكلة على الإطلاق ويمكن لنورييجا أن يظل إلى الأبد هناك ويخلق مشكلة ديبلوماسية . وكان ستينر يعلم أنه يجب عليه أن يحترم قداسة المكان كسفارة وكذلك ممتلكات الكنيسة . ولكن هناك طرقا للضغط على الكنيسة . وأخذ أحد الأساقفة فى زيارة إلى منزل نورييجا السابق . وشاهد بعض الأشياء التى وجدها الجنود الأمريكيون فى مخبئه منها أدوات للسحر ومكتبة عن هتلر وألبوم من الصور الجنسية وصور التعذيب وكذلك قائمة تشمل أسماء

كل القساوسة الكاثوليك فى بنما وكذلك شخصيات من المسئولين الكاثوليك فى أمريكا الوسطى وربما يكونون فى قائمة القتل .

* * *

وتقابل القس سيبيسيان لابوا مع ثورمان وستينر وأعطاهم مذكرة مكتوبة بخط اليد تقول : « إذا بدأت عمليات إطلاق النار داخل السفارة فإنهم سيكونون مُخولين أن يقاوموا الهجوم لإنقاذ حياة الناس وليقللوا من القتلى والمعذبين » .

وتوجه ستينر إلى قيادة الأركان واتصل بكيلى من خلال الخط الساخن فى البنتاجون . وسأل كيلى عن الأحكام الجديدة والقواعد التى تسمح لقواته بدخول محل إقامة المفوض البابوى فى بنما نونيثو إذا دعا الأمر أو إذا بدأ القتال .

وخلال ساعة أقر باول وتشينى صلاحيات جديدة لستينر .

وفى اليوم التالى الأربعاء ٢٧ ديسمبر ، أمر ثورمان وستينر القوات بتوجيه أصوات موسيقية مزعجة إلى المقر البابوى فى بنما لمنع أى شخص من التدخل فى مفاوضات مع المفوض البابوى .

وقامت قوات أخرى بأعمال كما لو كانت تُجهز لهجوم فقطعوا الحشائش والأشجار فى الأماكن المجاورة لتحسين الرؤية وأطفاوا أعمدة الإنارة بالشوارع .. وكانت تمر دوريات حول سور السفارة وألقيت الأسلاك الشائكة فى الشوارع . واتخذ نحو «٥٠» جنديا أماكنهم فى جراج خلف السفارة وقامت طائرة هليوكوبتر حربية بإنزال بعض القوات والمعدات عدة مرات ، وقامت الدبابات الخفيفة بسد الشوارع فى المنطقة وكان نورييجا لا يزال فى الداخل .

وفى يوم الجمعة ٢٩ ديسمبر كان باول يشاهد محطة سى ان ان CNN ، وشاهد القوات وقد دخلت مكان إقامة السفير النيكارجوى فى بنما ، وفى الشوارع الخارجية خارج منزل السفير وأمكن لباول تحديد بعض الأضرار التى أحدثتها العربات المصفحة . وكان غاضباً جداً .. إن غزو سفارة خروج عن كل حدود وخروج على المواثيق الدولية التى تعطى لمثل هذه الأماكن الحصانة المطلقة . فهى مثل الملكية الخاصة . لقد فعل الطلبة الايرانيون مثل هذا الفعل عام ١٩٧٩ عندما اقتحموا السفارة الأمريكية فى طهران .

وطلب باول ثورمان ليسأله عن بعض الأمور . وعندما لم يصل رد سريع . علم باول أن هناك شيئا خطأ ورفع الأمر إلى تشينى .

وأجاب تشينى بهدوء : سوف نتدبر الأمر . « ولكن دعنا لانقسو بشدة على أولادنا » .

وعندما اتصل ثورمان أخيرا .. قال إن المخابرات أشارت بأن المقر كان مملوءا بالسلاح ، وأن البحث أسفر عن وجود ٤ بنادق نصف آلية من نوع عوزى ١٢ ايه كى ـــ ٤٧ ، وست منصات

لإطلاق القنابل . و ١٧ سنكى وأضاف ثورمان إنه لم يكن واضحا أنه سكن لدبيلوماسى .

وقال باول : « إن هذا الشىء لا يمكن إنكاره لقد رأيت كل شىء فى الـ سى ان ان CNN . توقف عن خداعى . لقد فعلناه » .

ومع علمه بأن ثورمان فى غاية التوتر إلا أن باول اعتاد أن يتعامل مع تجاوزات القادة .. ولكن الأمور الآن بدأت تخرج عن مستوى التحكم . وتحدث باول حديثا قلبيا مع قائده حول الحاجة إلى تأكدهم من أن بعض الأحداث الصغيرة لا تؤثر على خطة عسكرية عبقرية .

* * *

وفى الساعة ٨,٤٤ مساء يوم الأربعاء ٣ يناير ١٩٩٠ ، خرج نورييجا من مقر المندوب البابوى مرتدياً الزى العسكرى واستسلم لأفراد من قوة دلتا . وعندما وضعت الأصفاد فى يديه صاح فى غضب وصب اللعنات على المندوب البابوى نونثيو ، والذى كان واقعا بالقرب منه .

ومن الواضح أن نورييجا كان يتوقع أن يُعامل كرئيس دولة ، أو أسير حرب والآن أخذ يلوم نونثيو لخداعه . وبارك نونثيو نورييجا والذى أخذ إلى طائر هليوكوبتر إلى قاعدة هيوارد الجوية حيث قام عميل فى المخابرات الحربية بالتحفظ عليه .

وفى الساعة ٩ مساء اتصل تشينى تليفونيا ببوش ، وبعد ٤٠ دقيقة ذهب بوش إلى غرفة الاجتماعات بالبيت الأبيض ليقرأ رسالة من ٦ فقرات معلنا القبض على نورييجا .

إن عودة الجنرال نورييجا تُعتبر علامة بارزة على الطريق فى عملية « سبب فقط » . لقد استخدمت الولايات المتحدة كل إمكاناتها بطريقة تتمشى مع القواعد السياسية والديلوماسية والأخلاقية ... وقال بوش : « اننى أريد أن اعبر عن شكرى الخاص بالنيابة عن أمتنا إلى كل الذين خدموا هذا الوطن والذين جُرحوا وإلى عائلات الذين فقدوا أرواحهم .. إن تضحياتهم كانت لهدف نبيل وسوف لن تنسى »

لقد انقشع الدخان ووضحت أشياء عن تحركات نورييجا قبل استسلامه .

إن الأمريكيين الذين كانوا يتعقبونه كانوا قد فقدوا أثره حوالى الساعة ٦ مساء فى كولون . فعند بداية الغزو علم باول أن الجنرال كان فى بيت للدعارة فى توكو من . وعندما سمع نورييجا طلقات المدافع ، ارتدى سرواله وقفز إلى عربته وفر هارباً . وأخذ الطريق السريع إلى بناسيتى . واختفى فى المدينة حيث كان يتحرك من مخبأ إلى آخر فى منازل عديد من الاصدقاء والأعوان .

وفى ٥ يناير طار باول إلى بنما لزيارة القادة والقوات . وفى اليوم التالى فى اجتماع مع مراسلى الصحف ، أكد على النتائج السياسية للعملية قائلا : « إن ما حققناه فى هذه العملية هو أننا أعدنا البلاد إلى أصحابها » .

وسُئل : ولما كانت كل هذه القوات الكبيرة ؟

فقال : « إننى دائما أعتقد أنك يجب أن تحصل على ما تريد لتحقيق العملية ولا يجب أن تسير فى الطريق الرخيص » .

وقال باول : « إننى أشكركم على أسئلتكم . وأتمنى أن يكون لها أثر كبير .. أتمنى أن يكون لها أثر عظيم .. وحيث إن الدولار ينخفض ، وأن العالم فى تغير . لا تعتقدوا أن هذا هو الوقت لتنشيط دور القوات المسلحة لأمريكا فليس الأمر هكذا فإنه لا تزال هناك مخاطر فى العالم » .

وكان يعرف جيداً بأن بيانه قد يجذب الانتباه قليلاً أو لا يجذب الانتباه على الإطلاق .

ومع هذا شعر بأن بنما كانت حقيقة .. وهى المن الآتى من السماء .

وطار إلى الوطن سعيداً بأن العملية التى تحققت على أرض الواقع لا تختلف عما خططه فى البنتاجون . لم تكن هناك أسرار مدفونة . ولم يجد السياسيون ورجال الإعلام بديلاً إلا أن يعلنوا نجاحها . وأظهر استطلاع للرأى قامت به وكالة الأخبار C B S أن ٩٢ فى المائة من الشعب البنمى كان يؤيد الغزو الأمريكى .

وفى اليوم التالى ، السبت . كان باول خارجا فى الجراج يقضى وقته فى تصليح سيارة فولفو قديمة .

وطوال أسابيع وشهور بعد العملية تصدرت بنما الأخبار ومع ذلك كانت هناك أشياء حدثت ولم تجد طريقها إلى الأعلام مثلا :

أُتهم جندى بقتل بنمى مدنى أعزل دون سبب واضح فى أحد الطرق فى اليوم الرابع للعملية . ولكن برأته محكمة عسكرية . وأفرجت القيادة الجنوبية فى أواسط يناير عن عدد القتلى : ٣١٤ بنمى من القوات العسكرية البنمية و ٢٠٢ مدنى بنامى و ٢٣ من القوات الأمريكية . وعرضت شبكة C B S خلال ٦٠ دقيقة فى تقرير لها أن : ٤٠٠٠ مدنى بنامى قد لقوا مصرعهم فى الحرب .

وفى تقرير لمجلة نيوزويك أن ٦٠ فى المائة من قتلى الولايات المتحدة كانوا بسبب نيران أطلقت من الجنود الأمريكيين ، وأعلن البنتاجون لأول مرة بأن نيران الأصدقاء قد أدت إلى مقتل اثنين من بين ٢٣ من القتلى ، وأصابت ١٩ من بين ٣٢٤ من الجرحى الأمريكيين .

* * *

وانخرط باول فى حالة من السلام . فبنما كانت أكبر عمل عسكرى للولايات المتحدة منذ حرب فيتنام ، فإنه قد تركزت الأضواء على ما بعد الحرب الباردة .. وقضى باول وقتاً طويلاً فى مكتبه مع التليفون محاولاً الوصول إلى إستراتيجية للتغيير . وكان متأكدا أن أحسن شيء للتقدم هو الثقة

فى غرائزه وفى مجموعة من الأحكام والحكم كان يستخدمها عندما يأخذ القرار .. وبعضها كان على قائمة رسمها وكان يريها لزواره والبعض الآخر وضع تحت الغطاء الزجاجى لمكتبه .

أحكام كولن باول

١ ــ إن الأمور ليست سيئة كما تعتقد إنها ستكون أحسن فى الصباح .

٢ ــ كن مجنوناً ولكن تغلب على هذا الجنون .

٣ ــ تجنب أن تكون ذاتك العليا قرينة من موقفك لأنه عندما يسقط موقفك تسقط ذاتك معها .

٤ ــ يمكن فعلها .

٥ ــ اختر بعناية من حولك تحصل على ماتريد .

٦ ــ لاتجعل الحقائق المعارضة تقف حائلا بينك وبين قراراتك .

٧ ــ إنك يمكن أن تختار للغير ولكن لاتجعل الغير يختار لك .

٨ ــ تفحص الأشياء الصغيرة .

٩ ــ شارك فى الثقة .

١٠ــ كن هادئا وكن عطوفا .

١١ــ ليكن لك رؤية واسعة للمعرفة .

١٢ــ لا تأخذ النصيحة من مخاوفك أو من العدميين .

١٣ــ إن التفاؤل الدائم يزيد من قوتك .

وعلى يسار هذه القائمة كتب بخط يد باول مأثورة ليست للاستهلاك تقول :

« عندما تكون مسئولاً أحياناً يعنى أنك تطرد الناس من حولك » .

وكانت هناك حكمة حاول باول العيش معها وخصوصا خلال حياته المهنية ولكنها لم تكن مكتوبة ولم يكن باول فى حاجة ليذكر نفسه بها .

« إنك لن تعرف طريقك إن لم تحاول » .

# □ الجزء الثانى □

# □ ١٦ □

فى بداية أبريل ١٩٩٠ تلقى سفير السعودية لدى الولايات المتحدة الأمير بندر بن سلطان مكالمة من عمه الملك فهد الذى قال له : إن الرئيس صدام حسين قد تحدث تليفونياً للتو قائلا إنه يريد شخص ما أن يأتى إلى العراق لرؤيته شخصياً .. ويناقش مسألة عاجلة لها علاقة بأمريكا .. وطلب فهد من بندر أن يقوم بهذه المهمة .

إن بندر كان مشتركاً بصفة مباشرة عام ١٩٨٨ فى مفاوضات الأمم المتحدة بخصوص وقف إطلاق النار فى الحرب الإيرانية ــ العراقية ووافق صدام حسين على أن يستقبله كمبعوث لبلاده .

كان بندر ( ٤١ عاما ) له مكانة مميزة فى واشنطون . إن معظم السفراء يقضون أوقاتهم فى الحفلات ولكن بندر كانت له علاقات صداقة طويلة مع بوش وبيكر وسكوكروفت وباول وأعطى ذلك العائلة المالكة السعودية طريقا إلى الطبقات العليا فى الحكومة الأمريكية .

وقبل أن يصبح بندر سفيراً عام ١٩٨٣ كانت السعودية تعمل من خلال موظفين أمريكيين مغمورين وأصر بندر على التعامل مع القمم وأخذ ينمى علاقات شخصية مع الموجودين هناك ومع عشرات آخرين غيرهم .

فى عام ١٩٨١ وقبل أن يصبح سفيراً كان قد حصل على مساندة نائب رئيس الجمهورية بوش فى حث الرئيس ريجان على إتمام صفقة سلاح كبيرة للسعودية وخلال فترة حكم ريجان الأولى كان بوش وبندر يتناولان الغداء عدة مرات فى السنة وشعر بندر بأن بوش له رؤية متوازنة عن الشرق الأوسط ولم يكن ملتصقا عاطفيا بمصالح الشعب تماماً .

وكان بندر يقيم الحفلات الكبيرة وكان يقدم الخدمات للأفراد أو المجموعات المهتمين ببلاده وكان ينظر إلى نائب الرئيس نظرة جادة حتى عندما كان الكل ينظر اليه على انه الرقم الثانى الضعيف وأقام بندر حفلا على شرف نائب الرئيس بوش وقامت المطربة روبرتافلاك بالغناء فى الحفل وكان بندر يذهب لصيد السمك مع بوش وكان يعلم أن العلاقات الشخصية تدفع الأمور من خلال القنوات أسرع من أى شىء آخر .

وكان بندر طياراً مقاتلاً منذ ١٧ عاماً ومقرباً جداً لقلب الملك فهد ، ولقد كان ملائماً جداً

للحياة الصعبة ولجماعة بوش فهو يتحدث الإنجليزية بطلاقة ويعرف العادات الأمريكية وكان يتعامل مع دوائر الإعلام والسياسة بالسيجار والهدايا والدعوات والمعلومات والقصص الشيقة والنكات ( ولقد أرسل دمية بالحجم الطبيعي عبارة عن امرأة عارية لصحفي يهودي أقام صداقة معه ) وكان الأمير سلساً وجذاباً ويمكنه أن يكون طفولياً وشديد البأس .

وكان آخر اقتراحات فهد هي أن يقوم بندر بدور الوسيط بين صدام والولايات المتحدة وهو نوع العمل الذي يهواه .

وذهب مباشرة إلى العراق على طائرته النفاثة الخاصة وكان ذلك في يوم ٥ أبريل حيث قابله في المطار السكرتير الشخصي لصدام حسين الذي أشار إلى الطريق ولكن رجال الأمن قالوا لهما إن صدام في مكان مختلف عن الذين يعرفه سكرتيره ، الذي قال لبندر إنه غير مسموح أن يعرفوا مكان وجود صدام بمن فيهم رجال الدولة وشقيق صدام ورئيس المخابرات لكن فقط رجال الأمن هم الذين يعرفون مقدما أين يجدون زعيمهم في أي لحظة وهذا التخطيط يجعل الأمر صعباً إن لم يكن مستحيلاً لأي رتبة عليا في العراق أن تسقط صدام .

وعندما جلس بندر مع صدام ، قال الرئيس العراق : إنه قد طلب الاجتماع لأن المسئولين في الولايات المتحدة يضخمون خطابه الذي ألقاه في أول إبريل .. وكان صدام قد ناقش قدرات أسلحته الكيمائية وهدد بحرق نصف إسرائيل إذا قامت إسرائيل بمهاجمته .. وقال صدام : إن الغرب سوف يكون مخدوعاً إذا تصوروا أنهم يمكنهم حماية اسرائيل « وأقسم بالله إننا سوف نجعل النيران تأكل نصف إسرائيل إذا حاولت فعل أي شيء ضد العراق » .

وقد وصفت الخارجية الأمريكية الخطاب بأنه ناري وغير مسئول ومثير للغضب .. وفي ٣ أبريل أصدر البيت الأبيض تصريحاً علق فيه على الخطاب بأنه « هجومي وغير مسئول » وفي نفس اليوم صرح الرئيس بوش علانية « إن هذا ليس الوقت للحديث عن الأسلحة الكيمائية إن هذا ليس الوقت لتصعيد التوتر في الشرق الأوسط .. وإنني أرى هذه التصريحات سيئة جداً .. وإني أقترح أن يسحب العراق هذه التصريحات » .

وقال صدام لبندر : إن كلماته فهمت خطأ وإنها لا تعني أنه يدبر ضربة عدوانية ضد إسرائيل .. وأوضح لبندر بأنه كان يرغب أن يكون الخطاب مختلفاً .. إن هذا الخطاب كان قد وجه إلى اعضاء من القوات المسلحة في اجتماع عام حيث كانت المشاعر مهتاجة وحيث كان الناس يصيحون ويصفقون .

وقال : إن تهديد اسرائيل لا يسبب حرجا في البلاد العربية ولهذا فعلها .. ومع هذا فهو قد هدد بأن يهاجم إسرائيل فقط في حالة وقوع هجوم عليه .. إن ضربة مفاجئة من إسرائيل مسألة

دائماً متوقعة ففى عام ١٩٨١ قامت اسرائيل بضربة جوية وقائية وحطمت مفاعل أوزيراك النووى للأبحاث فى جنوب بغداد وإن هذا الأمر لايزال فى الذاكرة وقال إنه لايريد أن يحرض على هجوم آخر .

وكان الرئيس العراقى يعلم أن تنفيذ حكم الإعدام فى الصحفى البريطانى الإيرانى المولد فارذاد بازفوت ، فى العراق قد أثار موجة من الانتقادات فى الغرب ولكن صدام قال : إن الصحفى كان يتجسس وإنهم قد وجدوا علاقة مباشرة بينه وبين إسرائيل .

وقال صدام : « وإذا قامت اسرائيل بمهاجمتى الآن فإننى لن أبقى ست ساعات وعندما هُوجمت لأول مرة فى عام (١٩٨١) كنت فى حرب مع إيران وكان يمكننى أن أقول دائماً إننى فى حرب كانت مبررى فى عدم الرد والآن إذا هوجمت فإن الناس لن يفهموا لماذا حدث ذلك » .

إنه سوف يكون هجوما محرجاً أكثر من أى هجوم آخر فهناك مؤتمر للقمة العربية على وشك الانعقاد » . وأحس بندر أن صدام رجل فخور بنفسه .

وأضاف صدام : « إننى لن أهاجم إسرائيل » . وفى المقابل يجب على الأمريكيين أن يعلموا مع إسرائيل على تأكيد أن إسرائيل لن تهاجم العراق .

وحيث إن كلا من العراق والسعودية ليست لديهما علاقات ديبلوماسية مع إسرائيل سأل صدام بندر والذى له علاقات مباشرة مع بوش أن يرسل الرسالة ويتلقى الرد من خلال الولايات المتحدة .

وسأل بندر : « هل تريد منا أن نذكر ذلك لبوش على أنه ملاحظاتنا ؟ »

وأجاب صدام : « إنها رسالة موجهة منى إلى الرئيس » .

وقال بندر : إنه سوف يحمل الرسالة عند عودته إلى أمريكا . وكانت هناك لحظة صمت ، ثم فجأة اندفع صدام مشيرا إلى ما أسماه : « المؤامرة الامبرالية الصهيونية » .

وقال : « على فكرة .. إننا يجب أن نكون حذرين من هذه المؤامرة لأن القوى الامبريالية ــ الصهيونية لا تزال تدفع نظرية اننى أخطط للهجوم على جيرانى .. أنا ليست عندى مخططات للهجوم على جيرانى » .

ولم يُسمِّ صدام هؤلاء الجيران ولكن بندر فسر ذلك بأنه يعنى دول الخليج الصغيرة مثل دولة الإمارات والكويت .

وقال بندر : « حسنا سيدى الرئيس .. إن اخوتك وجيرانك لايشكون فيك .. وأنت عندما تخبرنى بأنه ليست هناك مخططات فإنه ليس هناك من سبب لكل منا أن نقلق على الإطلاق » .

وقال صدام : « لا .. لا .. ولكن الأهمية أن لا نسمح للإمبرالية والصهاينة بإثارة الإشاعات »

وأخذ صدام يبرر الهجوم اللفظى على إسرائيل ، وأنه ظل يؤكد على أنه لن يهاجم دولة إسرائيل . وقال صدام : « إن إسرائيل كانت دائما القضيب المكهرب الذى يخلق جو الأزمات » . وقد مرت سنتان على معاهدة وقف إطلاق النار مع إيران وإن العراقيين فى حالة استرخاء . وإنه يجب علّى أن اجعلهم فى حالة من التوتر والتعبئة العاطفية لكى يكونوا مستعدين لأى احتمالات قد تحدث .

وانصرف بندر بعد أربع ساعات وجهز مذكرة من ١٨ صفحة ملخصاً فيها كل ما دار من مناقشات مع صدام ونقل كل ذلك للملك فهد الذى قال له : يجب أن تمرر الرسالة إلى بوش مباشرة دون وسطاء معتمداً على صلاتك القوية مع البيت الأبيض .

إن حدود السعودية مع العراق تمتد لأكثر من ٥٠٠ ميل من ناحية الشمال ، وأن تكون العراق فى حالة هدوء وفى صداقة واستقرار فهذا فى مصلحة فهد ! .

ولسنين طويلة كان فهد يلاحظ صدام الذى كان ـــ مثل سوريا وليبيا ـــ يوجه اتهامات للعرب المعتدلين وكثيرا ما كانت له علاقات مع الارهابيين واتهمت بلاده بخرق حقوق الإنسان .

وكانت الحرب الإيرانية ـــ العراقية فرصة للسعوديين بأن يجعلوا العراق قريبة منهم فقام بندر بدور الوساطة بين العراق ومدير المخابرات المركزية الأمريكية وليام ج . كيسى وأمكن بذلك أن يحصل للعراق على معلومات سرية عن تحركات القوات الإيرانية خلال الحرب . وكذلك فإن السعودية وقعت عقداً مع الفرنسيين لشراء طائرات ميراج وأعطتها للعراق وقدمت أيضا الكثير من الخدمات التى لا تُعد لصدام .. وشعر بندر أن صدام يُقدر هذه المساعدات ، ولكنه أيضا شعر بأن صدام كان يكره الاعتماد على الآخرين .

وبعد أربعة أيام من لقائه فى أوائل أبريل مع صدام كان بندر يتوجه إلى البيت الأبيض لمقابلة بوش .

وقال بندر بادئا حديثه : « لقد أرسلنى جلالة الملك لإعطائك رسالة حصلت عليها من الرئيس صدام إليك والتى يؤكد فيها بأنه ليست عنده نوايا لمهاجمة إسرائيل » وقال بندر : « انها رسالة مباشرة وليست تفسيراً سعودياً وليست أفكار الملك فهد ولكنها كلها من صدام » . إن صدام يقول إنه سيرد إذا هوجم من إسرائيل ولكنه لن يبدأ بالعدوان .

وقال بوش مستغربا : « حسنا ، إذا لم يكن ينوى مهاجمة إسرائيل ، لماذا بحق الله قال ذلك ؟ »

وذكر بندر بوش بيوم ١٩٨١ وهجوم إسرائيل على المفاعل النووى العراقى . وقال بندر : « ان صدام قد ضُرب من قبل . ويقول الاسرائيليون أن هناك مفاعلا نوويا عراقيا آخر قد بُنى وإنه يجب ضربه وإن ذلك يجب أن يتم عاجلاً أو آجلاً . ولذلك فإنه توجد أرضية للتوتر والعصبية » .

وأضاف بندر : « إن صدام يشك فى مؤامرة ضده » وقال بوش : « ليست هناك مؤامرة ضد

صدام .. ان سلوكه هو الذى يقلق الناس » .

وقال بندر : « ان صدام شخصية متشككة مثل معظم العسكريين والديكتاتوريين الذين لديهم حس كبير بالأمن » . وقال بندر لبوش : « إنه وجد رقم تليفون مع الصحفى البريطانى بازفوت فى جيبه عندما قُبض عليه وشوهد خارج مقر منظمة التحرير الفلسطينية مثل هجوم إسرائيل عليها » وعبر بندر لبوش عن مخاوف صدام من القمة العربية وأضاف : إن صدام اهتز من تصريحات بوش وما قد تحدثه فى الغرب وإن العراق الآن تحاول تهدئة الموقف وأن تفعل الشيء الصحيح .

وقال بوش : « إنه لن يفكر فى الأمر ولكن أساس المشكلة أن صدام كان يجب عليه ألا يقوم بهذا الهجوم اللفظى » .

وبعد يومين اتصل صدام بالملك فهد طالبا تأكيدات من بوش بأن إسرائيل لن تهاجم العراق .

وكان منتصف أبريل عندما طلب الملك فهد من بندر أن يذهب ثانية إلى بوش .

وطلب بندر لقاء عاجلاً فى نفس اليوم ، وكان بوش مشغولاً جداً ولكن دائما يوفر بعض الدقائق للقاء بندر .

وفى البيت الأبيض كان لدى بوش وقت قليل للتحدث إلى بندر بين الاجتماعات .

وقال بندر : « سيدى الرئيس انهم حقيقة جادون فى ذلك ويريدون أن يؤكدوا لك .. بان صدام والعراقيين لن يهاجموا إسرائيل وأنهم يطلبون التأكيدات بإن إسرائيل لن تهاجم لأنهم أصبحوا عصبين » .

وقال بوش : « إننى لا أريد أن يهاجم أحد فى هذه المنطقة أو أى منطقة أخرى وإننا سوف نتحدث إلى إسرائيل وسوف أخبرك فيما بعد .. ولكن على الجميع أن يلتزموا بضبط النفس والهدوء » .

وأشار بوش بأنه مصدوم من صدام « إذا كان هذا الرجل حقيقة لا يعنى ذلك ، لماذا بحق الجحيم يقول هذه الأشياء ؟ .

واتصلت الولايات المتحدة بإسرائيل التى قالت إذا لم تقم العراق بهجوم عليها فإن إسرائيل لن تهاجمها ، ومررت الولايات المتحدة تأكيدات إسرائيل مباشرة إلى صدام .

وأبلغ بندر الملك فهد بهذه التأكيدات وطلب الملك فهد صدام وأبلغه بها .

# □ ١٧ □

بعد ثلاثة شهور وفى ١٦ يوليو ١٩٩٠ فى مكتب فى الدور الثانى فى الشبكة الداخلية للبنتاجون كان رجل ممتلىء الجسم ، حسن البنية يستقبل بعض المكالمات من التليفونات الآمنة : الأحمر ، الرمادى ، والأخضر والتى تسمح له بمعرفة الشفرة السرية لهيئة الأمن القومى والمخابرات المركزية والمركز القومى لمخابرات التصوير ووحدات أخرى للمخابرات الأمريكية داخل وخارج البنتاجون .

والتر . بى « بات » لانج جونيور ، عمره ٥٠ عاما كولونيل متقاعد ، كان ضابط وكالة المخابرات الحربية لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا . وهو المدنى المسئول عن مخابرات المنطقة فى البنتاجون ويبلغ ما يحصل عليه لرئاسة المخابرات الحربية التى يرأسها جنرال بثلاث نجوم ويشرف على ٥٠٠٠ مدنى وعسكرى يعملون فى خدمة الجيش والبحرية والقوات الجوية ومشاه البحرية .. وكان لانج هو الذى يتسلم مباشرة معلومات المخابرات الخام ثم يحولها إلى شكل مهضوم ثم يوصلها إلى أعلى مستوى فى البنتاجون . وكان لانج على صلة وثيقة بوحدات التصوير الجوى والتداخل فى الاتصالات وكان أيضا خبيرا بشئون الشرق الأوسط يجيد التحدث باللغة العربية ، وزار العراق عشرات المرات وعمل لمدة ثلاث سنوات كملحق عسكرى فى السعودية .

وفى هذا الصباح كان لانج يتفحص صور الأقمار المرسلة عن المنطقة ، حيث كانت هناك صحراء خالية فى جنوب شرق العراق ، شمال الكويت وفى اليوم السابق رأى بداية كتيبة مدرعات عراقية تى ـــ ٧٢ والتى تسلمها العراق من السوفييت ، وأوضحت الصور أيضا كل أنواع المهمات محمولة على عربات السكة الحديد وهى المعدات الخاصة بالحرس الجمهورى .. وحدات الصفوة للرئيس صدام حسين . والتى وجُدت أساسا لحماية النظام فى العاصمة بغداد وكان من الطبيعى أن تظل فى وسط العراق . فلماذا تحركت هذه الدبابات مئات الأميال ؟ .. كانت الصور المرسلة من الأقمار الصناعية واضحة لدرجة أن لانج تمكن من تمييز الدبابات الخاصة بكتيبة حمورابى والتى سميت باسم الملك البابلى وعرف من متابعة المعارك فى الحرب الإيرانية العراقية انه ليست هناك وحدات كفؤة فى كل العراق مثلا .

كانت العراق تشكو بمرارة من أن الكويت قد جاوزت حصتها المصدرة فى إنتاج البترول والتى

قررتها منظمة الدول المصدرة للبترول ( أوبك ) ، مؤدية بذلك إلى انخفاض الأسعار ، وأن الكويت كانت يوما جزءاً من محافظة البصرة فى العراق ، ولكنها حصلت على الاستقلال فى عام ١٩٦١ بواسطة البريطانيين . واستمرت الخلافات والعداوات حول الحدود ، ولكن لأسباب عملية أعطت العراق للكويت صفة الدولة عندما سُمح للكويت بالانضمام إلى الجامعة العربية عام ١٩٦٣ .

وبالنسبة للانج كان المنطق العسكرى حملاً ثقيلاً ، فإن تحركات هذه الوحدات تعنى أن صدام ينوى استخدام هذه القوات بطريقة ما . ولكن على لانج أن يرى أكثر فإن صور يوم واحد لا تكفى للبدء فى التحذير .

وفى الصباح التالى كانت الصور أكثر مدعاة للاهتمام فهنا كل وحدة حمورابى ، كل الـ ٣٠٠ دبابة وأكثر من ١٠,٠٠٠ رجل كانوا فى مكان قريب من الحدود الكويتية . ووحدة ثانية هى وحدة المدينة المنورة ــ وهى وحدة مدرعات تابعة للحرس الجمهورى ــ ظهرت أيضا فى الحدود ــ وفى اليوم الثالث وحدة ثالثة ــ نؤمن بالله أمكن رؤيتها تتحرك نحو الكويت .

وفى ١٩ يوليو ، فإن أكثر من ٣٥,٠٠٠ رجل من ثلاث فرق كانوا على بعد ١٠ إلى ٣٠ ميلا من الحدود الكويتية . وكانت الدبابات مرصوصة بالطريقة التقليدية فى وضع دفاع .

تابع لانج العراق عبر السنين ، ففى عام ١٩٨٦ خلال الحرب الايرانية العراقية شاهد العراق وهى تتحول إلى قوة عسكرية كبيرة ، فهى أمة من ١٨ مليون فرد وفى منطقة أكبر من ولاية كاليفورنيا لم تعد قوة عسكرية من العالم الثالث . فجيشها المكون من مليون فرد كانت أكبر قوة رابعة فى العالم . وأصبحت العراق الآن قوة فعالة .

إن معظم خبراء الشرق الأوسط الآخرين فى المخابرات المركزية وكذلك وكالات المخابرات الأخرى كانوا دائماً يحذرون من التهديدات العسكرية للدول الأخرى . ولكن فى عام ١٩٨٧ رأى لانج أن نظرته قد تأكدت عندما رأى العراق تستخدم باطراد أسلحة معقدة وقامت بقتل ما بين ٢٠,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ فرد فى معركة واحدة . وفى المعركة الأخيرة البرية قتلت العراق ٦٥,٠٠٠ إيرانى . وعند تلك النقطة شعر لانج أن العراق يمكن أن يحرك جيشه إلى أى مكان فى إيران . واختار العراقيون تجميد انتصاراتهم وعقدوا السلام فى عام ١٩٨٨ بطريقة حكيمة من وجهة نظر لانج .

إن الوضع المفاجىء لثلاث فرق على الحدود الكويتية كان محيراً للانج .

وفى مطلع عام ١٩٨٩ توصلت كل وكالات المخابرات الأمريكية بأنه بينما يرغب صدام أن يهيمن على منطقة الخليج فإنه ليس محتملاً أن يستخدم قواته العسكرية لتحقيق ذلك لأن حربه مع إيران قد تركت إيران فى حالة اقتصادية صعبة . وكان هناك شىء آخر غير مفهوم . ففى

خلال الحرب الإيرانية ـــ العراقية ، كشفت الأقمار الصناعية الأمريكية أن العراق كان يقوم بتدريبات عملية فى المناطق الخالية .. فى الصحراء .. ولم يجد لانج فى صور الأقمار أية تدريبات هذه المرة وهذا ما يشير إلى أن صدام سيأخذ الفرق الثلاث ويدعها تتحرك إلى الحدود الكويتية للقتال أو ما شابه ذلك .

وقرأ باول ملخصات المخابرات والتى أوضحت تحركات القوات العراقية : ٣٥٠٠٠ رجل فى ثلاثة أيام وتوصل إلى أنها معلومات مقلقة ولكن ليست خطرة .

وكانت تحليلات الجنرال كيلى ووكالات المخابرات المختلفة تقول إن الرئيس صدام يبدو أنه سوف يستخدم تحرك القوات كعامل تهديد وضغط أثناء المفاوضات حول البترول . واعتقدوا أن صدام سوف يستولى على حقل كويتى واحد أو أن يأخذ جزيرتين صغيرتين فى الخليج .

وكان باول قد زار ٦ دول فى المنطقة منها : المغرب ، مصر ، الأردن ، وإسرائيل وأحس بأن احتمالات العدوان فى الشرق الأوسط غير متطورة فى القريب العاجل ، وعاد باول وهو متأكد من استمرار الاستقرار فى المنطقة .

ولكن كانت هناك بعض الشكوك حول العراق . فقد نصب صدام نفسه رئيسا مدى الحياة . تماما كما فعل نورييجا الذى جعل من نفسه الزعيم الأوحد . ورغب باول فى اتخاذ بعض الخطط المبدئية .

استدعى باول جنرال الجيش نورمان شوارسكوف ٥٥ عاماً قائد القيادة المركزية والمسئول عن الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا . ولأن دول الخليج لا ترغب فى وجود عسكرى أمريكى واضح فى المنطقة فإن قيادة شوارسكوف المركزية كانت فى قاعدة ماكسويل الجوية فى فلوريدا . وكانت قيادة على الورق فقط ، مكونة من ٧٠٠ فرد ولكن فى الأزمات فإن الوحدات سوف تأتى إليه من أركان الدنيا . وشوارسكوف خريج كلية ويست بوينت ( دفعة ١٩٥٦ ) لاعب كرة مهاجم ومتحدث مفوه ويعرف باسم ( الدب ) وطوله ٦ أقدام و٣ بوصات ويبدو كنسخة طبق الأصل من الممثل التليفزيونى كارول اوكنور فى حلقات « الكل فى العائلة » وأطلق عليه قائد الجيش فويونو « نورمان سيجار » وكان فويونو يشعر بأن هناك دخانا كثيفا كالنار خلف نظراته الوحشية .

وكان شوارسكوف مرعباً كرئيس ، ويبدو مريعا عند الغضب أو عدم الرضا ، ومشهور عنه طرد الرسل الذين يأتون إليه بأخبار سيئة . وكان شوارسكوف ينفجر غضبا عندما يتقدم المدنيون الذين لديهم خبرة عسكرية قليلة أو بدون خبرة على الإطلاق باقتراحات تبدو غير صحيحة . وكان معتادا على الشرق الأوسط أمضى سنين فى العشرينات من عمره فى طهران . وكان

أبوه الجنرال والذى يحمل نجمتين قد أرسل إلى طهران بواسطة جنرال جورج مارشال لتنظيم البوليس المدنى فى إيران .

وقد عرف باول شوارسكوف منذ خمس سنوات عندما كانا معا فى فورت ماير ، فرجينيا . والآن سأل باول شوارسكوف إجراء تقييم لتسليح القوات العراقية ، وقال الجنرال إنه يبدو أن العراق ستقوم بحملة تأديبية أو ضربة محدودة ضد الكويت .

وسأل باول شوارسكوف أن يُجهز خطتين لرد أمريكى محتمل ضد أى تحرك عراقى ضد الكويت والتى تحتفظ بـ ١٠ فى المائة من احتياطى العالم فى البترول . وكانت الخطة الأولى حول ما يمكن أن تفعله القوات الأمريكية للرد على العراق . والثانية ما يمكن أن تفعله أمريكا دفاعيا لوقف أى تحرك عراقى .

ووعد باول أن يرسل مباشرة وفى الحال إلى شوارسكوف أى معلومات أو مواد المخابرات ذات المستو العالى والتى يمكن الحصول عليها فى واشنطون . واتفقا على موعد يحضر فيه شوارسكوف إلى البنتاجون للاجتماع مع رؤساء المدرعات .

وفى اجتماع عمل للصحافة حول الإفطار فى ١٩ يوليو مع تشينى سئل تشينى عن التهديد العراقى للكويت حول المسألة البترولية . وأجاب تشينى : « إننا نرغب فى أن نأخذ التهديدات ضد مصالح الولايات المتحدة أو أصدقائها فى المنطقة مأخذ الجد » .

وفى نفس الوقت ، فإن دولة الإمارات وهى الدولة البترولية الصغيرة فى الخليج والتى كانت العراق قد هددتها لتجاوزها إنتاج البترول وتخفيض الأسعار . وقد قررت الولايات المتحدة إمداد دولة الإمارات بطريقة سرية بيارجتين كى سى ١٣٥ لامداد الزوارق بالوقود وبذلك يمكن الاستمرار فى الدورية طوال الوقت . ولقد أوصى بذلك كل من شوارسكوف وبواول وبول ولف ويتز وتشينى ولكن الخارجية الأمريكية عارضت فى بادىء الأمر ولكن أخيراً وافقت يوم السبت ليلاً فى ٢١ يوليو وأعطى البيت الأبيض الموافقة النهائية .

وأعلن بيان مختصر عن التدريبات البحرية المشتركة بين البحرية الأمريكية ودولة الإمارات وخرجت سفينتان من الميناء لتلحق بالسفن الأربع الموجودة فى الخليج .

وكان هذا التدريب عبارة عن غطاء للبارجتين كى سى ١٣٥ .

وفى ٢٤ يوليو أعلن بيت ويليامز رسمياً عن وجود كى سى ١٣٥ وكذلك التدريبات البحرية . ولقد كان دولة الإمارات غاضبة وأبرقت لواشنطون أنها كانت تريد أن يبقى هذا الأمر سراً ودون إعلان رسمى ومن الواضح أن الدول العربية كانت ولا تزال لا ترغب فى التقارب العسكرى مع الولايات المتحدة .

وفى نفس الوقت . استمرت بات لانج فى فحص قوة العراق بواقع فرقة كل يوم . ولقد حرك صدام خمس فرق أخرى ، أربع فرق مشاة وفرقة للعمليات الخاصة للتمركز فى شمال الكويت .
وفى خلال ١١ يوما تجمعت ثمانى فرق وتحركت كل منها حوالى ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ميل وقد حملت عربات عملاقة الدبابات وأصبح لصدام ١٠٠,٠٠٠ من القوات على الحدود . وكان تحرك هؤلاء الرجال والقوات هو بحق إنجاز عسكرى هام لأى دولة .
وحيث إن بعض الوحدات عادة تبقى داخل أواسط العراق لاحتمال استخدامها على أى جبهة . إلا أن صدام قد اتخذ المخاطرة واستخدمها فى بعثة واحدة .

* * *

وفى لقاء حُدد بعد ساعة واحدة يوم ٢٥ يوليو استدعى صدام سفيرة الولايات المتحدة فى العراق « ابريل جلاسبى » إلى مكتبه وجلاسبى ديبلوماسية محترفة لم يكن لديها الوقت الكافى للحصول على توجيهات من الخارجية الأمريكية .
وكانت سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق فى حالة من الارتباك وكانت إدارة بوش تتحدث بعنف عن تهديدات صدام ضد إسرائيل ، وتحريك العراق لمنصات صواريخ سكود بالقرب من إسرائيل ، وفى نفس الوقت فلقد أوقفت إدارة بوش كل مجهودات الكونجرس لفرض حظر اقتصادى على العراق أو منع المعونة الأمريكية للغذاء قائلة بأن هناك إمكانية للتحسن وأننا نريد أن نشجع هذه الإمكانية .

وكانت جلاسبى ٤٨ عاماً سفيرة منذ عام ١٩٨٨ وكانت تشك كثيرا فى صدام .
وفى المقابلة سألها صدام « ماذا يعنى عندما تقول أمريكا إنها سوف تحمى أصدقاءها ؟ وكان صدام يشير إلى تصريح تشينى بأن الولايات المتحدة سوف تقف بجانب أصدقائها فى الخليج . وقال صدام هذا يعنى فقط موقفا مُسبقا ضد العراق . إن الموقف الآن والمناورات والتصريحات التى قُدمت قد شجعت الإمارات والكويت » .
« إن الولايات المتحدة يجب أن تتفهم الموقف بطريقة أحسن وتعلن من هم اصدقاؤها ومن هم اعداؤها » .

وقالت جلاسبى : « لدى تعليمات من الرئيس للبحث عن علاقة أفضل مع العراق » .

وقال صدام : « ولكن كيف » .

وقالت جلاسبى : « إن الأحاديث والاجتماعات المتكررة قد تساعد » . وقالت إنها شاهدت فى محطة تليفزيون ايه بى سى A B C صورة صدام فى اللقاء التليفزيونى مع ديان سوير لقد كان البرنامج رخيصا وغير منصف وقالت إن هذه هى الصورة الحقيقة لما يحدث فى الإعلام الأمريكى .

حتى بالنسبة للساسة الأمريكيين أنفسهم . وهذه هى الطرق التى تستخدمها وسائل الإعلام الغربية ، وإننى سعيدة أنك ستضيف صوتك إلى الديبلوماسيين الذين يصرخون من الإعلام ، ولأن ظهورك فى وسائل الإعلام وحتى لمدة خمس دقائق سوف يساعدنا بأن نجعل الشعب الأمريكى يتفهم العراق . وهذا سيزيد من الفهم المتبادل . « ولو كان الرئيس الأمريكى يتحكم فى الإعلام لكانت مهمته أسهل » .

وقالت جلاسبى لصدام فيما بعد « ولكننا ليس لدينا فكرة عن الصراعات العربية ـــ العربية مثل مشكلة الحدود مع الكويت »

واستمرت فى حديثها قائلة : بأن الولايات المتحدة سوف تصر على حل بدون عنف . لقد تسلمت تعليمات أن أسألك بروح الصداقة وليس بروح المواجهة عن نواياك » .

وقال صدام : إنه من خلال تدخل الرئيس المصرى حسنى مبارك وافق على التحدث مع الكويتيين .

وقالت جلاسبى : هذه أخبار حسنة « تهانى »

وأضافت : بأنها كانت تزمع تأخير رحلتها إلى الولايات المتحدة إلى الأسبوع القادم . ولكن مع هذه الأخبار الحسنة فإنها سوف تترك بغداد يوم الاثنين .

* * *

واستراح باول عندما رأى البرقية التى أرسلتها جلاسبى إلى واشنطون عن لقائها مع صدام . وكانت البرقية يبدو أنها تقترح بأن هناك مساحة للتفاوض بين العراق والكويت . إن كل القوات العراقية على الحدود تشير بالتأكيد بأن شيئا غريبا يحدث .

وعندما دقق باول فى المعلومات ظل هادئا عن احتمالات المتاعب ، فهو يعلم أن الجيش الميدانى يجب أن يستعد للقتال ، ولكن الجيش العراقى كان لا يتصرف بطريقة توحى بأنه ذاهب للقتال . وكان يفتقد إلى أربعة أشياء (١) شبكة الاتصالات لم تكن جاهزة (٢) مخزون المدفعية لم يكن فى مكانه للهجوم (٣) الذخائر الأخرى المطلوبة لم تكن موجودة هناك (٤) لم تكن هناك خطوط إمدادات فى خلف الجبهة ، قادرة على تدعيم القتال بواسطة القوات المدرعة .

* * *

كان يوم الجمعة ٢٧ يوليو روتينيا فى حياة باول ـــ عديد من الزوار الأجانب واجتماع مع مجلس التخطيط الدفاعى وهو واحد من مجالس البنتاجون . وكان عليه أيضا أن يحضر حفلة مشاة البحرية المسائية وحفل استقبال آى جراى فى معسكرات المشاة وهو تقليد فى ليالى الجمعة الصيفية .

ولقد طلب الأمير بندر سفير السعودية رؤيته فى البنتاجون الساعة ٤ مساء . إن باول وبندر

يعرفان بعضهما منذ أكثر من عقد من الزمان ، كانا يلعبان كرة المضرب عندما كان بندر رائداً فى القوات الجوية السعودية وكان مبعوثاً إلى واشنطون قبل أن يصبح سفيراً .

وكان باول يرى غموضاً فى شخصية بندر فهو خبير فى العلاقات وله حلول خاصة للمشاكل بعيداً عن الطرق الرسمية . وفى مكتب بندر الفخم فى السفارة يحتفظ مابين ١٥ ، ٢٠ حقيبة مغلقة تحتوى على تفاصيل لعمليات غامضة أو ترتيبات خاصة مع أشخاص ودول . لقد كانت أصابع بندر موجودة فى عملية إيران ــ كونترا . لقد كان الوسيط بين حكومة ريجان وكونترا النيكاراجوا الذين دفع لهم ٢٥ مليون دولار فى حسابات سعودية سرية لتمويل عملياتهم . وعمل مع مدير المخابرات المركزية وليام . ص . كيس لتدبير عملية اغتيال زعيم إرهابى مشبوه من الشرق الأوسط فى بيروت بوضع قنبلة فى عربته والتى لم تقتله ولكنها قتلت ثمانين من المارة وهو الذى أتم صفقة سرية بمبلغ ٣ بلايين دولار لشراء صواريخ عابرة للسعودية من الصين .

ولقد عمل بندر على إقامة علاقة قوية مع الخمسة الكبار فى الإدارة الأمريكية . بوش ، بيكر ، سكوكروفت ، تشينى وباول ، وشعر بندر أنهم هم الذين يديرون السياسية الأمريكية . ولحد ما وجد أن الخمسة يكملون بعضهم البعض ــ كل نصف رجل دولة ــ نصف محارب ــ نصف سياسى ــ نصف من كل شى ــ إنهم مجموعة قادرة على اللعب فى أعلى مستوى فى المسائل السياسية . وألمح مرة بأن مَن بين الخمسة فإن باول ربما يكون الأكثر حرصاً .

وفى يوم الجمعة بعد الظهر قال بندر لباول : بأن الملك فهد قد تأكد من كل شخص فى العراق وفى الشرق الأوسط بأن صدام لن يغزو الكويت . لقد أعطى صدام تأكيدات شخصية للرئيس مبارك والملك حسين بذلك . وقال بندر بثقة : بأن صدام كان يقول إنها محض تدريبات .

وقال بندر : إن الأزمة وصلت إلى منتهاها وسوف تُحل على الأقل فى الوقت الحاضر .. هذا الأسبوع .. هذا العام ولكنه تنبأ بحدوث متاعب من صدام فيما بعد .

كان بندر والسعوديون ينظرون إلى الكويت باحتقار شديد ، ويعتبرون العائلة الحاكمة فى الكويت من طبقة التجار مع قليل من الهوية القومية . وكانت أراضيهم أرض عمل قبل أن تكون أمة . وعندما يكون بندر فى الخارج مع اصدقائه يتحتم عليه أن يذهب إلى الحمام .. كان يقول : « سأذهب إلى الكويت » .

وكان بندر واثقا بأنه ليست هناك أزمة عاجلة فلقد خطط أن يذهب لأوروبا الأسبوع القادم وأن يأخذ عائلته فى إجازة حول العالم فى شهر أغسطس وتشمل التوقف فى سنغافورة ، الصين ، بالى ، وهاواى .

كذلك قال باول إنه يتوقع أن يكون شهر أغسطس هادئا وأنه ينوى أن يأخذ إجازة .

وقال بندر « حسنا ياكولن إنها تبدو حسنة ، كل شيء يبدو فى مكانه . وبالطبع إذا تصاعد الأمر فإنه من المتوقع أن تأتى لمساعدتنا » .

لقد أتفق السعوديون عشرات البلايين فى شراء السلاح الأمريكى وإقامة مطارات إضافية وإنشاءات عسكرية كبيرة .

وقوال باول : « دعنا نصلى بألا يتصاعد الأمر .

ـــ وماذا ستفعلون إذا فعل ؟

فقام باول لتوديعه .

ولكن بندر قال « ماهى توصياتكم » ؟

وقال باول : ليست لدى رؤية « إن الأمر متروك للرئيس » ولكن بندر ضغط للمرة الثالثة : بوصفك مستشاراً للأمن القومى ، وكقائد للدفاع كيف تنظر للأمر ؟ افصح ياكولن .

وقال باول : « نظرياً ، لو سئلت ، إذا كان يجب علينا أن نذهب . لقلت لا ولو فرض علىَّ الذهاب فإننى سوف أذهب ، ولكننى سأذهب لأكسب ، لا لأخسر » .

وقال بندر : إنه يتمنى أن لا تصل الأمور إلى ذلك

ـــ اتمنى ، أيضا .

ولما كان نائب مستشار الأمن القومى بوب جيتز خارج المدينة ، لم تُعقد اجتماعات للنواب حول الموقف العراقى ـــ الكويتى . ودعا روبرت كيميت مساعد وزير الخارجية للشئون السياسية النواب للاجتماع فى نفس يوم الجمعة ٢٧ يوليو فى وزارة الخارجية .

وكان هناك شعور بالتفاؤل فى الاجتماع . وانتشرت تفسيرات بندر الإيجابية حول اجتماع صدام ـــ جلاسبى . وأرسل الرئيس مبارك خطابا شخصيا للرئيس بوش مكررا تقديراته بأنه ليست هناك مشاكل جدية وقال مبارك : « دعوا العرب يتدبرون الموقف » وكانت الرسالة تحمل وزنا عظيما لدى البيت الأبيض مما دعا سكوكروفت أن يفسرها قائلا « عظيم . استرخوا » ووُجهت رسالة من بيكر إلى العراق . كُتبت ووزعت ، وكانت شديدة فى لهجتها ، وتؤكد لصدام بأن الولايات المتحدة سوف تتمشى مع العراق وستحاول إقامة طريقة للعمل معه ، وان العراق عليه أن يتجاوب .

وعارض بول ولف ويتز ، بالنيابة عن الدفاع ، عارض الرسالة وحَث على شيء أقوى . إذا لم يكن من الممكن إرسال رسالة أقوى فمن المستحسن أن لايُرسل شيىء . ولكن الشعور العام بأن صدام سوف لن يخيب أمل الأخ العربى مبارك . وقال مساعد مدير المخابرات المركزية ريتشارد كير إن مستوى تراكم الأمور يجعل من الصعب أن نلغى احتمال عمل عسكرى . ولكن الخبراء

أدلوا بارآئهم بأن العدو الحقيقى للعراق هو إلى الغرب ـــ إسرائيل . وأنه من غير المتوقع أن يهاجم بلد عربى بلداً عربيا آخر .

وأرسلت رسالة بيكر المتحفظة .

وفى البنتاجون كان ولف ولتز يحاول أن يستكشف الموقف وكيف يمكن التأثير عليه بطريقة غير مباشرة . واقترح تحريك سفن قيادة من قاعدة الولايات المتحدة فى جزيرة دييجو جارسيا فى المحيط الهندى وهى أقرب قواعد التموين إلى الخليج ولكن على بعد ٣٠٠٠ ميل . وهذه السفن يمكنها حفظ الطعام والذخيرة وإمدادات وحدات مشاة البحرية لمدة ٣٠ يوما لأكثر من ١٦٠٠٠ مقاتل .

ولكن باول كان يعارض مثل هذا الاستعراض للقوة . وأخذ يتساءل لماذا ؟ وما الذى يمكن أن تحققه ؟

وعادة لا يحب باول استخدام القوة كإشارة ولا يريد بعض الأفكار البراقة من المدنيين والتى تدفعهم إلى الالتزام بدون هدف مرئى واضح ، ثم فى منتصف الطريق وفى أثناء الحملة يقال للعسكريين ما تطلبه الإدارة حقيقة . وقال باول إن الكويتيين لم يطلبوا أى مساعدة وإن إرسال سفن قيادة ليس حلا مقبولا . وأين سيرسو مشاة البحرية ؟

وقال ولف ويتز ان السفير الكويتى جاء لمقابلته فى البنتاجون فى أوائل هذا الأسبوع وتحدث عن مخاوفه وأعطى ولف ويتز كل الفرص للسفير لطلب المساعدة ولكنه لم يفعل .

وقال باول إنه من الصعب مساعدة احد لا يريد مساعدة الكويت لم تحرك أيا من جيشها الصغير المكون من ٢٠,٠٠٠ لمقابلة العراقيين على الحدود . ولم تُرسل سفن قيادة .

* * *

وفى يوم الاثنين ٣٠ يوليو ، جلس باب لانج ليكتب تقريراً سرياً إليكترونياً إلى مدير المخابرات الحربية الجنرال هارى . أى . سويستر ورؤساء الوحدات الأخرى بداخل الوكالة . إن النظام الإلكترونى للأمن الداخلى يسمى رسائل (اى ـــ ميل ) وتتطلب السرعة وبواسطة الكمبيوتر . وأخذ لانج يكتب على الكمبيوتر ـــ زينيث ٣٨٦ : « هناك بعض المدفعية وتحركات واقعية وتحركات للطيران ، وليس هناك أى سبب لصدام أن يفعل ذلك .. إن هذا لا معنى له إلا إذا كان هدفه هو خضوع الكويت . إنه يملك القدرة على اجتياح كل الكويت وشرق السعودية وإذا هاجم فلن يقف احد أمامه .

اننى لأأصدق أنه يخدع . لقد رأيت صورته الشخصية ، إنه لا يعرف كيف يخدع . إن هذا ليس نمطاً من سلوكه فى الماضى .

إننى أخشى أن يتصلب الكويتيون فى ردهم على طلباته لدرجة أنهم سوف لايلبون الحد الأدنى من متطلباته .

وباختصار لقد حرك صدام حسين قوة لا تتناسب مع الموقف ، إذا كان يريد أن يناور ، فإن هناك جواباً واحداً : أنه ينوى استخدامها .

والتفسير الكويتى بأن صدام كان يحاول أن يهين بلادهم لم يقبله حِس لانج . وأن الكويت ليست لديه المخابرات ولا القدرة على رؤية الحشود العراقية الكبيرة على حدوده . وفقط هى الولايات المتحدة التى يمكنها معرفة ذلك بالتأكيد . ولم يعرف صدام أن مخابرات أمريكاسوف تُمررها ، فإذا كانت القوات المكونة من ١٠٠,٠٠٠ فقط لاستعراض القوة مجرد استعراض ، فسوف لن يشاهدها النظارة ولكنها بالقطع خُططت للتأثير على الكويت .

وضغط على المفتاح وأرسل الرسالة إلى طريقها . وكان هناك كثير من الناس مشتركين فى تحضير أوراق رسمية للمخابرات ، تذهب من خلال كثير من الأيدى واللجان ، وهذه الأوراق تُقدم لتقليل الاختلافات ولكنها فى النهاية لا تقول شيئاً . إن القاعدة العامة فى المخابرات أن لا تكون مخطئاً ابداً . إن المحلل ليس بالضرورة أن يكون محقاً ولكن اللعنة الكبرى أن يكون مخطئا .

وكان عند لانج دافع آخر ففى أوائل هذا الشهر أمضى يومين فى ندوة بمؤسسة راند حيث تفحص المشاركون التهديد العراقى ضد الكويت وقرروا أن الطريقة الوحيدة المؤثرة أن يخلقوا موقفا يجعل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يحذر صدام من أنه لو تحرك عبر الحدود ، فإن الولايات المتحدة سوف تأتى لتناله ، ولم يضع لانج ذلك الاقتراح فى رسالة ، لقد كان ضابط مخابرات وليست من مهامه أن يضع توصيات سياسية .

وقال سويستر للانج إنه لا يصدق فى تقديراته . إن مدير المخابرات الحربية لا يصدق أن صدام لا يفعل شيئا فوضويا مثل الطرق التقليدية فى امتلاك الأرض ، فإن الدول لا تفعل مثل هذه الأشياء الآن ولكن سويستر يعرف أن رسالة لانج لايمكن تجاهلها . وأمر بأن تعطى صور منها لتشينى وباول ووضع ملحوظة على الهامش تقول إنه يريد منهمّ أن يروا ما استخلصه لانج .

واعتبر باول تفسيرات لانج مجرد اجتهادات شخصية ، وأنها ليست مبنية على معلومات جديدة قوية . فلقد كانت اتصالات العراق وذخائره لا تزال غير كافية وقواته الجوية بوضعها الحالى ليس بمقدورها أن تساند الهجوم البرى .

وقال نائب مدير المخابرات المركزية لباول إن هجوما يمكن أن يقع ولكن المخابرات المركزية لم تضع ذلك فى تقرير مخابرات مكتوب . ولم ير باول أن هناك حقائق مؤكدة تساند تقرير لانج . وأُرسل لانج ليلخص الموقف لسفير الكويت فى واشنطن . ويشرح لانج الموقف فى تفصيل ممل

وسأل السفير « حسنا ، هل ستفعلون شيئا ؟
وأجاب السفير « ماذا يمكن أن نفعل ؟ »

* * *

وفى اجتماع معتاد فى الظهيرة للصحافة يوم الثلاثاء ٣١ يوليو سئل بيت ويليامز عن القصة المنشورة فى الصفحة رقم ١٦ فى الواشنطون بوست فى نفس اليوم : هل حرك العراق ١٠٠,٠٠٠ من القوات على الحدود الكويتية ؟

وقال ويليامز : إن ذلك يدخل فى حدود معلومات المخابرات والتى لا يمكن مناقشتها .

* * *

وعندما وصل لانج إلى مكتبه حوالى الساعة ٦ صباحا يوم الأربعاء ١ أغسطس ، كان هناك بعض موظفيه فى انتظاره . وأرشدوه إلى الصور الحديثة الأخيرة عن الحدود الكويتية العراقية والتى وصلت من المخابرات العسكرية منذ لحظات .

فهناك ثلاث فرق مدرعة تتحرك على بعد ثلاثة أميال من الحدود الكويتية ـــ لقد كان شيئا مثيرا للدهشة إنها مناورة عسكرية جميلة ـــ فلقد اتخذت « فرقة حموراى » وفرقة « تؤمن بالله » مواقع بالقرب من المحاور الرئيسية على الطريق السريع المؤدى إلى الكويت ويفصلهما عن بعضهما من ٥٠ إلى ٧٥ يادرة وكان خطاً حقيقياً للموت . وعلى طول أميال تحركت المدفعية خلف الدبابات .

وتحركت فرقة « المدينة المنورة » حول الجانب الغربى للكويت وكانت هذه الدبابات على خط وتمتد إلى أميال . واتخذ قادة المدرعات مراكز الميدان التقيلدية فى خلف الخط وفى وسط كل فرقة .

وتحقق لانج من أنه كان مخطئاً فى اعتقاده أنه لن يكون هناك تحذير مُسبق وهنا قد حدث وتحقق لانج ان الوحدات المدرعة تُعلن عن نواياها كما لو كانت بندقية محشوة ومصوبة ووضع الاصبع على الزناد والآن يلاحظ العضلات فى الأصبع تضغط أكثر ، لقد كان هذا يحدث فى حركة بطيئة أمام عينيه .

وأوضحت الصور أيضا أن العراق حرك حوالى ٨٠ طائرة هليوكوبتر بالقرب من الحدود بطريقة كلاسيكية فى وضع هجوم جو ـــ أرض .

وكتب لانج تقريرا شديد السرية وعاجلا جداً يصف فيها الوضع ويتوقع هجوما فى هذه الليلة أو الصباح التالى . وَوُضِع تقرير سرى جداً أمام القيادات العليا بالبنتاجون .

وانتشرت الأخبار فى كل المبنى ، وبلا شك أنها سوف تكون ليلة ليلاء لفريق الشرق الأوسط بالبنتاجون .

وفى الصباح قرأ باول تقرير المخابرات المركزية الذى يقول بأن كل الشواهد تشير بأن صدام سوف يغزو . وعرف باول أن الموقف جد خطير . ولقد تحاشت المخابرات المركزية أن تطلق صرخة الذئب كثيرا . والآن وقد هبطت تحذيرات المخابرات العسكرية على مكتبه . ولم يحرك صدام دباباته فى خطوط وفى ليلة واحدة فقط ولكن أيضا خطوط مواصلاته ، المدفعية ، الذخيرة والقوة الجوية الكل فى مكانه .

ومع هذا فلقد تحقق باول بأن الطريقة الوحيدة للتأكد من النوايا فى النظم الشمولية هو معرفة ما يدور بعقل القائد . وليس عند المخابرات المركزية أو الحربية أى مصادر إنسانية عن الحكومة العراقية .

والآن جيش ميدانى ذو قدرة كبيرة ظهر للحياة أمام أعينهم . واستغرق باول فى التفكير — ياإلهى — الكويت إن العراق يمكنه أن يرسل شرطته المحلية ليستولى عليها .

وفى الصباح حضر باول اجتماعا مع تشينى حول قيادة وتحكم القوى النووية . ومن بين الموضوعات التى نُوقشت إجراءات الأمن على مستوى العالم فى الولايات المتحدة ، وليتأكد العسكريون أنه ليس هناك استخدام غير مسئول للأسلحة النووية . وبعد ذلك حضر باول مأدبة غداء على شرف رئيس جمهورية توجو البلد الصغير فى غرب إفريقيا .

وتحدث شوارسكوف مع قادة الأركان وتشينى وأعطاهم تقريرا عن مواقع الـ ١٠٠,٠٠٠ من القوات العراقية وقال إن القوات متمركزة بطريقة تعطى صدام كثيرا من الأختيارات ، وليس فقط الهجوم .

ووافق تشينى أن كل ما يفعله صدام للتحضير للغزو هو بالضبط نفس العمل إذا كانت نواياه هى فقط إضافه الكويتيين . وليست هناك طريقة للتفريق بين الاثنين — وكان يمكن تصديق المناورة إذا لم يحرك صدام كل هذه القوات وقال شوارسكوف ان هناك شيئا قليلا أو لاشىء يمكن عمله على الإطلاق . لقد كان هناك حوالى ١٠,٠٠٠ من الأفراد العسكريين فى المنطقة ومعظمهم من القوات البحرية وان القيادة المركزية ليست لديها قوات برية قريبة .

وباختصار قد نوه شوارسكوف عن عمليات القيادة المركزية فى الخطة ٩٠ — ١٠٠٢ وهى خطة سرية جداً لتحريك حوالى ١٠٠,٠٠٠ من القوات البرية إلى المنطقة فى خلال ثلاثة إلى اربعة شهور .

وفى اليوم الأول حسب الخطة ترسل الطائرات اف — ١٥ إلى المنطقة . وفى اليوم السابع يصل المجموع إلى ٢٣٠٠ من قوات الوحدة ٨٢ المحمولة جواً . وفى اليوم السابع عشر تصل مشاة البحرية من الولايات المتحدة ويلحق بالذخائر والإمدادات والتى ترسل على حاملات الطائرات

من قاعدة دييجو جارسيا وفى اليوم ٢٧ تصل طلائع الدبابات الثقيلة .
ووجد باول ان قادة الميدان فى حالة من الدهشة وكان هناك أيضا جو من عدم الثقة فى الدبابات .
لقد كان من الصعب التصديق بأن صدام يستخدم أو يحتاج لـ ١٠٠,٠٠٠ من القوات لغزو الكويت . وهو بلد يمكن الاستيلاء عليه بقوة أصغر بكثير . لا أحد ولكن بالتأكيد ليس باول يمكنه أن يجزم ما سوف يفعله صدام . وفى غياب أى مؤشر فإنه كان يبدو أنه ليس هناك أى استجابة فورية من قوات الولايات المتحدة .

ولم يعد باول يصدق أن صدام يناور . واقترح بأن يقوم تشينى بتبليغ التحذير إلى البيت الأبيض . فإن هذا هو الوقت لتسخين الرئيس بوش فربما يصدر تحذيرا رئاسيا لصدام من خلال القنوات الدبلوماسية . وقال باول لتشينى . يجب أن نفعل شيئا .

ولقد قاموا بالضغط على البيت الأبيض وكما قال باول فإن البيت الأبيض إما يملك أفكارا أخرى عن كيفية إدارة المشكلة أو أن الاقتراح يدخل فى الشقوق .

* * *

وكان الجنرال توم كيلى لا يزال يعتقد رغم الاستخبارات أن الغزو غير محتمل ، وأن عملية الخط ٩٠ ــ ١٠٠٢ لم تكن جاهزة ، لقد أُعيد صياغتها بواسطة ضباط صغار ولم تُعط الكفاية من العناية والتحليل التى أُعطيت لعملية الملعقة الزرقاء فى بنما وأن ستين فى المائة من وقت كيلى يمضيه فى الحرب ضد المخدرات وكان كيلى ينتظر إحالته إلى المعاش فى العام التالى ولم يكن عنده الحماس للتفاصيل الصغيرة لحرب ضد المخدرات .

وفى الساعة ٤ مساءً ذهب باول لحفل أقامة تشينى لتوديع مساعده الأدميرال بل أوينز والذى سيترك الخدمة هذا الأسبوع وكان بل اوينز قائدا للأسطول السادس الأمريكى . وعاد شوارسكوف إلى فلوريدا .

ولم يكن تشينى فى حالة قلق فلم يأخذ تحذيرات المخابرات المركزية أو المخابرات الحربية على إطلاقها . وكان يبدو أن التحذيرات تصل تباعا طوال الأسبوع ووصلت برقية إلى مكتبه تحذر من وقوع انقلاب فى الفلبين . وكل من فى الشرق الأوسط ــ مبارك مصر ــ فهد السعودية ــ حسين الأردن ــ وحتى الكويتيون أنفسهم ــ كانوا يقولون إن صدام لن يقوم بالغزو . لقد كانت حركة يقوم بها صدام للحصول على مكاسب مادية .

ولم يكن تشينى راضيا عن رد فعل الإمارات حول مساعدة البنتاجون والتى قدمها لأصدقائه فى المنطقة مثل الإمارات المتحدة والتى أرادتها فى طريقين . ساعدونا ولكن بدون علم أى أحد .

* * *

فى حوالى الساعة ٩ مساء تلقى تشينى مكالمة فى منزله من الأدميرال اوينز بأن القوات العراقية قد عبرت الحدود وفى طريقها إلى داخل الكويت بالدبابات . وأن مئات من الدبابات تتسابق جنوباً وشرقاً فى اتجاه مدينة الكويت .

ولم يُصدم تشينى تماما ، وقال لاوينز أن يبقيه على علم بالتطورات .

وتلقى باول أيضا مكالمة تليفونية وقرر أن يبقى فى المنزل ليعرف آخر التطورات وتوجه الأدميرال دافيد جيرميا إلى البنتاجون ليبقى هناك طوال الليل . واستدعى الجنرال كيلى حوالى الساعة ٩,١٠ مساء وبعد عشرين دقيقة كان فى غرفة الأزمات يشرف على فريق من خبراء العمليات ومحللى المخابرات . وجلس فى وسط المنضدة وأمامه ٣ شاشات كبيرة للعرض .. واحدة لاتصالات المخابرات والأخرى للأحداث الهامة والثالثة لشبكة س ان ان CNN وهى تغطية لمدة ٢٤ ساعة للأخبار لأن كيلى يريد أن يعرف ماذا يدور علانية . واحتفظ كيلى بخط تليفونى آمن للاتصال بشوارسكوف فى القيادة المركزية بفلوريدا .

لقد دخل العراق الكويت فى خلال ثلاث ساعات ونصف وكانت المخابرات الحربية قد أرسلت رائدا كان يعمل بالمخابرات فى سفارة أمريكا بالكويت منذ عدة أيام ليقوم بإرسال برقيات المخابرات . وكان كيلى مهتما بسفارة أمريكا ولاسيما أن القتال يقع حولها . ووضع الجيش الكويتى الصغير فى حالة قتال ولكنه كان بغير حول ولا قوة وذلك بسبب تفوق أعداد القوات العراقية .

وعاد سكوكروفت إلى موطنه فى ضواحى ميرلاند عندما تسلم الاستدعاء . وكان مندهشا .. كان صدام يتكلم بعنف ولكن الكلام كان عن البترول واسعاره وحول خلافات على أراض متنازع عليها ولم تكن منها سيادة الكويت .

وعاد سكوكروفت إلى البيت الأبيض وابلغ بوش . وقال الرئيس إنه يتوقع عمل شىء على التو حيث كان بوب كيتسى فى اجازة . ودعا سكوكروفت إلى عقد اجتماع عاجل للنواب بواسطة اتصال فيديو من غرفة الحالات وكتب تصريحا عاما وأعطاه سكوكروفت لبوش للموافقة .

وفى الساعة ١١,٢٠ مساء صدر تصريح قوى يدين العدوان ودعا إلى « سحب القوات العراقية بدون قيد أو شرط » .

وعمل كل من المستشار القانونى لسكوكروفت يودين جراى والمسئولون عن الخزانة على تجميد أموال وممتلكات العراق فى الولايات المتحدة ومنع أى تحويلات إلى المعتدى ، وحيث إنه كان واضحا أن الكويت قد احتلت فلقد وضعت خطة أخرى لتجميد أموال الكويتيين بحيث لا يمكن لصدام أن يحصل على أى جزء من مبلغ الـ ١٠٠ بليون دولار وهو جملة الاستثمارات الكويتية بالخارج ووضعت هذه الخطط أمام بوش للتوقيع عليها .

ومع لجان النواب ضغط سكوكروفت لمزيد من العمل لإظهار أن الولايات المتحدة تأخذ العدوان العراقى مأخذ الجد .

وسُئل : وماذا عن القوات البرية ؟ والتى تمثل استعراض الجدية النهائى ؟

وقال سكوكروفت : لا ! وأراد شيئا يتسم بـ : (ا) يمكن ان يتحرك بسرعة وبسرعة كبيرة . (ب) ولا يكون وجوده مفضوحا . وأقترح سرباً من المقاتلات اف ــ ١٥ المقاتلة ( حوالى ٢٤ طائرة ) تُعطى للسعودية إذا قبلت استقبالها .

ووافق كل من كيميت من الأدارة وولف ويتز وجيرميا من البنتاجون وكيرت من المخابرات المركزية .

واستدعى سكوكروفت كأول عمل فى الصباح هيئة الأمن القومى . وأبلغ البنتاجون أن الجنرال شوارسكوف موجود فى المدينة وربما يكون مصدرا يجب حضوره الأجتماع لأنه يعرف تمركز كل القوات فى الشرق الأوسط . ومع ذلك فلقد عاد شوارسكوف إلى قاعدته فى فلوريدا .

وفى حوالى الساعة ٣٠ : ٢ صباحا استدعى باول كيلى فى غرفة الأزمات قال باول : استدع شوارسكوف وقل له أن يأتى إلى مكتبى الساعة ٧ صباحا لأنه سوف يكون هناك اجتماع الساعة ٨ صباحا . اجتماع لهيئة الأمن القومى فى البيت الأبيض وأريده أن يحضره .

والتقط كيلى الخط التليفونى الآمن وتحدث إلى شوارسكوف .

وقال كيلى : سيدى ، أنا توم كيلى ، إن سكوكروفت طلبنى وقال إنه يريدك أن تحضر الاجتماع فى مكتبه الساعة السابعة صباحا .

( صمت طويل )

ــ نعم ياسيدى ، هذا الصباح

( صمت طويل )

ــ نعم .. فى خلال أربع ساعات ونصف .

* * *

وفى حوالى الساعة الرابعة صباحا ذهب سكوكروفت للنوم فى مكتبه ثم استيقظ بعد ٤٥ دقيقة وفى الساعة الخامسة كان بالباب عند غرفة نوم بوش فى محل إقامته . حيث أمكن التوقيع على تجميد الأموال .

ووصل باول إلى البنتاجون فى الساعة السادسة صباحا وفى حوالى الساعة ٦,٥٠ ظهر شوارسكوف وذهب الاثنان إلى اجتماع مغلق حتى الساعة ٣٠ : ٧ حيث ذهبا إلى البيت الأبيض .

واجتمعت هيئة الأمن القومى بكاملها فى الساعة ٨ صباحا فى غرفة الوزارة .. بالإضافة

إلى باول وشوارسكوف كان ولف ويتز وتشيني هناك . وجلس كيميت محل بيكر والذى كان فى سيبيريا للأجتماع مع نظيرة وزير الخارجية السوفييتى ادوارد شيفرنادزه .

وقبل بدء الأجتماع سُئل شوارسكوف بأن يزيح خرائطه السرية وأفلامه ، لأن بوش سوف يجيب على عدد من الأسئلة من هيئة الاعلام حيث يمكن رؤيته على التليفزيون محدداً اهتماماته بالغزو .

وقال بوش للمحررين : « إننا لا نناقش التدخل » .

وسأل أحد المحررين : « هل تفكرون فى التدخل أو إرسال القوات ؟» .

وقال بوش : « اننى لا أفكر فى أى عمل » .

واعتقد سكوكروفت أن الرئيس بوش لا يعنى ماجاءت به الجملة . لقد كان واضحا أن الوقت مبكر جداً للحكم على أى شيء .

وقال بوش إنه لا يوجد أى دليل أن أى دولة أخرى فى الشرق الأوسط قد هُددت ولكنه قال إنه يريد « أن يُعكس الغزو ويخرجوا من الكويت » .

وقال أيضا : « اننى متأكد أنه سيكون هناك نشاطات ديبلوماسية محمومة . وإننى أنوى أن أشترك فى بعض منها بنفسى » .

ولاحظ باول التناقض الحاد بين بوش وريجان . لقد أمضى بوش ثمانى سنوات يشاهد ريجان وهو يعمل ويرسل المبعوثين . ولكن بخلاف ريجان ، أراد بوش التفاصيل ، كل التفاصيل . أراد أن يكون اللاعب الذى يحرك كل الخيوط والأمر هنا ليس الطريقة ولكنه الاختلاف فقط . وذكر باول نفسه بأن الناس قد انتخبت بوش وليس المستشارين . والنتيجة النهائية أن المستشار العسكرى باول يملك دوراً صغيراً تحت إدارة بوش أصغر من مستشار الأمن القومى باول تحت إدارة ريجان .

وعندما رحل المحررون ، بدأ سكوكروفت يدون الملاحظات ليقول رأيه ولكن الرئيس أخذ بناصية الأجتماع . وافتتح الاجتماع مدير المخابرات المركزية وبستر بتقرير المخابرات بأن الكويت قد احتلت بواسطة ١٠٠,٠٠٠ من القوات أكثر مما هو مطلوب . وأن الإمدادات تصل وتُنظم وفى بعض الحالات فهم على بعد ١٠ أميال من الحدود السعودية ، ويمكن بكل سهولة الأستمرار فى تقدمهم وتحطيم الدفاعات السعودية الهزيلة ، وأن لدى السعودية أقل من ٧٠,٠٠٠ من القوات ووحدة صغيرة تقف بين الوحدات العراقية وحقول البترول الشاسعة . وقدم الصورة كحالة خطيرة ولكنها ليست قاتمة .

وتلاه بوب كيميت ملخصا الدبلوماسية . فلقد اجتمع مجلس الأمن معظم الليل واستنكر الغزو ولكن لاأحد شارك الولايات المتحدة فى تجميد أموال الكويتيين والعراقيين . وقال الرئيس إنهم

يفكرون فى إجراءات إضافية للحصار الاقتصادى . لقد تصرف بسرعة لتجميد الأموال والممتلكات وأشار بفخر بأنه لا يعتقد أن صدام أو غيره ممن اعتادوا على بطء الحركة فى البيروقراطية الأمريكية توقعوا مثل هذا التصرف السريع .

وبوش الذى كان يوماً سفيراً إلى الأمم المتحدة كان يريد أن يتأكد أن الأمم المتحدة تتحرك إلى الأمام لاتخاذ قرارات إضافية . وقال سفير أمريكا لدى الأمم المتحدة توماس بيكرنج والذى وصل من نيويورك فى طائرة الساعة ٦,٣٠ صباحا ، قال : إنهم يفعلون شيئاً . وتحدث الرئيس وسكوكروفت إلى جيمس بيكر والذى كان يعمل مع السوفييت .

وبوش الذى كان سفيراً سابقاً للولايات المتحدة فى الصين ، سأل إذا كان الصينيون سوف يأتون لمساندته ، وأشار انه يتوقع بعض المساعدة منذ أن خفف من لهجته الانتقادية عن مذابح العام الماضى للطلبة فى « ميدان تاينان فن » .

وقال بوش إنه يريد عملاً ديبلوماسياً مكثفاً وإنه لايريد ترك عمل اليوم إلى الغد ولكن مزيدا من الضغط والمساعدة فى تكوين رأى عام عالمى ضد العراق .

وشرح نيكولاس برادى وزير الخزانة بأن العراق يحصل على ربح صاف يوازى ٢٠ مليوناً يومياً من البترول الكويتى وان العراق الآن تستولى على ٢٠ فى المائة من الاحتياطى العالمى للبترول وإذا استولى صدام على السعودية أيضا فيمكن أن يحصل على ٤٠ فى المائة .

وبوش وهو من رجال البترول السابقين فى تكساس بدا مرتاعا لفكرة استيلاء صدام على السعودية . واستمر فى مناقشة التحليل وأثر ذلك على وفرة البترول وسعره . وهل لو وضعت أمريكا حظراً على بترول العراق ؟ وهل سيحتفظ صدام ببترول العراق والكويت ؟ أو سيحاول أن يغرق الأسواق العالمية ؟ وماذا سيكون انعكاس ذلك على احتياطى البترول الأمريكى ؟

وبالسيطرة على ٢٠٪ من بترول العالم . يمكن لصدام أن يؤثر فى الأسعار العالمية ويضع الولايات المتحدة وحلفاءها تحت رحمته .. إن أرتفاع أسعار البترول معناه تضخم فى الوقود وبذلك يجعل الأمر اسوأ بالنسبة لوضع الاقتصاد الأمريكى المقبض أصلا .

ورأى باول أن الكلام كَثُر عن البترول ولكن بوش كانت له الهيمنة على كل فرد آخر لأنه كان رجل بترول ويعرف الكثير عن السوق .

واقترح سونونو بأنه يجب وقف العراق عن بيع البترول الكويتى فى الأسواق الحرة والحصول على ربح فورى من الغزو .

وقال تشينى : إن تسويق البترول لا يمكن وقفه بالضغط الاقتصادى والسياسى .

وقال تشينى : إن حاملة الطائرات كى سى ١٠ قد تحركت إلى السعودية .

وأن هناك سرب طيران قتالى اف ــ ١٥ فى حالة تأهب للذهاب إلى السعودية إذا ما أعطى للسعوديون الموافقة .

وتحدث وزير الطاقة جيمس اكينز والرئيس السابق للبحرية مشيراً إلى أن العراق ينقل بتروله فى أنابيب خلال تركيا والسعودية . وقال الأدميرال المتقاعد إن ذلك يمثل فرصة عظيمة كهدف . انها خطوط الحياة بالنسبة لصدام . وهل يمكن ضربها من الجو ؟

وقال باول : إن ذلك ممكن ولكن كأمر عسكرى فإن الخطوط المستقيمة مثل الطرق وخطوط السكك الحديدية وأنابيب البترول غير مرغوبة لأنه يمكن إصلاحها بسهولة وإعادتها إلى العمل ثانية .

وأثير سؤال حول إمكانية غلق منافذ العراق لتصدير البترول وليس فقط خطوط الأنابيب ولكن تكرير البترول ومحطات النقل والضخ .

وقال تشينى : إن ذلك لا يبدو معقولا ، لأن غزو صدام للكويت كان محاولة منه للضغط عن طريق إمدادات البترول ، وأن الولايات المتحدة لا يمكنها الرد بضرب إمدادات العالم من البترول .

وشعر سكوكروفت بالقلق لأن المناظرة كانت تتحول بطريقة غير مركزه .. إنهم يتحدثون مع أنفسهم ولا يفعلون شيئا .

وقال تشينى : إن زواج العسكرية العراقية ( مليون رجل ) وعشرين فى المائة من البترول العالمى يمثل خطراً واضحاً .

ويجب التمييز بين الدفاع عن السعودية وطرد العراق من الكويت وأنه فى صف حملة الدفاع .

وقال سكوكروفت : إن المشكلة ليست مثل عملية « حسن النوايا » مشيراً إلى العملية التى قامت بها أمريكا لحماية ناقلات البترول الكويتية فى الخليج عامى ٨٧ ــ ١٩٨٨ .

وقال تشينى : « ولكن المتطلبات العسكرية أكثر بكثير » .

وقال باول : « إن العسكرية العراقية قد قامت بعملية اختراق » .

ثم قدم تشينى الجنرال شوارسكوف الذى وضع خرائطه موضحاً المنطقة وطرق الهجوم العراقى .

وقال الجنرال إن هناك ردود فعل ممكنة مثل ضربة انتقامية واحدة وحيث إن الجيش الأمريكى والقوات الجوية ليست لها قوات فى المنطقة للتدخل الفورى فإن أى ضربة يجب أن تُنفذ بواسطة حاملات الطائرات التى لها قواعد فى المنطقة . والأهداف المحتملة لمثل هذه الضربات الجوية تشمل الجيش العراقى بالكويت ، والأهداف العسكرية والاستراتيجية الموجودة فى العراق نفسه والأهداف الاقتصادية فى العراق مثل أنابيب البترول الممتدة إلى تركيا والسعودية ، وسفن البترول العراقية

فى البحر . ومثل هذه الضربات سوف تكون محدودة .

وأضاف شوارسكوف : « أو تنفيذ عملية الخطة ٩٠ ـــ ١٠٠٢ للدفاع عن شبه الجزيرة السعودية . وهذا سوف يأخذ شهوراً ويشمل ١٠٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ عسكرى من الأفرع المختلفة . وهذا سوف لن يكون ممكناً إذا لم تسمح السعودية للولايات المتحدة بإقامة العديد من القواعد » .

واستمر سنونو فى التأكد على إمكانية القيام بخطوة اقتصادية . « ألا توجد وسيلة لمنع العراق من بيع البترول ، ليس فقط بترول الكويت ولكن بترول العراق نفسه . وعندئذ من سيعطى العراق الشيكات ؟ » .

وقال ريتشارد ج . دورمان إن المقاطعة الاقتصادية لم تثبت جدواها تاريخيا . وقال مدير الميزانية : إن نظام التجارة الدولية لا يتجاوب مع إعلان المقاطعة أو إغلاق الحدود وأضاف بأن السوق يتجاوب للسعر وفى حالة المقاطعة فإن الأسعار ترتفع والحافز لخرق المقاطعة يتزايد .

وقال الرئيس : تماما . ويمكن للعراق أن يجد وسيطا جديداً وحيث يوجد الدولار فإن شخصا ما سوف يشترى ويبيع البترول « مثل أصدقائى فى تكساس » .

وقال كيميت « إنه من المهم أن نحافظ على الدول العربية المعتدلة فى المقدمة خلال الأزمة » .

وقال الرئيس بوش « إننا لا نسمح بما حدث فى الكويت » ولم يشر إلى رغبته فى استخدام القوة العسكرية .

وقال دورمان « إن قطع خطوط الأنابيب سوف يكون له أثر أقتصادى كبير . ولكن يجب أن يحدث ذلك مبكراً .

وشعر باول بأن كل شيء ترك معلقاً فى الهواء . وطرح سؤالا « هل لا نريد أن نرسم خطا واضحا مع السعودية ؟ إن هذا البلد هو الاهتمام الحقيقى لأمريكا » وعلق بيكرنج قائلا إن رسم خط واضح سوف يترك الكويت على الجانب الآخر فى أيدى العراق .

وانتهى الاجتماع عند حد هذه الملحوظة .

* * *

وترك « بويدن جراى » الاجتماع بانطباع أن العسكريين أمامهم فرصة حقيقية وأن بوش بالتأكيد سوف يفعل شيئا . ولقد رأى جراى بوش على مر السنين وهو يشحن نفسه مرات عديدة ـــ وأنها حالته الطبيعية ـــ وكان ولف ويتز يلاحظ ويستمع وكان قلقا لأنهم سوف يتحدثون حتى تشل حركتهم . وكانت هناك دوائر مرعبة للموقف فالإدارة لا يمكنها أن تفعل شيئا بدون مؤازرة العرب وانهم سوف لا يحصلون على مؤازرة العرب وبالتالى لا شيء سوف

يحدث .

ولاحظ باول بوش بعناية .. إنه يعتقد أن كل ما سيفعله الرئيس غير واضح بما فى ذلك هل سيرضى بضياع الكويت . علم أن بوش سوف يطير إلى أسبن كلورادو ليلقى خطابا فى نفس اليوم وليقابل رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر ومما لاشك فيه ان آراءها القوية لها تأثير على بوش . وكان تشينى أيضا قلقا عما سيفعله الرئيس ولم يكن لديه أى خيارات حربية واقعية ليضعها أمام الرئيس .

وكان سكوكروفت فى حالة تحذير .. إن العراق أكبر خطر على المصالح الحيوية للولايات المتحدة . وهذا يعود إلى وثيقة كارتر عام ١٩٨٠ عندما قال الرئيس كارتر فى خطاب له « إن أى محاولة من أى قوى خارجية للتحكم فى الخليج سوف ينظر إليها بأنها هجوم على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، وإن مثل هذا الهجوم يجب أن يُصد بكل الطرق الضرورية ويشمل ذلك القوة العسكرية » وإن صدام ليس أقل عداوة أو تهديداً أكثر من أى غريب ، وإن المبدأ مناسب للتطبيق الآن .

ولكن مستشار الأمن القومى كان يرى أيضا أن عقدة فيتنام لا تزال حية ــ فالقوات العسكرية لا تريد استخدام القوة بدون الموافقة الجماعية .. إن الشروط الستة لكاسبر واينبرجر لاستخدام القوة العسكرية تجسد هذا القلق .. ان شروط واينبرجر تتطلب استفتاءً قبل تحريك القوات .. وتحريك القوت ليس ممكناً بدون حدث كبير مثل بيرل هاربر .

وبالنسبة لسكوكروفت ، فإن الحرب هى أداة للسياسة الخارجية نقية وبسيطة . وقد استعرض بوش ذلك فى بنما . إن الإدارة لم تخرج لتحصل على الأصوات أو تدق الطبول طلبا للعون . ولكن بالعكس فإن الرئيس استخدم نفوذه كقائد أعلى للقوات المسلحة ، وتبعه العامة والكونجرس .

وبعد الاجتماع ذهب سكوكروفت إلى المكتب البيضاوى مع الرئيس . وبالرغم أن سنونو ودورمان وآخرين ، قد عبروا عن اهتمامهم بالنتائج الاقتصادية للغزو ، فإن سكوكروفت قال للرئيس : بان الاجتماع يبدو أنه وقد نسى مسألة السياسة الخارجية .

وقال سكوكروفت : سيدى الرئيس أعتقد أنك وأنا الوحيدان اللذان مارسا ممارسة حقيقية هذا الأمر .

وقبل اتمام مناقشاتهما أسرعا إلى اسبن ــ كولورادو لخطاب بوش ــ وقبل أن يرحلا اجتمع الرئيس أجتماعا خاصاً مع مستشاره بويدن جراى . وكان بوش يريد أن يتأكد من السلطة القانونية المخولة له لاستخدام القوة العسكرية .

* * *

وبعد الظهر فى اجتماع للصحافة فى كلورادو قال بوش : « إننا لانحكم على أى خيار وليس لدينا أى خيار نعرضه » .

وبعد ساعتين تحدث مع الملك فهد — وفى خلال عمله كسفير فى الأمم المتحدة وكمدير للمخابرات المركزية كان لبوش صداقات مع ملوك الشرق الأوسط — الملوك الأصدقاء — كما يسمونهم فى المخابرات المركزية — فالرئيس بوش والملك فهد يعلمان أنهما يمكنهما التحدث مع بعضهما البعض تليفونيا فى أى لحظة .

فالثرى الواسع الثراء فهد ٦٩ عاماً . كان مشهوراً بتشككه الكبير — وهو ملك موال للغرب وأهداف سياسته الخارجية تسير من خلال الديبلوماسية المالية — أى باختصار — الدفع .. وتكلم الاثنان حوالى نصف ساعة وكان لدى فهد كثير من الأسئلة حول ما تعتقده الولايات المتحدة ومايخطط صدام وما سيفعله بوش لمساعدة السعودية . ووافقا على أن الهجوم على الكويت غير مقبول ، ولم يصلا إلى قرار على طريقه للعمل . وعاد بوش إلى واشنطون على طائرته الحربية رقم ١ وتحدث إلى الملك حسين ( الأردن ) والرئيس مبارك ( مصر ) واللذين كانا مجتمعين فى الاسكندرية وتبادل الاثنان التليفون للتحدث إلى بوش . وكانت رسالتهما إليه : أمهلنا وقتا أكبر ، ودع العرب يحاولون تدبر الأمر .

* * *

كان الجنرال كيلى متشائماً وقال : « لا يوجد شىء يمكننا أن نفعله — بغير وجود قوات ثقيلة على الأرض — فرق دبابات مثلا — فى المنطقة . ولا توجد وسيلة فعالة لمقابلة هجمة صدام . وقال كيلى ان العسكريين لا يريدون الاشتراك فى حرب برية فى جنوب غرب آسيا » .

وأضاف كيلى : « نتمنى منكم أيها الساسة ألا تكونوا حالمين . إننا لسنا فى بنما ... إن حرب الدبابات على الحدود لهو شىء كريه للغاية » .

وكيلى هذا قد قضى وقتاً طويلاً فى مهنته كقائد للدبابات : « اننا لا يمكننا الدخول فى حرب برية » .

* * *

وكان مقررا أن يذهب تشينى إلى كلورادو مع بوش بعد الظهر ولكنه ألغى وبدلا عن ذلك عقد اجتماعا فى مكتبه ودعا إليه كبار المستشارين المدنيين والعسكريين . وتجمع حوالى ١٥ وهو اجتماع غير عادى لتشينى والذى يحب المجموعات الصغيرة من اثنين ، ثلاثة أو أربعة .

وبدأ الجنرال كيلى حديثه . هذه هى القصة وكيف استولى العراق على الكويت . ولقد كانت طبقة صوت تشينى تعكس إعجابه المهنى للسرعة والدقة والتقنية العالية للعملية العراقية .

وقال تشينى « حسنا يارجال ، ماذا سنفعل ؟ »
وقال باول له : ان القادة وشوارسكوف يعملون لتجهيز بعض الخيارات .
ويبدو أن تشينى لم يصدق أن هناك خيارات . وقال باول : إنه موقف صعب ، إنهم يتعاملون مع غزو فورى وكبير ولقد انتهى الآن واكتمل وإن عملية صدام الأولية قد تحققت .
وبدأ التوتر ينمو فى المكتب المزدحم .
وقال تشينى : إننى أريد بعض الخيارات لأقدمها للرئيس .
وقال باول : إننا نعمل على ذلك ولكننا لانريد أن نخرج ببعض المقترحات النصف مطهية .
وسأل بعض الحاضرين ، وماذا عن ضربة وقائية على خطوط الأنابيب المتجهه إلى السعودية وتركيا ؟
وقال كيلى : إن ذلك سوف لا يأتى بفائدة فإن الضرب سوف لايكون مركزاً وإذا ضُربت الخطوط فسوف يعيدون إصلاحها بسهولة ، وإن الخاسر فى مثل هذه العملية سوف تكون السعودية أو تركيا أو كليهما وسوف تكون تحريضا غير عملى مما قد يدعو صدام لشن هجوم عليهما .
وكان هناك اقتراح بضرب مؤسسات صدام النووية والكيميائية حيث إنها تشكل تهديداً . ولكن الفكرة قد ألغيت بسبب انها قد تسبب تصعيداً خطراً .
وترك كل من بيت ويليامز وديف ادينجتون الاجتماع قبل نهايته .
وقال تشينى لباول : إننى محاصر . إن الرئيس لا يريد نصيحة سياسية وإنه وبوش يريدان خيارات عسكرية ولكن يبدو أنها لا تظهر فى الأفق .
وقال باول لتشينى ، سيدى الوزير إننا نبعد عن المنطقة ٦٠٠٠ ميل وليست لدينا أى قوات برية وإن أى ضربة جوية سوف تكون كمن يتبول فى الريح وربما تأتى بما لانتمناه ـــ هجوم على السعودية .
ولقد كان ذلك أصعب حوار تبادلاه فى حياتهما .

* * *

وقال أوينز لتشينى إن البحرية لديها القدرة على إطلاق صواريخ توما هوك من البحر إلى البر وتصل إلى العراق .
وسُئل تشينى عن العدو والتفاصيل وأمر أوينز بأن يتصل بأصدقائه فى الدور الرابع وأن يأتى بشىء « اذهب فى الحال وادرس النظام وقل لى ماذا يمكننا أن نفعله » .
وفعل تشينى نفس الشىء مع مساعديه كولونيل الجو جارى . ار . تركسلر وأرشده للبحث

عن خطط جوية . وسمى تشينى ذلك « جس نبض النظام » وكان تشينى يريد معلومات من مصادر متعددة ولا يريد أن يكون أسيراً لقادة الأركان كولن باول .

ولما عاد بوش وسكوكروفت إلى واشنطون عاودا مناقشاتهما .

وفى المساء دعا باول أدميرال البحر الإنجليزى سير بنجامين بات هيرست وهو قائد حلف شمال الأطلنطى للقوات الموجودة فى القناة الإنجليزية وكذلك عشرات من كبار الضباط الأجانب كان جزءاً روتينياً ومضيعاً للوقت فى حياة باول . كان الأدميرال جيرميا وثلاثون من الضيوف الآخرين هناك . وأحاط باول جيرميا مرة بذراعيه ، محتضنا اياه بحرارة أثناء حفل الكوكتيل . كان يبدو سعيداً بنائبه الجديد وكان يبدو مسترخيا ، ورغم دماثته فقد قال أثناء حديث العشاء الذى ألقاه إن الغزو العراقى شيء يسبب الإفاقة — « مثل إلقاء ماء الغسيل البارد فى الوجه » وأكمل باول عشاءه دون مقاطعة واحدة حول الأزمة وقال للمجتمعين على المائدة إنه قد أُذل مرات عديدة فى حياته . ففى إحدى عطلات نهاية الأسبوع عندما كان مستشاراً للأمن القومى لريجان ، كان يحضر زفاف ابنة صديقه فيرنون جوردان وكانت الكنيسة ممتلئة بالسياسيين والصحفيين . وبعدما اتخذ مقعده هو وزوجته « ألما » جاءته إشارة على جهاز الاستدعاء الذى يحمله معه تدعوه لأن يتصل بالمكتب . فخرج من الكنيسة مهرولا . ولاحظ ذلك رجال الصحافة والآخرون لكنهم جميعا لم يكن يمكنهم الخروج من الكنيسة .

ذهب باول إلى سيارته واتصل بالبيت الأبيض هاتفيا وعلم أن الرئيس التركى تورجوت اوزال قد تعرض لمحاولة اغتيال . وقام يعمل عدة مكالمات للتأكد أن الجهاز يستجيب بشكل صحيح .

وعندما عاد إلى الكنيسة كان كل من هناك يبذلون جهداً لمعرفة مدى خطورة الأمر الذى تسبب فى استدعائه وكان قد وضع على وجهه تعبيرات الجدية والأهمية وهو عائد للكنيسة . وعندما جلس انحنت « ألما » عليه وسألته عما حدث وهمس باول لها بالمعلومات الساخنة . ولكنها قالت « بحق السماء يا كولين ! لقد سمعت بهذا الخبر من الإذاعة منذ ثلاث ساعات » .

وبعد أن ضحك الجميع قال باول إن الهواء تقل كثافته فى أعلى الغلاف الجوى للسياسة .. وإنه من المفيد أن يكون لديه قناع أوكسجين على جانب وجهه .. وعندما يشعر أن شيئا يسير على ما يرام وانه متزن ومتحكم فى نفسه فإنه يتناول هذا القناع ويتنفس قليلا لكى يعود إلى الأرض . وقال إنه فى هذا اليوم ، بدلا من قناع الأوكسجين فإنه لديه صدام حسين .

* * *

وفى اليوم التالى ، الجمعة ٣ أغسطس اجتمع مجلس الأمن القومى مرة أخرى فى البيت الأبيض . وبدأ سكوكروفت يقول : « يجب علينا دراسة ماهيه المصالح الطويلة الأجل بالنسبة لهذا البلد

وبالنسبة للشرق الأوسط إذا كان غزو الكويت وأحتلالها قد أصبح حقيقة مراقعه ، ويجب أن نبدأ تفكيرنا بحقيقة أن ذلك لايمكن قبوله . إن هناك العديد من الأسباب التى تجعلنا لا نفعل بعض الأشياء ولكن هذا هو عملنا ؟

وخطر لولفويتس أن سكوكروفت فى تلك اللحظة قد غير بؤرة الانتباه كلية . وبدا أن هذا يغير من سنونو لتجريب أى اختيار موجود فى الاعتبار ويشكك فى أى نوع من التردد .

واحس دورمان ان كلمة سكوكروفت هى رجاء للوزراء أن يوحدوا صفوفهم .

وأشار الرئيس إلى أنه يتفق مع مستشاره للأمن القومى . وناقش المشتركون فى الاجتماع القيود الاقتصادية والوسائل التى يمكن للإدارة اتخاذها هى وحلفاؤها والأمم المتحدة لبناء حائط حول صدام وعزله تماما . وناقشوا تقريراً من المخابرات يفيد بأن الغزو يشكل تهديداً للنظام العالمى الحالى وأن الأثر المستقبلى له على الاقتصاد العالمى سيكون مدمراً .

وكان صدام مصمما على تحويل العراق إلى قوة عظمى عربية ، توازن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان والسيطرة على ٢٠ بالمائة من بترول العالم يعطيه دفعة أكثر مما يحتاج . وكان هناك أيضا تقييم للقوة العراقية لا يبعث على التفاؤل . فقد كانت وكالة المخابرات المركزية تعتقد أن صدام يمكن أن يدفع بجيوشه إلى الجنوب ويصبح فى الرياض ، العاصمة السعودية التى تبعد مسافة ٢٧٥ ميلا خلال ثلاثة أيام .

وبين سكوكروفت أنه يجب أن يكون هناك طريقان متوازيان أولهما أنه يعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تكون راغبة فى استخدام القوة لإيقاف ذلك ويجب أن تعلن هذا على العالم . وقال سكوكروفت إن الطريق الثانى هو إسقاط صدام ويجب أن يتم هذا سراً عن طريق وكالة المخابرات المركزية ولا يجب كشف ذلك للعالم .

وأمر بوش وكالة المخابرات المركزية كى تبدأ التخطيط لعملية سرية لزعزعة نظام الحكم أملا فى إزاحة صدام عن السلطة وكان بوش يريد مجهوداً على كل الجهات لخنق الاقتصاد العراقى ، ومساندة جماعات المقاومة المناهضة لصدام داخل وخارج العراق والبحث عن زعماء بديلين من الجيش أو من أى جهة فى المجتمع العراقى . وكان يعلم ان العمل السرى سوف يكون صعباً إن لم يكن مستحيلا بالنظر إلى أن صدام يدير دولة بوليسية وقد استخدم أساليب وحشية لقمع أى منشق أو معارض ومع ذلك فقد أراد بوش أن يرى ماالذى يمكن عمله وقال إن هذه حالة تستخدم فيها العمليات السرية من أجل الصالح القومى .

وقال بوش : انه يريد تشينى وباول وشوارسكوف فى كمب دافيد فى اليوم التالى لنشرح

الخيارات العسكرية له .

* * *

وفيما بعد ، فى نفس اليوم فى البنتاجون ، قال رؤساء الأركان لباول إن الأميرال أوينز وآخرين من مرؤوسى تشينى يطلبون من أسلحتهم الرئيسية البحث عن خطط الضربة الجراحية الموضوعة للعراق لعرضها على الوزير ، وصعد باول مسرعاً إلى جناح الوزير فى الطابق الثالث ودخل إلى مكتب أوينز الذى كان هو نفسه يجلس فيه لمدة ثلاث سنوات .

وقال باول لأوينز : « إننى أحب أن يصدر عمل من هذا المكتب بطريقة غير رسمية » ، ولوح باول بإصبعه فى وجه أوينز قائلا : « إياك أن تفعل ذلك مرة أخرى » .

وكان باول يتخيل الكولونيل أوليفر نورث وعمليات إيران ــ كونترا فقد كان أوينز ، مثل نورث يخرج عن القنوات الرسمية مستجيباً للطلبات الوقتية وعواطف رئيسه . وكان ذلك هو الطريق الذى يمكن أن يقود كلا من رئيسه والبلاد إلى أسفل سافلين . لم يكن باول ليسمح لهذه اليد القادمة من الماضى أن تمسه طالما بقيت فيه قذرة . وكان يشعر أنه قد كتم دوافعه للتصرف بتلك الطريقة فى المكتب نفسه عندما كان يعمل تحت رئاسة واينبرجر .

وقد مر من أزمة ايران ــ كونترا وبعدها التحق بالبيت الأبيض فى عهد ريجان للمساهمه فى تنظيف مجلس الأمن القومى كنائب لمستشار الأمن القومى ولأنه لم يتلوث من تلك الفضيحة فلم يكن ليدع تعاملات مشابهة لها تزدهر خارج القنوات الرسمية أثناء رئاسته لهيئة الأركان .

ولكن أوينز ، الذى كان الآن واقفا بين أقوى رجلين فى البنتاجون لم يقل لباول إنه إنما كان ينفذ أوامر تشينى .

وقال له باول : سنعطيك أى شىء هام تريده . أما كل ما أريده أنا فهو أن تمر كل المعلومات والخيارات من قادة أفرع القوات المسلحة من خلالى ومن خلال هيئة الأركان إلى الوزير .

وبعدما هدأ باول ، ذكر أوينز أن المساعد العسكرى يجب عليه أن يمتص الضغط الواقع عليه من الوزير ، ونصحه باول مؤنبا ألا يفعل أشياء سخيفة كى يلبى رغبة عاجلة وقال له : استوعب الضغط وقم بالعمل الصحيح . فهيئة الأركان تعمل ورؤساء الأركان يعملون وشوارسكوف يعمل .

واستقبل أوينز التوبيخ فى صمت .

كان باول لا يزال متمسكا بآرائه أن استخدام القوة هو شىء مخادع مالم يكن بطريقة هائلة . وكان يرثى لمن يقولون إن بالإمكان إلقاء بعض القنابل وإطلاق بعض الصواريخ توماهوك وإبقاء الهجوم جراحيا ومحدودا . فقد كنت كلمة « جراحى » فى حد ذاتها تدفع باول للجنون . كان

ذلك وهم العسكرية الحديثة الذى أراد بعضهم تطبيقه عند ما وقعت البلاد فى أزمة صدام قائلين . دعنا نطلق عليه بعضا من جانبنا . وكان ذلك محض خيال جامح . واجتمع باول مع رؤساء الأركان بعد الظهر . كانت هناك حركة جديدة . كان كل من رئيس أركان القوات الجوية الجنرال ميشيل جى . دوجان ، ورئيس أركان العمليات البحرية الأدميرال فرانك ب . كيلسو قد أمضيا شهراً واحداً فقط فى هيئة الأركان المشتركة . وكان القدامى الآن هما فونو وجراى عن الجيش والقوات البحرية الأرضية . وكان السؤال الكبير المطروح على المائدة هو ماهى أقصى نتيجة تريدها الولايات المتحدة كأمة ؟

وكان ذلك غير واضح لسبب بسيط هو أن الرئيس بوش لم يكن قد قرر أو لم يكن قد أبلغهم بقراره بعد .

وكان على رؤساء الأركان وافرع القوات العمل سويا على ذلك كما قال باول : اعملوا بطريقة موحدة ، اعملوا مع شوارسكوف لا حلول فردية من فرع واحد ولا أعمال حرة .

* * *

وعصر ذلك اليوم رتب سكوكروفت لمجىء الأمير بندر إلى البيت الأبيض .

كان بندر فى لندن عندما جاءه خبر غزوالكويت قبل أربعين ساعة . وفى الحال أمر طائرته النفاثة الخاصة أن تعود به إلى الولايات المتحدة . وبينما كان يجلس على مقعده فى رحلة العودة عبر الأطلنطى كان يحاول هضم ما حدث وعاد بذاكرته إلى اجتماعه مع صدام قبل أقل من أربعة شهور وبحث صدام عن تأكيدات بعدم هجوم إسرائيل على العراق ، وبمجرد أن عاد بندر إلى واشنطون أمر موظفيه بإحضار محضر الاجتماع المكون من ١٨ صفحة . وبينما كان بندر يقرأ الكلمات قال لنفسه : ياإلهى ، لقد كان ذلك الرجل يعد المسرح للهجوم ، لقد طلب صدام وتلقى وعودا من أمريكا وإسرائيل بأنه لن يتعرض للهجوم ، لقد قام بتأمين جبهته الغربية مع إسرائيل مما أعطاه الحرية لعمل مايريد فى الشرق مع الكويت واستنتج بندر انه قد تم خداعه هو وإدارة بوش ولم يؤكد ذلك إلا علمه بأن صدام لم يكن لديه جندى واحد على الجبهة الغربية .

وكان بندر منزعجا للغاية عندما وصل إلى البيت الأبيض ليقابل سكوكروفت يوم الجمعة .

كان لدى سكوكروفت رأى أكثر إيجابية فى بندر عن رأى باول : فقد أظهر بندر أكثر من مرة أن لديه اتصالا مباشراً مع الملك فهد ويمكنه تقديم قراءة فورية لميول الملك وهذا فقد كان من وجهة نظر مستشار الأمن القومى يُعتبر قناة جيدة التوصيل . وخلاف كل شىء فقد كان يبدو أن بندر ينحاز إلى جانب الولايات المتحدة فى معظم الأمور وبالتالى فإن سكوكروفت كان يحرص على أن يحصل بندر على الاتصال المباشر مع بوش عند الضرورة .

وأثناء ذلك الأجتماع قال سكوكروفت انه يتحدث نيابة عن الرئيس . لم يكن السعوديون قد ردوا على عرض أمريكى لإرسال سرب من الطائرات اف ــ ١٥ وكان سكوكروفت يعلم أن الإجابة على الأقل فى الوقت الحاضر هى الرفض من الجانب السعودى ، قال له إن موقف بوش هو أن الولايات المتحدة تميل إلى المساعدة بأى وسيلة ممكنة .

وذكر بندر سكوكروفت بأنه قبل عشرات سنوات فقط ، عندما سقط شاه ايران عن عرشه قال الرئيس كارتر للسعوديين دعونى أرسل لكم سربين من طائرات اف ــ ١٥ ووافق جلالة الملك . وبينما كانت الطائرات فى الطريق إلى السعودية أعلن كارتر أنها غير مزودة بالسلاح . وقال بندر إن العواقب كان لها أثر مدمر ومستمر على السعوديين قال بصراحة نحن قلقون « هل لديكم الشجاعة أيها الناس أم لا ؟ نحن لا نريدكم أن تمدوا لنا يداً ثم تسحبوها وتتركونا نواجه ذلك الرجل على الحدود وقد تضاعف جنونه عما هو عليه الآن » !

قال سكوكروفت « دعنى أقول لك إننا لن نفعل ذلك .. إننا جادون وسوف نفعل ماهو ضرورى لحمايتكم » ، لكنه أضاف أنه يجب على السعوديين إظهار جديتهم أيضا وقبول القوات الأمريكية .

وفى هذه اللحظة دخل بوش مكتب سكوكروفت . قال بوش « هل هذا هو صديقكم » مشيرا بوضوح إلى التماسات بندر السابقة للحصول على تأكيدات أمريكية لصالح صدام .

وضحك بندر

سأله بوش « هل تتذكر ؟ إن هذا هو الرجل الذى جئت إلى وقلت إنه شخص جيد ؟ »

وقال بندر « إنها المياه وقد عبرت السد ياسيدى الرئيس وأعترف بأن كلا من السعوديين والأمريكيين قد تم استغلالهما » .

وتحول بوش إلى المشكلة موضوع المناقشة قال إنه متضايق لأن الكويت لم تطلب المساعدة من الولايات المتحدة حتى قبل نصف ساعة أو دقائق معدودة من قيام العراق بالغزو وقال إنه قد كان منزعجا من السعوديين ، الذين ربما كان عليهم الدور فى قائمة صدام ، سيطلبون المساعدة بعد فوات الأوان وعندها لن يستطيع الأمريكيون تقديمها .

وسأل بندر عن نوع المساعدة التى يمكنه تقديمها . وعن عدد الطائرات وأنواع الأسلحة وهل سيتم دراسة ذلك وقال : إن الملك فهد يريد أن يعرف كل ذلك بدقة .

وقال بوش وسكوكروفت : إنهما لا يملكان الإجابات عن تلك الأسئلة وان من يستطيع هو تشينى وباول .

وألمح بندر ساخرا إلى الطائرات اف ــ ١٥ التى أرسلها كارتر دون تسليح ، وبدا بوش متألما

كما لو أن هناك شكوك موجودة وأن السعوديين لا يثقون فى عزمه وبدا أنه يأخذ التساؤلات بصورة شخصية .

وفى النهاية قال بوش لبندر : « إننى أعطى كلمة شرف إننى سأساندكم فى هذا حتى النهاية » !

واحس بندر بأن شعره يقف إن رئيس الولايات المتحدة الآن يخاطر بشرفه الشخصى .

* * *

واتصل سكوكروفت بتشينى وقال : إن الرئيس يريد ان يساعد السعوديين فنره أفضل مالدينا ( خطة العمليات الكبرى ) استدع بندر واشرح له ما يمكننا عمله من أجله ، وقد كان جادا فى ذلك بقدر جدية المهمة . كان الرئيس يريد من تشينى أن يطلع بندر على صور الأقمار الصناعية بالغة السرية حتى يقتنع السعوديون وسوف تبين هذه الصور مدى الخطر حيث يحشد صدام قواته فى اتجاه السعوديين .

ورتب تشينى لزيارة بندر للبنتاجون عصر ذلك اليوم ولكن كان على تشينى أولا أن يجرى حوارا صريحا مع باول عن ضرورة إعطاء خيارات عسكرية للرئيس وجلس الوزير ورئيس هيئة الأركان وحدهما . قال تشينى إنه لا يجب أن يكون هناك المزيد من الانتظار . إن هناك كلاما جادا يصدر عن البيت الأبيض وإن عليهما تقديم بدائل عسكرية . إن الوقت قد حان لإعطاء نصيحة عسكرية على مستوى خطورة الموقف وقال تشينى : إن البنتاجون يجب أن يعكف على العمل .

رد باول قائلا : لايمكننى أن أفعل ذلك قبل أن أعرف إطار العمل .

وشرح تشينى أن الأطار الآن موجود وأن سكوكروفت قد اتصل ليقول إن الرئيس يريدهما ان يطلعا بندر على خطة العمليات ٩٠ ــ ١٠٠٢ وحسب أوامر الرئيس يجب أن يرى بندر أحدث الصور الجوية من درجة « سرى للغاية » .

وذهب التوتر فى الحال . وعرف الرجلان أن كليهما يحتاج للآخر .

* * *

وقبل أن يتم الشرح لبندر جس تشينى نبض النظام مرة أخرى فلقد كان لانج خبير المخابرات العسكرية للشرق الأوسط قد أرسل إليه إحدى رسائله الإليكترونية فى ذلك اليوم مراجعا فيها النتائج المحتملة التى أكدت على احتمال هو ان السعوديين سيرفضون المساعدة الظاهرة رغم أنه لا يحمى بلدهم الضخم سوى جيش لا يقل تعداده عن ٧٠,٠٠٠ رجل فقد كانوا يرفضون طلبات بتحليق الطائرات العسكرية الأمريكية فوقهم ، كما رفضوا طلبا أمريكيا بتغطية طائرات الأدواكس الأمريكية للمنطقة وهى طائرات الرادار الخاصة بنظام التحذير والسيطرة المحمولة جواً .

واستدعى تشينى لانج إلى المكتب ، وكان يبدو ان لانج هو المحلل الوحيد الذى أخذ حشد

العراق لقواته على مدى الأسابيع السابقة بالجدية المناسبة .

وقال تشينى : إنه يريد الحديث عن العراقيين .

وسأله قائلا : أريدك ان تصف لى هؤلاء الناس .

وسر لانج الذى كان يزود دوائر المخابرات بمعلومات عن الخط العراقى لسنوات عديدة . وقال : إنه لا يمكن اقتحامهم . إن لديهم عسكرية فى غاية القوة وقاعدة صناعية متطورة ولديهم حداثة متميزة بالنسبة لبلدان العالم الثالث وهم وطنيون وخطرون . وأيد لانج تحليله بالإحصائيات والقصص .

* * *

كان تشينى يعرف بندر لعدة سنوات وكان معجباً بأن مجرد سفير يمكنه أن يكون له هذا الأثر الواسع المدى على الحكومة الأمريكية وواشنطون والعالم وكان بندر يقوم أيضا بدور الوسيط غير الرسمى بين السعودية وتاتشر والسوفييت والصين ، ولكن تشينى كان قلقاً لأن الأمير لديه جدول أعماله الخاص وإذا تُرك ليفعل مايحلو له فسوف يحاول إدارة الشئون الخارجية للولايات المتحدة والسعودية ، وبالمرة العالم بأسره . وباختصار كان تشينى لا يعتبر بندر قناة جيدة التوصيل مائة فى المائة مع الملك فهد . وربما تشوه الرسائل المرسلة عن طريقه لأسباب أخرى لا يستطيع تشينى أن يتخيلها .

وعندما وصل بندر إلى مكتب تشينى عصر يوم ٣ أغسطس اتخذ المقعد الثالث على مائدة الاجتماعات المستديرة مع تشينى وباول وانضم إليهما أيضا بول ولفويتس وخبير الأمن القومى للشرق الأوسط ريتشارد هاس . قال تشينى : « لقد أصدر الرئيس تعليماته إلىّ بأن أشرح لك ماالذى تستطيع الولايات المتحدة عمله لمساعدة السعودية فى الدفاع عن نفسها وأضاف أنه إذا تدخلت الولايات المتحدة فسيكون ذلك بقدر كبير وأنها إذا دعيت للدفاع عن المملكة فسيكون ذلك إلتزاما فى غاية الجدية » .

وقال تشينى : إنه من الواضح ان الولايات المتحدة تستطيع القيام من على إحدى حاملات الطائرات وإلقاء بعض القنابل على رأس صدام ، ولكن ذلك سوف يجعله مجنوناً ، ولن يحل ذلك أى مشكلة حقيقية .

كان تشينى يعلم أن بندر قد اتصل بالسعودية هاتفياً وأنه على وشك السفر إلى هناك للحديث مباشرة مع الملك ، وأراد أن يتأكد من أن السفير قد تلقى الرسالة بوضوح .

ولكى يؤكد على المشكلة التى يواجهها السعوديون أظهر تشينى وباول نسخاً من الصور السرية المأخوذة من أعلى وبينا له الثلاث فرق المدرعة العراقية التى شُكلت مقدمة لغزو الكويت . وكانت

إحدى هذه الفرق تتجه من خلال الكويت إلى الحدود السعودية .
وكان المزيد من الفرق العراقية يتخذ أماكنه خلف الوحدات المدرعة بنفس الطريقة التى سبقت غزوّ الكويت قبل يومين . وكان تدفق الفرق يأخذ شكل السيف الموجه إلى المملكة التى بدا أنها تواجه خطراً شديداً .

ولخص باول فى عشر دقائق خطة العمليات ٩٠ ــ ١٠٠٢ قائلا : إنها تتضمن أربع فرق وثلاث حاملات طائرات والعديد من الأسراب الجوية الهجومية . وسمح لبندر أن ينظر إلى الملف الضخم الخاص بالخطة السرية والخرائط التى تبين حركة القوات . وقال باول : « إنها قوة ضخمة جداً » .

سأل بندر : كم عدد القوات التى تتحدث عنها » .

قال باول : من مائة ألف إلى مائتى ألف على مسرح العمليات . قال بندر : حسنا ، إن هذا يبين على الأقل أنكم جادون ، ويوضح لكم لماذا لم نكن نريد سرب المقاتلات التكتيكية .
وأصر باول : نحن جادون .

وقال بندر : نحن نتفق على حاجتكم لان تكونوا جادين ، محاولا أن يمسك زمام المحادثة

وقال بندر : لو كان هذا الحجم من القوات موجودا الآن فى السعودية فإن المملكة كان سيمكنها أن تتخذ اجراء عدوانياً مثل قفل خط أنابيب البترول العراق فبدون قوة دفاعية بمثل هذا الحجم فان جلالة الملك سيكون مقيد اليدين حيث يمكن ان يدخل صدام ويجتاح السعودية .
وقال بندر : إنه موافق على الخطة وإنه يفضلها ووعد بأن ينقل للملك ولأبيه وزير الدفاع السعودى ما يمكن عمله .

وأوضح بندر أنه مسئولين سعوديين آخرين قد حاولوا الحديث إلى صدام كى يعلن عن نواياه ولم ينجحوا وطبقاً لبندر لم يستطيع الملك فهد الاتصال بصدام للعشر ساعات الأولى من الغزو . وعندما تحدث إليه كان صدام يرد نافيا وقائلا ان تحركات قواته تجاه الحدود السعودية هى مجرد تدريب . وكان على نائب رئيس قيادة مجلس الثورة العراق أن يقابل الملك فهد . عندئذ ، واشار إلى أنه لا يستطيع إلقاء الضوء على نوايا صدام ووصف بندر حالة الفزع المسيطرة ، وقال : ان التحكم الظاهرى فى النفس هو شيء مهم فى ثقافتنا حتى وان لم يكن له معنى .
وقال بندر : إنه قد حدثت ثلاث حالات خطيرة لاختراق الحدود من جانب العراقيين الذين توغلوا لخمسة أميال داخل الأراضى السعودية وقال رئيس الأركان العراق للسعوديين إن ذلك حدث بطريق الخطأ من قواته وتعهد فى المرة الأولى بقطع ذراع أى عراق يضع إصبعه على الحدود السعودية . وبعد الاختراق الثالث لم يستطع السعوديون الاتصال بأى مسئول عراقى على الخط

الساخن المقام بين البلدين وعقب أحد هذه الاختراقات انسحب العراقيون ولكن بعد أن نسفوا أحد الكبارى التى استخدموها على إحدى الطرق الهامة .

وعندما نهض بندر كى يغادر القاعة قال تشينى : إنه إذا دعت السعودية القوات الأمريكية ووافق بوش فإنهم يستطيعون إرسال الجنرال شوارسكوف أو أى شخص آخر ليقوم بالتنسيق والتأكد من كل شيء .. مثل أن طائرات سلاح الجو الأمريكى تهبط حيث يريد السعوديون أن تهبط .

وأكد لهم بندر أنه سيؤيد الانتشار الأمريكى الفورى ثم غادر .

وعبر ولفوتيس عن دهشته من الجدية المفاجئة لدى الطرفين . واقترح أن يبدأوا فى رفع درجة استعداد القوات الأمريكية وخاصة المحمولة جواً والتى ستذهب أولا بالنظر إلى التقبل الواضح الذى أبداه بندر .

قال باول : إنه ينفث دخاناً . لأأعتقد ان الوقت قد حان لرفع درجة الاستعداد للفرقة ٨٢ إلى حالة الاستعداد الدائم » .

ووافقه تشينى لكنه قال لباول : إنه يريد شوارسكوف أن يستدعى القادة ذوى المناصب الحيوية فى كل من أفرع القوات المسلحة إلى كامب دافيد . كان يعلم أن الاتصال الشخصى هام بالنسبة للرئيس .. فالناس عند بوش لا وجود لهم حتي يلقاهم . وقال تشينى إنه من المهم أن يتعرف الرئيس شخصيا على الناس الذين يحتمل أن يديروا هذه العملية . وطلب من أوينز تجهيز واحدة من طائرات الهليوكوبتر الكبيرة الخاصة بالبيت الأبيض والتى تسمى بالقمم البيضاء ، لتأخذهم جميعا إلى كامب دافيد فى الصباح التالى إلى بوش .

وفيما بعد فى ذلك اليوم ، كان تشينى يحلق شعره عند حلاق البنتاجون عندما عثر عليه أوينز الذى كان يبحث عنه وقال له أوينز إن سنونو رفض طلب الهليوكوبتر .

وقال تشينى فى نفسه : إن هذا من الأمور السيئة المعتاد حدوثها من مكتب سنونو ، شعر تشينى أن سنونو يلعب دوراً سلطوياً كرئيس لموظفى البيت الأبيض . فعندما كان تشينى يحتل نفس المنصب تحت رئاسة فورد بذل جهده لكى يظل فى الخلفية متجنباً متاعب أن يكون مساعداً للرئيس لكن سنونو كان يخلع على نفسه السلطة . وفى إحدى المرات تأخر بوش عن اجتماع للوزراء فجلس سنونو فى مقعد الرئيس وكان ذلك مجرد تصرف غير لائق ولكنه كان يرمز للإحساس بأهمية الذات والمنصب عند سنونو وكوزير للدفاع كان تشينى يسيطر على طائرات هليوكوبتر أكثر من أى شخص آخر . فأمر أوينز أن يستخدم طائراتهم هم فى تلك الرحلة .

* * *

واتصل بندر بالملك فهد لإبلاغه وأراد فهد أن يتأكد من أن التهديد العراقى تهديد حقيقى . كان كلاهما يعلم أن الكويت قد تأخرت فى طلب العون من الولايات المتحدة لأن الكويتيين كانوا يشكون أن التهديد العراقى كان يستخدم كستار لدخول الأمريكيين إلى أراضيهم .

وقال بندر لفهد إن صور القمر الصناعى قد أكدت أن السعودية تتعرض لمتاعب خطيرة وأن التهديد حقيقى .

وسأله فهد : هل رأيت ــ بعينيك ــ هل رأيت الصور ؟

« نعم ياسيدى »

« اذن قل لهم أن يأتوا ويحضروا معهم الصور » .

* * *

# □ ١٨ □

فى صباح يوم السبت ٤ أغسطس طار كل من تشينى ، وباول ، ودولف ويتزر ، وشوارسكوف وعدد من القيادات العليا إلى كامب دافيد .

وكان تشينى مرتاحاً لخطة العملية ٩٠ ــ ١٠٠٢ . كانت الخطة الوحيدة التى فى حوزتهم ولم يشأ أن يوقف دوران العجلة فى خضم الأزمة .

وذهبوا جميعا إلى استراحة المتجع فى صالة الإجتماعات الجديدة .. بوش ، كويل ، تشينى ، سونونو ، وبستر وولف ويتز ، جلسوا على جانب من منضدة الاجتماعات (٢٥ قدما ) . وفى الجانب الآخر جلس كل من بيكر ، سكوكروفت ، باول ، شوارسكوف ، فيتنزوتر وريتشارد هاس . وقد وضعت نماذج لخمس طائرات صغيرة فى وسط المنضدة .

وافتتح وبستر الجلسة بآخر تقارير المخابرات وعادة لا يجد مدير المخابرات المركزية اهتماما كبيراً فى مثل هذه الاجتماعات لأن معظم القادة العظام يشعرون أن معظم حديثه هو ملخص للتقارير المرتبة ، والتحاليل التى وصلت إلى أسماعهم .

ولكن هذا الصباح تحدث تقريره عن نفسه ، أن هناك قوات عراقية قوامها ١٠٠,٠٠٠ جندى فى الكويت . وأن بعض هؤلاء الجنود العراقيين يقترب ويتجمع بالقرب من الحدود السعودية والشيء الوحيد الذى يقف حائلا بين صدام وحقول البترول السعودية هى كتيبة من الحرس الوطنى السعودى أقل من ١٠٠٠ رجل .

واستدعى تشينى باول الذى قال إن الجنرال شوارسكوف سوف يقدم خطة موسعة هى تطوير للخطة ٩٠ ــ ١٠٠٢ وشعارها « كن ــ قادرا » وهى ستحقق أهداف الدفاع أو صد الهجوم . وإذا قررت القيادة التحرك شمالا إلى الكويت منفذة نفس الخطة ، سيكون شعارها فى هذه الحالة : « كن قادراً ولكن مكلفا » وتحت أى ظرف فإن المزيد من الاحتياطى سوف يُستدعى ليساند هذه القوة على المدى الطويل .

وقال ملخصا : « هناك منظومة للردع وأخرى للقتال . وكلما أسرعنا فى وضع شيء للردع كنا فى وضع أحسن . وكل ما يمكن وضعه هناك بسرعة هو القوات الجوية والبحرية حسب

الأماكن المحددة لها وفى ظرف شهر يمكن أن يكون لنا جيش ميدانى فى العربية السعودية ولكن سوف سكون من الصعب رغم ذلك الاحتفاظ به هناك لمدة طويلة حيث لن يتبقى الكثير من القوات لأى مكان آخر فى العالم إذا ظهرت أزمة جديدة .

وذكّرهم باول بأن حجم القوات شيء هام جداً لمواجهة التهديد خاصة وأن المسافة بعيدة .. إن هذه ليست بنها أخرى .

وسأل سونونو والذى كان جالسا بين كويل ووبستر : وماذا عن حجم القوات الجوية العراقية الموجهة نحو سلاح الجو السعودى .

وأجاب شوارسكوف : إن لدى العراق ١١٢٧ طائرة وعددا قليلا من الطائرات الجيدة .. والطيران العراقى أساسا للدفاع » .

وقال الجنرال شارلز هورنر قائد قوات شوارسكوف الجوية إن السعوديين يمتلكون ٦٠ طائرة اف ــ ١٥ أمريكية ، ١١٥ طائرة اف ــ ٥ . أقل تطوراً .

وقدم شوارسكوف عَرضه قائلا : العراقيون يمتلكون جيشاً كبيراً .. قوة برية قوامها ٩٠٠,٠٠٠ مكونة من ٦٣ فرقة ولكن ٨ فرق فقط فى الحرس الجمهورى وهى محور اهتمامنا .

٥٧٤٧ دبابة منها ١٠٧٢ سوفييتية الصنع تى ــ ٧٢ ، معظمها فى الكويت الآن .

حوالى ١٠,٠٠٠ عربة مدرعة خفيفة ومنها ١٦٠٠ من النوع الحديث .

حوالى ٣٥٠٠ قطعة مدفعية ومنها ٣٣٠ قطعة ذاتية الإطلاق .

٣٠٠٠ وسيلة لنقل الدبابات .

وقال باول إن هذا العدد كبير جد إذا قيس بما تملكه الولايات المتحدة وهو ٥٠٠ وسيلة نقل مشابهة فقط .

وأضاف : أن سلاح الطيران العراقى لا يمثل قلقا بالنسبة لنا والبحرية ليست مشكلة .

وقال الجنرال إن قوة العراق تكمن فى قواتها البرية واسلحتها الكيمائية والتى استخدموها فى حرب ايران ــ العراق عام ١٩٨٨ ضد بعض مواطنيهم من الثوار الأكراد فى شمال العراق . ويتركز ضعفهم فى مركزية القيادة والتحكم مع الاعتماد على البلدان الأجنبية فى الحصول على قطع الغيار ، ونقص الخبرة فى العمليات فى العمق بعيدا عن الجبهة لأنهم معتادون فقط على حرب الحدود مثل ما حدث فى الحرب العراقية ــ الإيرانية .

وقال شوارسكوف : إننا نحتاج إلى ١٧ اسبوعا لكى نستكمل أدوات الردع للخطة ٩٠ ــ ١٠٠٢ ودفع ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٢٥٠,٠٠٠ من الجيش والبحرية والقوات الجوية ومشاة البحرية إلى المنطقة .

وقال : إن الأسلحة شيء ، والقدرة القتالية شيء آخر .. والعتاد الأمريكي أفضل ، والسيطرة الجوية والبحرية أيضا .. بخلاف عوامل أخرى لصالحنا مثل الحصار الاقتصادى ولكن جيش صدام المكون من ٥٠٠,٠٠٠ يمكنه أن يقاتل أى شيء تضعه الولايات المتحدة على الأرض فى المنطقة .

واستمر شوارسكوف فى التقليل من قدرة الولايات المتحدة قائلا : إن حوالى ٦٠ فى المائة من الجيش هو من الاحتياطى ومن المتوقع أن يكون هناك نقص فى الذخائر إذا بدأ القتال .

وتحول الحديث إلى إمكانية الحملة الجوية والذهاب هناك بالقوة الجوية فقط وهى تمثل التفوق الواضح لأمريكا .. فمن الممكن تجهيز عدة مئات من الطائرات فى زمن قياسى ! .

وشرح شوارسكوف أنه يمكن أن تتحرك هذه القوات فى ظرف أيام وأسابيع . وأعلن كل من تشينى وباول بكل وضوح أنهم غير مرتاحين إلى استخدام القوات الجوية فقط .

وشعر باول بأنه حقق شيئاً على الأقل ، فهاهو تشينى أصبح مؤمنا بالقوات الأرضية ، وهو ما كان لا يصدقه من قبل .

أصبح تشينى يرى أن القوات الأرضية هى السند الأساسى للقوات الجوية . وشعر أنه من الضرورى أن يتناولوا الموضوع بطريقة مدروسة لكل مفردات الحملة ، سواء أكانت دفاعية أو هجومية . ويمكن أن يكون تفوق أمريكا الجوى هو المطلوب ويؤمل أن يكون كذلك ولكن ليس هناك أحد يمكنه التأكد من ذلك . بالطبع فيمكن للقوات الجوية أن تقول إنها سوف تتكفل بكل شيء ولكن أى دفاع أو هجوم يجب أن يشمل قوات مقاتلة أرضية كذلك .

ووجه تشينى نظرهم إلى احتمال استخدام قوات دفاعية أرضية . وتساءل : وماذا عن أسلحة العراق الكيماوية ؟ وهل يمكن للقوات الأمريكية أن تعمل وهى تحمل الأقنعة الواقية خلال شهر أغسطس فى العربية السعودية ؟

وقال شوارسكوف : إن كل الوحدات التى يمكن أن تقاتل قد تم تدريبها فى المركز الوطنى للتدريب فى صحراء كاليفورنيا تحت نفس ظروف الصيف المماثلة ؛ وأن المعدات غير مريحة ولكننا تعرفنا كثيرا عليها .

وعندما اتجه الحديث ثانية حول إمكانية الحملة الجوية حذر تشينى « من دروس التاريخ فإن الحملات الجوية غالبا لم تحقق النتائج المرجوة منها » .

وقال شوارسكوف « اننى لست من دعاة القوة الجوية فقط » وأضاف قائلا : « إن هناك أربعة عوامل متميزة تجعل التفوق الجوى مهماً فى هذا الخصوص : أولا : أننا سنرى الأهداف بوضوح ، ثانيا : أن العراقيين ليست لهم خبرة فى العمل تحت القصف الجوى . « وفى خلال الثمانى سنوات فى الحرب الإيرانية ـــ العراقية لم يستخدم الايرانيون قوات جوية وتعود العراقيون على القتال تحت

سماء صافية » .

واستمر شوارسكوف « إن هذا يمكن أن يحدث فوضى .. وثالثا : إن الدينا ذخيرة متطورة وصلت إلى حد من الدقة لم يسبق له مثيل .. رابعا : التأثير الأخلاقى والمعنوى على العراقية خلف الجبهة وهم لم يتعرضوا لمثل هذا الخطر فى الماضى .

وقال شوارسكوف : ولكن لا يوجد هناك ضمان .

وأضاف : أنه يرى الأمر كله كنوع من الردع ، لإيقاف صدام قبل وصوله إلى السعودية « إذا أردت أن تردع فلا تصنع دفاعاً مزيفاً أو لا تخلق ردعاً مزيفاً » . إنك أمام واحد من أكبر جيوش العالم ويجب أن يُقاتل بقوة أرضية يجب أن تكون حقيقية وأن تعمل بطريقة صحيحة » .

وكان هناك بعض الاعتبارات منها أن القتال قد يُعرض الأماكن الإسلامية المقدسة فى السعودية للخطر . وهو ما قد يهز العالم العربى فى مكانين بالسعودية يجهلهما المسلمون : مكة التى ولد بها النبى محمد والمدينة التى دُفن بها .

وتساءل سونونو : « أين مكة ؟ »

ـــ مكة تقع على الجانب الآخر من السعودية وعلى بعد ٧٠٠ ميل شمال غربى الكويت .

وقال شوارسكوف : ان السعوديين يتساءلون إن كنا حقيقة جادين .

إننا يمكننا فعل الكثير فى الجو ولكن حقيقة نحن بحاجة لقوات أرضية . إن الطيران يعمل بسرعة ولكن هذه الخطة ستكون ثقيلة جداً على سلاح الجو .

وقال تشينى إن الأمير بندر قلق حول إرسال الولايات المتحدة لسرب واحد مقاتل .

وتدخل بوش فى المناقشات قائلا : إن قلقى نحو السعودية أنهم الذين سوف يخرجون فى آخر دقيقة ولا يقبلون نظام « دُمى » فى الكويت ويجب أن نسألهم عن مدى ارتباطهم معنا .

وقال لشوارسكوف « إنها مشكلة البيضة والفرخة إنهم لن يذهبوا إلى الجبهة إلا إذا تأكدوا أننا معهم ويعتمدون علينا » .

وأجاب الرئيس « ولكن هذا يشبه أن بلادك على وشك أن تُهاجم .. فإنك تمسك بشوكة وتذهب إلى الحدود » .

وقال شوارسكوف : « ولكن هذا هو الشرق الأورسط » .

وذكرهم بأن الكويتيين لم يتأهبوا عندما كانوا مهددين وقال الرئيس : وماذا عن الانسحاب ؟ مشيرا بذلك إلى البيانات التى صدرت عن العراقين بأنهم سوف ينسحبون خلال يومين .

وقد أجمع الكل بأن هذا البيان يُمكن أن يكون كافياً بأن يجمد كل شىء فى البلاد العربية وسيقولون إن كل شىء سيكون على ما يرام ويرفضون أن لا تتدخل الولايات المتحدة .

وقال شوارسكوف « لاتقللوا من صدام حسين . إنه يمكنه سحب فرقة ثم يعتذر للسعودية » . وهكذا عادوا إلى مناقشة الأسئلة التى لم تجد جوابا ماذا يريد صدام حسين ؟ وماهى تحركاته التكتيكية ؟ وماهى أهدافه النهائية ؟

وقال سونونو : « إن هناك ثلاثة أشياء يريدها العراقيون من حكومة الدُمى « مسرح العرائس » .. أولا : الأموال ، ثانيا : التنازل عن الديون ، ثالثا : التحكم فى البترول . » .

وقد قام شوارسكوف بتصحيح ما قاله بعض الشىء موضحا أن الأوضاع مثل الغزو كانت فى حالة غليان وأن الاتفاق على الحدود كان لصالح العراق مقابل التنازل عن الديون ودفع ٤ بلايين دولار والتحكم فى جزيرتين كوتيتيين هما وربا وبوبيان فى الشمال الغربى من الخليج ولقد هدد صدام سكان الجزيرتين بإنهما تعوقان العراق عن الوصول إلى الخليج .

وعن سؤال عما إذا كانت العراق ستنسحب ؛ قال شوارسكوف : « لقد أرسلوا قوات خاصة كبيرة فى ملابس مدنية وربما كان يخططون أن يتركوه فى الخلف » .

وقال باول « وحتى إذا انسحب العراقيون . فسوف يكون هناك أمير آخر وأوضاع أخرى » . وأوضح باول أن رئيس الدولة الكويتية سيكون رجلا آخر وسوف تتغير الأوضاع الراهنة فى الكويت وفى كل مكان فى المنطقة إلى الأبد » .

وقال سكوكروفت : « إن هذا المخطط سيكون جذاباً جداً للجامعة العربية . ان اجتماعات الجامعة العربية كانت عادة مناسبة لإظهار الوحدة العربية والقبلات .

وقال شوارسكوف : الكويت ليست محبوبة بين العرب . وفى النهاية قال بوش « ولهذا السبب فإن دفاعنا عن العربية السعودية يجب أن يكون هدفنا » .

وشعر باول بالسعادة لأن الرئيس يبدو متفقاً معه . ولكن لم يكن متأكدا مما سوف يقرره بوش .

وعلقت الجلسة ولكن كبار المسئولين : بوش ، كويل ، سونونو ، بيكر ، سكوكروفت ، تشينى ، باول ، وبستر ظلوا فى أماكنهم وفى هذه المجموعة الصغيرة قُدمت بعض تقارير المخابرات عن السعودية وغيرها وعن الأصدقاء والحلفاء فى المنطقة للولايات المتحدة ولكن المشكلة أن صديق اليوم قد يصبح عدو الغد فالصداقة مسألة نسبية . وعلى أية حال فإن وكالات المخابرات كانت تعمل وتسعى إلى اصطياد كل شىء وكانت المعلومات عن الأصدقاء متاحة أكثر منها عن المحايدين أو الأعداء لأن الولايات المتحدة مدت وسائل الاتصال إلى كثير من الحلفاء المشتركين معها فى موجات أثيرية واحدة . ولجمع هذه المعلومات استخدمت وكالات المخابرات كل شىء بدءا من الطرق البسيطة مثل تسجيل المكالمات التليفونية إلى الأكثر إثارة مثل القياس الإلكترونى لذبذبة

نوافذ المبانى لالتقاط المحادثات التى تجرى بالداخل .. إلى المصادر البشرية المندسة داخل الحكومات الصديقة .

وأوضح تقرير المخابرات أن زعماء السعودية خائفون . وكما حدث فى الماضى يبدو أنهم مستعدون الآن أيضاً لشراء أنفسهم بعيداً عن التهديد بتقديم بلايين الدولارات من عوائد النفط إلى صدام حسين . كان السعوديون على استعداد لدفع ثمن الابتزاز .

ومن بين ما جمع عن العرب وكان مثيرا للتشاؤم بصفة عامة أن الكل كان يلومهم لأن لا يمكن الاعتماد عليهم وان الولايات المتحدة لها قدرة محدودة ولا يمكنها أن تساعد الذين لا يريدون مساعدة انفسهم . وبالرغم من هذه المذكرة السلبية التى أنهت الاجتماع فقد تقرر أن يطلب الرئيس بوش الملك فهد ليسمع منه .

وترك تشينى وباول كامب دافيد فى موعد الغداء وذهب تشينى إلى مكتبه فى البنتاجون حيث كان ينتظره بعض مساعديه وهم فى شوق لسماع ما حدث . وسألهم ضاحكاً : ماذا بحق الشيطان تريدون ؟ ولم يعط أى تفاصيل وجمع بعض الأوراق وذهب إلى منزله .

* * *

وبقى سكوكروفت مع الرئيس فى كامب دافيد بينما كان الرئيس يطلب مكالمة الملك فهد . لقد كان وقتاً لممارسة بعض الضغوط .. وقال بوش للملك : بأن صدام يعبىء القوات بالقرب من حدود المملكة ، وان السعودية يجب أن تتحرك .

وقال فهد : إن السعودية لا تريد قوات أرضية للدفاع عنها . وكل ما يطلبه السعوديون فقط هو المساعدة بقوات جوية وربما بعض العتاد . وقال له : إن الأمير بندر قد أبلغه فى اليوم السابق ملخصا من البنتاجون . وقال الملك فهد للرئيس بوش « إننى افهم أنك سوف ترسل فريقاً ليخبرنى بآخر الأوضاع وما هى قدراتكم لمساعدتنا للدفاع عن أنفسنا » أين هذا الفريق الذى سوف ترسله ؟ ولم يكن عند بوش أى فكرة عما يتحدث عن الملك أنه لا يعرف أى شىء عن مثل هذه الخطة . إنها لم تُناقش مع أى من مستشاريه .

وقال الرئيس للملك فهد « إننى لم أعلم أنك تنتظر هذا الفريق ؛ ولكننا سنقوم بتجهيزه » .
وقال فهد « نعم » .. إنه يريد فريقاً من الفنيين أو المديرين من درجة عادية .
وبعد ذلك تحقق كل من بوش وسكوكروفت بأن فكرة الفريق كانت فكرة الملك ولقد وافق بوش عليها . ولم يكن واضحا أى نوع من الناس يكون الأحسن . من يجب أن يُرسل ولأى غرض ؟ ومتى ؟ واستمرت بعد ذلك المكالمات التليفونية عندما تشاور بوش وبيكر وسكوكروفت مع آخرين عن الإمكانيات .

وأجاب تشيني بأن كل ما قيل لبندر فى اليوم السابق هو كلام عن فريق عمل مشترك لمعرفة أين ستصل القوات الأمريكية إذا دُعيت .

وساد اعتقاد بأن بندر ربما ذكر فكرة الفريق إلى سكوكروفت ولكن سكوكروفت لم يتذكر . وقال بوش لسكوكروفت : « إننى أريد أن تنفذ هذه الفكرة وأريدها بصورة كبيرة . إننى أريد أن أرسل مبعوثا بصفة شخصية إلى هناك » .. لقد أراد الرئيس أن يستخدم الفريق ليزيد الضغط على الملك فهد .

وأشار بوش إلى احتمال إرسال سكوكروفت . إن فكرة إرسال طاقم مرموق سوف يجعل من الصعب على الملك أن يتأخر أو أن يرفض . وواصل بوش اتصالاته الدبلوماسية وتحدث مع الرئيس تورجوت أوزال رئيس تركيا ورئيس وزراء كندا بريان مولرونى وهما زعيمان وقفا وقفة معارضة لغزو صدام .

وتحدث بوش أيضاً مع أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح والذى قاد الأسرة الحاكمة الكويتية من عام ١٩٧٨ . وكان الأمير قد هرب فى سيارة إلى السعودية قبل دقائق من وصول الجنود العراقيين إلى قصره لكى يأخذوه أسيرا أو يقتلوه . كان بوش مجاملاً مع الأمير وعاطفيا ، وأقسم للحاكم الكويتى بأن الولايات المتحدة سوف تساعده لإعادة بلاده إليه وأنهم سيعيدونه إلى السلطة .

* * *

وعندما سمع باول المحادثة بين بوش وفهد عن « الفريق » رأى فى الحال بصمة يد بندر الذى كان يعمل من نفسه . إن بادرة بوش للمساعدة واقتراح تشينى بأن ينظم شوارسكوف عملية محتملة لا تكتملان إلا بقرار من الملك فهد . وما فعله الأمير بندر أسماه باول « الارتباك المريح » .. أى ارتباك الأمير الذى كان مريحاً لهم .

وكان السؤال الذى شغل بوش ليس فقط من سيرسل ولكن ماهو بالضبط الذى سيقدمه لفهد . لقد أبدى الملك عدم رغبته فى قبول قوات برية وهى جزء حيوى من خطة شوارسكوف ٩٠ ــ١٠٠٢ .. فماذا سيفعل بوش ؟

وكان شوارسكوف قلقاً لأن الفريق سوف يواجه بالفشل وعقد سلسلة من المحادثات مع بندر وقال له : ان الرئيس بوش سيحدد مستوى الفريق حسب حجم ما سيقبل السعوديون .. فهو مثلا يمكن أن يرسل تشينى لو كان فى نيتكم قبول قوات أمريكية . وبمعنى آخر هل يمكنهم التأكد لكى يقرروا من سيرسله الرئيس . ؟

وقال بندر : إن الملك لا يزال غير مستعد وأنه سيعود إلى العربية السعودية ليجتمع بالعائلة

المالكة . ووعد بأن يتصل بسكوكروفت بعدما يتحدث مع الملك . وفى الوقت نفسه قرر بوش أن يرأس تشينى الوفد إلى السعودية وكوزير يمكنه أن يتحدث فى الأمور العسكرية بكل ثقة .

وفى الساعه ٣ مساء طلب سكوكروفت تشينى فى منزله وقال له : إن الرئيس يطلبك لتكون رئيس الفريق المتجه إلى السعودية ولكن هناك بعض الشكوك حول إمكانية قبول الملك فهد لشخصية مثل تشينى لأنه سيكون مستحيلاً تماما أن يقول الملك لا . وبعد ساعة طلب تشينى متحدثه الرسمى بيت ويليامز والذى كان فى منزله يلمع سيارته وطلب منه أن يجمع حقائبه لأنهم ذاهبون إلى السعودية فى اليوم التالى . وقال تشينى « إننى لست متأكدا أننا ذاهبون ولكن يبدو أننا ذاهبون وسوف نعرف بالتأكيد غداً الساعة العاشرة » .

* * *

وجمع ويليامز حقائبه وذهب إلى البنتاجون يوم الأحد صباحاً ليكون جاهزا فى الساعة العاشرة صباحا وقرأ صحف الصباح ووجد ذلك فى صحف الأحد . واستدعى شوارسكوف من فلوريدا مرة ثانية ووصل إلى مكتب وزير الدفاع ، وبينما هم ينتظرون كلمة من السعودية جاء سكوكروفت إلى البنتاجون . وكان تشينى يواصل دراساته عن العراق ودعا فريقا ما الخبراء لتلخيص الموقف . وكان الفريق يتكون من رئيس المخابرات الحربية بات لانج والسفير السابق للعراق دافيد . نيوتن وغيرهما من الخبراء .

ركز لانج على الجيش العراقى بينما تناول نيوتن الوضع الداخلى فى العراق .

قال لانج : « إذا قال لك أى امرىء إن العراقيين غير قادريين لاتصدقه . إنهم شديدو البأس . يستطيعون التوجه بثقة « للظهران » ( مدينة بترولية على الساحل الخليجى السعودى ) . صدام لا يخادع » . صدام لديه الكثير من أحدث المعدات العسكرية .

قال تشينى : إنه يود أن يعرف ماهى العراق وماهو صدام « أود أن أعرف كيف يبدو هذا الأمر للجانب العراقى » .

تحدث السفير نيوتن « حوالى ثلاثين دقيقة ، لقد عمل سفيرا بالعراق منذ عام ١٩٨٤ حتى عام ١٩٨٨ ويعرف الكثير عن العراق . كان على إلمام تام بأن تشينى وغيره من الساسة الأمريكيين يفتقدون للتقارير المباشرة عن كيفية صناعة قرارات صدام .. المخابرات الأمريكية لديها مصدر واحد فى الدائرة الخاصة لصدام ولكنه لا يحضر الاجتماعات الدورية لمستشارى الرئيس العراقى . لم تكن هناك معلومات داخلية حقيقية .

لقد أدهش الغزو نيوتن : « حين أكد بعض قادة العرب مثل الملك حسين ومبارك بصورة قاطعة ، لقد أخبرنى أنه لن يفعل هذا ، كانت هناك مبررات للاعتقاد بأنهم على حق . وللعرب

فيما بينهم ناموس يدفعهم لتصديق كلمة الشرف بصورة مطلقة . ولقد انتهى نيوتن « إلى أن حشود القوات العراقية على الحدود ليس سوى ديبلوماسية ضغط . وهو ما يعنى الآن أن الولايات المتحدة قد تسقط ضحية « لأعراض الرجل العقلانى » وهو ميل لتحليل القادة الأجانب كما لو كانوا صانعى قرار شديد العقلانية . وفى حالة كالعراق لا تصلح هذه الطريقة للتنبؤ .

أخبر نيوتن ، تشينى : إن صدام « قاسٍ ، لا يرحم ، صعب المراس ، ذكى وفى بعض الأحيان قائد وحشى معتاد على فرض ما يريد » تاريخ صدام السياسى يؤكد التصفية الجسدية . وهو لا يحتمل المعارضة السياسية ولقد مثل بكثير من المعارضين — وبالرغم من هذا فإن نيوتن يعتقد أن بعضاً من القصص حول عمليات الإعدام التى قام بها صدام مبالغ فيه ، وقال انه مادام معظم العراقيين يعتقدون أن الكويت جزء من العراق ، فإن عملية الهجوم والاغتصاب التى سيقوم بها صدام ستحظى بشعبية ولكن فى كل الأحوال ليس الرأى العام هو الذى سيحدد ما سيقوم به صدام .

واضاف نيوتن : إن صدام يؤمن بالاستخدام العملى للقوة . إنه لا يبالى بمعاناة الآخرين ويبرر أفعاله بأنها تخدم الهدف الأسمى لدولة العراق . إنه متوحش . وقد تكون العراق أُجهدت من الحرب وتحتاج لحصن من السلام ، والجندى العراقى الذى يقاتل منذ ١٠ سنوات يود العودة للوطن ولكن الجيش العراقى لا يشكل ضغطاً .

نيوتن الذى التقى بصدام أربع مرات يقول إن الرئيس العراقى يعتقد أنه أصلب من الولايات المتحدة وهو لا يحترم الديمقراطية .

الخبراء أيضا أخبروا تشينى وسكوكروفت أن صدام ليس ضعيفاً ولا انتحاريا ؛ وغايته القوة ولديه المرونة ومهارات شخص يحاول تضخيم قوته .

سكوكروفت تحدث تليفونيا مع بندر والذى عاد للسعودية حاليا . مستشار الأمن القومى يشعر أنه من الضرورى تواجد فريق على أعلى مستوى بالمنطقة ولابد أن ينجح لأنه لو فشل فسوف يعد هذا بمثابة دعوى لصدام للغزو . وسوف يعنى هذا ضمنيا للزعيم العراقى أن الولايات المتحدة والسعودية لا تقفان معا وأن الولايات المتحدة لن تساعد أو تحمى السعوديين وأن السعوديين لا يرغبون فى مظلة الحماية الأمريكية .

وقرب الظهيرة ألمح بندر لسكوكروفت أن الملك لن يقبل أى مسئول على مستوى تشينى . الملك يريد امرءو أقل فى الدرجة منه ربما حتى يصبح الرفض أيسر . وكان هذا ما يخشاه سكوكروفت . ولكن بوش قرر إرسال أى شخص على كل حال . واتفق على إرسال الجنرال شوارسكوف الذى كان عليه أن يحضر معه بعضا من مساعديه ثم يسافر لفلوريدا للمرة الثالثة فى غضون أربعة

أيام ويأخذهم ويتوجه مباشرة من هناك للسعودية فى طائرته الخاصة .

وجاءت تقارير المخابرات لتقول : إن صدام لايسحب قواته من الكويت على العكس يدفع المزيد منها إلى هناك .

* * *

فى السعودية قيل لبندر إن الملك قد أمر صواريخ «سكوت» السعودية بعبور الحدود للكويت لاستطلاع القوات العراقية التى أشار إليها بندر وقد عادت بلاشيء أى لا يوجد أى أثر لحشود عراقية تتجه للمملكة . وأوضح بندر مرة أخرى للملك أنه قد علم بتقدم طلائعهم .. كانت هناك مناقشة بين مستشارى الملك الذين أعربوا عن شكوكهم كثيرا .

قال بندر : إن الملك عليه أن يرى لنفسه واضاف : إن الشكوك أدعى بأن تكون سبباً لمنح الموافقة للفريق الأمريكى على تقديم عرضهم وعليهم أيضاً أن يقبلوا تشينى وليس أى ممثل أقل منه .. أخيراً وافق الملك فهد .

اتصل بندر بسكوكروفت واخبره بالموافقة على بعثة تشينى ودهش سكوكروفت لتغيير موقف السعودية وشعر بندر بأن سكوكروفت فى حالة ذعر ، لأنه يخشى أن تؤدى أى خطوة يتخذها السعوديون للأمام إلى تراجعهم ٣ خطوات إلى الوراء ، ويخشى من أسلوبهم فى التردد بين الأمام والخلف .

اتفق كلاهما على أن هذا لا يعنى بالقطع أن الملك قد اتخذ القرار الأكثر أهمية وهو الموافقة على القوات الأمريكية .. لا يستطيع بندر تقديم تأكيد تام بهذا . ولكن فى نهاية الحوار شعر سكوكروفت أن عليهم المخاطرة وإرسال تشينى .

ووافق الرئيس .

اتصل سكوكروفت بتشينى مرة أخرى وقال له « سيقبلونك .. اذهب » .

وحددت الساعة ٢,٣٠ من مساء هذا اليوم للسفر . وصاحب تشينى شوارسكوف ونصف دستة آخرين .

قبل أن يسافر تحدث تشينى مع بوش الذى كان ما يزال فى كامب ديفيد والذى قال له : « لا وقت للتعليمات الرسمية الكتابية » وحدد الرئيس المهمة شفاهة .. اجعل الملك يوافق على القوات الأمريكية وقال له : احصل على هذه الدعوة .. شجعه عليها . أكد له أننا سنلتزم تماما بالدفاع عنه ولن نخذله .. قل له : لو أن الملك فهد دعا القوات الأمريكية سوف يرسلها بوش فى جحافل وسوف تبقى حسب مقتضيات الضرورة ولكن ليس أطول من المدة التى تحددها السعودية .

باول لم يعرف بأن تشينى سافر للسعودية إلا عندما كان تشينى فى الجو .

وهو يعيد أحداث الأيام القليلة الماضية فى ذهنه ولكن يصعب عليه التحديد بدقة حتى قرر الرئيس أن هذا التحرك الحيوى هو ما يريده فعلا . لم تكن هناك ورقة تُسمى بالقرار أو بدائله أو لم تكن هناك تصريحات واضحة حول الأهداف . الشيء الوحيد الواضح كان أن الرئيس شديد الاهتمام وربما بانفعال بمصير السعودية .

شعر باول بأنه لعب دوره المناسب مخططاً كل ما يلزم كى يكون الأداء سليما : الحشود الأرضية ، القوى الحيوية ، خطة العمليات ١٠٠٢ — ٩٠ .

وكان شوارسكوف فى طريقة للسعودية مع تشينى وهو يحمل نسخة من الخطة والتى تعرض انتشار ٢٥٠ ألف من القوات والطيارين والبحارة .

هذا المساء كان باول يتابع قناة سى . إن . إن . وبوش عائد من كامب ديفيد ينزل بطائرته الهليكوبتر فوق البيت الأبيض .. ذهب بوش للميكروفون ليعلق على النشاط الديبلوماسى .. قال للصحفيين إنه تحدث مع رؤساء تركيا ، اليابان ، كندا ، فرنسا ، ألمانيا ومع أمير الكويت المعزول حالياً . قال الرئيس ما توصلنا إليه أنه لا أحد أظهر قبولا لأى شيء أقل من الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت ودون فرض نظام « دمية » .

سأله أحد المراسلين : « هل ستتحرك عسكرياً ؟ » .

قال لن أناقش معك اختياراتى الحالية أو ما يستجد عليها ولكنها واسعة تماماً ، أؤكد لك هذا » . كان واضحاً أن بوش غاضب « لقد كذب العراق مرة أخرى » .. لقد قالوا إنهم سينسحبون اليوم وليس لدينا أى دليل على تحركهم » .

وحين ضغط عليه المراسلون رد بحدة : « فقط انتظروا ، راقبوا وأدرسوا » . ومحركا إصبعه فى غضب وأضاف : « أرى بكل الجدية إصرارنا على قلب هذا العدوان الذى لن يدوم .. هذا العدوان على الكويت لن يدوم » .

اللعنة ، هكذا قال باول لنفسه . لقد أعلن الرئيس صراحة عن هدف جديد ليس فقط حماية السعودية من أى عدوان ولكن ردع غزو الكويت . صُدم باول أنه لم يستشر وبوش لم يتحدث معه منذ مقابلة صباح أمس فى كامب ديفيد .

حقيقة أن بوش قال فى أول يوم بعد الغزو إنه يريده أن يرتد ولكن لم يناقش ذلك والآن هذا هو تصريح شخصى وانفعالى .. يزيد الورطة .

لقد سبق لباول أن رأى رؤساء ينزلون من الهليكوبتر ويتعلمون بدون تفكير . وأحيانا كان ما يقولونه صدفة وأحيانا كان مقصوداً .. فهل ما قاله بوش صدفة أم مقصود .. وقال باول فى نفسه : ربما أشار عليه بذلك بيكر أو سكوكروفت أو تشينى أو أى شخص آخر ؟ أو ربما يكون

أمرا قد أمعن الرئيس التفكير فيه . ولكن باول كان يعرف بصورة قاطعة أن ذلك شيىء لم يشارك هو فيه . فلم يكن هناك اجتماع لمجلس الأمن القومى ولا مناقشة حول هذا الأمر ، و لم يستطع رئيس الأركان أن يفهم حدد الرئيس هذا الهدف الأصعب .. إن منع صدام من الذهاب لبلاد أخرى مثل السعودية شيء ولكن رد غزو قد تم بالفعل شيء آخر تماما . والفرق بينهما باللغة العسكرية ، كالفرق بين النهار والليل .. الدفاع عن السعودية يمكن أن يتحقق بدون حرب . ولكن تحرير الكويت لا يمكن أن يكون بدون حرب . إن بناء قوات أمريكية كفيل بطرد صدام من الكويت ؟ .

هل أخبر شوارسكوف بوش أن رد الغزو يعتبر أصعب مهمة عسكرية يمكن تخيلها وباول القائد العسكرى الأول لم يمنح الفرصة لتقديم تقديراته .

هذا التصريح الغاضب كان أكثر مما توقعه باول من بوش ، تعجب باول للمسافة التى قطعها بوش فى ثلاثة أيام .. وبالنسبة لباول بدا الأمر كما لو أن الرئيس لديه ستة قذائف يطلقها بكلتا يديه .

* * *

ذهب باول فى هذا المساء للبيت الأبيض لحضور اجتماع مجلس الأمن القومى . بدا له بوش رئيساً محدداً فهو يتقدم تدريجياً وقد عقد العزم . لو حصل تشينى على دعوة فسوف يدخل الرئيس السعودية . وحاول باول أن يقدم نصائحه ، فصاغ كلامه فى أربع نقاط :

* صدام لا يريد ولا يستطيع الصمود لحرب مع الولايات المتحدة . إنه متحجر القلب ولكنه ليس بعيداً عن المنطق . إنه يستطيع أن يرى أنه سيخسر تماما أى مباراة مع القوة الأمريكية الفائقة وعليه لابد من تواجد قوات هناك .

* وكما سبق أن قال لابد وأن ترسل قوات كافية لا قوات للدفاع الكاذب . عمليات الخطة ١٠٠٢ / ٩٠ سوف تضمن السيطرة على الجو والبحر . القوات الأرضية لابد وأن تضخم العديد من الوحدات الثقلية حتى تصبح مانعاً كبيراً وقوة حربية هائلة .

* قوة تتحدث عن نفسها .. مثل أفراد الفرقة ٨٢ المحمولة جواً والمعروفة باسم الطائر الأزرق لابد وأن ترسل فوراً كدليل على الالتزام .

* الانتشار لابد وأن يكون مرئياً حتى يراه صدام ويعرف أن أى عدوان على السعودية سوف يضعه فى معركة مع الأمريكان .

بدا بوش معجبا بنقاط باول ولم يعترض عليها وقال : لتؤدِّ المهمة بكل ما تستلزمه .

تقارير المخابرات بدت لباول متصاعدة فى الهيستريا وكلما أبدوا اهتماما أكثر كلما قل احتفاله بنفسه . كان باول يعتقد أن صدام يقامر . فالزعيم العراق يعتقد وأنه يمكنه التمكن من الكويت

ويعتقد أن هذا يستحق المغامرة . كانت الكويت هدفه ــ صغيرة وضعيفة وثانوية فى تفكير المنطقة . كانت ثرواتها مصدراً للامتعاص لدى المحرومين فى العالم العربى . وصدام لابد وأن يعرف أن السعودية مسألة مختلفة تماما . غزو السعودية سيكون تجاوزاً ، سيكون اعتداء مباشر على دول الغرب المعتمدة على البترول .

بيكر أيقن شأن باول أن لا مناقشة حول الانتشار . وبالمثل لم تكن هناك مناقشة حول مستوى القوات . الانتشار قرره بوش ومستوى القوات حددته خطة العملية ١٠٠٢ / ٩٠ .

يفضل بيكر حل المشكلات بالتفاوض والمباحثات وكان يسير سيرا حسنا فى مباحثات الحرب الباردة ولذا كان يتطلع لفرصة لاستخدام الدبلوماسية فى هذه الأزمة الجديدة .

مؤخراً أعرب بيكر عن قلقه للعديد من أقرب معاونيه أن البيت الأبيض متعجل ولا يفكر جيداً فيما يفعله . كان يعتقد أن أمن السعودية حيوى وأن المخابرات تؤكد أنها مهددة ولكنه أيضا يعرف تحرك الجيوش والجموع الأولى التى ستصل ستكون فقط عدة آلاف وكان لديه تحفظات شديدة وقال « هؤلاء الشباب يمكن أن يذبحوا لو أن صدام هاجمهم » !

# □ ١٩ □

طائرة تشينى طراز الجيت الحديثة والمريحة شديدة الشبه بطائرة نائب الرئيس « رقم ٢ — قوات جوية » تركت القاعدة « اندروز » حوالى الثانية والنصف مساء ذلك الأحد وكان يرافق تشينى الجنرال شوارسكوف الذى قام برحلته الرابعة بين واشنطن وفلوريدا فى غصون خمسة أيام وبوب كايتس من مجلس الأمن القومى وبنل ولفويتس وكيل الوزارة للشئون السياسية وبيتر وليامز ، وتشارلس فريمان وهما سفير الولايات المتحدة فى السعودية ومسئول الخدمات الأجنبية والذى يتحدث العربية ، وخبير المخابرات الأمريكية من المركز القومى للتفسير الفوتوغرافى ومعه أحدث الصور التى التقطتها الأقمار الصناعية وأكثرها سرية .

كان رجل المخابرات الأمريكي معنياً تماماً بالأمن حتى أنه تصرف كما لو كان سيجرى عملية جراحية .

قال تشينى إنه يود أن يجرى عرضاً لما سيقدمونه أمام الملك فهد . سوف يبدأ هو بملاحظات عامة ثم يقوم رجل المخابرات بتقديم ملخص للملك عن كيفية إتمام الغزو وإمكانيات القوات العراقية المحتشدة بالقرب من الحدود السعودية .. أما شوارسكوف فسوف يعرض ما يمكن للولايات المتحدة أن تفعله حتى تحمى السعودية ثم يختتم تشينى العرض بموجز ختامى .

قال تشينى إنه خطط لقول التالى : إن الولايات المتحدة لديها علاقة عريقة بجلالتكم والمملكة السعودية سوف نأتى فقط عندما تريدوننا .. وسوف نأتى للمدة التى تحددونها .. لسنا قادمين لتأسيس وجود عسكرى دائم ، ولكننا سنبقى حتى ننتهى من مهمتنا وهذا الوجود لن يكون وجوداً هامشياً أو ضعيفاً .. إنه سيعكس التزام الرئيس بالدفاع الكامل عن وطنكم ولن نمارس ضغطاً عليكم ولامناورة .

أخرج رجل المخابرات دستة من الصور وبدأ فى شرحها كانت تعرض صفوفاً لمئات الدبابات العراقية المخبأة فى الصحراء وأمامها وعلى جانبيها مانع ترابى وكان تثبيت وإخفاء الدبابات بهذه الصورة هو السياسة الدفاعية المثلى .. ولكنها تستطيع التحرك بسرعة إذا ما قرر العراقيون القيام بعدوان سريع . هناك تقريباً سبعون ألفا من جحافل العراقيين بالقرب من الحدود السعودية أو

فى الطريق إليها وتظهر الصور أيضاً سبعة صواريخ أرض أرض على منصات منتشرة خارج الكويت وموجهة جنوباً للسعودية .

أيقن تشينى أن عرض رجل المخابرات لن يدفع بالعالم للحرب .. فالفصل الأول من النظام العالمى الجديد لايجب أن يبدأ برجل مخابرات يعرض براعته فى قراءة الطالع من بعض الصور الجوية فالتفسير الفوتوغرافى موضوع غامض وغير مقنع ، الخبراء وحدهم هم القادرون على تفسير معانى النقاط والظلال .. إنه عرض لن يؤثر فى الملك « فهد » .

قال تشينى : إن شوارسكوف الذى سيقول ما عنده للملك فهد ، وسيدمج فى كلامه ملاحظات الصور الجوية التى كان سيعرضها رجل المخابرات الأمريكية .

بالنسبة لشوارسكوف كان لديه مجلد أزرق بسمك ثلاث بوصات يحمل عبارة : « سرى جداً » يحتوى على خطة العمليات ١٠٠٢/٩٠ وحين فتحه الجنرال ذهب تشينى لمقصورته فهو على علم مسبق بما فيه .

هذا ماحدث فى اليوم الذى ضغط فيه الرئيس على إشارة بدء العملية .. وفى الطائرة قال شوارسكوف إن الخطة تقضى بإرسال طائرات إف ــ ١٥٥ فى اليوم الأول ، ثم تنتشر فى القوات البحرية والجوية المختلفة وسيحتاج الأمر سبعة عشر أسبوعاً لتنفيذ الخطة وإن كان من الممكن توقفها عند أية نقطة ويقول شوارسكوف « إن أحد دروس بنما هو إرسال قوة كبيرة وتكوينها بسرعة ولكن بسبب المسافة الكبيرة حتى الشرق الأوسط وحجم القوات المرسلة سوف يستلزم الأمر مائة وعشرين يوماً » .

لم تكن هناك مناقشة لبدائل لم يعرض أى منها . لاحظ وليامز أنه بمجرد أن فتح شوارسكوف ذلك المجلد الأزرق الصغير حتى تصفحه الجميع على عجالة . اتصل البيت الأبيض وأبلغهم أن بوش قد أعلن تصريحا عاما ومطلوب من تشينى أن يحصل على نسخة منه فقام وليامز بتدوينه ثم قرأه لتشينى وكان هو تصريح الرئيس الذى يقول فيه « إن هذا لن يستمر » والذى يحمل تعهده برد الغزو .

ــ حسناً هكذا فكر تشينى ولكنه لايملك أى قوات برية لمنع صدام من الاتجاه للسعوديين ناهيك عن رد الغزو .. كان ذيل القميص الأمريكى يرفرف وتشينى يود التركيز على المشكلة الراهنة ، وهى الدفاع عن السعودية .

كان الوزير يود صقل عرضه . دعا لمقصورته كلاً من كايتس والسفير فريمان على انفراد ثم كمجموعة وأكد كل منهما أن تشينى يسبح ضد تيار قوى . لم يسمع أبدا أن السعوديين يمكنهم طلب قوات من الولايات المتحدة . قال كايتس إن تشينى سوف يطالب السعوديين بمواجهة قرار

أمضوا عمرهم يتجنبونه . سوف يكون انحرافا حاداً أن يقبلوا قوات من أى حجم .

قال فريمان إن فهد عظيم التردد .. يستطيع السعوديون قضاء أيام طويلة يتناقشون فيما بينهم دون نتيجة وهذا التأنى قد يظهر الكونجرس الأمريكى بصورة المتعجل .

ولقد أخبروا تشينى أيضا أن القلق الأكبر هو أن السعوديون قد يقبلون انتشاراً أمريكياً ولكن مع اصرار على ترأس العديد من الوحدات ربما الأقل كثيرا من المائتين والخمسين ألفاً المستدعين فى خطة العملية .

قال تشينى : إنه سوف يجاهد فى تحقيق الانتشار ثم يتعامل فيما بعد مع أى قيود يحاول السعوديون فرضها . فى أثناء الحرب العراقية ـــ الإيرانية أفزعت الولايات المتحدة السعوديين بتقارير المخابرات الأمريكية التى تزعم بأن إيران تقترب من الخليج لتغزوهم . وطلبت حكومة ريجان رسميا السماح للقوات المقاتلة الجوية للولايات المتحدة بالانتشار لمنع الغزو المتوقع ، ورفض السعوديون . الغزو لم يحدث ورأى السعوديون أن الولايات المتحدة تستغل مخابراتها لتحقيق أهدافها السياسية والإستراتيجية وهى هذه المرة الحصول على قواعد للقوات الأمريكية فى الخليج .

بعد استماعه لكل النصائح قال تشينى إن عليهم الحذر فنحن لانعلم إن كان صدام سيغزو السعوديين وعليه دعونا لانذهب هناك بزعم أن الغزو قائم لامحالة أو أننا لدينا معلومات داخلية. الأفضل التركيز على قدرات القوات الأمريكية التى يمكن إرسالها والالتزام السياسى للرئيس . والأفضل أن يكون تركيزنا على المخابرات . فغزو الكويت يتحدث عاليا عن رغبة صدام فى السيطرة على جيرانه .

بعد ستة عشر ساعة من الطيران فى حوالى الواحدة مساء بتوقيت السعودية يوم الاثنين السادس من أغسطس وصل الأمريكيون إلى جدة وحملوا إلى أماكن مدروسة جدا . كانت مقابلتهم مع الملك قد حدد لها بعد ساعتين ولكن جاءتهم رسالة من جلالته كرجل ليلى يفضل أن يؤجل مقابلتهم من ست لثمانى ساعات . على غير علم تشينى كان فهد يتباحث مع الزعماء الدينيين الإسلاميين ليرى مدى قدرتهم على احتمال انتشار أمريكى .

الرحلة للسعودية معادلة لرحلتين عبر الأطلنطى استنفدت طاقة تشينى فاستغل الوقت المتاح لأخذ قسط من النوم .

* * *

فهد بن عبد العزيز ملك السعودية كان يفضل لقب خادم الحرمين وهما مكة والمدينة . فمملكة فهد شديد المحافظة والتكتم وتتكون من ربع مساحة الولايات المتحدة وتعدادها فقط ١٤ مليون نسمة وكان الملك فى شبابه غير الآن وتقول تقارير المخابرات الأمريكية إنه كان معتادا على السكر

وممارسة الحب مع المراهقات فى طائرته البوينج ٧٤٧ وقد حكم المملكة فعليا كولى العهد منذ نهاية ١٩٧٠ قبل أن يتولى الملك عام ١٩٨٢ .

فى هذا المساء اقتيد تشينى وفريقه لحجرة الملك الخاصة فى القصر الصيفى . كان هناك الملك فهد ونصف دستة من أعضاء حكومته وأفراد من الأسرة المالكة بما فيها وزير الخارجية ونائب وزير الدفاع .. كان ولى العهد السعودى الأمير عبد الله يجلس بعيداً وكان الأمير بندر هو المكلف بمهمة الترجمة بين الجانبيين .

توقع تشينى فى نهاية العرض أن يقول الملك شكرا جزيلا سوف نرد عليكم . ثم يرسل تشينى بعيدا ليجلس منتظراً حتى يقرر السعوديون .

بدأت المقابلة بحديث قصير عن العلاقة الطويلة التى تربط فهد وبوش ، حينما كان بوش مديرا للمخابرات الأمريكية عام ١٩٧٦ وكان فهد الذى أدار المخابرات السعودية لمدة ١٣ عاماً كوزير داخلية مشرفا على السياسة الخارجية السعودية كولى للعهد .

فى الأحوال العادية يفتتح الملك هذه المقابلات الملكية بحديث طويل . هذا المساء اتجه لتشينى بسرعة .

بدأ الوزير حديثه بتذكير مضيفيه بأن الولايات المتحدة قدمت لمساعدة السعودية عام ١٩٦٢ ضد مصر واليمن . ونوه بحماية السفن وناقلات البترول فى الخليج فى ١٩٨٧ ـــ ١٩٨٨ كمثال آخر على مساندة الولايات المتحدة لحلفائها فى المنطقة وقال تشينى : « إنه ليس التزاماً نأخذه بخفة فالسعوديون قد تواجه أخطر تهديد فى تاريخها » .

وبعد وقفة أكمل : « لقد أرسلنى الرئيس إلى هنا لتأكيد ماقاله لكم عبر التليفون .. إنه يقف شخصياً خلف ضمانات الأمن الأمريكية .. لقد استخدم صدام الأكاذيب والخدع والعدوان السافر لتغيير الموازين الفعلية للقوى وسوف يصبح أكثر خطورة لو تُرك بلا مقاومة .. وقد اشترك الرئيس فى مباحثات نشطة واتصل بتجار السلاح الرئيسيين الذين تستخدمهم العراق » .

وأضاف : ووافقت كل من فرنسا وروسيا والصين على اتخاذ موقف ضده .. سوف يذهب بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة إلى موسكو حيث يصدر بياناً مشتركاً . وتحدث الرئيس بوش شخصياً مع قادة بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وألمانيا ، وتركيا ، واليابان وإيطاليا .

وقال : « لو لم يتم الردع سوف تحدث نتائج بالغة السوء للسعودية وخطيرة للولايات المتحدة » .. لقد انتقى بعناية كلماته .. « بالغة السوء » للسعوديين و« خطيرة » للولايات المتحدة ـــ للايحاء بأن السعودية سينالها الخطر الأكبر .

وقال تشينى : « علينا جميعاً أن نتعاون حتى لا ينجح هذا الرجل » . وعرض سياسة ذات

شقين الأول : التعاون لحماية السعودية من غزو مقبل . وثانيا : تحجيم العراق « المعايير الاقتصادية مهمة ولكن فى الشهور القادمة حينما يشعر صدام حسين بالضغط فربما يندفع ويغزو » . ولذا فمن المهم تنفيذ طرفى السياسة فى وقت واحد الدفاع والتحجيم .

ثم قدم تشينى الجنرال شوارسكوف الذى عرض للملك فهد الصور الجوية للدبابات العراقية فى طريقها لحدود السعودية وقال « لو جمعتها كلها ستجدها فصيله من أفضل القوات العراقية وهى موجودة فى مكان ما من هنا » وأشار إلى ٥٠ ميلا « ومدينة الكويت يوجد بها فصيلتان آخريان .. وبعدما أخذوا مدينة الكويت قاموا بتحريك وحدات نحو الحدود . ولكن الأكثر أهمية أن هناك ثلاث فصائل أخرى تتحرك جنوبا من البصرة .. نحن نراقب بعناية لمتابعة ما يجرى . هناك كم ضخم من المدد » .

شرحت الصور بوضوح لماذا لم تكتشف صواريخ سكوت السعودية المرسلة للكويت قوات العراق التى أكد بندر أنه رآها بعينه فى الاستطلاع الأول . فالعراقيون ، كما هو أسلوبهم ، يحركون وحدات القيادة والتحكم والاتصالات قبل كتل الجيش . هذه الوحدات صغيرة جداً لم يلتقطها السكوت .

أوضحت الصور أيضا رؤوس « السكود » متجهه ومهددة للجنوب .

متذكرا تعليمات تشينى باستخدام الحذر قال شوارسكوف : « نحن نظن أن صدام حسين باستطاعته ضرب السعودية فى وقت قصير يصل لثمان وأربعين ساعة . ونحن لانعرف ماالذى سيفعله » . وذكر أن العراقيين لديهم ٢٢ طائرة معدة للحرب فى قاعدة جوية بالإضافة إلى الدبابات التى تمنحهم فرصة أكثر « نحن لا نعرف الغرض من هذا ربما يكون موجها ضد الأسطول الأمريكى » .

قال فهد إنه لا يرى أى غموض « لديهم قوات فى مواقع لا يحتاجونها للكويت فقط وعليه لابد أن لديهم أهدافا أخرى » . بدا فهد متقززا « ظننا أن صدام حسين يخبرنا بالحقيقة . أخبرنا وأخبر الولايات المتحدة وأخبر مبارك أن لن يغزو الكويت ولكن العكس تم ولذا نعرف أن نواياه السيئة موجودة ومادام الاعداد السليم للرد السليم فى الوقت السليم سينفذ فهذه هى الطريقة المثلى لردع التصرفات العراقية . وأنا ممتن لتنفيذ هذا »

الوقفة للترجمة سهلت مهمة مسجلى الجلسة ولكن المعنى الحقيقى لجملة الملك الأخيرة لم يكن واضحا . بدا أن فهد يتحرك فى الاتجاه الذى تمناه تشينى .

قال تشينى « حقيقة نحن لانستطيع قراءة نوايا صدام حسين . وقد يستطيع التحرك للغزو بأسرع من قدرتنا على الدفاع .. فى حالة الكويت راقبنا القوات وهى تتكون وانتظر الأمير حتى هُوجم قبل أن يسألنا المعونة . لو أنك انتظرت فسوف يكون هذا متأخراً جداً . لمساعدتك علينا

أن نقترب للدفاع بأكثر من قدرته على الهجوم . نحن لا نريد الحرب أكثر من أى شخص آخر ولكننا « نحن » نؤمن بأن الإعداد للحرب يمنع الحرب . إن وقعت الحرب فسوف نقف بجوارك دفاعا عن سيادة السعودية وسوف نحمل الحرب للعدو » .

وأضاف تشينى : « طلب منى الرئيس أن أؤكد لك أننا سنبقى مادمتم تودون لنا البقاء . وسوف نرحل حين تصبحون فى غير حاجة لنا . سوف نبقى حتى يحل العدل وليس لدقيقة أخرى بعد ذلك . نحن لانبقى قواعد ولكنكم شديدو البعد ونحتاج لإعداد وصلات الآن »

وصف شوارسكوف قوات صدام وقال مرة أخرى : إنهم ليسوا مرتفعى القامة ولكنهم شديدو اليأس.. ونقطة ضعفهم الأساسية هو نظام التمركز الشديد للإدارة فالقواد بكل مستوياتهم ينتظرون الأمر التالى « وفى الجيش نقول إن قطعت الرأس فلن يعمل الجسد » .

القوات البحرية الأمريكية فى منطقة الخليج فى حالة تعبئة قصوى ولذا يرى شوارسكوف أنه ربما كان هذا سبباً فى تعبئة العراق للطائرات حاملات الطائرات U.S.S. « المستقلة » ونصف دستة غيرها من السفن جُلبت للمنطقة .

جلب القوات الأمريكية يستلزم رحلة سبعة آلاف ميل لهؤلاء القادمين جوا واثنى عشر ألف ميل للقادرمين بحراً . سوف تصل أسراب الطائرات المقاتلة أولا ويتبعها القوات البرية الخفيفة . وبدأ شوارسكوف فى وصف تفصيلى أسبوعى لتكوين القوات .. بعد الأسبوع السابع عشر سوف تصبح قوة هائلة جدا ــ العديد من الطائرات الحربية ، السفن الحربية ، فصيلتان للدبابات وفصيلتان أخريان .

سأل ولى العهد عبد الله « ماهو حجم الفصيلة ؟ »

قال شوارسكوف : ثمانية عشرة ألفا . ولم يسأل أحد عن العدد الإجمالى للوحدات والمقاتلين ولذا لم يذكر شوارسكوف رقم ٢٥٠,٠٠٠ . كان ما قاله أنه يعتقد أنه بعد الأسبوع السابع عشر تستطيع القوة هزيمة أى شىء يعترضها .

بعد مائة وعشرين يوما نستطيع بناء قوة قادرة ــ بالإضافة لقوات السعودية ــ على قذفهم فى البحر إلى أى مكان آخر ترونه . لم يعرض شوارسكوف كلاماً عن المدة الأطول لهجوم شامل ، وهو ما عرضه بوش قبل يومين فقط .

سأل عبد الله بعد ذلك سؤالين حول الخرائط الجوية محاولا التمييز بين أماكن الجيوش العراقية الحقيقية والمزيفة .

قال تشينى : « طالبنى الرئيس بتوضيح أربعة أشياء هى أن الولايات المتحدة مستعدة للالتزام بقوة ملائمة لأداء مهمة الدفاع عن السعودية . بالرغم من أن صدام حسين يملك جيشاً ضخماً

وقوة عسكرية عظيمة فإن الولايات المتحدة تستطيع وضع قوة كافية لردع صدام حسين . وإن فشل الردع فقواتنا معاً كافية لهزيمته . والنقطة الثانية التى طالبنى الرئيس بإعادتها كى تنجح لابد وأن توجد لنا قوة فى المنطقة . لانستطيع أن ننظر حتى تعبر القوات العراقية الحدود . الوقت جوهرى . والنقطة الثالثة بعد انتهاء الخطر سوف تعود قواتنا » .

بالعربية قاطعه عبد الله « أتمنى هذا » ولم يترجم بندر هذا .

وأكمل تشينى نقطته الثالثة : « بتعاوننا سوف تصبح قواتكم أقدر على الدفاع عن وطنكم بعد رحيلنا . وسوف نصبح قادرين على العودة السريعة عند الحاجة إلينا » .

قال فهد : نعم تماماً كتمرين المفاصل وفى هذه الحالة ستترك الولايات المتحدة عتاداً خلفها .

قال شوارسكوف مداعبا : « أظننى أحتاج أن أفكر قليلا فى هذا » .

بدا فهد باحثا عن مكسب طويل المدى من جراء هذا الانتشار . وبنى تشينى على هذا أنه « سوف يكون وضعنا أكثر سهوله إن توفرت معداتنا » . وأكمل رسالة الرئيس : « رابعا : سوف يصبح الخطر داهماً إن انتظرنا . لقد فشلنا فى التعامل مع صدام حسين وهو سينمو أكثر ويصبح أشد تهديدا . أتمنى أن أحصل على موافقتكم على طلب قوات أمريكية . نتمنى العمل معكم حتى تصبح هذه القوات قوات دولية . تضم قوات من دول المنطقة . ولكنى لا أحتمل الانتظار لتكوين هذه القوات قبل الموافقة على انتشار القوات الأمريكية » .

قال فهد « تعاوننا مع القوات الأمريكية ليس منبعه رغبة فى العدوان على آخرين أو أن نصبح بغاة » وأضاف « الباعث هو تهديد السعودية والمصالح المشتركة » .. وكما لو كان يفكر بصوت عال أكمل الملك « لم نخلق المشكلة .. ولكن خُلقت لنا المشكلة . إن المرء ليتساءل لم كون صدام حسين هذه القوات » وذكر فهد أن صدام أنفق كل هذه الأموال على التسليح بدلا من إنفاقها لصالح شعبه .. « لا أحد يود خلق مشكلة له .. هذا يدل كم هو ضحل — لم هاجم الكويت هذه الدولة الصغيرة — وخلق العداء ؟ إنه لن يتوقف عند عدوانه على الكويت ولكنه يطمح لشىء أكبر لأنه ذاتى .. إنه يظن أنه يعرف كل شىء . هو يخطىء خطأً فادحاً إن ظن هذا وأظنه يفعل . لو أننا فعلنا أى شىء مع أصدقائنا الأمريكان فسوف يكون ذلك دفاعا عن النفس فقط ولن نكون بغاة ومعرفة عمق العلاقة بين الدولتين هذا وحده كافياً لجعل كل من البلدين تراعى مصالح وسلامة الأخرى . نحن لانفعل هذا بغرض عدوانى . كل الشعوب فى شتى أرجاء العالم تتساءل عما ستفعله الولايات المتحدة للسعودية ؟ وأسعدنى كثيرا ما سمعته الآن . علينا أن نعمل على إعداد العدة لتحقيق هذا » . ثم نظر فهد للمحيطين به وسأل « هل لدى أى منكم أى تعليق ؟ »

تبادل الملك وولى العهد عبد الله حديثاً حيويا بالعربية لم يترجمه بندر وعلى الجانب الأمريكى

كان السفير فريمان هو الوحيد الذى فهم ماقيل .

قال فهد « علينا أن نفعل هذا . الكويتيون انتظروا . انتظروا طويلا والآن لم تعد هناك كويت »

رد عبد الله بعنف « لا .. مازالت هناك كويت »

رد فهد « نعم إنهم يحيون فى حجرات فنادقنا » .

بعد ذلك نظر الملك إلى تشينى وعاد بندر للترجمة « السيد الوزير ، نوافق على المبدأ . لنثق بالله ونفعل ما يجب أن يفعل . لنتكلم فى التفاصيل » وأضاف الملك « لاأبالى بما يقوله الآخرون . أهم شيء هو حماية وطننا بالتعاون مع الأمريكان وأيضا بجلب آخرين من البلاد العربية من أصدقائنا » .

قال تشينى : « أظن هذا يكون رائعا » .

قال فهد : « عظيم . البعض منهم قال من قبل إنه مستعد وراغب فى حمايتنا وهذا البعض من دول صديقه لكم ولنا مثل مصر والمغرب » .

قال تشينى : « يسعدنى موافقتكم على خطتنا » .

قال الملك ليس لدينا ترف الوقت إننا نواجه خطراً محدقاً . ما يجب أن نفعله لابد وأن يتم فورا .

اندهش تشينى وأحس بالسعادة أيضا لقد كان قلقا من أن لا يشعر السعوديون بأهمية وجود قوات دولية تضم دولا عربية ولكن كل شيء يشير على ما يرام .

قال فهد : « الولايات المتحدة ليس لديها أى دوافع أبعد .. لقد حولنا هذه البلاد من حجارة وأعشاب إلى دولة مثلها قليل فى العالم . لقد استثمرنا بلايين الدولارات لبناء هذه الدولة حتى أنها تبدو الآن كما لو كنا نبنيها منذ مئات السنين ولكن الزمن الفعلى للبناء قصير جداً . أتمنى لو كان لديكم الوقت لتروا بأنفسكم كيف بنينا كل شيء هنا . سوف ترون أين تذهب بلايين الدولارات من عائدات البترول . لا يهمنى ما تقوله الجهات الأخرى . الأفراد الذين يرون الحقائق بأمانة سوف يدركون ما حققناه . كل ما يهمنى هو مايراه السعوديون . وماداموا يحييون حياة كريمة فلا أبالى بما يقوله الناس عنى » .

خادم الحرمين أكمل كلامه بما يمكن توقعه فى مثل هذه الظروف والمقابلات : « منذ اثنين وعشرين عاما مضت . كان المكان الذين تجلسون فيه صحراء . كنت وزيراً للتعليم . لم يكن لدينا سوى ثلاثة وثلاثين ألف طالب وخمس مدارس ثانوية . الآن وفى وقت قصير لدينا سبع جامعات وسبعة وثلاثين معهدا عاليا نحن قفزنا من سبعة وثلاثين ألفا إلى اثنين وسبعة من عشرة مليون طالب . من كان يصدق ؟ ومن لاشيء إلى ٢,٢٠٠ مصنع ؟ »

وتساءل الملك : لم هذا النجاح ؟ وأجاب : لأننا دائما نعتبر الناس شركاء لنا فى الدولة . لسنا

خائفين من التعلم من الشعوب التى تعرف أفضل منا . السعوديون ليس لديهم عقد ، ونحن نحب التعاون مع الآخرين . وعرض أن يرسل لتشينى بعضاً من أفلام الفيديو توضح هذه التحولات وشجع تشينى على العودة ليرى بنفسه .

قال فهد إنه ضحك من تقرير يقول إن معظم عائدات البترول تذهب للأسرة المالكة « قرأت فى مكان واحد أن لدى دخلا ٤٠ بليون دولار فى العام . الدخل الكلى للدولة هو فقط ٤٠ بليون دولار . العديد من الافتراءات تقال ولكنى لاأبالى بما يقال فى الخارج . كل ما يهمنى هو الصالح العام والحال الطيبة للشعب السعودى » .

وفى هجوم مباشر على الملك حسين الذى يرجع نسبه للنبى محمد قال فهد « نحن لاندعى أن أجدادنا مقدسون . نحن فقط عائلة من الشعب السعودى » .

« نحن لدينا إيمان عميق بالله ونعتقد أنه سيهدينا إلى الطريق السليم . أود أن أشكر الرئيس وإدارته ، والكونجرس ، وأنت شخصيا . لقد أتيت هنا بغرض واحد هو مساعدة السعودية . أتمنى أن تنتهى هذه المشكلات فى منطقتنا وإننى مازلت مدينا لكم بزيارة للولايات المتحدة ومصراً عليها » .

أكد تشينى : أن الرئيس بوش متشوق لزيارة الملك وأضاف « إن هذا اللقاء لهو لقاء تاريخى فعلا » .

أجاب فهد : « بلاشك هو كذلك » .

قال الوزير إنه سيعود مباشرة لواشنطن ليخبر الرئيس بما قيل « والجنرال شوارسكوف سوف يناقش مع المسئولين لديكم التفاصيل . سوف نترك فريقا خلفنا لذلك » .. « إن من الأفضل ترك فريق عمل . فكلما سارعنا بإنهاء العمل كان ذلك أفضل . والأفضل الحد من التصريحات للصحف » وأكمل تشينى : « سوف أخبر الرئيس ليبدأ فورا فى تحريك القوات » .

عندما عائد لحجرته أخبر تشينى مساعديه قائلا : « لقد سمحوا لنا بالحضور » وتحدث تليفونيا مع الرئيس الذى استقبل مكالمته فى المكتب البيضاوى حيث كان يلتقى برئيسة الوزراء السيدة تاتشر ، قال تشينى إن الملك فهد قد وافق على انتشار القوات . وبدا بوش سعيداً جداً . وقال تشينى إن يسأل الرئيس رسمياً الموافقة على بدء تحرك القوات .

قال بوش : « أوافق . تحركوا » .

* * *

اتصل تشينى بباول لإخباره بأنهم قد صرح لهم ببدء عملية الانتشار . اندهش باول لسماعه بموافقة السعوديين .

كان الجنرال كيلى قد أمضى معظم عطلة نهاية الأسبوع هو وموظفو العمليات فى المبنى للإعداد

للانتشار ثم الانتظار . قيل لـ كيلي إن هناك تحركات على المستوى السياسي ولكنها لم تحسم بعد ». وفى حوالى الرابعة مساء جاءت المهمة . لقد جاءتهم الأوامر « للدفاع عن السعوديين ضد الهجوم العراق والاستعداد لعمليات أخرى قد تطلب » كان الأمر الفورى هو تنفيذ خطة العمليات ١٠٠٢ — ٩٠ .

كانت الوحدة الأولى التى سترسل هى ٤٨ طائرة جيت إف — ١٥ متطورة من خط الدفاع الأول من قاعدة لانجلى العسكرية الجوية بفيرجينيا وكان لواء « الشعبة المستعدة » المكون من ٢٣٠٠ رجل من الشعبة الجوية رقم ٨٢ والقوات التى فى أعلى درجات الاستعداد ستكون التالية . لن تستطيع القوات الأولية والطائرات الوصول قبل صباح اليوم بعد التالى ، الأربعاء ٨ أغسطس . كان باول مهتما بما هو أكبر من لواء الشعبة المستعدة لأنه قوة خفيفة جداً وفى عيون الخبراء العسكريين لم تكن أكثر من قوات أمن مكثفة لحماية مطار ولواء المقاتلات الجيت — ٤٨ ، والقوة البحرية والجوية فى المنطقة والجيش السعودى الصغير لا يتناسب ذلك كله مع لواءات صدام الستة .

* * *

كان تشينى يعلم أن باول يعتقد أن صدام لايريد حرباً مع الولايات المتحدة لأنه يحترم قدرتها العسكرية ويعرف أن الحرب ستكون انتحارية . ولكن تشينى يخالفه فى الرأى . ربما يعتقد أن لصدام مفهوما مختلفا تماما عن النصر . مجرد تحدى الولايات المتحدة أو التعالى على أونكل سام سوف يكون مكسبا سياسيا هاما بالنسبة لصدام ربما يستحق الثمن الذى قد يدفعه فى الحرب .

تشينى يعلم أن صدام ليس انتحارياً ، وبعض الصراع مع الولايات المتحدة لايعنى بالضرورة ضرراً بالنسبة له . وهو يعتقد أن وضع صدام قد يشابه وضع الرئيس المصرى السادات فى حرب ١٩٧٣ الذى بدأ بهجوم مفاجىء لمصر وسوريا على إسرائيل . لم يكن على السادات سحق إسرائيل حتى يكسب هذه المعركة — كان كل ما عليه هو عبور القناة وأظهار رغبته فى استرداد شبه جزيرة سيناء من إسرائيل ، وبالرغم من كونها هزيمة عسكرية لمصر ، ادعى السادات نصرا . كان تشينى واثقاً أن حرباً من هذا النوع محتملة فى الخليج .

قبل أن يترك السعودية فى الصباح التالى التقى تشينى ببندر ووالده وزير الدفاع السعودى الأمير سلطان لمراجعة العرض . كان لدى بندر معلومات مسبقة من مصادره وقال : «أصدقائى كيسنجر وكراو يتنبأون بالفشل » وأضاف أن السعوديين قد أمضوا الليلة يناقشون الأمر . وأكمل : لايوجد تراجع فى القرار . إنه اتفاق سينفذ ليس فقط لأن الملك أبرمه ، ولكن لأنها مصلحة الدولتين . واقترح أن يتكتموا الأمر وتزعم الدولتان أنها « مجرد مناورات مشتركة . فصدام ليس مجنونا . إنه ثعلب آثم ، ودعونا نستخدم بعضاً من حيله ولانعلن عما نفعله » . وقال بندر : إنه شديد

القلق لأن القوات التى ستصل أولا سوف تكون قليلة جداً وغير كافية لأى دفاع . فهل أخفوا مايفعلون حتى تكون هناك قوات كافية للدفاع عن المملكة ؟

رد تشينى : إنه لايعرف كيف يمكن تنفيذ هذا .. إن الرئيس لايستطيع إخفاء شيىء عن شعبه . إنه قرار ضخم للرئيس وأفضل فرصة له هو اعلانه مباشرة ولو لم يفعل فسوف يتسرب الخبر وسوف يدمر . وذكر تشينى بندر بالنظام الأمريكى وأكد أن هذا لايمكن .

قال بندر إن هذه مجرد حيلة « دعنا ندعى الموت كما تفعل بعض حيوانات الغابة ثم نقوم » .

وبعد مزيد من المناقشات وافق الطرفان على تأخير الإعلان عن أى انتشار حتى وصول طلائع القوات لأرض السعودية بالفعل فى صباح الأربعاء فى الولايات المتحدة ومساء الأربعاء فى السعودية . وبينما تشينى يستعد للرحيل كان يرى أن الاتفاق مريحَ . فمع بندر والسعوديين لايمكنك أن تحدد مسبقاً . كان قلقاً متصاعداً عند لقاء شوارسكوف ورئيس الأركان فى وزارة الدفاع السعودية للبدء فى التعاون ، وكان الجنرال السعودى يريد إعادة فتح المناقشات حول عما إذا كانت الولايات المتحدة سوف ترسل قوات أم لا .

ووجد شوارسكوف أن المناقشة غير جائزة فقد فهم أن هذا قد اتفق عليه وعليهم أن يبدأوا الانتشار فوراً . وفى شك قال له الجنرال السعودى : إنه سيسأل . وقام فعلا بذلك وعاد مندهشا . ودخل شوارسكوف مباشرة فى عملية الانتشار .

ترك تشينى السعودية إلى القاهرة ، حيث حُمل بطائرة صغيرة ليقابل مبارك فى الإسكندرية . وأخبر الرئيس المصرى بقدوم القوات الأمريكية للسعودية ، وسأله السماح لحاملة الطائرات النووية إيزنهاور بالعبور فى قناة السويس ، وقال مبارك : حسنا ، ولكن متى ؟ قال تشينى الليلة ! ووافق مبارك وإن لم يوافق على إرسال قوات ولكنه وافق فيما بعد حين تحدث مع بوش .

ترك تشينى القاهرة عائدا للولايات المتحدة . وحين كان فوق إيطاليا جاءته مكالمة من الرئيس مباشرة والذى كان حينذاك يتصل بالعالم أجمع للحصول على قوات أكثر وتأييد أكبر .. قال بوش « لقد انتهيت لتوى من محادثة تليفونية مع الملك الحسن ملك المغرب وأود أن تمر وتقابله » ، وفورا تم إرسال خريطة الهبوط بالمغرب وأصبحت طائرة تشينى مثل التاكسى .

منذ كان مديرا للمخابرات الأمريكية كان بوش قريباً من الحسن الذى استمر يحكم المغرب لمدة ٢٩ عاما حتى الآن . ويدين الملك جزئيا بطول بقائه فى الحكم للمخابرات الأمريكية والتى منحته طويلا المعونة الأمنية وبصورة ودية مما ساعده على البقاء فى السلطة . وفى المقابل منح الحسن وكالات المخابرات الأمريكية حرية كاملة فى دولته ذات الوضع الاستراتيجى على المدخل الغربى للبحر الأبيض المتوسط .

فى القصر قابل تشينى الحسن مقابلة جماعية ثم على انفراد وبين الاجتماعين استقبل الملك مكالمة من العقيد القذافى رئيس ليبيا .. وكل رؤساء دول المنطقة كانوا يحادثون بعضهم . وعندما انفرد تشينى والملك لم يكشف الحسن عما قاله القائد الليبى وقال تشينى للحسن : إن السعوديين قد وافقوا على استقبال عدد ضخم من القوات الأمريكية وأن الرئيس سيرحب بتعضيد الحسن .. قال الحسن إنه على استعداد للمشاركة بقوات مغربية فورا .

وبعد ذلك ذهب كل من تشينى وكايتس للسفارة الأمريكية بالرباط واتصلوا بـ شوارسكوف من تليفون آمن لمناقشة الخطاب الذى يعترم الرئيس إلقاءه معلنا القرار . وحاول شوارسكوف أن يحدد باختصار الفعل وأسبابه ..

قال تشينى إن الملك فهد قد طلب من الرئيس بوش أن يوضح فى أية تصريحات معلنة أن السعوديين هم الذين طلبوا الوجود الأمريكى . أكد شوارسكوف له أن هذه النقطة سوف يتضمنها الخطاب .

أخيرا هبط تشينى فى واشنطن الساعة السادسة صباح الأربعاء قبل خطاب الرئيس بثلاث ساعات . كانت مسودته قد أرسلت له بالفاكس وراجعها . اعتمد الخطاب على مقارنة من الحرب العالمية الثانية : « اندفعت العراق بطريقة « بيلتز كريج » لغزو الكويت ولم تفلح محاولات التهدئة كما كان الحال عام ١٩٣٠ .. أما انتشار القوات فقد عبر عنه فى مصطلحات أخلاقية وأوضح الخطاب أن المهمة دفاعية .

فى التاسعة من صباح الثامن من أغسطس ظهر بوش فى التليفزيون الأمريكى من المكتب البيضاوى وقد بدا عليه الإعياء والاهتمام . وقال « فى حياة الشعوب قد يستدعى الأمر أن نعبر عمن نكون وعما نعتقد ، فى بعض الأحيان هذه الاختيارات ليست سهلة ، ولكن اليوم كرئيس أطالبكم بتأييد قرار اتخذته تأييدا لما هو حق وشجبا لما هو باطل ودافعاً للسلام » كان صوته مخدوشا وخاليا من التعبير . وكانت ملامح وجهه لا تتلاءم مع مايقوله من كلمات لها أهداف سامية . وتعليقا على عبارته « إن هذا لن يستمر » قال الرئيس « نحن نطالب بالانسحاب الفورى الكامل غير المشروط لكل القوات العراقية من الكويت » .

وأوضح أن القوات العسكرية لن تستغل للهجوم بهذا الغرض ، « فمهمة قواتنا دفاعية تماماً . ونأمل ألا يستمروا طويلاً . لن يبدأوا بالعداء لكنهم سيدافعون عن أنفسهم وعن المملكة العربية السعودية وأصدقاء آخرين فى الخليج » .

برزت مراراً ابتسامه عصبية فى غير لحظاتها المناسبة . وهز بوش قبضته فى الهواء وهو يتحدث عن « وحدة الهدف » . وفى مؤتمر صحفى عقد فى الظهيرة ركز الرئيس على نقطة أن المهمة

العسكرية ليست فى إخراج العراقيين من الكويت .

فى الواحدة مساء ظهر تشيني وباول فى مؤتمر صحفى للبنتاجون . قال تشينى بطريقة ملطفة : « أود فى هذا الإعلان أن أؤكد لكم جميعا ــ خاصة هؤلاء الذين يذكرون عملية بنما فى ديسمبر ــ أن هذا الوضع مختلف » ولأن العملية مازالت فى طور التنفيذ فقد قال إنه لايستطيع أن يجيب على أسئلة بشأن الوحدات المرسلة .

ثم ترك المؤتمر لباول !

اتجه باول على غير عادته للصحافة « سوف أطالبكم ببعض القيود من ناحيتكم بحثاً عن المعلومات وهذا لحماية العملية وحماية جيوشنا ولابد من أن يكون هذا فوق كل شيء على ماأعتقد وأن يبقى فى أذهاننا جميعا » .

وعن سؤال حول ضآلة القوات الأولية أوضح باول هذه منطقة قائلا : « أظن أنهم فى حماية تامة » وذكر أن أولى الدفعات عبارة عن قوات جوية وحاملة الطائرات إيزنهاور ، وأنها انضمت إلى القوات العسكرية السعودية وحاملات الايه واكس ، وأضاف : وأعتقد بحق أننا نستطيع أن نعمل بنظام طيب دون أن يشى هذا بأى ضعف » .

ولكن فى داخله كان باول مازال مهتماً بضعف قواته الأولية . الكثيرون من أكل أنحاء العالم بما فيهم صدام سوف يظنون أن الولايات المتحدة ستقوم بنشر عشرات أو مئات أو آلاف الجيوش فوراً . حتما هذا ليس صحيحاً . وحتى اللواء المستعد الذى يضم ٢٣٠٠ مقاتل لم يصل بعد للسعودية . فى الأسابيع الثلاثة أو الأربعة الأولى سوف تكون قواته مكشوفة وشديدة الضعف وهذا سر ولابد وأن يُحفظ بأى ثمن . فعليه تعتمد حياة الكثيرين .

فى الوقت نفسه كان على لانج تقديم آخر التطورات للأمير بندر .

القائد الإنجليزى السابق والذى يعمل كحارس خاص لبندر قابله فى حجره مزدانه حيث توجد بها خريطة للمنطقة . على مدى ساعة شرح لانج بالتفصيل ماتم فى أثناء غزو الكويت وكيف أن صدام حشد نفس القوات المميزة لفصائله الثمانية عند حدود السعودية .

وأوضح كيف أن ثمانمائة دبابة T-72 تقترب من خط المعركة وكيف يمكنها التحرك بلا عوائق لشرق السعودية وتحقق نفس نجاحها فى الكويت وقال لانج « نحن لا نقدر على منعها » .

قال بندر : « يا إلهى .. وهل يعلمون هذا هل أدرك صدام أنه يمكنه التحكم فى السعودية بهذا اليسر ؟ » .

أجاب لانج أظنهم يشكون فى هذا ولكنهم لا يعلمون . وأضاف أن قراءة عقل صدام صار هو السؤال الهام اليوم وإن كل امرىء يسعى لهذا .

بيتر ويليامز الذى يحظى بأعلى المعلومات الأمنية إلى جانب الثقة شأنه شأن أى معاون لتشينى لم يكن يعلم بالضبط عدد الجيوش التى أعدت للانتشار كان يسمع من كبار مسئولى البنتاجون المدنيين والقادة العسكريين أن — مائة ألف أو مائة وخمسين ألفا ربما يكون الرقم النهائى ولكنه لم يصل للرقم الدقيق وهو مائتان وخمسون ألفا . وكلما سأل باول يجيبه بغموض . كان باول من جانبه مصابا بجنون الأرتياب حول أعداد وأماكن الجيوش .

ومن البيت الأبيض صرح سنونو أن الرقم خمسون ألفا ونشر يوم الخميس التاسع من أغسطس ونُسب إلى مسئول كبير بدون ذكر اسمه .

* * *

عندما رأى الجنرال فيونو الاعداد المنخفضة للقذائف أحبط . العملية التى سميت « درع الصحراء » يمكن أن تفسد إذا نوقشت تبعا للتوقعات والمصداقية . فمع البيت الأبيض والقادة السياسيين الذين يخفون الحقائق والمخاطر ويصنعون آمالا كاذبا لعملية صغيرة قصيرة المدى استشعر أصداء فيتنام . قائد الجيوش يدرى أن خطة العملية ١٠٠٢/ ٩٠ تسحب الجيش لشهور وشهور إن لم يكن أطول . لاأحد يعلم إلى متى سيبقى الانتشار . إن لم يكن الإعلام ومن ثم الشعب يشعر بأنه يعرف الحقائق فلا أمل هناك فى الحفاظ على تأييد الشعب . مثل هذا الانتشار الضخم لايمكنه إخفاؤه .

توحدت الأوامر فى العديد من الولايات وقال فيونو لرجاله « إن السؤال الضخم هو الذى ستضعه السياسية » . أحد معاونى فيونو صرح بالرقم الحقيقى لوكالة اسوشيتيد برس وهو مائتان وخمسون ألفا وخلق ذلك بلبلة .

وذهب فيونو لرؤية رجاله وذكرهم بأنه بمجرد وصولهم للسعودية ، عليهم أن يتجنبوا الاشتباك .. والاستفزاز .

فى هذا الخميس كانت هناك زيارة توديعية لمدة ١٥ دقيقة لرئيس القوات الجوية المحال للمعاش لارى ولش وزوجته ايونيك مع بوش للشكر ، لكى يشكره الرئيس على خدمته لمدة سبعة وثلاثين عاما . وعند وصولهم سُئلوا أن يبقوا على الغداء مع عائلة بوش . شوارسكوف وبرنت شاركا الزوجين فى حضور الغداء .. تحدثت بربارة بوش والرئيس لمدة عن أبنائهما وعائلتهما ولاحظ ولش أن بوش يبدو مستريحاً تماماً . لقد خبر بوش جيدا بما يكفيه لإدراك اقتراب الرئيس من إصدار قرار حيث يصبح عصبياً ، متحدثاً وكثيراً ما يطلق الكثير من التصريحات العامة . وبمجرد صدور القرار يستريح بوش ويسترخى . ولش كتب جزءا من الخطة الأولية لاحتمال الانتشار فى الخليج فى بدايات ١٩٨٠ ، وكان على إلمام تام بأن الصحراء شديدة الإرهاق وأن السعوديين

سيكونون شديدى التحفظ . وكان يشعر بأن مخاطر العجز عن الدفاع عن السعودية تفوق بكثير مخاطر إرسال القوات . ومحاولة طرد العراقيين من الكويت هى أمر مختلف تماماً ، سوف تحيل مدينة الكويت إلى أنقاض مثل بيروت . وأى محاولة للحفاظ على الوضع الراهن لابد وأن تفشل لأن الوضع الراهن قد ذهب للأبد .

قال الجنرال ولش : « أنت تفعل الصواب يا سيادة الرئيس » . لم يعرج الرئيس على الخليج وفضل الحديث عن أسرته . هو وولش وشوارسكوف أكدوا أنهم سعداء بأن يكون لديهم رجل عسكرى قوى كرئيس القوات الجوية الجنرال ميشيل دوجان خليفة ولش .

* * *

يوم الأحد ١٢ أغسطس ظهر تشينى فى محطة NBC فى برنامج « لقاء الصحافة » وقال بدون تفاصيل « حقيقة الأمر أن الولايات المتحدة صار لديها قوات عسكرية مناسبة فى المنطقة هذا الصباح وهناك المزيد فى الطريق » .

وحين ضُغط عليه لذكر الأعداد اجاب « لاأحب أن أضع مستوى أعلى لذلك .. لايمكن لأى امرىء افتراض أن هذا يسير أو سيتم بسرعة كبيرة أو بدون مجهود ضخم من الولايات المتحدة » .

وبالطبع كان يعلم بالخطة الزمنية الحقيقية سبعة عشر أسبوعاً للدفاع وربما ثمانية إلى اثنى عشر شهراً لتكوين قوة هجومية كاملة : ولكن لاأحد أشار أن الدولة قد بدأت هذا الطريق بالفعل .

قرر بوش الذهاب للبنتاجون . فى يوم الثلاثاء ١٤ أغسطس .. قدم تشينى وباول عرضا على مدى ساعة كاملة بكل التفاصيل .

كان باول مفزوعا من إرسال كل هذه الجيوش والقوات العسكرية للخليج دون أى معلومة واضحة عن الوقت اللازم للانتهاء من بناء هذه القوات . وتساءل : إلى أين يتجه كل هذا ؟!

كان هذا السؤال يدور بخلد القائد منذ مساء هذا الأحد قبل عشرة أيام مضت حين رأى الرئيس يهبط من طائرته فى مطار البيت الأبيض ويقرربحسم « أن هذا لن يستمر » .

بدت له لحظة عصيبة ربما تحديداً لمهمة جديدة . لو أن غزو الكويت سوف يرد فماذا يعنى هذا بالنسبة للأداء العسكرى ؟ كم يستلزم ذلك من القوات ؟ وأى نوع من التصرف عليهم أن يعدوا له العدة ؟ .

بدا لباول أن العسكرية تتداعى سريعاً على غير علم بأى طريق عليها أن تقطعه .

فى يوم الأربعاء ذهب بوش وباول إلى مكتب تشينى فى البنتاجون . وقال باول للرئيس : « أود أن أخبرك عن سير بناء القوات » .. كانت فرصته الأولى فى الحديث لبوش منذ صدرت أوامر الانتشار . وقدم للرئيس خريطة توضح بصورة حية أسبوعا بأسبوع سير القوات الأمريكية

الذاهبة للخليج .. وتنتهى الخريطة فى الأول من ديسمبر حيث تنتهى مهمة انتشار القوات ويوفر هناك مائتان وخمسون ألفا .

قال باول : مهمتنا اساسا للدفاع والإعاقة . ولن يكون هناك شك سوف نستطيع الدفاع عن السعودية وفى النهاية ليس لدينا عمل آخر . وهكذا سيبدو المستقبل فى أول ديسمبر حينما تكتمل القوات . نحن الآن فى خطر وكلنا نجاهد . « لو كنت تريدنى للمزيد من ذلك سيرتفع الخط البيانى ، لو كنت تريد أكثر فعلى أن أعرف إذا ما كان ذلك لميلين أو ثلاثة أميال فى الطريق حتى أصل إلى هناك أو أتوقف .

قال باول لبوش : فى نقطة ما سيخبرك شوارسكوف أن المهمة قد تمت . كل ما نريده قبل انتهاء المهمة هو أن نعرف ما تريده منا بعد ذلك — فلو كان لدينا شيىء خاص بالإمدادات العسكرية هل نوقف المدد أم نستمر أم ماذا ؟

لم يكن باول يطلب مهمة جديدة على الفور من الرئيس ولم يكن يدفعه لقرار ولكنه كان يستفسر فقط عما إذا كان لديهم أو سيكون لديهم مهمة عسكرية جديدة .

لم تكن هناك أى استجابة من بوش ولكن باول شعر أنه على الأقل قد أوضح للرئيس أنه لابد وأن يقرر سريعاً .

وفيما بعد تحدث بوش لموظفى البنتاجون قائلا « صدام يدعى أن هذه حرب مقدسة للعرب ضد الملحدين — هذا يأتى من رجل استخدم الغازات السامة ضد رجال ونساء وأطفال بلده ، والذى غزا إيران فى حرب أزهقت أرواح أكثر من نصف مليون مسلم وهو الآن يغزو الكويت واقترف أعمالا وحشية هناك . التقارير القادمة من الكويت تروى حكايات وحشية خسيسة » .

كان هجوما عنيفا على صدام وقال بوش وصوته يرتفع « إنه صدام الذى كذب على جيرانه العرب ، وإنه صدام الذى قام بغزو دولة عربية ، وإنه هذا هو الذى يهدد الآن الدول العربية » .

واقفا بالقرب من بوش بعيدا عن الزحام رأى تشينى أن الهجوم شخصى جداً ، حاد ومبالغ فيه ويمتلىء بالصيغ البلاغية الشديدة .

كان نص الحديث قد قدم من البيت الأبيض قبل ساعة فقط وعليه لم تكن هناك فرصة لتشينى أو غيره فى البنتاجون باقتراح تغييرات .

فيما بعد أسر تشينى باهتمامه مباشرة لشوارسكوف . فصدام لديه الآن ما يقرب من مائتى ألف من الجيوش فى الكويت مقابل عشرين ألفا للولايات المتحدة . وهذا يجعل الميزان عشرة إلى واحد . واحتمالات مذبحة أمر ما يزال غير مستبعد وتشينى لا يريد فريقاً للمناظرة يزينه الرئيس يستفز صدام .

وبالرغم من أن بوش كان قد ذهب بعيدا محاولاً قضاء أجازة الصيف قام تشيني بإلغاء أسبوعين للصيد ، كان قد قرر القيام بهما من هذا اليوم . لم يكن يفهم كيف يمكن أن يأمر وزير الدفاع بتحرك مئات أو آلاف لصحراء السعودية ثم يذهب للصيد .

في نهاية الأسبوع وقع بوش تقرير المخابرات CIA السرى جدا وضح عملهم السرى سلطة إسقاط صدام . لايجب للمخابرات CIA الانحراف عن الخط واللجوء لمحاولة اغتيال ولكن عليها أن تجند المنشقين العراقيين للإطاحة بصدام بعيداً عن السلطة .

* * *

يوم الجمعة ١٧ أغسطس سافر تشيني للسعودية وتجول على مدى أربعة أيام في دول أخرى بالمنطقة . وخطط لزيارة البحرين وعمان والإمارات العربية المتحدة ومصر للحصول على مزيد من التأييد . محاولا مضاعفة نجاحه مع السعوديين ، كان يبتغي أرضا وحقوقا للقوات الأمريكية خاصة القوات المقاتلة الجوية وطائرات القذائف وحاملات المؤن .

كان هناك فزع عندما تنامت التقارير أن البحرية الأمريكية دمرت دبابة عراقية كان تشيني مهتما بأن بعض قواد البحرية خلف الخطوط قد يبدأون الحرب ولقد استغرق هذا نصف ساعة للوصول للمعلومة عن طريق البنتاجون والتي كان مفادها أن البحرية قد أطلقت الأعيرة فقط عبر مقدمة السفينة .

بزيارته للوحدات الأمريكية في السعودية تحدث تشيني بأسى عن الوضع المحفوف بالمخاطر . كل امرىء بدا ممتعضاً تماما فيما يخص التموين والنقل والاستقرار . كان المناخ شبيها بالليلة الأولى في معسكر . بفرض أن قامت حرب قبل أن تستقر القوات الأمريكية ؟ هل يظنون أن الانتشار الأولى قد أعاق صدام ؟

اتصل تشيني بباول ، متسائلا عبر الخط الآمن هل أمن شوارسكوف استعدادنا لمواجهة أى احتمال قصير المدى ؟ ماذا لو تحرك صدام قليلا للأمام ودخل السعودية ؟ وماذا لو اتجه لآبار البترول ؟

وافقه باول على حساسية الموقف . ولكن لو أن صدام يعتزم التحرك للسعودية فلم لم يفعلها حتى الآن ؟ قال باول : كل يوم يتحسن وضع الولايات المتحدة .

كانت هناك مشاكل أخرى في السعودية . عدد ضخم من القوات والعاملين قد أرسلوا في الموجة الأولى والقواد طالبوا على عجل بأنفار وجنود أكثر قادرين على الحرب .

عندما عاد تشيني إلى واشنطن طار هو وباول إلى مقر استراحة بوش يوم الأربعاء ٢٢ أغسطس لإبلاغ الرئيس بالتطورات ومناقشة الخطوات التالية .

كان يوما مشرقا مشمسا في « ولكرز بوينت » قطعة جميلة من ضياع طرح المحيط . لحق تشيني

وباول ببوش ، ولحق بهم سكوكروفت وكايتس ، وسونونو ولارى ايجلبرج وجلسوا حول مائدة صغيرة مستديرة فى الحديقة تطل على جرف بشاطىء ميامى . كان بيكر فى أجازة محاولا ان يحيا أغسطس كما يجب أن يحيا الناس أغسطس .

كان تشينى وباول يهدفان للحصول على موافقة بوش بدعوة خمسين ألفا من الاحتياطى . بعض التخصصات الحيوية مثل المؤن ، النقل ، الخدمات الطبية ، الإنشاء والمخابرات مركزة فى الاحتياطى . حين أحبط البنتاجون برفض الرئيس جونسون للتعبئة الكاملة للجيش فى حرب فيتنام وذلك بدعوة الاحتياطى ، قام البنتاجون بتنظيم الخدمات بحيث يوضع المتخصصون الذين يحتاجهم الانتشار الضخم فى الاحتياطى وهذا سيجبر أى رئيس على استخدام الاختياطى لأى عمل عسكرى ضخم ويجعل من العسير إن لم يكن من المستحيل الانزلاق لحرب بدون اشتراك الشعب .

مع الالتزام بالعملية الضخمة فى الخليج كان كل من بوش وباول وتشينى يؤمنون بأن استدعاء الاحتياطى لا يمكن تجنبه والآن أمر به بوش .

الأمم المتحدة التى أقرت عقوبات اقتصادية ضد العراق تدرس الآن قرارا بالموافقة على حصار . وكان السؤال الملح هو هل ينتظرون الأمم المتحدة أو يقومون مباشرة بمهاجمة السفن العراقية . لقد أوقفت البحرية بعض القطع العراقية ولكنها لم تهاجم أيا منها حتى الآن .

كان تشينى يرى أن هذا قرار ضخم للرئيس . كان بوش متحمسا لتأكيد حق الأمم المتحدة فى التصرف بنفسها ويود أن يستعرض بعض القوة . كان قد سئل من مراسل إذا ما كان مستعدا لصيد الدبابات العراقية وأجاب بإحدى تحدياته « عليك بالمتابعة تابع فقط وسترى » . وبرغم ذلك كان تشينى ينصح بألا يندفع الرئيس بمهاجمة السفن بل عليه أن ينتظر الأمم المتحدة .

أوضح باول أن ضرب سفينة كمكسب قصير المدى لا يستحق العناء . السفينة جزء من نظام المدد الدقيق وليست فى قلب المشكلة .

كان بوش متشككا أن الأمم المتحدة ستقوم بذلك . عندما كان سفيرا فى الأمم المتحدة عام ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ ، حاصر السوفيتي كل شيء حاولت الأمم المتحدة تنفيذه . ولكن هذا مجال آخر . وقرر أنه سينتظر حكما من مجلس الأمن بالأمم المتحدة .

أخبر باول الرئيس أنه للمرة الأولى منذ بداية الانتشار أصبح الموقف بعيدا عن المقامرة فهناك حوالى خمسة وثلاثين ألفا من القوات فى السعودية أو فى طريقها إليها ، وعشرين ألفا آخرين من البحارة الأمريكيين على متن المراكب فى المنطقة . كان الجنرال شوارسكوف غير راض بالطبع ولكن باول لم يتوقع أبدا رضاء قائد مثله . هناك الآن مائتا ألفا من القوات العراقية فى الكويت . والوضع يتحسن كل يوم ولكن لاأحد يمكنه أن يستريح بالفعل قبل أن تصل دبابات الفرقة ٢٤

الميكانيكية . قال باول : فى الأغلب لن يقوم صدام بهجوم الآن لأنه لم يتهز الفرصة عندما كانت له اليد العليا بالفعل فى الأسبوعين الأولين عندما كانت القوات الأمريكية أصغر من أن تواجهه .

وأضاف أن العسكرية العراقية مازالت قادرة على إلحاق ضرر جسيم به . لقد جمع العديد من المعلومات الحديثة من مختلف مصادره بأن العامل الأخطر فى القوة العراقية ، هى منصات الصواريخ أرض ـــ أرض « سكود ـــ بى » السوفييتية والتى عُدلت ليصل مداها إلى ٦١٥ كيلو متراً . ولكن المخابرات لبست متأكدة من العدد الذى لدى العراق ولكن التقديرات تقول من ٨٠٠ ـــ ١٠٠٠ صاروخ والأسلحة الكيماوية يمكن أن توضع فوق القذائف ولكن العراقيين لايحسنون مراعاة النسب بين الوقود والهواء وهذا يجعل أداء القذائف به خطأ فى أداء « سكود » .

القوات العراقية تزداد فى الكويت ، وبينما تجلب الولايات المتحدة قوات مسلحة ضخمة لابد وأن يتلاقى اثنان مم أكبر الجيوش فى العالم . لو أن هناك صراعا فلابد من أن تكون معركة أرضية ضخمة وهذا ليس شبيها بتحرير جرينادا أو بنما ؟

سأل بوش باول عن رأيه ـــ وليس فقط ارشاداته العسكرية ـــ عن أى سلوك يُتبع من أجل الحصول على تأييد عام . قال باول : إنهم يحسنون صنعاً بالدفاع عن السعودية .

فى نهاية اللقاء رأى باول أن بوش هادىء إلى حد كبير . الحديث عن تحرير الكويت لم يعد مثيراً .

فى الأيام التالية خفف الرئيس حدة هجومه المعلن على صدام .

فى يوم السبت ٢٥ أغسطس صوتت لجنة الأمن بالأمم المتحدة بمنح الحق للبحرية الأمريكية ودول أخرى فى استخدام القوة لمنع التجارة مع العراق . كانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ الأمم المتحدة الذى امتد ٤٥ عاما التى تمنح فيها دولا خارج مظلتها الحق فى فرض حصار اقتصادى وكان هذا نصرا ديبلوماسيا رائعا للإدارة الأمريكية .

بوش الذى الذى أفرز تصويت الأمم المتحدة كان منتعشاً .

فى البنتاجون قدم الجنرال كيلى تقييماً للوضع بعد ثلاثة أسابيع من بدء الانتشار .. أولا : القوات الجوية تستحق نجمة ذهبية لأدائها الذى حقق تفوقا جويا مبكرا فى المنطقة . كان اهتمام كيلى منصبا على ماأسماه « الحالة الذهنية لهذا الحيوان صدام » . لقد راجع تقارير المخابرات عن الحرب العراقية الإيرانية وبالرغم من أنه لايمكن الاعتماد عليها بصورة مطلقة إلا أنها تحمل بعض ملامح الحقيقة . هذا بالإضافة إلى التقارير التى تتحدث عن نفسها من أن صدام نفسه قد ذبح مستشاريه ووزراءه الذين خالفوه الرأى . كانت هناك معلومات تعرض كيف يعامل قياداته العسكرية العليا . جنرالات العراق العسكريون الذين خسروا عشرين كيلو متراً خلال الحرب

العراقية ـــ الإيرانية تم إعدامهم كما ذكرت المخابرات . فى القوات الجوية يتم إعدام الجنرالات الذين يفقدون عدداً معيناً من الطائرات وتبعاً لذلك لاتتدفق الطائرات كثيرا وتبقى العراق فى أيدى الطيارين غير المدربين وغير ذوى الخبرة .

ولكن تبعاً للتكوين الفعلى لايتورع صدام عن استخدام الاسلحة الكيماوية التى لديه وهناك تقارير للمخابرات تقول إنه يستطيع الحصول على اسلحة بيولوجية أيضا . واختتم كيلى حديثه قائلا : أكبر مشكلة أن جيش صدام والشعب العراقى اعتادا على الحياة القاسية ، على الألم والمعاناة والحرمان الناجم عن ثمانى سنوات من الحرب وفى الواقع كان كيلى يشعر أن العراق يستطيع الصمود فترة أطول أمام هذه الأشياء أكثر من الولايات المتحدة .

* * *

وفد مكون من ١٦ سناتور و١٠ معاونين ٨ مرافقين عسكريين سافروا للسعودية فى ٣١ أغسطس على متن طائرة جيت سى ـــ ١٣٧ . C- 137 .

وفى اليوم التالى قدموا تقريرهم الأول للجنرال شوارسكوف فى مركز القيادة المؤقت بالظهران . كان الجنرال يضع خريطة على الحائط وقال : هنا الوحدات العسكرية ، والبحرية ، والسفن البحرية ، والقوات الجوية ، والقوات السعودية والعراقية . لم تكن هناك مناقشات لخطط أو بدائل .

فيما بعد أخبر بعض الجنرالات الأمريكيين الذين يترأسون القوات فى الخليج بعض أعضاء مجلس الشيوخ بصورة خاصة جدا أن جانب الولايات المتحدة ليس مستعدا للحرب ويحتاج على الأقل عشرة أيام أخرى . ثم زار السيناتورات موقعا متقدما بالقرب من الكويت وتناولوا الغداء ـــ وهو آخر صورة من حصص طعام الموقع يدعى M R E أى « الطعام المعد للأكل » وتسخر الجيوش منه وتسميه « الطعام الذى ترفضه اثيوبيا » .

مؤخرا فى هذا المساء طار الوفد للبحرين وحضر عدد صغير منهم عشاء بالقصر الأميرى باستضافة الأمير الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة قائد الإمارة الصغيرة . تساءل الأمير لم تسمح الولايات المتحدة للعراقيين بالظهور فى قناة C N N وانتقد أمريكا وسياستها .

يوم الأحد قامت المجموعة بزيارة السفن البحرية بما فيها السفينة الحربية ديسكوين . ثم عادوا للسعودية لمقابلة الملك فهد الذى لم يكن لديه أى شيء جديد أو هام ليقوله فى هذا المساء . كان مفترضا أن يلتقى الوفد بكبار القادة الكويتيين . أمير الكويت الذى كان موجودا بالسعودية تراجع عن حضور المقابلة .

غضب السيناتورات ففى حين تقوم الولايات المتحدة بتحريك تلك القوات العسكرية الضخمة

جزئيا لمساعدة الكويت يأتى قائدها ويرفض مقابلة حماته .

المسئولون الكويتيون الذين أرسُلوا لمقابلة الوفد كانوا من الدرجة الثانية كما وضح للسيناتور وليام كوهين وصورت المناقشات فى فيلم لم يعرف فيه كوهين والآخرون هل يضحكون أم يبكون عندما علموا بأن الفيلم قد صُور بواسطة شركة العلاقات العامة الأمريكية « هيل آند نولتن » التى استأجرها الكويتيون لتحسين صورة دعايتهم فى الأزمة .

يوم الاثنين الثالث من سبتمبر إجازة عيد العمال فى أمريكا واليوم الرابع للرحلة المرهقة طار وفد الكونجرس لمدة ساعتين للقاهرة وحضروا مع وفد محلى مقابلة مع مبارك . قدم الرئيس المصرى ساعتين من التقريع للملك حسين ملك الأردن الذى ظل خارج الإجماع العربى ضد صدام . كما كشف مبارك أيضا عن محاولة صدام رشوته لإبقاء مصر بعيدة عن معاداة العراق .. فى المساء حلقوا ألف وخمسمائه ميل إلى « أبو ظبى » المشيخة العاصمة للإمارات العربية المتحدة لمقبلة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .

تحدث الشيخ طويلا حول شجاعة الكويتيين .. السيناتور دانيال باتريك ممثل نيويورك الديمقراطى كان جالسا على أريكة جميلة بجوار زملائه الشيوخ وعانى قلقاً متزايداً وتحرك إلى حافة أريكته بينما سموه يسهب فى وصف مآثر الكويتيين .

وفى النهاية صرخ باتريك : « سموك » .. ثم رفع يده فى الهواء كأيام كان سفيرا فى الأمم المتحدة وأعاد بصوته الميلودرامى « سموك » وتحولت كل العيون إليه .. « سموك الكويتيون تركوا زوجاتهم .. تركوا خدمهم .. حملوا أموالهم وخزنوها فى حسابات البنك السويسرى هذا لا يُطلق عليه شجاعة » .

لم يوافقه الشيخ . قال : الكويتيون كانوا أبطالا عند الحاجة فهز القريبون منه رؤوسهم موافقة على كلام قائدهم الذى ذكر أن الكويتيين قد أخذوا على غرة . وأجابه باتريك « سموك أى دولة محاربة لايمكن أن تؤخذ على غرة » .

وهمس كوهين لباتريك « وماذا عن ميناء بيرل هاربور » وذكره أن الولايات المتحدة أيضا أُخذت على غرة بالغزو العراقى .

فى اليوم التالى سافر الوفد للولايات المتحدة وشعر كوهين كما لو كان قد رأى عرضا بالصوت والضوء . لم تكن هناك أى أخبار حقيقية أو معلومات حول مايهم بالفعل ويؤثر فى القرارات أو المقترحات التى يواجهها الرئيس فى استراحته مع حفنة من المستشارين .

* * *

فى اليوم التالى الأربعاء ٥ سبتمبر ، دعا بوش للبيت الأبيض ٣٠ سيناتور ورجل كونجرس

معظمهم من الذين سافروا للخليج فى إجازة الأسبوع الماضى .

تشينى الذى حضر المقابلة شعر أن إجازة أغسطس للكونجرس كانت مكسباً كبيراً . فالإدارة قد أمضت الشهر تقوم بما يجب تنفيذه بدلا من شرح ماتفعل فى الكابيتول هول ( مقر الكونجرس ) ولكن بوش وتشينى بوصفهم رجال كونجرس سابقين يعرفون مدى أهمية الحفاظ على نوايا طيبة للكونجرس .

كل سيناتور ورجل كونجرس من الذين تحدثوا فى المقابلة امتدح معالجة بوش للأزمة وأيد التحركات السياسية والعسكرية .

قال كوهين حين واتته الفرصة للحديث « سيادة الرئيس هناك صورة فى النيويورك تايمز هذا الصباح تظهر رجل بحرية يساعده زملاؤه ولا أحتاج أن أذكر شيئا من شكسبير لأوضح أنه لو أنه هذا البحار قد أصابته رصاصة وليست ضربة شمس لكان رد الفعل سيختلف تماما فى هذا البلد . سيادة الرئيس أقترح تخصيص جلسة خاصة للكونجرس . وتطرح ذلك للتصويت وتحصل على تأييد الكونجرس لهذه العملية .

قال كوهين إنه قدم هذا الاقتراح لصالح الرئيس ولصالح الوحدة بين الإدارة والكونجرس ولصالح الجيوش التى فى الصحراء وتستحق توحد حكومتها ولصالح الكونجرس الذى كان يريد تجنب مسئولياته . وقال « سيادة الرئيس أتمنى أن تقاوم الدعاوى التى تنادى بعمل عدوانى . حينما نصل للنقطة التى تراق فيها الدماء . الكونجرس الذى يتبع ناخبيه الآن ـــ سوف يفعل هذا مرة أخرى ويتبعهم للجهة العكسية . لقد زرنا الكويت ورأينا الكويتيين ورأيناهم راغبين فى الحرب حتى يسقط آخر عسكرى أمريكى » .

بأدب تقبل بوش نقاطه ثم مضى فى طريقه !

□ ٢٠ □

استيقظ باول مبكراً يوم الأحد ١٦ سبتمبر .. لقد عاد لتوه من المملكة العربية السعودية فى الليلة الماضية بطائرة نفاثة .. فى أثناء جولته المكوكية قذفته الجيوش بالأسئلة أمام المراسلين حول متى سيعودون لوطنهم و لم يكن سعيدا لأنه لم يكن يملك إجابة شافية .. فى السادسة صباحاً استمع لتقرير من C N N حول تصريحات الجنرال مايكل دوجان رئيس القوات الجوية حول خطط الحرب ضد العراق . قام التقرير على قصة نُشرت فى ذلك الصباح فى « الواشنطن بوست » بدت غريبة .. ذهب باول يبحث عن جريدته ولكنها لم تكن قد وصلت بعد .

بعد ذلك بحوالى ٤٠ دقيقة وصلت الجريدة وبدأ باول يقرأ القصة ، التى احتلت مقدمة الصفحة الأولى . تحت العنوان الرئيسى « الولايات المتحدة تعتمد على الهجوم الجوى لو اندلعت الحرب » .

وقرأ باول : « انتهى رؤساء الإتصالات إلى أن القوة العسكرية الجوية للولايات المتحدة ـــ بما فيها من قطاع ضخم للقنابل موجه لبغداد مستهدفاً الرئيس العراقى صدام حسين ـــ هى الخيار المؤثر الوحيد الذى يمكنه إجبار القوات العراقية على الانسحاب من الكويت لو اندلعت الحرب وهذا تبعا لما قاله رئيس القوات الجوية الجنرال مايكل دوجان .

وبدهشة وفزع متصاعدين قرأ باول أن دوجان قال إن القواد الآخرين مثل الجنرال شوارسكوف يشاركونه الرأى فى أن « القوة الجوية هى الجواب الوحيد المتاح لبلدنا لتجنب ضربة أرضية دموية قد تدمر الكويت » .

وقرأ باول : « وحتى أسبوعين مضيا كان مخططو الأهداف الأمريكيون قد جمعوا قائمة تقليدية إلى حدما للأهداف العراقية والتى حوت حسب ترتيب الأسبقية : الدفاع الجوى العراقى ، المطارات والطائرات الحربية ، مواقع القذائف متوسطة المدى بما فيها قذائف سكود أرض ـــ أرض ، مراكز الإتصالات والأوامر ، الوحدات الكيمائية والنووية والذخيرة وتجمعات المصفحات العراقية ..

قال دوجان : « هذه قائمة طيبة للأهداف وقد أقبلها ولكنها ليست كافية » .

وسأل مخططيه أن يسألوا الأكاديميين والصحفيين ، والعسكريين القدامى ، وجواسيس العراق لتحديد « ما الشيء الفريد فى ثقافة العراق والذى يجدونه عظيم الشأن . ماالذى يمكنه سيكولوجيا

أن يؤثر فى الشعب والنظام العراقى ؟ » وأضاف أن الهدف هو إيجاد مركز خطورة تستطيع القوة الجوية أن تؤثر فيه مبكراً .

وقال دوجان « المصادر الإسرائيلية أخبرتنا أن أفضل طريقة لإيذاء صدام هى أن تستهدف عائلته وحارسه الخاص وعشيقته . ولأن صدام هو الرجل الأوحد فى العراق فحينما ننوى الالتجاء للقوة فيجب أن نلجأ إلى السياسة العسكرية التى تعرف بقطع الرأس » .

قرأ باول تعليقات دوجان على القدرات العراقية وكانت : « قوتهم الجوية محدودة جداً عسكرياً .. فلم نشعر بهم جواً فى الحرب أمام إيران ولديهم جيش لا يبارى » .

كان الموضوع الغالب هو سيطرة القوة الجوية كنوع من الميزة الأحادية ، ورؤية النصر من خلال القوة الجوية . بينما دوجان يعترف بأن « هناك الكثير لاتقدر القوة الجوية على تحقيقه » فقد قال : إن القوة الجوية « وجدت صعوبة بالغة فى إخراج الناس من الغابات » فى « فيتنام » ثم أضاف بأنه « لا يوجد كثير من الغابات حيث ستذهب » . وقال المقال « إن البحرية والقوات الأرضية يمكن أن يستخدما للتمويه فى الهجوم وصد الهجمات العراقية المرتدة على السعودية .. وقد نحتاج القوات الأرضية لإعادة احتلال الكويت » أضاف دوجان : « ولكن ذلك يتم فقط بعد أن تكون القوات الجوية قد سحقت مقاومة العدو فيستطع الجنود أن يتقدموا وليس عليهم أن يحاربوا من بيت إلى بيت » .

واختتم المقال بتعليق لدوجان على سرب طائرات إف ــ ١٥ وعلى المساندة الأمريكية للعملية .. « أعتقد أنهم سيعضدون هذه العملية لأطول مما تظنون ؛ فالشعب الأمريكى سيساند العملية حتى يعود الجنود للوطن » .

بالنسبة لباول بدت القصة طلقه إجتماعية عبر قوسه خلال مرحلة من مراحل الانتشار الشديدة الحساسية وضد الإجماع المشترك الذى جاهد باول للحفاظ عليه بين القادة والخدمات . ان يعرض تقريراً لحالة الأنتشار للقوات الأمريكية بالمنطقة واستعدادها العام للحرب متضمنا أنواعا متخصصة من حاملات الطائرات وهى تفاصيل جاهد باول لحجبها عن الصحافة .

فكر باول فى أن هذا سيكون سيئا ولاحظ أن الجريدة ذكرت أن دوجان وخمسة من جنرالاته قد سُئلوا على مدى عشر ساعات خلال رحلة من وإلى السعودية فى الأسبوع الماضى . والتحدث للمراسلين طول هذه المدة الطويلة يعد عملا خطرا يعرف باول ويعرف أى موظف مسئول فى علاقات عامة أنه لا يستطع تصديق أن دوجان قد قام بهذا .. كان باول مدركا أن دوجان قد وضع من الأولويات إصلاح علاقة القوات الجوية بالصحافة والتى شعر بأن سلفه ولش أفسدها وكجزء من الحملة جعل دوجان رجاله المختصين بشئون العلاقات العامة يقومون بطباعة كروت

ذات صفائح حفروا عليها أرقام تليفونات ٣١ من أبرز رجال القوات الجوية « لمساعدة المراسلين والمحررين فى الاتصال بهم عند إعداد تحقيقاتهم الصحفية الخاصة عن القوات الجوية » .. وفى الأسابيع الأخيرة حيا باول دوجان العديد من المرات على سياسته الإعلامية ولكنه أيضا قام بتذكيرة أن الرئيس هو صانع القرار .. قائد القوات الجوية كما يبدو بوضوح قد اندفع اثر رؤيته للجيوش وتخطى حدوده بهذا العهد الجديد من الصراحة .

اتصل باول بتشينى فى السابعة صباحا فهو يعلم أن الوزير يستيقظ مبكرا حتى فى أيام الآحاد وسأله باول : « هل قرأت الواشنطن بوست ؟ »

وقال تشينى إنه لم يقرأها فأخبره باول بالقصة وقال إنه يعتقد أنهاسيئة وعندما أخذ تشينى نسخته من الصحيفة وقرأ القصة مرتين وبغضب شديد اتصل ببيتر ويليامز فى المنزل .. تحدث تشينى أيضا مع شوارسكوف الذى كان على وشك تسجيل برنامج « واجه الأمة » فى العاشرة والنصف صباحاً .

لم يكن شوارسكوف مستعدا لقول إن القوة الجوية تستطيع كسب معركة رئيسية ، إن هذا لم يحدث أبداً . وأزعجه أن يحاول رئيس القوات الجوية دفع هذا الاتجاه بهذه الطريقة العشوائية والتى تشى بنقص فى ضبط النفس لقد استشعر شوارسكوف غضب تشينى ووجده على حق .

وقال شوارسكوف لتشينى : « على الأقل أظننى علىّ أن أذكر أن دوجان فى هذا الشأن لا يتحدث عن الإدارة » . ووافقه تشينى .

وفى برنامج « واجه الأمة » أوضح شوارسكوف ماعنده : « الجنرال دوجان ليس من أولى الأمر وهو لايتحدث إلا نيابة عن نفسه » .. فى ذات الوقت خرج تشينى للتريض ساعتين بجوار قناة « سى آند أو » C & O والتى تجرى بجوار نهر بوتونك كان تشينى عداء ولكنه أُجْبر على ترك العدو حين ساءت حالة ركبتيه فأصبح السير يوميا رياضته الرئيسية .

تحدث بيتر وليامز لباول .. كان القائد يريد أن يعرف ماسيقوله شوارسكوف ماالذى سيقوله تشينى ؟ ما الذى سمعه وليامز ؟ وما الذى سيقوله ؟ كان واضحا أن باول قلق .

عند عودته من التريض قرأ تشينى القصة مرة أخرى . كان مايزال يغلى . اتصل بويليامز الذى جاء وقد أحضر نسخة من قصة نشرتها صحيفة لوس أنجلوس تايمز كتبها مراسل آخر كان بالرحلة . قارن تشينى وويليامز بين القصتين ورأيا أنهما متقاربتان جدا . كان هناك احتمال ضعيف لأن يكون دوجان قد أسيء فهمه أو وُضع كلام على لسانه .

اتصل تشينى بكامب ديفيد حيث كان بوش يلعب التنس .

وقال تشينى لمن أجابه : لا .. لاتخرجه من الملعب . اترك له رسالة . اتصل بوش بعد المباراة .

وكان قد قرأ القصة فى «الواشنطن بوست » وبدا منزعجاً قليلا ولكن بوش ظن أنها محاولة متمكنه ومقصودة من البنتاجون لإرهاب صدام .

وأجاب تشينى بالنفى وقال : إنها للأسف ليست خدعة . وقال تشينى إن التعليقات كانت جادة جداً حتى إنه يرى وجوب عزل الجنرال دوجان وسأل تشينى « هل لديك مشكلة فى هذا » .

قال بوش « لا » فما يريده تشينى يحظى دائما بتأييد بوش . لم يكن بوش محبطا من الأمر ولكنه استشعر ان تشينى يحذر الحمقى .

فى هذه الليلة دعا تشينى معاونة العسكرى الجديد ادميرال جولوبيز وقال له : استدعى الجنرال دوجان لمكتبى فى الساعة الثامنة صباحا ثم اتصل بـ ويليامز وأخبره بأننى أنوى فصل دوجان .

وقال الوزير لويليامز « إن أنا قمت بذلك فكر فيما يجب أن أقوله وفى ردود الفعل » .

كان ويليامز يرى دائما أنها فكرة سيئة جداً بالنسبة لدوجان أن يلعب دور الشخص القوى فى التعامل مع الصحافة وتذكر ويليامز قول دوجان : « إننى أعلى مسئول للعلاقات العامة فى القوات الجوية » .. كان وغيره من رئاسة القوات الجوية فى حاجة إلى أخصائيين فى العلاقات العامة يعملون كعازل ضد الصحافة .

واعترض بلا طائل ضد جلب دوجان للمراسلين معه فى رحلته للسعودية . وقد أفزع ويليامز أيضا أنه لم يكن هناك ممثل عن الكبار فى النظام. فلا باول ولا تشينى .. ولا هو قد أخبروا من قبل عن نشر هذه الروايات . وهذا ما يعتقد أنه جزء من المشكلة ، فقد كان ولابد أن يقوم ما من القوات الجوية باستشعار الخطر وأن يسعى لمنع الكارثة مبكراً .

* * *

فكر تشينى طويلا .. دوجان ليس الأول ولن يكون الأخير ممن ينحون بعيدا . دوجان كان رجلاً طيباً وقد بدأ بداية حسنة كمسئول . وسوف تكون النهاية مأساوية لمستقبله المتميز . ولكن تصريحاته كانت خارج كل الحدود . كان واضحا أنه مدفع منطلق . ملأ تشينى صفحتين من الورق الأصفر كتابة قانونية ثم مد يده للورقة الثالثة التى لخص فيها أسبابه .. وتحت عنوان « المشاكل » كتب مايلى :

١ ــ قدمت تقديرات وأحكاما سيئة .

٢ ــ مناقشة خطة عملية دائرة وتفنيد قائمة أولويات الأهداف .

٣ ــ جعلت من نفسك المتحدث لرئاسة هيئة الأركان ولقائد مسرح العمليات .

٤ ــ نموذج سيىء للآخرين ، خاصة فى القوات الجوية .

٥ ــ تعاملت مع أبعاد الكارثة بفروسية .
٦ ــ قلت اننا سنجعل نظامنا التنفيذى يشترك فى الاغتيالات .
٧ ــ الإعلان عن معلومات مفصلة عن حجم ومقدرة قواتنا .
٨ ــ تخطيت دور الخدمات الأخرى .
٩ ــ أعلنت عن نقاط سياسية حساسة بما فيها الحصول على معلومات من إسرائيل .

* * *

قبل الثامنة من صباح اليوم التالى التقى تشينى بنائب الأمين العام دون اتوول وباول فى مكتبه وقال تشينى إننى أنوى إقالة دوجان . تبع ذلك بعض المناقشات حول الجوانب السلبية والآثار المترتبة على الإقالة ومنها جذب الاهتمام لتصريحات دوجان التى عرضتها الصحف ووكالات الأنباء الأخرى ذلك الصباح فالسبق الصحفى الحقيقى يموت إلا إذا ركز عليه رد فعل رسمى .

أوضح تشينى أنه مقتنع بأن عليه التصرف . لم يقدم أيا من باول أو اتوول معارضة عنيفة لذلك .

انصرف باول ولكن اتوول مكث فى مكتب تشينى . وعند وصول دوجان مر تشينى على النقاط الرئيسية بالمقالتين نقطة نقطة وسأل دوجان إن كان قد صرح فعلا بما نسب إليه .

وأجاب دوجان مؤكدا أنه بالفعل قد ذكر هذه الأشياء .

أخبر تشينى دوجان أن عليه عزله من منصبه كرئيس للقوات الجوية . وكى لايكون هناك غموض حول الأسباب قرأ تشينى قائمته بالأسباب التسعة لأتخاذه هذا التصرف . وقال تشينى أيضا إن تعليقات دوجان ونبرته حملت احتقاراً لمكانة القوات العراقية .

قال تشينى : إنك وأنت قائد القوات الجوية لم تأخذهم بجدية فأنت لست الشخص المناسب لقيادة القوات الجوية فى المستقبل وأنت معزول .

قال دوجان كلمات قليلة .

لم يُستشر فى هذا القرار كل من قائد الدفاع الجوى دونالد ريك ولا الجنرال شوارسكوف . اتصل تشينى ببوش الذى كان فى اجتماع . وطلب من سكرتير بوش إبلاغ الرئيس فوراً أن دوجان قد تم عزله . لم يكن تشينى يريد مفاجأة بوش .

مؤخراً فى هذا الصباح ذهب تشينى لإدارة إجتماع فى وكالة القوات الجوية وهى ( ٢٠٠ ألف من كل أنحاء الدولة ) وقرر تشينى عدم إعلان نبأ الإقالة للوكالة لأنه رغب فى منح دوجان بعض ساعات يخبر فيها الناس قبل أن يتسرب الخبر .

كانت لحظة شديدة الحرج لتشينى حين ولج لاجتماع الوكالة وقوبل بجفاوة بالغة .

كان مقرراً له أن يشترك فى الثانية عشرة ظهراً فى مؤتمر صحفى بالبيت الأبيض حضر تشينى مبكرا واحتل مكتب بوب كايتس ليستخدم مكتبه ليكتب تصريحه . فى البيت الأبيض وفيما بعد فى البنتاجون لخص أسبابه بعناية . لم يستهدف تشينى هجوما حادا على دوجان مفضلا أن يتحدث أمر الفصل عن نفسه . خلال العرض فى البنتاجون استخدم العبارة المرنة « غير لائق » اربع مرات لوصف تصرف دوجان . بالرغم من توضيح تشينى أنه قد تحدث إلى بوش وآخرين إلا أنه أكد مسئوليته الكاملة عن القرار « إنه قرارى بصورة كاملة ، مسئوليتى وقد نفذتها » .

* * *

على المعاش سمع بالأمر الجنرال ولش . كان واضحا أن الخدمة اضيرت . لم يكن قلقا بشأن كيفية معاملة الآخرين فى القوات الجوية لدوجان .. لن يقول أى امرىء شيئا يحرجه . كان ولش واثقا من ذلك .

لم يقل امرىء فى القوات الجوية « الملعون تشينى » بخصوص الفصل . ولكن رجال القوات الجوية كانوا يتساءلون سؤالا واحدا ضخما عن الحادثة : هل قرار تشينى بتنحية القائد قد هزَّ الثقة بعض الشيء بالقوة الجوية ؟! .

# □ ٢١ □

فى ٢١ من سبتمبر أى الأسبوع السادس لانتشار القوات الأمريكية أصدر مجلس قيادة الثورة العراقى تصريحاً مستفزاً يقول « لاتوجد أية فرصة للتراجع .. ليفهم كل امرىء أن هذه الحرب ستكون أم المعارك جميعها » .

الصور الفضائية وصور المخابرات الأخرى المقدمة للرئيس بوش كانت توضح أن العراق يجرد الكويت بصورة منظمة وينهبها .. كل شىء له قيمة حُمل للعراق ؛ وأُرهب الشعب وجوّع ، ضُرب وقتل وقيل لبوش إن الكويت سرعان ما ستصبح مهجورة وكان يستطيع ان يرى ذلك بنفسه .

ادعت المخابرات الأمريكية أن صدام يملك اربعمائة وثلاثين ألفا من الجيوش فى الكويت وجنوب العراق .. وقواته تتقدم وتتحرك لمواقع دفاعية .. وهذا يجعل أى عمل عدوانى لصدام ضد السعودية أقل احتمالية . فحتى يهاجم صدام ، على جنوده أن يخرجوا من مكامنهم ويتحركوا لما يسمى المناطق القاتلة ـــ وهى مساحات من الصحراء المفتوحة على مدى سبعة أميال ـــ حيث تستطيع الولايات المتحدة أن تسحق الجيوش والدبابات بقواتها الجوية المتفوقة وقوات شوارسكوف الأرضية ، وبالرغم من أن الولايات المتحدة لديها ماهو أقل من نصف جيوش العراق على الساحة إلا أن تشينى وباول أخبرا بوش أنهما الآن متأكدان تماما أن القوات الأمريكية وقوات الحلفاء قادرة على الدفاع عن السعودية .

كان يوم ٢٨ سبتمبر يوم « الأمير » .. قابل بوش أمير الكويت المعزول الذى كان يزور الولايات المتحدة للمرة الأولى فى المكتب البيضاوى .. سكوكروفت صحبهم طوال الأجتماع . وبالرغم من أن الأمير لم يطلب مباشرة التدخل العسكرى لتحرير بلده رأى سكوكروفت أن هذه هى رسالته الخفية . ثم أخذ بوش القائد المعزول لمقابلة مجلس الوزراء ثم الغداء معهم فيما بعد فى البيت الأبيض . فى هذا المساء التقى تشينى وباول مع الأمير على انفراد .

فيما بعد قال بوش إن الكويت يسرقها الوقت ومن المؤكد أنه لن تكون موجودة كدولة لو أنهم انتظروا آثار العقوبات . روايات الأمير نفسه المؤيدة بتقارير المخابرات عن الدمار الذى لحق

بالكويت خلقت أثرا لا يمحى فى نفس الرئيس رآه كل من تشينى وباول ، لقد تأثر بوش شخصيا وقال : سوف تفشل العراق وستبقى الكويت .

فى نفس الوقت أدرك باول أن شوارسكوف فى المملكة العربية السعودية يزداد قلقاً فقد هاجم شوارسكوف كيلى بعنف على التليفون مرة حين طلب باول بعض المعلومات خلال ثلاثين دقيقة . لم يخف كيلى وأجاب أنه ينقل فقط أوامر باول « إننى لآمرك ولكنه القائد » لكن شوارسكوف كان يرهب كل المحيطين به وكان يحتاج للمواساة لا من أجل المهام الصعبة التى قد تواجهه ولكن من أجل التخفيف من قلقه ومن انعدام ثقته فيما قد تأمر به واشنطن . كانت عصبيته تتصاعد بسبب قوة تحصينات الجيش العراقى وكان يتساءل عن أهداف ومستوى الجيوش الأمريكية . وبالرغم من أن مهمته العسكرية المحددة مازالت فقط الدفاع عن السعودية كان شوارسكوف واعياً بالتصريحات المتكررة من الرئيس والتى دفعت بالمهمة فى اتجاه تحرير الكويت .

بمرور الوقت وفى محادثاته اليوم على الخط الآمن مع باول فى البنتاجون كان شوارسكوف يسأل صراحة عن الخطوة التالية : هل سيتوقفون عند المهمة الدفاعية ؟ أو أنهم سيعدون الجيوش لأداء المزيد ؟! » .

كرر باول مراراً : « نورمان .. اننى ابحث عن ذلك » .

فى مقابلتهما المنتظمة فى الخامسة مساء كان تشينى وباول يقضيان الكثير من الوقت حول هذه الأسئلة .

قال باول لتشينى : فى وقت مبكر فى أكتوبر .. « هل تعلم أن علينا أن نقرر » كان على الرئيس أن يخبرهم ما إذا كانوا سيستمرون فى نشر القوات أو سيتوقفون قبل الوقت المحدد وهو أول ديسمبر حيث يتوقعون أن يكون لديهم كل القوى والمعدات التى تلزم المهمة الدفاعية .. فرد تشينى : « حين نضع آخر شيء فى الانبوبة » .. يقصد آخر التجهيزات التى سيرسلونها .

وذكر باول تشينى بأنه لم يشارك فى المراجعة الكاملة للخطة ولا فى مناقشة البدائل وفوائدها .. فلم يعلق تشينى .

بدأ باول فى تدوين بعض الملحوظات منها .. أنهم يطبقون سياسة الاحتواء أو الخنق .. لقد تكون الائتلاف السياسى الديبلوماسى الرائع الذى ترك العراق بدون حلفاء يدعمونه وهذا لم يحدث لأى دولة تقريبا فى التاريخ المعاصر .. وأكدت المخابرات على أن العقوبات الاقتصادية حرمت العراق من حوالى ٩٥٪ من الواردات وتقريبا كل الصادرات .. كان صدام فعليا محبوساً فى العراق والكويت وشعر باول بأن الأثر لا يمكن قياسه فى أسابيع .. قد يأخذ شهورا . سوف يصل صدام لنقطة ـــ بعد شهر أو ستة أسابيع عندما تنتهى آخر حفنة من الأرز ـــ تتوالد عندها ردود فعل

العقوبات .

بانال ولفيتز وكيل الوزارة للشئون السياسة أخبر باول بإنه يشعر أن الحصار وضع دفاعى مادام يعنى أن العقوبات تنفذ فعليا . على صدام أن يعرف أنه سيواجه حصارا للأبد . وتطبيق سياسة ومقاطعة تستمر لمدة عام أو ثمانية عشرة شهراً قد يمنح ذلك القائد العراقى فرصة يأمل فيها فى الخلاص ولا عليه أكثر من أن ينادى شعبه بالاحتمال لبضعة شهور أخرى .

* * *

ذهب باول لتشينى لتحديد ملامح الاحتواء .. لم يكن قد عرض رؤيته فى أوراق رسمية ، ولم تكن هناك تنبيهات أولا خطط ولا شيء مطبوع . كل ما لديه هو ملاحظات بخط يده .. قال باول إنهم حتى يتأكدوا من فشل الحصار والعقوبات الاقتصادية سوف يكون من العسير أن يحاربوا . ولو أن هناك فرصة لتأثير المقاطعة فهذا يستلزم الانتظار حتى نقطة ما .. وهناك بالفعل فرصة لتحقيق الأهداف السياسية عن طريق المقاطعة.

أجاب تشينى : لا أعلم .. لا أظن أن الرئيس سيوافق على ذلك . كان تشينى يرى أن الحصار غير كاف ولم يكن يرى أى دلالة مقنعة بأن المقاطعة الاقتصادية تضمن النجاح . إن الرئيس يريد سياسة ناجحة .. ولو لم يحرر الحصار الكويت من أيدى صدام فأنها تكون سياسة فاشلة .. وهذا ما لن يقبله الرئيس .

كان باول يريد شخصا آخر فى المعركة . كان مهتماً ألا يُملى أحد البدائل على الرئيس ربما لا يصل بوش كل ما يجب أن يسمعه . قائمة كاملة من البدائل لابد وأن تُطرح . بعد ذلك بأيام عاد باول لتشينى بعرض مفصل للحصار .

قال تشينى بلا احتفال : « حسنا .. هناك حتما أسلوب آخر لرؤية الأمر » ثم ذهب باول بعد ذلك لرؤية بيكر للحديث عن الحصار . كان وزير الخارجية هو حليف باول فى المناصب العليا للإدارة وسيتفقان فى الرأى فى كثير من المواضيع . كلاهما يفضل الحوار عن المواجهه والصراع . كلاهما يتعامل بجدية مع المجال الإعلامى حتى يحملوا أفكارهم من خلاله وفى الوقت نفسه يحصلان على أفضل الأضواء . كان بيكر غير سعيد بالمرة بالحديث عن العمل العسكرى العدوانى .

كان يريد الصدارة للدبلوماسية الأمريكية ، حتى تحقق سياسة ناجحة فى الأزمة .

اخبر بيكر باول أنه قد أوكل لعدد من موظفيه العمل على تحليل مميزات الحصار وألمح بيكر أن هذا قد يدفع لمناقشة « الحصار » داخل دائرة بوش الداخلية أو على الأقل سيثير جدلا .

ولكن لم يجتمع البيت الأبيض ولا حدثت مناقشات . شعر باول أنه قد رفع فكرته عاليا ولكن لم يحيها أحد أو حتى يعلق عليها . كان يستطيع أن يرى بوضوح أن الرئيس يصر ويسعى إلى

تحرير الكويت . لم يتزحزح بوش عن ذلك وكان واضحا تصاعد الإحباط فى البيت الأبيض . فبعد أكثر من شهرين لا إصرار الولايات المتحدة ، ولا الدبلوماسية ، ولا المقاطعة الاقتصادية ولا الأدبية نجحت فى تخفيف قبضة صدام . وقرر باول الذهاب لمقابلة سكوكروفت فى البيت الأبيض . ألمح سكوكروفت أنه يواجه أوقاتا عصيبة يستطيع باول كمستشار سابق للأمن القومى أن يتفهمها .. كان يحاول أن يقود ويتحكم فى رئيس شديد النشاط . كان بوش يتحرك مصدراً تصريحات ، عاقداً مؤتمرات صحفية تقريباً يومياً .. يستيقظ فى الفجر .. يجرى اتصالات عبر التليفون مع قائد عالمى بعد الآخر محددا لقاءات ، وجد سكوكروفت نفسه محاولاً اللحاق .. فى أثناء عطلة نهاية الأسبوع والمفروض أنها الراحة قابل بوش عددا من الناس الذين لهم صلة بعمله أكثر مما يفعل الناس فى أيام العمل العادية .

بعد الاستماع المتعاطف اتجه باول للسؤال عن الخطوة التالية فى الخليج ؛ وقال إنه يفكر فى الحصار والمقاطعة ومميزات المقاطعة الاقتصادية .

كان سكوكروفت يعرف موقف باول لأن تشينى كان قد أشار إلى ذلك . ولكن باول لم يكن مباشراً . لم يأت بوضوح ويقول إن هذا رأى . أجاب سكوكروفت : « إن الرئيس يزداد يقينا أن المقاطعة لن تفيد » . وأوضح أن أصرار الرئيس واضح .. إصرار بوش لم يكن خافياً وهو يشجب بوضوح أى إحتمال يغير رأيه .

كان واضحا لباول أن سكوكرفت يوافق بوش وأنه يعضد آراء الرئيس بقوة فهو كمستشار للأمن القومى يعد هذا من صميم عمله وكمراقب للسياسة الخارجية عليه أن يعكس صورة الرئيس ولكن مستشار الأمن القومى عليه أيضا مسئولية التأكد من أن كل البدائل قد عرضت على الرئيس . فى الواقع كان سكوكروفت أكثر ميلاً للحرب من باول . الحرب وسيلة لدعم السياسة الخارجية من وجهة نظر سكوكروفت .. ولم يختلف باول ولكنه فقط يرى هذه الأداة عن قرب أكثر ، يراها فى عيون الجنود من الجنسين وفى عيون أطفالهم .. فى الجناح الغربى للبيت الأبيض حيث يجلس سكوكروفت . يبدو البنتاجون بعيداً جداً وتبدو القوات أكثر بعداً . باول يعرف هذا لأنه كان هناك .

قال باول لسكوكروفت إنه إذا كان هناك بديل للحرب فهو يود التأكد من أنه قد دُرس تماماً . ولو كانت هناك أية فرصة لتحقيق الأهداف دون استخدام القوة فلابد من دراستها . بدا سكوكروفت غير صبور وقال إن الرئيس يفعل كل ما يمكن .

غادر باول المكان .. لقد أصبح غير سعيد بصورة متزايدة بإجراءات لجنة الأمن القومى واجتماعاتهم وبدا سكوكروفت غير قادر ، أو غير راغب فى التعاون أو ربط مكونات أزمة الخليج

( السياسية والعسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والمحلية وكذلك الأمم المتحدة ) ببعضها البعض .
حين يلتقى المسئولون يفضل بوش أن يحتفظ بالجميع حول المائدة مبتسمين ـــ دعابات ـــ ألفه ـــ مرح الأصدقاء القدامى . المقاطعة فى الحديث معتادة . ونادراً ما تظهر القرارات الواضحة . عادة مايعود باول وتشينى من هذه الاجتماعات ويقول كل منهما للآخر « والآن ماذا يعنى هذا ؟ » « ماذا علينا أن نفعل ؟ » وكثيرا ما يضطرون للأنتظار ليعرفوا الإجابة مؤخرا من سكوكروفت أو التليفزيون .

العملية تحتاج إلى فيلد مارشال ـــ ويرى باول أنه يجب أن يكون على أعلى مستوى وأنه لابد أن يكون مديراً ليوم بيوم . الرئيس مع مهامه المحلية والسياسية الأخرى لا يمكن أن يكون المنظم الرئيسى ولكن قد يصبح مستشار الأمن القومى . وبدلا من ذلك صار سكوكروفت المرافق الأول والرفيق لكل الأغراض الخاصة بالرئيس فى الجولف والصيد ونزهات عطلة نهاية الأسبوع .
إنه يفشل بانتظام فى مهامه الأوسع ليؤكد أن تلك السياسة قد نُوقشت وأُسست بعناية .

سنونو يضيف فقط للمشكلة بما يقدمه من تحكم ضئيل فى الاجراءات كرئيس للموظفين بالبيت الأبيض .

وكنتيجة لذلك تُرك الرئيس فى ركن مصبوغاً بتصريحاته المتكررة . صلته الانفعالية الواضحة بتصريحاته تجعل من تعليقات الرئاسة سياسة صعبة . صار الهدف الآن أكثر من ذى قبل هو تحرير الكويت بأى ثمن تقريبا .

* * *

قال تشينى لباول يوم الجمعة : « لماذا لم تأتى معى لنرى كيف يرى الرجل فكرتك ؟ » . كان لتشينى مقابلة خاصة فى المكتب البيضاوى مع الرئيس وكان هذا الوقت محجوزاً لرجال مجلس الوزراء الكبار ـــ « الرجال الكبار » كما يشير إليهم باول سراً . وهذا المجلس يضم فقط بوش وسنونو وسكوكروفت وفى الظروف العادية لا يحضر باول .

ذهب تشينى وباول للبيت الأبيض لمقابلة بوش وسكوكروفت فى المكتب البيضاوى .

فى هذا الاجتماع ألقى باول بقذيفته عن الحصار وابتعد كثيراً عن هاوية الدفاع عن ذلك شخصياً .

* * *

ظنون باول بأن بوش لم يدرس أمر الحصار بشكل عميق سرعان ما تم تصحيحها فخلال أيام أخبر سكوكروفت تشينى أن بوش يريد على وجه السرعة ملخصاً لما يمكن أن تكون عليه عملية الهجوم على قوات صدام فى الكويت . هذه الخطة قد أعدها شوارسكوف ورجاله بالسعودية

وعليه نقل « باول » الأمر « لشوارسكوف » ليرسل نسخة لواشنطن . فى أثناء إجازة يوم « كولومبوس » من ٦ : ٨ أكتوبر طار رئيس الجيوش فيونو للسعودية ليرى شوارسكوف . لقد كانا صديقين منذ كانا طالبين فى كلية « ويست بوينت » سنة ١٩٥٠ وكان شوارسكوف يكبره بعام ولكن فيونو ترق أسرع منه قليلاً وعليه ففى ثلاث مناسبات خلال حياتهم العملية عمل شوارسكوف تحت إدارة فيونو الذى كان يعتبر شوارسكوف واحدا من أصعب رجال الجيش وأكثرهم عناداً وموهبة .

حين ذهبا معاً لحديث خاص استطاع فيونو أن يرى أن « شوارسكوف » محبطا . كان واضحا أنه على وشك الانفجار من « إعياء الصحراء » . كان مايزال فى منتصف الطريق من السبعة عشرة أسبوعاً التى أخبر الرئيس أنه بحاجة إليها حتى يضع قواته الدفاعية فى مكانها المناسب . والآن بدأت واشنطن تهاجمه .. لى أسبين أعلن على الملأ بأن الإدارة الأمريكية تنظر بعين الرضا لعملية حربية قريبة .. « النيويورك تايمز » ذكرت أنه أشيع فى البنتاجون أن الهجوم سيبدأ فى الخامس عشر من أكتوبر والأسوأ من هذا أن باول أخبر لتوه شوارسكوف فى حوار على « الخط الآمن » إن بوش يطلب على وجه السرعة تصوراً لكيفية الهجوم على قوات صدام فى الكويت وجن جنون شوارسكوف « لابد أنهم يهزلون . هو لم يكن مستعداً لتقديم مثل هذه الخطة ولا يريد أن يُدفع بسذاجة إلى عمليات هجومية . إنه الآن يخشى من أن أحدهم قد يستيقظ يوماً « ويقول دعونا نبدأ الهجوم » . إنه يحتاج لشهرين آخرين من العمل ليقدر على الدفاع . وهو قد أخبر الرئيس فى أغسطس : من ثمانية إلى اثنى عشر شهراً ليكون مستعدا للهجوم . وهذا يعنى فى مارس المقبل لكنهم يريدون الآن فى أكتوبر خطة للهجوم يستطيعون تنفيذها فوراً .

أخبره باول أن الجميع يفهمون أنها خطة أولية . « منحت الإدارة المركزية ثمانين وأربعين ساعة لترسل شخصاً بتصور للخطة لواشنطن » لم يقدر شوارسكوف على ترك السعودية ولذلك كان عليه أن يُرسل بديلاً عنه .

بعد استماعه لشوارسكوف على مدى أربع ساعات شعر فيونو بإنه كما لو كان فى محاضرة للتحليل النفسى . كان يرى بوضوح أن صديقه القديم يشعر بالوحدة والحساسية الشديدة . وعد فيونو بأن يفعل مابوسعه .

فى صباح الأربعاء ١٠ أكتوبر استقبل باول رئيس مجموعة شوارسكوف رئيس البحرية الجنرال جونستون فى البنتاجون وفى المساء ذهب كل من تشينى وولفيتز وباول والقواد الآخرين وكيلى « للتانك » ( غرفة العمليات السرية ) . لقد كانوا جميعا أعضاء المجموعة التى عُهد لها بخطط الحرب شديدة السرية . كان ضروريا بصورة مطلقة ألا تتسرب كلمة تقول بأن البنتاجون يدرس عملية

هجوم فقد يكون هذا دعوة لصدام بالهجوم قبل أن تستكمل القوات الدفاعية إعدادها .

جونستون بحار صارم ذو خبرة عريضة بدأ بتذكيرهم أن الإدارة المركزية قد قامت بنشر قواتها تبعاً لمهمة الرئيس فى الصد والدفاع وقال لكن لو طلب منا الرئيس الهجوم غدا فإننا لن نغير خطتنا .. هذا أفضل ما عندنا .

وشرح أن الخطة تنقسم إلى ٤ مراحل . الثلاثة الأولى جميعها حملات جوية والمرحلة الرابعة هجوم برى .

المرحلة الأولى هجوم جوى على مركز الأوامر والتحكم والاتصالات العراقية فى محاولة لعزل صدام فى بغداد عن قواته فى الكويت وجنوب العراق . ستقوم القوات الجوية بتحطيم القوات العراقية ونظام الدفاع الجوى فى آن واحد . بالإضافة لهذا ستتضمن المرحلة الأولى هجوما جويا لشل قدرات الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية العراقية .

المرحلة الثانية ستكون قصفا مكثفاً ومتصلاً على قواعد المدد والمؤن العراقية ووسائل المواصلات والطرق بهدف فصل القوات العراقية عن المدد .

المرحلة الثالثة ستكون هجوما جويا على القوات العراقية البرية بالخنادق والتى تبلغ ٤٣٠,٠٠٠ رجل وكذلك هجوما على الحرس الجمهورى .

وقد تتداخل المراحل بعض الشيء ، فالهجوم البرى لن يوقف القصف الجوى .. وكانت إحدى خرائط جونستون التى يشرح عليها تشير لنقاط الهجوم الثلاثة حيث ستهاجم قوات التحالف العراقيين . إحدى الأسهم تمثل البحرية الأمريكية وهى تشن هجوماً برمائياً من الخليج والثانى يشير للجيش الأمريكى وهو يهاجم مباشرة الخطوط العراقية ، والثالث يشير إلى الفرقة المصرية البرية وهى تتحرك مباشرة باتجاه القوات المعادية وتحمى إحدى أجنحة الجيش الأمريكى .

ألقى تشينى وباول وغيرهما السؤال بعد الآخر . هل يمكن الاعتماد على المصريين فى حماية الجيوش البرية الأمريكية ؟ وماذا عن تراجع القوات إن رد العراقيون على الهجوم ؟

كان باول وفيونو يريدان إن يعرفا أن كان من الممكن تحريك القوات الأمريكية بطول الحدود العراقية ثم الهجوم على الجيش العراقى من الجنب والخلف فهل تستطيع القوات الأمريكية أن تغير أماكنها بسرعة كافية بحيث لا يلحظها العراقيون ؟

قال جونستون إن التحليل المبدئى للأرض يؤكد أن الصحراء العراقية شديدة النعومة والرطوبة بالنسبة لمعدات الإمداد .

كان كيلى على ثقة أن خطة الهجوم المباشر والوسطى التى قدمها جونستون لا تستطيع قطع الصحراء العراقية وأن الخطة لن تصمد أمام تحليل دقيق فاثنان من القواعد الرئيسية للحرب هما

« لاتهاجم مراكز قوة العدو » « واذهب إلى حيث لايوجدون » فالخطة تحتاج إلى تعديل .

أعجب كيلى تماماً بالمراحل الثلاثة للهجوم الجوى . فالتخطيط يبدو دقيقاً وكاملاً . حتى بعد عزل دوجان ، تعلن القوات الجوية بأنها ستهتم بكل شيء .. تشينى لا يعتقد فى هذا ولكنه يرى أن القوة الجوية لديها مميزات جمة فى الصحراء وفوق هذا فالأهداف التى لا تصاب فى الهجوم الأول يمكن أن تهاجم مراراً حسب الحاجة .

ولكن المرحلة البرية الرابعة بدت لتشينى غير ملائمة . قوات الهجوم لوحدات الجيش الأمريكى والبحرية سوف ترسل لمواجهة قوات دفاعية عراقية تفوقها اعتماداً على ما سيبقى من جيوش صدام بعد القصف . حتى لمدنى مثله رأى تشينى أن الأمر يبدو غير حكيم .

أشار تشينى إلى أن العديد من القوات الأمريكية مثل الوحدة ١٨ مسلحة تسليحاً خفيفاً وقد تضطر لمواجهة دبابات ثقيلة التسليح . ولا يوجد احتياطى للمساندة . وسأل أيضا إن كانت القوات البرية يمكن الحفاظ على إمدادها بالطعام والوقود والمؤن لمدة طويلة .

لقد لاحظ أن الخطة البرية تستلزم من القوات الأمريكية شن هجوم فى قلب التحصينات العراقية والسدود أى قلب القوة العراقية وتساءل لماذا الهجوم مباشرة فى الوسط ؟!

نحى جونستون معظم الأسئلة وذكرهم بأن الخطة أولية وأن الاسئلة تعكس تحذيرات شوارسكوف المدونة بالشريحة الضوئية الأخيرة . وعندما وصل جونستون للشريحة الضوئية الأخيرة كانت خطة المرحلة الرابعة قد تمزقت كثيراً . فلقد عرضت الشريحة رأى شوارسكوف وهو أنه يشعر بأن أى هجوم الآن على القوات العراقية بقوات ضعف مالديه حتى مع التفوق الجوى والبحرى والتكنولوجى الأمريكى هو هجوم يمتلىء بالمشاكل قال جونستون : « نحن لانملك القدرات البرية التى تضمن النجاح » . يرى شوارسكوف أنه يحتاج فرقا إضافية مكون من ثلاث فصائل من المدفعية الثقيلة كى تقوم بالهجوم بكفاءة .

توصل تشينى إلى أن أى هجوم بالقوات الأمريكية المتواجدة حاليا فى المنطقة واعتماداً على هذه الخطة سيكون فيه مجازفة ضخمة .

قال جونستون أنه سيكون هناك مساحة من الفرص لمدة ستة أسابيع بدءاً من أول يناير حتى ١٥ فبراير حيث يكون القيام بالهجوم مفضلا فبعد ذلك الوقت هناك معوقات من المناخ وإجازات المسلمين الدينية وهو ما سيجعل المعركة أكثر صعوبة .. تبدأ الأمطار الشديدة فى مارس وترتفع الحرارة إلى ما يقرب من مائة درجة أو تزيد . ولكنهم يستطيعون التعامل مع هذا المناخ ؛ فهو لايمكن ولا يجب أن يحدد لهم جدولهم الزمنى . ذكر جونستون أنه فى ١٧ مارس سيبدأ المسلمون فى انتظار رمضان ، شهر صوم من شروق الشمس لمغربها ، وفى يونيو سيكون الحج السنوى لمكة .

والتوقيت قد يشكل تعقيداً آخر بالنسبة للدول العربية فى التحالف ضد صدام .

رأى تشينى أن عليه واجب تقديم هذه المذكرة للرئيس بوش .. الرئيس يريد أن يعرف أين يقف شوارسكوف بالضبط وحالة الانتشار وماذا يمكن أن يحدث لو صدر الأمر بعملية هجومية . الرئيس وسكوكروفت وسنونو على الأقل لابد وأن يدرسوا حجم العملية . لا يريد تشينى أن يتوجه للبيت الأبيض فى أحد الأيام ، بعد شهور من الأمر ليقول « هذه هى الخطة لننفذها » على الرئيس أن يتفهم الخيوط والثمن والمخاطر خطوة بخطوة . ولكن تشينى الآن قد بدأ يدرك مدى تأثير حرب فيتنام على بوش ، لقد استوعب الرئيس الدرس — أرسل قوات كافية لأداء المهمة ولا تقيد أيدى القواد . وفى خطابه يوم ١٢ سبتمبر بكاليفورنيا قال تشينى « ينتمى الرئيس لما أسميه مدرسة « عدم الدوران » للسياسة العسكرية » .

بالرغم من أن هذه العبارة غير أنيقة إلا أن تشينى كان واثقاً من أن الرئيس لا يريد اللف والدوران . وهذا يعنى احتمالية تنفيذ الهجوم . كان شوارسكوف غير سعيد بعدم تواجده حين كان الرئيس يتلقى موضوعاً مثل الخطة على هذه الدرجة من الأهمية .

فى اليوم التالى ١١ أكتوبر قدم جونستون المذكرة لبوش بالبيت الأبيض . فى حجرة العمليات عرض جونستون ذات الخطة . استغرقت المقابلة ما يقرب من ساعتين . قاطعه بوش العديد من المرات ؛ فهو وسكوكروفت لديهما الكثير من الأسئلة حول مواضيع شتى مثل نظام التسليح والألغام . وعندما قال جونستون إن شوارسكوف يحتاج لفيلق كامل من ثلاث فصائل أخرى للمدفعية الثقيلة حتى تتوافر لديه إمكانيات الهجوم البرى سُئل كم من الوقت يلزم لتحريك كل هذه القوات .

أجاب جونستون من شهرين لثلاثة حتى يصلوا لأماكنهم .

كان يتمنى أن تؤكد مذكرته أن القوات الحالية غير ملائمة للهجوم .

كان رد فعل بوش مشابها لرد فعل تشينى ، خاصة حول خطة المرحلة الرابعة البرية ..الجيش غير مستعد لعملية هجومية ليس لديهم قوة كافية . وتساءل بوش ماالذى يمكن أن يكون كافيا ؟!

وعد تشينى الرئيس بإجابة تفصيلية فى القريب العاجل .

* * *

طلب بوش من باول أن يظهر ويتحدث بدلا منه فى الاحتفال بالعيد المئوى لميلاد الرئيس « أيزنهاور » والذى سيعقد فى ابلينا كينساس فى ذلك الأحد ١٤ أكتوبر .

اجتهد باول فى كلمة الاحتفال . كان يشعر بصلة تربطة بأيزنهاور وتمنى أن يصبح مثله . كانت كلمته من القلب ، قال باول : كان الجنرال أيزنهاور لا يناصر الحرب ، كان نصيراً للسلام . عند

أقدام التمثال الضخم هنا فى المكتبه نرى عبارات « زعيم السلام » وهكذا كان » .

* * *

فى مساء الأربعاء ١٧ أكتوبر كان مدرجاً لبوش حضوره المباراة الثانية فى الدورى العام للبيسبول ولكنه ألغى ذلك واستبدل به عشاء منفردا مع سكوكروفت لمراجعة أزمة الخليج .

الأسبوع الماضى كان تشينى فى جولة فى أوروبا والاتحاد السوفييتى للتباحث مع الحلفاء والمؤيدين لقرارات الأمم المتحدة ضد العراق . ظهر باول كثيرا للعامة فى أثناء غيبة تشينى وقدم فى تلك الفترة : ملحوظات للبورصة الأمريكية ومذكرة قصيرة لبرامج مقاومة المخدرات ، وحضر جنازات ، وقدم بعض الأعمال الفنية العسكرية ومقابلة مع المساعد العسكرى لرئيس فرنسى والعديد من المقابلات الصحفية وحفلات الاستقبال .

حين ظهرت بالصحف قصة وزير القوات الجوية ريكى الذى استخدم طائرة حريق نفاثة لحضور مباراة نوتردام لكرة القدم بتكلفة لا تزيد عن خمسة آلاف دولار اتصل باول بأحد مساعديه . وتساءل « ماذا تفعل القوات الجوية الآن بحق السماء ؟ » ذكرت أسماء قواد القوات الجوية يخالفون بعضهم البعض ، تاركين انطباعا بأن أحدهم قد يقوم بانفاق أموال دافعى الضرائب على مبارة كرة القدم وأن الآخرين يحاولون إخفاء ذلك « هل لايعلمون كيف يجيبون على أسئلة كهذه ؟ » .

وبعد ان هدأت ثورته على القوات الجوية قال « كنت فقط أتخفف مما أحمله بصدرى » .

رجال باول للسياسة والتخطيط ( جى ـــ ٥ أو الجنرالات الخمسة ) أرسلوا له اقتراحاً بالنسبة للخليج . كان الجنرال بوتلن يترأس ( جى ـــ ٥ ) وهو الذى كان مرشحاً للترقى لأربعة نجوم ولكنه تولى إدارة إستراتيجية القوات الجوية . حدد بوتلن أربعة احتمالات : ١ ـــ الحفاظ على الوضع الراهن .. الصد والدفاع ٢ ـــ الإعداد لحصار طويل المدى مع نشر المقاطعة التى يجب أن تستمر من ستة أشهر لسنة حتى تؤثر ٣ ـــ بدء الحرب ٤ ـــ إضافة المزيد من القوات بالهجوم .

حبذ بوتلن الخيار الثانى : الحصار طويل المدى مع تصاعد الضغوط بالمقاطعة وتبعا لتحليل بوتلن فإن أى معركة ستكون فوضى شاملة .

استمع باول للموجز ولكنه لم يشر برأيه ولاحظ بوتلن أنه لم يشر بأكثر من رفع حاجبيه .

مازال باول غير واثق من الطريق الذى سيسلكه الرئيس ولكنه لديه فكرة طيبة .. إن هذا اختيار سياسى لابد وأن يتم فى البيت الأبيض . وكان يشعر بأن عليه إخفاء ما توصل إليه بشأن هذا السؤال حتى عن أعلى موظفيه رتبة .

بعد موجز جونستون قال تشينى : إنه يريد من المخططين أن يبتعدوا عن إلقاء كل الجيوش مباشرة فى مواجهة موانع الجيوش العراقية . سأل باول أن يفكر فى شن هجوم برى على العراق من مكان ما بعيداً عن الحدود العراقية السعودية .. على بعد ثلاثمائة أو أربعمائه ميل من الكويت وفى إتجاه الحدود الأردنية . مثل هذا الهجوم غير المتوقع من الجهة الغربية لبغداد سوف يضع قوات برية فى موقع لاتوجد به تحصينات أو مقاومة عراقية وسوف يقطع خطوط الإتصالات بين بغداد والأردن وسيسمح بهجوم مباشر على مواقع قذائف سكود الموجهة من غرب العراق مهددة إسرائيل . عاد باول سريعا بالإجابة « لا » انه طري عسير على القوات الأمريكية .

* * *

يوم الأحد ٢١ أكتوبر ترك باول واشنطون إلى السعودية . وصل الرياض متأخرا فى اليوم التالى وذهب مباشرة لشوارسكوف رأى باول فورا أن كل من بالقيادة بما فيهم شوارسكوف يستشيطون غضبا . إنهم يصدون ويدافعون على مدى مايقرب من ثلاثة أشهر والشكوك والمخاطر والإجهاد تتراكم فوقهم .

ومازال شوارسكوف غاضبا من الأمر العاجل بإرسال جونستون لواشنطن بخطة هجوم حربية لم تكن جاهزة .

ولكن الأوامر هى الأوامر وكلا الرجلين عسكرى ويعرف ذلك .

أعلن باول أنه ليس لديه قرار من الرئيس بشأن المرحلة التالية .. هل سيستكملون المهمة الحالية أو سيعدون لبديل هجومى ؟ قال باول فى كل الأحوال علينا أن نخرج بخطة هجوم نظيفة تماماً . والأهم أن شوارسكوف عليه أن يحدد القوات الإضافية التى تلزمه لهذه المهمة . وباول يتذكر أنه فى الأيام الأولى للأزمة أخبر شوارسكوف الرئيس بوش فى كامب ديفيد فى ٤ أغسطس أنه يلزمه من ثمانية لاثنى عشر شهرا لبناء قوات أمريكية بمستوى يسمح بطرد العراق من الكويت . كان لدى صدام مائة ألف جندى فى الكويت آنذاك والآن لديه أربعمائه وثلاثون ألفا .

قال باول إنه يريد قائمة بطلبات شوارسكوف ، لقد قرر أن يسانده .. كان شوارسكوف قد قال مؤخرا فى مقال بمجلة « لايف » إنه ليس مؤيدا للحرب . إننى فى كثير من النواحى مهدىء وقد يكون هذا وصفا ضخما ولكنى أعرف ماذا تعنى الحرب . ولذا فإننى مناهض للحرب بكل تأكيد . ولكننى أعتقد أيضا أن هناك أشياء تستحق أن نحارب من أجلها .

وقال بصراحة لباول : إنه لا يميل لعمل هجومى كحل .. إخراج صدام من الكويت فى الآن سيكون قذراً ودموياً وتساءل: هل يعرفون ذلك فى واشنطن ؟ » .

وأجاب باول : « يعرفون » .

قدر شوارسكوف أنه يلزمه ضعف ما لديه من قوات . ضعف القوات الجوية الموجودة ، ضعف السفن البحرية ، ضعف القوات البرية والبحرية وقال أخيرا « انني أريد الفيلق السابع » أيضا .

الفيلق السابع هو قلب القوات الدفاعية الأمريكية فى أوروبا — ثلاثة من أفضل الفصائل مراناً وعدة ، فصيلتان للدبابات الثقيلة ووحدات ميكانيكية ، كان مطلبا مدهشا وغير وارد حتى من عام مضى قبل الاختفاء الفعلى لتهديد حلف وارسو فى أوروبا ولكن ظهور جورباتشوف وسقوط حلف وارسو جعله ممكنا .. قال شوارسكوف لو أن الرئيس جاد بشأن الهجوم فسوف يقوم بإرسال الفيلق السابع .

قا باول : إنه سيبلغهم بالطلب . وأراد أن يذهب لما هو أبعد من ذلك فلقد قرر بناء قوة ضخمة قدر المستطاع . هناك فصيلة من الجيش قاعدتها فى الولايات المتحدة وحصلت على التدريب مع الفيلق السابع « الأحمر الكبير » أول فصيلة مشاة ميكانيكية وهذه ستلائم الفرص تماما .. هكذا اقترح باول ووافقه شوارسكوف .

وجاء رجال شوارسكوف الكبار .. كان باول يريد أن يسألهم بنفسه . كان مدركاً ميل شورسكوف لإرسال مبعوثين يحملون الأخبار السيئة .. كان باول يريد المكوث والاستماع بصبر حتى يرى ما إذا كانت هناك حقائق خافية تحت السطح كما يحدث عادة عندما يمنح المساعدين فرصة للحديث المطول . فى الصباح التالى التقى باول لمدة خمس ساعات أخرى مع شوارسكوف ورجاله . كانت أكبر مشكلة هى أن البريد لا يصل للقوات بالسرعة المناسبة .

أشار باول إلى أن الرئيس بوش لم يقرر بعد الهجوم وعليهم الاستعداد لذلك مع الاستمرار فى الدفاع . ولو أن المهمة ستظل دفاعية فقط وافق كل من باول وشوارسكوف على الالتزام بسياسة تسمح للوحدات التى خدمت لشهور بأن تستريح . واقترح شوارسكوف أن تتناوب القوات خارج السعودية بعد خدمة من ستة لثمانية أشهر . وفوق كل شىء كان يشعر بأن بناء الجيش مستمر وهناك دلائل واضحة على أن المقاطعة قد بدأت تؤثر . وأشار بالصبر .

زار باول بعضا من القوات بسرعة . وقال لهم : أعرف أنكم تريدون معرفة الإجابة عن سؤالين : ماذا سنفعل هنا ؟ ومتى سنعود للوطن ؟ لكننى لاأملك إجابة عليهما . سنمنح قادتنا السياسيين بعض الوقت ليجيبوا على ذلك .

شعر باول أن القوات تفهم هذه النقطة . ولكنه لم يكن واثقا من مدى استمرار صبرهم . الجيوش تحارب من أجل نفسها من أجل قيم حقيقية : مثل بقاء الوطن ، وحياة المواطنين . سوف يحاربون من أجل قوادهم — رؤساء أو حتى جنرالات ، لو أن الأسباب طرحت بوضوح وأمانة .

وشعر باول أنهم قد يحاربون من أجل مصالح أمريكا ولكن ذلك سيكون ثقيلاً . إنها مشكلة أن يحاربوا من أجل دولة أخرى مثل الكويت أو أن يتأكد أن صدام لن يكافأ على العدوان .

* * *

يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر استدعى تشينى للبيت الأبيض . وصلت الإدارة أخيرا لاتفاق للميزانية مع الديمقراطيين بعد جدل سياسى طويل كان على مدى ستة أشهر وكان أشد سخونة فى الشهرين الأخيرين . الآن لدى بوش بعض الوقت للتركيز على بعض إجابات الأسئلة التى تركها مع تشينى مثل كم من القوات الإضافية ؟! قال الرئيس إنه يميل لإضافة القوات اللازمة حتى ينفذ عملية الهجوم ويطرد القوات العراقية من الكويت . لايجب أن يعلن شيئا لمدة أسبوعين حتى انتخابات .

٦ نوفمبر ( فى الكونجرس ) لأن أى تحرك سيفترض أنه محاولة للتأثير على الانتخابات . قال تشينى إنه ينتظر تقرير باول من السعودية وعليه فيجب أن ينتظروا .

كان واضحا لتشينى أن بوش سيسعده بعض التلميح للعامة وكان تشينى سيظهر فى اليوم التالى فى عروض الصباح المبكرة فى الثلاث قنوات الرئيسية و CNN وشعر أن البيت الأبيض بمعالجته السخيفة لحديث الميزانية مع الكونجرس قد أضر بالإدارة كلها ، وأثار أسئلة جوهرية حول ما إذا كان بوش ومجلس وزرائه يقدرون ما يفعلونه . أثر ذلك على موقف بوش فى صناديق الاقتراع وعلى الطريقة التى يرى بها الناس واشنطن والحكومة وحتى هز الثقة فى عملية الخليج . رأى تشينى أن من الأفضل إعداد العامة لمثل هذا القرار . كان قد أعلن مراراً أنه لا يوجد حد أعلى لانتشار القوات وحذر مراراً من أن الولايات المتحدة موجودة هناك لمدة طويلة .

مؤخرا فى ذلك الوقت وبعد أن لحق تشينى ببيكر فى تقديم مذكرة مفصلة للمشرعين فى الحجرة الآمنة (اس — ٤٠٧ ) فى الكابيتول لم يشر أى منهما أن هناك دراسة لزيادة تعزيز الجيوش .

ولكن فى لقاء تليفزيونى فى الصباح التالى ٢٥ أكتوبر عبر تشينى عن نواياه فى ذلك وقال فى قناة A B C نحن لم نصل للنقطة التى نريد التوقف عندها عن إرسال الجيوش » وفى C B S سئل إن كان البنتاجون مستعدا لإرسال قوات قوامها مائة ألف آخرين وأجاب « إن من المحتمل أن تنتهى إلى إرسال هذه الزيادة الضخمة » .

وأعاد هذه النقطة فى قناة N B C وأضاف أن ذلك لن يؤثر على تسريح الجيوش الموجودة هناك بالفعل ٦ — ٨ أشهر « سوف يكون هناك سياسة تبادلية .. أظن ستكون حوالى ستة أشهر » .

وصل الخبر الضخم الذى حواه تصريح تشينى لباول الذى كان فى محطة توقف بأوربا وسأل أسافر معاونا له بعد هبوطه « ماذا يجرى هناك ؟ وقال لشخص آخر « ياإلهى .. إننى لن أسافر مرة أخرى . إننى لم أناقش الرئيس فى هذا الشأن » كانت هناك مباحثات ولكن بلا قرار على حد

علمه . ولكن قرار تشينى يبدو واضحا من لهجته وهو رجل ينتقى كلماته بدقة .

بوش وسكوكروفت وسنونو يتخذون قرارات مرة أخرى دون استماع لوجهات النظر الأخرى . تعب باول فى معرفة السياسة العامة للإدارة الأمريكية كان سنونو يدفع الرئيس للتحدث بقوة فى اتجاه التهديد العسكرى .. شىء واحد يمكن قوله لبوش : أنه قد صرح مراراً أن غزو الكويت لن يستمر . ولكن باول كان يشعر أن المقاطعة الاقتصادية تبدو كالمجهول الضخم . متى سيعملون ؟ متى سيوقنون بفشلهم ؟ كان متشوقا للعودة إلى واشنطن .

فى السعودية سمع سكوكروفت أيضا تصريحات تشينى . وقبل أن يجمع دهشته وقلقه بصورة كاملة كان السعوديون يهاجمونه بالأسئلة عبر الهاتف ماهذا ؟ ماالذى يجرى ؟ أين استشارتنا قبل إتخاذ هذا القرار أو التصريح به ؟ حاول شوارسكوف ألا يخطىء فى إجاباته ؛ كان يغلى . ليس فقط لأنه علم شيئا بهذه الأهمية عن طريق وسائل الإعلام بل لأنه كان عليه أن يشرح للسعوديين دون أية إرشادات من واشنطن .

أجرى شوارسكوف مقابلة طويلة ذلك الأسبوع مع « اتلانتيك جورنال » قال فيها : « الآن بدأنا نرى دلائل آلام المقاطعة » وقال شوارسكوف : « وعليه لم نقل حسنا امنحوهم شهرين وإن لم تأتِ المقاطعة بثمارها فإننا نندفع ونقتل جماعة من الناس ؟ هذا جنون . هذا جنون « إنه مازال يذكر فى فيتنام كيف أن الولايات المتحدة بلا مقاومة جوية قصفت البلده ثم اكتشفت أن أهل فيتنام الشمالية يخرجون من جحورهم ليحاربوا كالشياطين . شوارسكوف قال أيضا « الحرب دنس وعلينا أن نواجه ذلك لأن لدينا جانبين متعادلين يحاولان حل خلافاتهما بأن يسعى كل منهما لقتل أكبر عدد ممكن للآخر » .. ولفيتز الذى كان يقوم بزيارة لمركز القيادة فى هذا الوقت شعر أن شوارسكوف قدم هذه التصريحات ابتغاء مصلحة جيشه وحتى يوضح تماما أنه إذا وقعت الحرب فإن المدنيين من حكومته سيكونون هم الذين يحملونهم إليها .

شوارسكوف أخبر ولفيتز أنه أجرى بعض المباحثات مع خبراء بشئون الشرق الأوسط وأقنعوه بأنه على الرغم من أن الحرب قد تكون ضارة بالولايات المتحدة فى المنطقة فإن فشلاً فى الذهاب للحرب سيكون أكثر ضرراً . قال شوارسكوف إن أطالة الموقف الحرج هو نصر لصدام .

عاد باول لواشنطن ولكن تشينى كان ذاهباً فى إجازة اليوم التالى للصيد مع بيكر فى مدينة وينج واتفق على مقابلة فى البيت الأبيض مع الرئيس فى بداية الأسبوع التالى لمناقشة خيارات الخليج .

* * *

رئيس القوات الجوية الجديد الجنرال مايكل « تونى » بيك أخبر باول أنهم لو كانوا سينفذون

عملية هجوم فإنه كلما كان ذلك أسرع كان أفضل بالنسبة للقوات الجوية . إنه طيار محارب وعمره ٥٤ عاما ، يقول إن مميزات معركة القوة الجوية ستكون فى أعلى درجاتها من الآن وحتى أول نوفمبر وقال إنها سوف تضمحل بصورة ثابتة بعد ذلك لأن تجهيزات الدفاع العراقية ستحد من فرص معركة الولايات المتحدة . فالعراقيون يغوصون بعمق فى الصحراء ويرتبون أنفسهم . ولقد حصلوا على بعض قذائف أرض جو ( هوك ) الأمريكية فى الكويت وقد يستطيعون استخدامها ضد الطائرات الأمريكية ؛ وفوق هذا لايمكن أن يتحسن المناخ عما هو عليه .

رد باول قائلا : إن الخدمات الأخرى تحتاج إلى مزيد من الوقت حتى تُحسن من أوضاعها .

وقال باول : إنه لاداعى لاتخاذ أية مخاطرة فى هذه العملية . الأسلوب الحكيم هو مضاعفة القوات . فالجيش والرئيس سيقعان فى مشكلة خطيرة لو أن الهجوم لم ينجح .

قال ميك بيك : « أنجدنا يايسوع » .. مبالغاً فى عرض وجهة نظره « إن هذه إحدى دول العالم الثالث ، دولة صغيرة بحق المسيح .نحن نجعلها تبدو كما لو كانت حرباً عالمية ثالثة . لن نجد أى لياقة فى نهاية هذا الأمر . علينا أن نجعله يبدو أكثر سهولة بدلا من جعله يبدو عسيرا . قلقى ينصب على أننا انتظرنا طويلا » .

قال باول أفهم ذلك وكلنا لو تحركنا للحرب فيما بعد ستظل لك أفضلية الحرب ونحن نحتاج الوقت لنقوم بأشياء أخرى ومبدئيا إعداد الجيش للحرب جلبهم إلى هنا . توصلهم للشاطىء وتفرغ حمولتهم . لاأبالى بأناقة المرحلة فهناك الكثير يمكنه قوله . قال باول « لنذهب لنكسب » ملخصا قناعته فى وجوب التأكد . لم يقدم ميك بيك وجهة نظره لتشينى ولا للرئيس . رأى أنه أقلية فالقادة الآخرون يوافقون باول .

ولكن ميك بيك رأى إجماعاً على نقطة واحدة : أنه لا أحد يحرص على الحرب . إنهم لايريدون عملية هجومية ، لو أن هناك أى وسيلة مشرفة أخرى للولايات المتحدة .

* * *

فى عطلة نهاية الأسبوع كان باول يتابع قناة N B C وأخبار السبت المسائية تقدمها مارى أليس وليامز التى قدمت تقريرا عن معنويات الجيوش فى السعودية ، قالت مارى ويليامز : « إنهم ينتظرون الخلاص أو الأمر بالتحرك » ثم جاء المراسل أرثر كنت ليقول إن « الأعصاب صارت شديدة التوتر فى السعودية .. القوات الأمريكية هنا تبذل الكثير من طاقاتها فقط لقتل الوقت .. العديد من أفراد البحرية أخبرونا أنهم ملوا الكسل » وقال إن الجيوش تهفو للوطن « ولكن الوطن سراب — والأيام تمر — ولا يوجد أى هدف عسكرى للسير وراءه » .

تساءلت مارى وليامز : « إلى أى مدى ستسوء أحوالهم المعنوية ؟ » .

وقال كنت : « إنها ساءت كثيرا ، ربما أكثر من نصف الأفراد الذين تحدثنا إليهم أخبرونا أنهم غير سعداء بسير الأمور » .

تساءل باول عم يتحدثون بحق السماء . التقرير لم يعرض شيئا عسيرا . إنه أحمق ولكنه يذكره أنه لو قامت الحرب فسوف يكون هناك عبر التليفزيون كل لحظة تقرير يعرض الحدث ، الموت ، النتائج والمشاعر ربما بعمق أكثر مما حدث فى أثناء فيتنام . سوف يتواجد المراسلون والكاميرات هناك لتسجيل كل خطوة مما يزيد تعقيد كل المهام العسكرية .. كان باول واثقا من شيء واحد : حرب ممتدة عبر التليفزيون قد تصبح مستحيلة ولن تجد أى تأييد من الشعب .

* * *

مرات عديدة فى أكتوبر تحدث روبرت تيستر أحد مستشارى بوش فى سياسة الخليج . قال : إنه يظن أن الإدارة لديها العديد من الرسائل المنتشرة التى تفتقد للتركيز . واقترح أن يعود بوش للنقاط الأساسية التى حددها فى أغسطس والتى تؤكد على محاربة العدوان وحماية حياة الأمريكيين بما فيهم أكثر من ٩٠٠ أمريكى محبوسين كأسرى فى العراق والكويت وحوالى مائة منهم قد وضعوا فى الجيوش العراقية والأماكن الصناعية ليعملوا كدروع بشرية لمنع أى هجوم أمريكى .

تفهم بوش مثل هذه الأمور ولكنه قال : إنه يشعر أنه يعرف عن المنطقة أكثر من أى امرىء آخر فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والبترول وقال بوش : لقد تعاملت مع هذه المسائل لمدة خمسة وعشرين عاماً .. وفى إحدى الليالى قال لأحد الرجال : إنه كان شيئا هاما فقد خدم كسفير بالأمم المتحدة ومبعوث الولايات المتحدة فى الصين ، ومدير للمخابرات المركزية ثم نائب للرئيس . كل هذه الخبرات سمحت له بأن يرى كل النقاط والآن يستطيع أن يضعهم معا .

وصف بوش كيف أنه منذ تسلم مهامه كرئيس وهو يضع أساس العمل ويبنى علاقات مع قادة الدولة . ليس لديه هدف معين يسعى إليه ولكنه يملك حسا استراتيجياً فقط إنها فكرة طيبة . الآن علاقاته الطيبة المثمرة مع تاتشر ومبارك وفهد وجورباتشوف يمكن استخدامها .. بوش يعتقد انه ستأتى أوقات عصيبة وأوقات حرجة ولكنه فى حاله طيبه وأكد « أن هذا سينجح » .

على مدى شهور كان سكوكروفت معنيا وأن بيكر لم يكن مؤيدا لسياسة الخليج . فى المباحثات الداخلية بدا معارضا للانتشار الضخم للقوات مفضلا حلا مع استبعاد الضغط العسكرى تقريبا ولكن بيكر سيأتى لتشينى الذى كان يصطاد معه فى عطلة نهاية الأسبوع حينما يتوافر الوقت للحديث .

بيكر كان يشعر بأن أسس سياسة الخليج لم تكن قوته بما يكفى . محنة أمير الكويت وشعبه

والعدوان والبترول كلها أشياء لا تهم الشعب الأمريكى . الاستطلاعات تشير إلى أن الاهتمام الأكبر هو بالأسرى الأمريكيين فى العراق والكويت . وناقش بيكر أن تركيز سياسة الخليج لابد وأن يتحول لموضوع الرهائن . إنها المسألة التى يمكن أن توحد الأمريكيين والرأى العام العالمى لأن معظم الدول بما فيها السوفييت لديها رهائن فى العراق . إنها القضية الوحيدة التى يمكن أن تبرر الحرب .

سكوكروفت ظن أن تركيزاً جديداً على الرهائن سوف يؤدى لتغيير الخيل فى وسط السباق ولكنه يرى استطلاعات الرأى العام تعكس شكوكا متصاعدة عن الانتشار العسكرى . ود بيكر أن يلعب بنفسه بورقة الرهائن فى خطبة قوية . كان سكوكروفت راغبا فى تأييده . كان مستشار الأمن القومى قد أدرك أيضا أن بيكر قد رأى الكتابات الخطية على الجدران . رئاسة بوش يمكن أن تعلو أو تسقط كنتيجة لسياسة الخليج . بيكر صديق بوش على مدى ٣٥ عاماً ومدير حملاته الانتخابية ومسئول رئاسة الوزراء لايملك أى خيار آخر سوى أن يعضد بحماس سياسته .

يوم الأثنين ٢٩ أكتوبر تحدث بيكر للجنة الشئون الدولية بلوس أنجلوس وقال أن الأكثر من مائة أمريكى الذين يعملون بمثابة درع بشرى يُجبرون على النوم على أرضيات خشنة ويحبسون فى الظلام أثناء النهار ويتحركون فقط بالليل ، وخفضت وجباتهم لوجبتين فى اليوم . والعديد منهم قد مرض حيث يعانون محنة قاسية ومجرد فكرة استخدام الأمريكيين كساتر بشرى لايمكن تصورها .

أضاف وزير الدولة « نحن لا يمكننا تنحية احتمال استخدام القوة لو استمرت العراق فى احتلال الكويت » .

* * *

التقى بوش فى البيت الأبيض يوم ١٣ أكتوبر مع ١٥ قائد بالكونجرس من الحزبين . افتتح المقابلة بتقرير عن الحالة الراهنة مشيراً إلى أن العراق قد أطلق الرهائن الفرنسية ولكن وصلت تقارير أكثر عن سوء معاملة الرهائن الأمريكيين والإنجليز . وقال إنه يقرأ كتاب ميلين جلبرت « الحرب العالمية الثانية : تاريخ كامل » والذى يصف سقوط ديكتاتور ألمانيا وسلسلة الأحداث التى أدت للأزمة .

قال بوش : إنه لن يسمح بحدوث هذا مرة أخرى . قال الرئيس إن معاملة الرهائن فظيعة وبربرية . وقدم تقريراً عن أسرة أجنبية من الرهائن ، حملوها للمستشفى حيث قتل العراقيون الأطفال أمام آبائهم ثم قتلوا الآباء . وأيد بيكر مسألة معاملة الرهائن بذكر بعض الوقائع .

قال المتحدث باسم البيت الأبيض توماس فوللى : « سيادة الرئيس نحن معك فى هذه المنطقة » وتمنى لو تمت لقاءات شبيهة واستشارات مسبقة حول أية إجراءات عسكرية فى الخليج .

مستثنيا بعض المواقف التى تستلزم رد فعل عاجلا وقال بوش إنه سيستمر فى الاستشارة .

هل هناك المزيد من إساءه معاملة الرهائن تساءل رئيس مجلس الشيوخ جورج ميتشل . الكونجرس لم يعرف شيئا عن هذا ؛ فهذا غير موثق . تساءل بيكر بسخط « أليست سوء المعاملة تعد حرمانا من الحرية ؟ » وأجاب ميتشل : إنها حتما كذلك . ولكن السؤال هل استمر تصاعد سوء المعاملة كما أشار الرئيس ؟ .

السيناتور وليام كوهين نائب رئيس لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ قام برفع يده . قال إن المخابرات المركزية والمخابرات الحربية أظهرتا فى الاجتماع الأسبوع الماضى لم تكن هناك دلائل على المزيد من سوء المعاملة .

بيكر غير المعتاد على التحدى استشاط غضبا وعلا وجهه الاحمرار ؛ وتساءل عما يعتبره المجموع سوء معاملة . أليس الخطف والقتل كافيا ؟ .

وافق كوهين وميتشل . ولكن أحد الرهائن قارب على ثلاثة شهور فهل هذا جديد ؟ هل يعتبر هذا تحريضا من صدام ؟

وانتهت الأسئلة عند هذا الحد . وأشار العديد من الديمقراطيين بصراحة إلى أن هذا التركيز الجديد على مسألة الرهائن الأمريكيين له رائحة كريهة . هل سوف يُستخدم كمبرر لحل عسكرى الآن ؟ .

قال كوهين إن الإدارة قد تكون معنية بالرهائن لدرجة أن تثير سوء معاملتهم للأبد حتى يُقتلوا . انه لم ير قبلا انفعالات ــ بما فيها انفعالاته ــ عالية كهذه فى اجتماع للبيت الأبيض .

حول بوش النقاش إلى وضع السفارة الأمريكية فى مدينة الكويت حيث تبقى بعض الدبلوماسيين . يمنع العراقيون عنهم الماء والطعام وقال إنه لا يجد أمامه طريقة لاستخدام العسكرية بصورة فعالة لحمايتهم بدون غزو شامل . وماذا سيعنى أن يُنكس العلم الأمريكى وأن يتحول هؤلاء الدبلوماسيون ، الأمريكان إلى ضيوف على حد تسمية صدام للرهائن ؟ قال الرئيس لن أبقى ساكنا حتى يتم هذا وبدت العصبية واضحة فى عضلات رقبته .

السيناتور اسبين توقع أن تحتاج المقاطعة لعشرة أشهر حتى تُؤتى ثمارها . والسيناتور جون مورتا الصقر الديمقراطى من بنسلفانيا قال إنه يؤيد الرئيس بقوة وأضاف إنه لامناص من الحرب وعلى قدر اهتمامه يرى كلما عجل بذلك كان أفضل .

وبعد ذلك ذهب كوهين لتشينى الذى لم يقل شيئاً خلال الاجتماع . وقال كوهين بخفة « لقد تجنبت هذا الاجتماع . ولكننا سنعود إليك لنرى أى البدائل دُرست . ابتسم تشينى وسار .

* * *

فى الثالثة والنصف من ذلك المساء ، قابل بوش بيكر وتشينى وسكوكروفت وباول فى حجرة العمليات .

بدأ سكوكروفت قائلا : « نحن فى مفترق الطرق » نستطيع الاستمرار فى سياسة الصد والدفاع أو نتحول إلى الخيار الهجومى .. صُدم باول مرة أخرى بعدم لياقة الحوار الدائر بين هؤلاء الرجال الخمسة الذين ظلوا أصدقاء لسنوات . لم يكن هناك أى تنظيم للتبعات وهم يدرسون الاحتمالات . تندفع الأفكار للأمام وللخلف بمجرد أن تسنح لأحدهم الفكرة . بدا بوش وسكوكروفت مصران على تنفيذ الانتشار اللازم للهجوم . بيكر أقل حماسا وأكثر حذراً كان يقيس ويتساءل عن ردود الفعل فى الكونجرس ولدى العامة ولكنه لم يعد رافضا .

رأى تشينى بوش غير مستعد لأن يقبل أى شىء أقل من تنفيذ هدفه المحدد ، تحرير الكويت . وزير الدفاع لن يقترح أى عمل عسكرى إلا إذا كان واثقاً من النجاح . قال إن لديه قناعة متزايدة بأن عليهم تطوير الخيار الهجومى. التحالف العالمى أضعف كثيرا من أن يستمر للأبد .. بالنسبة للبعيدين عن الصورة قد يبدو الأمر مختلفا ولكنهم سيعملون من هؤلاء المختصين أن الاستعدادات دقيقة . كان تشينى يشعر أنه من الجائز جداً أن أى حدث خارجي يمكن أن ينسف التحالف تماماً. كان باول يرى أن الصبر ليس هو حال اليوم كما كان فى الماضى . ولذا لم يشر للحصار .. كان باول يرى الآخرين يتحملون فيما مضى نصحه السياسى الوسع ولكنه الآن يشعر أن لديه فرصة أقل للحديث بعدما أوضح للرئيس مسألة الحصار . الآن لا أحد يتلمس نصح باول السياسى الشامل حول هذا الموضوع .

أعلن عن المقابلة للرئيس مع شوارسكوف لكى يستمع منه إلى تقرير عن الانتشار ، وقال بوش : « حسنا . حسنا . حسنا . دعونا نستمع إلى ما يود قوله » . بدأ باول : « سيادة الرئيس لقد أنهينا المهمة الموكلة إلينا » . لقد تحقق الدفاع عن السعودية مبكراً عن المتوقع ووصف كيف قام شوارسكوف بتحريك بعض من قواته لتحقيق هذا فى ضوء بناء القوات العراقية المستمر « الآن إذا كنت أنت ياسيادة الرئيس قررت البناء ـــ الذهاب للخيار الهجومى ـــ فهذا إذن مانحتاج إليه » .
ثم أعلن عن رغبة شوارسكوف عن مضاعفة القوات .. الصورة الكاملة كانت الفيلق السابع حتى يتمكن شوارسكوف من تحقيق هجوم ساحق على العراقيين بما سيملكه من مصفحات عالية السرعة . بهذه الطريقة يستطيعون تجنب هجوم مباشر على القوة العراقية بالجبهة .
فزع سكوكروفت لأن شوارسكوف يطلب كل هذا المزيد من القوات إن طلبه لثلاث من حاملات الطائرات فوق الثلاثة التى يملكها بالفعل هو ما أدهش سكوكروفت على وجه الخصوص . صدرت كثير من التأوهات حول المائدة ولكن إحداها لم تصدر من بوش .

قال باول إنه يؤيد مطالب شوارسكوف لو كان الرئيس يريد خياراً هجومياً . واستدار

للرئيس : « لو منحتنى وقتاً أطول ، لنقل ثلاثة أشهر فسوف أحرك المزيد من الجيوش إن الأمر بهذه الأهمية ، تستطيع أن تأخذنى لمسئولى حسابات الوديعة الادخارية وسننظم معاً كل شيء » . رسالة باول أن الأمر سيكون مكلفاً .

فيما يخص باول العقبة الوحيدة ستكون قدرة نظام النقل . قال تشينى إنه يؤيد باول وشوارسكوف بلا تحفظ . وذهب إلى أبعد من هذا . وقال تشينى إن الأمر ليس رغبة الرئيس فى الخيار العسكرى لأن الرئيس لابد أنه يريده وعليه أن يأمر به . وأوضح أن هذا سوف يضمن النجاح لو كان عليهم أن يحاربوا . إنه لايريد أن يصبح فى موضع لطلب المزيد من القوات فى يناير أو فبراير القادمين . إن صدام قادر تماماً على الرد بمعظم قواته ولا يريد تشينى أن يعود هنا لحجرة العمليات قائلا « سيادة الرئيس إننى أعرف أنه سبق وقلت لك فى أكتوبر الماضى . وأننا قد قمنا بوضع القوات الإضافية هناك ولكننا مازلنا غير قادرين على ذلك » .

أخيراً قال بوش إن كان هذا ما يلزمك فسوف نقوم به .

قدم الرئيس موافقته النهائية فى اليوم التالى .

* * *

بول ولفيتز الذى كان يعمل نائبا سياسياً كان واحداً من القليلين المدنيين بالبنتاجون الذى سمح له برؤية خطط المعركة ولقد أقلقه أن الإدارة الأمريكية تحولت إلى قرار الهجوم دون تفكير واضح . وكان هناك القليل حيث سجلت البدائل والاحتمالات وعليه يصعب تقييمها ومناقشتها بموضوعية . ولفيتز موظف حكومى أكاديمى كبير وسفير سابق فكر أن من الممكن اتخاذ قرار بإرسال قوات إضافية مع عدم ذكر أنها بديلة أو تعزيزية للهجوم . القرار بشأن الغرض منها يمكن أن يذكر فيما بعد ولكن ولفيتز لم يُمنح وقتاً لدراسة فكرته .

لجنو النواب والتى تضم ولفيتز لم تلتق حول هذا الموضوع .

شعر ولفيتز بأن الدائرة الداخلية المكونة من بوش ، وبيكر ، وتشينى ، وسكوكروفت وباول شبكة شديدة الالتحام إلى حد ما . مقابلاتهم على كثرتها وخصوصيتها لابد وأنها كانت ميداناً للمناقشات والمداولات حول البدائل والأساسيات . ولكن ولفيتز لم يكن يستشعر هذا . لم يكن هناك أى إفادة من تشينى ولو كانت هناك أى مناقشات منظمة خلال تلك الدائرة الداخلية فقد كانت تتم دون معونة من مجموع المساعدين . فى بعض الأوقات كان ولفيتز يشعر بأنه يجهل تماما إجابات بعض الأسئلة الحيوية . ولفيتز كان قلقاً أيضا بأن الإعلان عن مثل هذا القرار الضخم يكون غير مفهوم . فالإدارة الأمريكية كلها ــ وبوش على وجه الخصوص ــ تكره التعبير عن نفسها بطريقة منظمة ومتكاملة . لم يحب بوش إلقاء الخطب وكُتاب الخطب فى البيت الأبيض لا يحسنون كتابتها .

بيكر من ناحيته كان قلقاً بشأن الحلفاء . كيف يفكرون بشأن استخدام القوة ومتى وكيف ؟ علام عقدوا العزم ؟ هل يتفهمون تماماً إصرار الرئيس بوش على رد الغزو ؟

كان قد تم الاتفاق على قيام بيكر بزيارة السعودية ومصر وتركيا ولندن وباريس وموسكو لاستطلاع الرأى قبل الإعلان عن مضاعفة القوات .

* * *

السبت ٣ نوفمبر كان اليوم الذى غادر فيه بيكر . التقط باول نسخته من « النيويورك تايمز » وكان العنوان الرئيسى « بيكر يُنظر إليه كمعادل لبوش فى أزمة الخليج » وقرأ باول تقريراً غير ممهور بإمضاء من كبار موظفى الإدارة الأمريكية يقول بأن بيكر قد كبح الكثير من الجماح لاستخدام القوة العسكرية ... حين كانت القضية هى كم من الوقت يلزم منحه للحصار حتى يؤتى ثماره ؟ نصح بيكر بوقت أطول للحصار .

بالرغم من الحرفية أظهرت القصة مساء المناقشات السياسية للملأ . فكر باول « ها أنا ذا بعيداً عن الدائرة » . وكانت مكونات القصة : تحكم من الرئيس ، الحصار ، وقت أطول للمقاطعة الاقتصادية لا مردود له .

لم تكن هناك أى مناقشات أو تعليقات جادة حول القصة .. التعليق الوحيد الذى سمعه باول كان أن بيكر ومعاونيه قد نشروا قصة أخرى تخدم نفسها لإبعاد وزير الدولة بعناية عن كارثة محتملة . رأى سكوكروفت القصة كنسخة كلاسيكية من تلفيقات الإدارة الأمريكية ولكنها كانت متأخرة أسبوعا فبيكر الآن على متن الطائرة .

الأربعاء ٨ نوفمبر ، اتصل تشينى برؤساء الكونجرس الرئيسيين لإعلامهم أن بوش سوف يعلن هذا المساء عن تعزيز قواته . اتصل بـ أبسين من كينى ويسكنث وبرئيس لجنة خدمات « البيت المسلح » والذى انتخب بالإجماع للمرة الحادية عشرة .

أبسين كان قد ترك محاولة التفاهم مع ديك تشينى وقرر أن يسميه « أبو الهول » وبديلا عنه كان قناة أبسين فى الإدارة الأمريكية هو سكوكروفت .

بعد إخبار أبسين بعملية التعزيز ذكر تشينى قائمة ببعض الوحدات بما فيها الفيلق السابع الحربى للمصفحات الثقيلة فى أوروبا ولكنه لم يقدم عدداً كليا للجيوش .

قال أبسين : « هذا أكبر من توقعاتى » لقد أجرى حساباته فى رأسه وأدرك أن هذا يعنى ٢٠٠ ألف آخرين من الرجال .

وصل تشينى لسام نونن فى المطعم الذى اتفقا على اللقاء فيه . وكان السيناتور غير سعيد بأنه لم يستشر وتساءل : لم العجلة ؟ هل هم على ثقة أن المقاطعة الاقتصادية لن تجدى ؟

شعر تشينى بتغيير حقيقى فى نونن وأرجع هذا للسياسة . كمراقب سياسى توصل تشينى إلى أن نونن يخطط لقذيفة طويلة المدى أثناء الترشيح الرئاسى الديمقراطى لعام ١٩٩٢ ويود أن يحظى بشعبية فى حزبه عن طريق الهجوم على الرئيس بوش .

قال تشينى إن القرار قُصد به تثبيت خيار عسكرى هجومى للرئيس .

كان بيكر يقابل جورباتشوف فى الاتحاد السوفييتى حين علم أن بوش سوف يعلن عن تعزيز القوات .. تساءل عن التوقيت وتعجب للعجلة . هذا أمر لا يهبط من السماء دون أن يُدرس بعناية . لابد وأن تتم دائرة من الاستشارات فى واشنطن وجلسات للتأييد فى الكونجرس . مرة أخرى شعر أن البيت الأبيض لايتعامل مع التصريحات بصورة لائقة ولكن لم يكن هناك مايمكن أن يفعله وهو فى روسيا .

كان تشينى يراجع المناقشات العامة . لم تزل الإدارة الأمريكية تفتقد الأسلوب الناجح فى التعامل مع مختلف الجماهير ، كانت تحاول أن تحافظ على الشعب الأمريكى مؤيدا لسياستها وأن تشرح

للجيوش ما حدث ولماذا ، ومع حضور الكونجرس والأمم المتحدة والعرب كانت تحاول أيضاً السيطرة على المشكلة الإسرائيلية . كان صدام يحاول أن يربط حل مسألة الكويت بحل مشكلة الفلسطينيين ضد الإسرائيليين .

كان من العسير أن يخرج المرء برسالة واحدة تخاطب كل هذه الجموع بنفس القوة والمصداقية . والرسالة التى تود الإدارة الأمريكية ، توصيلها الآن — هو تبريرها لنشر قوات هجومية — وهو يختلف عن الرسالة التى أرادت توصيلها فى أغسطس حينما كانت المهمة دفاعية . شعر تشينى أن جهود الاتصالات فى مثل هذا الوقت لم تكن ناجحة . الآن يدخلون مرحلة جديدة وحرجة فى محاولة لإرضاء جميع الأطراف . ظهر بوش وتشينى فى موجز أنباء الرابعة مساء . باول الذى ذُكر فى التصريح الرسمى لمعركة « درع الصحراء » لم يكن حتى الآن هناك .

قال بوش : لقد أصدرت الأمر لوزير الدفاع اليوم لزيادة حجم القوات الأمريكية المشتركة فى « درع الصحراء » ، للتأكد من أن للحلفاء خياراً عسكرياً هجومياً ملائماً حين يصبح هذا ضرورياً لتحقيق أهدافنا المشتركة . لم يذكر أية أعداد .

وحينما سئل عن السر فى وضع قوات هجومية فى السعودية ، أجاب بوش أنه يعمل وفقاً لنصائح وزير دفاعه الكفؤ وغيره . ترك الرئيس واشنطن عطلة نهاية الأسبوع وإجازة يوم المحاربين فى كامب ديفيد .

فى المساء التالى الجمعة ٩ نوفمبر توقف الأمير بندر بالبنتاجون ليقابل باول . كان يبدو له أن باول وبيكر من أعضاء الدائرة الخاصة لبوش الأقل ميلاً للحرب ضد صدام . قال باول للأمير « لو كان علينا ألا نحارب سيكون هذا أفضل كثيراً . ولكن لو كان علينا أن نحارب فسوف نقوم بذلك ولكن بكل ما نملك من وسائل » . قال باول : « إن الرئيس أمر ألا يتحول هذا إلى فيتنام ثانية » الخط العام سيكون بزيادة قوة إطلاق النيران والجيوش .

مؤخرا أخبر تشينى بندر « سينتهى الجيش فى هذا المجتمع لو أننا ضيعنا هؤلاء » .

* * *

لم يضع البيت الأبيض ترتيبات لموظفى الإدارة الأمريكية كى يظهروا ذلك الأحد فى الأحاديث التليفزيونية ولا فى برامج الصباح يوم الاثنين . كانت هذه العروض ميادين أولية لممثلى واشنطن لصناعة العناوين الرئيسية .. شارك الديمقراطيون فى دعم القوات . السناتور الديمقراطى دانييل باتريك مونيهان من نيويورك قال بحدة : « إن الأمر يبدو كما لو كانت القوى المسلحة العظمى التى أنشئت لمواجهة الحرب الباردة هى تحت إمرة الرئيس لأى غرض يريد ولا يهم الثمن ، إنه سوف يحطم جيشنا وسوف يحطم إدارته ؛ وسوف يفسد الفرصة للحصول على نظام أمنى جماعى

وهذا يحطم القلب .

صحف عطلة نهاية الأسبوع امتلأت بالقصص حول الخلاف بين أعضاء دول التحالف وعن المشاكل التى قد يواجهها بوش فى المناداة بالحرب أو مشاكل ممارسة حرب برية بعيدة جداً . سكوكروفت ورجاله بدأوا يشيرون إلى إجازة الثلاثة أيام بمناسبة يوم المحاربين . شعر سكوكروفت أن الإدارة الأمريكية لاتواجه مشكلة عسكرية بالقدر الذى تواجه مشكلة علاقات عامة . كان غير واثق مما يجب عمله . صدرت مقاله فى جريدة « الولايات المتحدة اليوم » عنوانها الرئيسى « تراجع التأييد لبوش » . وتقول بأن ٥١٪ يؤيدون معالجة بوش لأزمة الخليج . بينما كانت نسبة التأييد منذ ثلاثة شهور ٨٢٪ .

وجد باول الحكايات مبالغا فيها ويروجها المسرحيون والمفزوعون ولكن هذه القصص — وليست الإدارة الأمريكية — هى التى تحدد القضايا والمناقشات .

* * *

استمر الصخب السياسى لأيام عديدة . ففى يوم الثلاثاء ١٣ نوفمبر تناول تشينى وباول الإفطار من الساعة ٨,١٥ مع السناتوريين نونن وجون ورنر قال نونن « إنه يظن أن سياسة الإدارة الأمريكية فى الخليج سوف تنتهى فى يد صدام » . سوف يشد آذان الجماهير فى نهاية الشهر حين يسحقون تحت أسلحته القوية وهى تفرض أهدافها وتعرض الثمن على الملأ .

قابل تشينى فى نهاية اليوم مائة من زملائه القدامى فى البيت الأبيض . كانت القضية الرئيسية هى الخيار الهجومى كانت مناقشة فوضوية . بدا كل من الحاضرين لديه فكرة مختلفة عن السياسة الجديدة .

بعد ساعة قال تشينى : « أظن أنكم جميعا أيها الرفاق تريدون أن تصوتوا مع أو ضد الاقتراح » . هاجت الفرقة .. كانت هناك صرخات بنعم ولا وكان هذا يؤكد نظرية تشينى أن الكونجرس لم يكن معداً للتعامل مع المسألة . وجد نفسه يفكر فى أغسطس ١٩٤١ قبل أربعة أشهر فقط من غارة بيرل هاربور .. حينما نجح البيت الأبيض فى الفوز بصوت واحد فى الاقتراع لأستكمال نظام الخدمة الانتقائية .

* * *

بوش وسكوكروفت اندهشا للسرعة التى تم بها تأييد عملية الخليج بصورة تبدو غير قابلة للحل .. تذكر بوش حينما كان ضمن رجال الكونجرس إبان حرب فيتنام . الرئيس ليندون جونسون اقترف خطأ غير رسمى ولكنه حظى رسمياً بتأييد الكونجرس للحرب بالرغم من اختلافهم بشأن خليج تانكينج . سكوكروفت لم يكن على ثقة من الفوز بنتيجة التصويت . ستكون مأساة أن يعرض

الأمر على الكونجرس ولا يحظى بالتأييد . بعض من كبار الجمهوريين بما فيهم السناتور روبرت دول زعيم الأقلية ممثل كانساس والسناتور ريتشارد لوجر ممثل إنديانا ، دَعَوَا إلى جلسة خاصة للكونجرس لمناقشة مسألة الخليج . وأفاضا بأن بوش سوف يفوز وأن تأييد الكونجرس سوف يقوى من قبضته فى سحق صدام . أخبر لوجر بوش على انفراد أن من الأفضل أن يكتشف الآن ما إذا كان يفتقد إلى تأييد الكونجرس لأن هذا أفضل من اكتشافه فيما بعد .

فى ١٤ نوفمبر قابل بوش قادة الحزبين فى الكونجرس ودعا للوحدة وأصر على إنه لم يقرر الحرب بعد قائلا : إنه لم يتخط حدوده .

سحب تقريراً عن الأخبار العراقية وقرأ بصوت عال العناوين الرئيسية والتى تدل على أن صدام قد قُدمت له صورة من الانشقاق داخل الولايات المتحدة . كانت تلميحات الرئيس واضحة : هذه هى الرسالة الموجزة التى ستجعل صدام يظن أنه قادر على البقاء فى الكويت أيضا سحب بوش نسخة بحجم الجيب للدستور الأمريكى وقرأ من البند الثانى الفقرة الثانية « إن الرئيس لابد وأن يكون هو صاحب القرار فى مثل هذه الأمور »

قال بوش « إننى من القادة دعوة لعقد جلسة ولكن شريطة أن يحظى بالتصويت لصالحه . قال الزعماء الديمقراطيون أنهم هذه المرة لن يقوموا بالدعوة لعقد جلسة عاجلة للكونجرس لمناقشة سياسة بوش فى الخليج بل سوف يعقدون جلسة استماع .

* * *

جاء وقت قاعدة باول رقم ٧ أنك « لايمكنك أن تقرر اختيارات غيرك » . « وعليك ألا تدع غير يصنعون اختياراتك » .. الآن اتخذ الرئيس قراراً بشأن إنشاء البديل الهجومى ، وباول لديه اختياراته الحاسمة بالنسبة لخطة الحرب لقد قام بتوجيه الجنرال توم كيلى لينسلخ من نشاطاته المعتادة كمدير للعمليات ويكون خلية تخطيط خاصة تضم ستة من أفضل موظفيه ، كعاملين فى حجرة الطوارىء الخاصة .. من خلال ضباط الاتصال كانوا ينظمون كل خطوة مع مخططى شوارسكوف وكان باول يريد شعوراً مطلقاً بالطوارىء وأمر المخططين بتقديم كل مطالبهم من إمدادات ومؤن حتى الفرق الطبية وقواعد الالتحاق وإجراءات التعامل مع الأسرى .

أول أمر من قائد القوات العسكرية الأمريكية هو « اهتم بجنودك » . بالرغم من أن المهمة الهجومية كاملة هى طرد الجيش العراقى من الكويت فإن أفضل طريقة للحفاظ على رجالك هى تحطيم الجيش العراقى تماماً كما حدث فى بنما حيث كان يجب سحق قوات دفاع بنما تماماً فلا بد من الحد أو شل القدرات العسكرية العراقية — هى مهمة ضخمة إذا ما قورنت ببنما .

ولكن للولايات المتحدة بعض المزايا الخاصة .

مع بداية نوفمبر بعد صدور القرار بالانتشار بغرض هجومى قام تشينى وباول بالعديد من الزيارات ربما لأكثر مناطق البنتاجون سرية ــ سى ٢٨٦ زد ــ مركز العمليات الفنية الخاصة ( ستوك ) الذى يقع تحديدا فى نهاية الممر الخاص بمكتب الجنرال كيلى .. لدى فريق ضباط الاتصال كان الـ ( ستوك ) « بنتاجون » داخل البنتاجون بقواعده الصارمة للتعبئة يوجد هناك مايقرب من ثلاثين رجلا يديرون الوحدة الوحيدة فى المبنى التى يجب أن يخضع من يدخلها لاختبارات تفتيش صارمة للتأكد من عدم وجود مخاطر .

هذا المركز كان يطلق عليه مؤسسة النجومية وذلك لأنه يستخدم أحدث تكنولوجيا الكومبيوتر ووسائل الاتصال العالية بمراكز وكالات المخابرات وإبلاغ الأوامر الموحدة بما فيها الإدارة المركزية بالسعودية .

الـ ( ستوك ) هو مركز الأوامر والاتصالات الخاصة بالعمليات متضمناً البرامج « السوداء » ذات الحساسية الخاصة والمعروضة فقط فهؤلاء المسموح لهم بحجرة التعبئة الخاصة متضمنة أيضا وحدات خاصة للعمليات مع قدرة على تجميع المخابرات ونظم التسليح ومعدات متطورة ، كل شيء بدءاً من أطقم البحرية إلى المقاتلات النفاثة إلى أقمار التجسس الخاصة .. القبطان البحرى الذى ترأس الـ ( ستوك ) بين ١٩٨٢ حتى ١٩٨٩ كان لابد وأن يتسلم ٢٣٥ برنامجاً خاصاً للعمليات عند تقاعده . معظم الأسلحة السوداء عالية السرية تطورت مبدئيا عن طريق سيناريو واحد فى الذهن هو الحرب مع الاتحاد السوفييتى ولكن بما أن العراق زبون لدولة الروس يبتاع معظم أسلحته الحيوية من الروس فإن أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية قد فصلت لمحاربة الخصم الجديد .

إن الولايات المتحدة تستطيع الاستفادة من أجيال من العمل تحت برنامج عالى السرية اسمه الحركى ( ايرى ) (EYRE) قامت المخابرات المركزية والبنتاجون على مدى سنوات طويلة بجمع تفاصيل واختبارات معطيات مفاتيح الإلكترونيات والرادارات والقذائف والطائرات السوفييتية . العديد من هذه الأنظمة يستخدمها العراقيون . وفى عمليات مخابراتية أخرى حصل البنتاجون على أسلحة سوفييتية فعلية . وتم تصنيع وتصميم الأسلحة الأمريكية المضادة لها . وفى أحد البرامج عالية السرية الأخرى واسمه الحركى (PARCAE) عمليات اعتراضية للإشارات استطاع البنتاجون الاستماع إلى بعض أنظم الاتصالات السوفيتية . وضعت الأقمار الصناعية فى منطقة الشرق الأوسط لتقوم بإرسال صورة حقيقية واقعية حديثة من الكويت ثم بثتها إلى شاشات التليفزيون الخاصة .. القواد بمساعدة شاشات أرض المعركة يستطيعون المتابعة عن كثب للنشاط العراقى ، ويتصرف العراقيون كما لو كانت اتصالاتهم مؤمنة ولكن وكالة الأمن القومى أكبر وكالات المخابرات الأمريكية تستطيع أن تلتقط بعضاً منها . كل المعدات العراقية جاءت من السوفييت والولايات المتحدة أو أوروبا ولذا

تعرف وكالة الأمن القومى الترددات والمواصفات .

وهناك برنامج أسود آخر يحوى احتمال تغطية تحطيم شبكة القوة الكهربائية الرئيسية فى العراق دون ترك أى أثر للقوات الأمريكية . نجاح الهجوم العسكرى المحتمل يعتمد فى جزء منه على شكل الرادار والمقاومة الجوية والاتصالات العراقية وكلها تعتمد على الكهرباء . كان هذا حلم المخططين العسكريين وهو يعد بضربة مفاجأة كاملة مربكة .

كان باول متشككاً من أمثال هذه الحلول ذات الضربات الإعجازية لم يكن يثيره تكلفة الـ ( ستوك ) التى بلغت حوالى ١٠٠ مليون دولار .. كان المركز يذكره بالحجرة ٢٠٨ وهى مركز الأوامر ذات التقنية المتقدمة فى مبنى المكتب التنفيذى القديم والذى كان تاليا للبيت الأبيض والذى استخدمه اولرى نورث فى بعض عملياته الشديدة الاندفاع والسيئة الحظ أثناء إدارة ريجان .

واحدة من المذكرات الموجزة التى تلقاها تشينى وباول من الـ ( ستوك ) فى نوفمبر كانت عن القدرات الخاصة للعمليات التى يمكن استخدامها ضد العراق فى خطة الحرب الهجومية . ستبدأ الحرب بثمانى عمليات خاصة بطائرات « الاباش » الهليكوبتر التى سوف تعبر الحدود لتصوير الاستحكامات الدفاعية الجوية داخل العراق .

شأنه شأن باول كان تشينى يأخذ التقنية العالية بحذر شديد وكان يتوقع من الرجال الذين يرون البرامج السوداء أن يتحدثوا بحماس ولكنه أيضا يعرف أن النظم كثيرا ما لا تعمل بذات الكفاءة التى يُعلن عنها . لن يمكنه أن ينسى بسهولة خسائر بداية معركة القوات الجوية بالمقاتلات النفاثة التى قذفت بنا حيث فقدت القاذفات القدرة على تحديد الهدف فى حدود خمسين قدماً .

تعلم تشينى قيمة أن يسأل عن كل شيء فى أثناء خدمته كوزير على مدى عام ونصف ، أمضى الساعات الطوال منقباً فى خطة العمليات المتكاملة عالية السرية (SIOP) للحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى ودول حلف وارسو وهى أهم خطة حربية حتى الآن . واكتشف أن الجيش قد قام بأقصى ما يستطيع كى يبعد أعضاء البنتاجون المدنيين عن العملية . عملت (SIOP) على الطيران الأتوماتيكى لسنوات وهو نظام خطير شديد الهوس يضع القواعد والنظم والأفكار ودنما تفكير أو تمحيص كاف . لقد استدعى الجنرالات والأدميرالات لمكتبه لاستجوابات عديدة ثم أخذهم للبيت الأبيض لتقديم مذكرات خاصة وأمر بإعداد عشرة دراسة وأصر على الحصول على إجابات . استجاب الجيش حين سُئل و لم يتهم تشينى أحداً بسوء النية . ولكنه قام بالكشف عن جحر فأر كان خافيا عن أعين المدنيين .

كان أحد الاسرار الضخمة أن الجيش الأمريكى لديه آلاف من الأسلحة النووية تزيد عن حاجته

وأن خطة SIOP تفرض إستخدامها بطريقة قد تؤدى إلى عنف مع الاتحاد السوفييتى أكثر كثيرا من المطلوب لتحقيق الأهداف العسكرية فى الحرب . اكتشف تشينى أيضا أن بعضا من المرونة التى طالب بها كل الرؤساء فى الخطة وأمروا بها خلال سلسلة من التوجيهات الرئاسية كان مفتقدا . مثلا القدرة على إظهار ضبط النفس للسوفييت بالتحكم فى حجم الهجوم النووى لم تكن متوفرة . هذه المسائل تمس تحكم الرئيس والمدنيين فى الجيش . بدأ تشينى فى إصلاح (SIOP) تدريجيا . فى يوم ما بعد انتهاء أزمة الخليج سيستطيع هو والرئيس الإعلان عن خطوط عريضة للإصلاح الشامل .

بنفس الطريقة لم يكن يُسلم بأى شيء فى عملية الخليج تماماً كما أصر على استيعاب الـ SIOP كما يستوعبها قادته العسكريون فإنه سوف يستوعب خطة معركة الخليج .

كان يعرف أن الجيش واثق مما تستطع الأسلحة ويستطيع الرجال القيام به . ولكن يصعب تحديد الخط الفاصل بين الثقة المحمودة والثقة الزائدة الخطرة . طبق تشينى ماشعر بأنه نظرة متشككة لقدرة كل جزئية من خطة الحرب على الإنجاز وقام بوضع ثلاث خطوات .

أولا : كان حريصا جدا على ألا يرسم صورة وردية للرئيس أو للعامة ، أو للكونجرس . وعمل دائما بالحد الأدنى للتوقعات حتى يتجنب أن يكون كالمرشح الذى يتوقع الفوز بنسبة ٧٠٪ من الأصوات ثم يحظى بـ ٦٠٪ ويبدو كما لو كان قد فشل .

ثانيا : أصر على الإسهاب فى خطة الحرب . كان يود التأكد من قدرتهم على أداء المهام الرئيسية مرات عديدة .

ثالثا : كان ينقب شخصيا فى خطة الحرب والفكر الكامن وراءها ، آخذا عن الخبراء الأجانب والموجزات التى يحصل عليها ، وأخبار الصحف ، ثم الخلفية الثقافية التى كونها عن حرب العراق وإيران وقام بتجميع أكبر قدر مستطاع من الأسئلة واستخدمها فى اختبار نظام المعلومات .

أخبر تشينى ولفيتز أنه لايريد أن يتحكم فى المخططين بالرغم من أنه سيتابع عن كثب وسوف يستفسر عن كل شيء .. لم يكن لديه أى نية لإعادة خطة المعركة وقال « لكننى أنوى أن أمتلكها حين تنتهى » .

فى معظم الأيام كان تشينى يحصل على موجز للعمليات والمخابرات عن طريق فريق الاتصال . كان شيئاً مملاً وصف أماكن القوات العراقية وقوات التحالف والحوادث التى جرت فى جانب التحالف والمشاكل الاعتيادية . أراد تشينى أن يعرف أكثر وطلب من فريق الاتصال أن يقدم له عرضا شديد التخصص عن خطة حربية هجومية . بدءاً من ٢٦ نوفمبر كان يُلقن بسلسلة من أدق التفاصيل مثل بناء طائرة جوية مقاتلة ، وتصنيف الأهداف لحملات جوية ، وطرق دفاع

العراق ، تعزيزات نقل الجنود والأوامر والتحكم والاتصالات ، وتضارب قوات التحالف وقدرات الجيش المضادة للمدرعات ، والعمليات البرية الجوية ومواضيع أخرى شديدة الحساسية مثل العمليات الخاصة والمخابرات .

كان تشيني يستمع بشغف شديد . وأمطر خبراء فريق الاتصال بالأسئلة ووجه أنظارهم للتحفظات ولكل ماهو غير مؤكد وفى أقل من شهر ، استلم خمس عشرة مذكره كان آخرها إهداء من كيلى .. يقول بأن ديك تشينى قد أنهى دوره فى التخطيط الحربى وأنه الآن قد حصل على لقب « المخطط الأعظم » .

قال تشينى بسخرية واضحة « سوف يكون هذا هو أغلى ما أمتلكه » .

* * *

واحدة من أوائل مهام باول فى التخطيط لحرب هجومية هى تطوير قائمة بالأهداف الإستراتيجية الرئيسية فى العراق بالنسبة للمراحل الجوية الثلاثة . قسمت الأهداف لفئات ثم وضعت أولويات فى كل الفئات .

كانت فئات الأهداف الأولية هى :

- أنظمة الأوامر والتحكم والاتصالات .
- أنظمة الدفاع الجوى والرادار .
- المطارات التى تستخدمها طائرات صدام الحربية الثمانمائة .
- المواقع الرئيسية لشن قذائف SCUD الثلاثين .
- المفاعل النووى العراق .
- أماكن حفظ وإنتاج الأسلحة الكيمائية والبيولوجية .
- الفرقة الثامنة للحرس الجمهورى ـــ العمود الفقرى للجيش العراق .
- شبكة الإمدادات ، مستودعات التخزين ، ومستودعات المؤن ، محاور الانتقالات الطرق ، الجسور ، السكك الحديدية .
- التسهيلات البتروكيماوية الرئيسية الاثنى عشر بما فيها معامل التكرير الثلاثة .
- نظام الطاقة الكهربائية .
- التسهيلات الحربية الصناعية الأخرى .
- الأربعمائة ألف جندى عراق المحتلين الكويت .

كان مخططو شوارسكوف يعملون بسلسلة من القوالب ونماذج الكمبيوتر لتحقيق الأغراض بواسطة الأسلحة المتاحة فى خلال خط زمنى من عشرين لثلاثين يوما من القصف . كانت ربكة

عظيمة . كان لابد من وضع القطع معا بطريقة تسبب أقصى ضرر مع التأكد من منح الجيوش الأمريكية وجيوش التحالف أعلى درجة من الحماية من قوات الهجوم العراقية .

المرحلة الرابعة .. الحملة الأرضية وستعتمد على مستوى الضرر الذى حققته الحرب الجوية والبحث عن طريق للاشتباك مع الجيش العراقى بصورة مرضية للتحالف .

* * *

فى ٢٨ نوفمبر قام الأدميرال كراو القائد السابق لهيئة الأركان بتقديم شهادته أمام لجنو نونو . كان قد قال لباول فى اليوم السابق حول مائدة الغداء فى البنتاجون إنه يرى أن هذا هو وقت الصبر بالنسبة لأزمة الخليج .

قاطع كراو الشيوخ قائلا : « كراهيتنا للملك حسين طغت على مايبدو على اعتبارات أخرى كثيرة .. اعتقد أن علينا منح الحصار فرصة عادلة قبل نبذه .. إننى شخصيا على ثقة أن الحصار سيجعله يأتى راكعا وسوف أكون أول من يؤكد أن هذا رأى حصيف . لو أن المقاطعة استمرت من ١٢ شهر إلى ثمانية عشر شهراً بدلا من الستة أشهر تجنبا لحرب وما يتبعها من تضحيات واهتزازات ستكون النتيجة من وجهة نظرى أكثر مما نتمنى .

بدون نقد مباشر لبوش أعرب كراو عن مخاوفة أن الرئيس ميال للحرب « فى رأيى أننا نقامر على وطننا بالتعجل فى تقرير أننا لن ننجح فى حمل عدونا على الأذعان .. إن من المثير تذكر أن صبرنا فى أوروبا الغربية قد أتى بثماره وأمدنا بأعمق مثال فى تاريخنا أن الصمود أحيانا أسلوب أفضل للتعامل مع المشاكل العالمية الشائكة ، بغض النظر عن رجال السياسة الجالسين على مقاعد وثيرة يدرسون هجوماً قريباً على العراق . وجدير بالتذكر أن فى الخمسينيات والستينيات كانت هناك دعاوى فردية للهجوم على الاتحاد السوفييتى فهل كان ذلك سيكون عملا عظيما ؟!

شهادة كراو أيدت شهادة قائد سابق معتزل وهو الجنرال داريد جونس وكلاهما ينادى بالاستمرار فى الحصار بدلا من الحرب .

مندهشا من اندفاع كراو فى تأييد الحصار بهذا العنف أقسم باول أنه عندما ترك الخدمة لم يكن يحفل بخليفته جهاراً ولم يكن ليظهر أمام الكونجرس متطوعا حتى لقد استدعوه للمثول أمامهم .

ثار سكوكروفت على كراو ، فمستشار الأمن القومى شعر بأن امرءا وصل لمثل هذا المنصب الرفيع فى الإدارة الأمريكية كان يجب عليه أن يحاول الوصول لموقف مشترك بدلا من معارضة الرئيس . وقال بوش لسكوكروفت إنه شخصيا مصاب بخيبة أمل فى كراو .

سمع كراو بضيق ماقاله فحاول أن يبعث برسالة للرئيس ، ولكنه كان شديد الغضب وكان على

قناعة تامة بأن بوش يرتكب خطأ فادحاً .

إن الذهاب للحرب كان بالنسبة لكراو مسألة مؤكدة الآن وهو فشل فى سياسة بوش . وتساءل لم عليه أن يتصالح مع رئيس خذل الوطن حين احتاجه بشدة ، ولم يكمل الرسالة .

ولكن كراو كتب رسالة لابنه القبطان البحرى بلاك كراو والذى كان بالسعودية . قال لابنه ألا يسترشد بأبيه ولا بشهادته . « إن لديك حساً قوياً بالمسئولية وأعلم أنك ستؤديها . حين سيأتى وقت الحرب ستحارب . الشعب الأمريكى خلفك وتستطيع أن تعتمد على ذلك مهما كان رأيه فى السياسة أو الإدارة الأمريكية . أيها الأبناء فى الصحراء إنهم جميعا خلفكم » .

اتصل ابن كراو وأخبر عائلته أن ادعاء الشجاعة والحديث عن طرد الأحمق قد انتهى فالأمر يبدو جاداً ورجاله الأمريكيون الآخرون يودون فقط أن يحس قادتهم تصرفاتهم .

فيما بعد وصل كراو كارت تهنئة من بوش . وكتب الرئيس به كلمة شخصية هى « ليحفظ الله ابنك » .

* * *

فى اليوم التالى ٢٥ نوفمبر ، التقى مجلس الأمن بالأمم المتحدة للتصويت على إجازة استخدام القوة لإخراج القوات العراقية من الكويت . لو حدث فسيكون القرار أضخم تصريح بالحرب منذ كوريا ١٩٥٠ .

كان بيكر يتلمس فى العديد من العواصم العالمية أن يدفع برؤساء الدول لتأييد القرار . لقد أمضى عشرة أسابيع مرتحلا قاطعا مائة ألف ميل عاقدا أكثر من مائتى مقابلة مع وزراء خارجية وزعماء دول مختلفة .

كانت سياسته هى الحصول على تأكيدات حاسمة بالتأييد من دول الأمم المتحدة الرئيسية قبل الإعلان عن أن الإدارة الأمريكية تسعى لقرار استخدام القوة .

كان يطوقهم مردداً دائما أنه يستطلع الآراء وأن مثل هذا القرار مازال قيد البحث . أى دولة من الأعضاء الخمسة الدائمين لمجلس الأمن وهى الولايات المتحدة ، الصين ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، الاتحاد السوفيتى — تستطيع أن تعارض القرار بحق الفيتو . أظهر الصينيون أنهم ليسوا مشكلة ، مبكرا ، وافقوا على ألا يعارضوا . رئيسة وزراء بريطانيا السيدة تاتشر كانت تحبذ وتؤيد الحرب . الفرنسيون كانو المشكلة واحتاجوا لجهود عظيم ولكن بوش وبيكر نجحا فى إقناعهم .

كان السوفييت هم السؤال الحائر . منذ بداية الأزمة عارض جورباتشوف احتمال استخدام القوة العسكرية ولكنه فى النهاية اقترب من التأييد .

فى سلسلة من المباحثات واللقاءات فى الأسابيع والأيام الموصلة للتصويت فى الأمم المتحدة ناقش

بيكر ووزير الخارجية السوفيتى شيفرنادزه الأمر .

قدم بيكر لشيفرنادزه مسودة تحوى عبارة « استخدام القوة » . وتساءل بيكر : « هل تقبلون ذلك » .

قال شيفرنادزه : « بعد خبرتنا فى أفغانستان هذا لن يصلح مع الشعب السوفيتى لابد وأن تكون هناك طريقة أخرى لان تقول ذلك بصورة غير مباشرة وبصورة لطيفة . السوفييت يمكن أن يؤيدوا فكرة القوة ولكن القرار نفسه لابد وأن يكون غامضاً » .

قال بيكر : « إن هذا عسير . القوة هى القوة وإنهم لايقدرون على تحمل تبعه القرار إلا إذا قالوا بوضوح مايقصدون » . مخططا فوق قطعة من الورق حاول بيكر تسطير بعض التصورات والعبارات القانونية البديلة « لاستخدام القوة » جرب خمس صيغ مختلفة .

فى إحدى مباحثاتهما قال شيفرنادزه إنه يريد لغة تسمح باستخدام القوة . ولكن تتضمن كل الوسائل الممكنة الأخرى مثل الضغوط السياسية والمقاطعة أو أى شيء آخر . كلما اتسعت العبارات كان أفضل .

اقترح بيكر كل الوسائل الممكنة . فى اللغة الروسية يمكن استخدام كلمة واحدة لتعنى وسائل أو إجراءات متعددة .

تحركوا للأمام وللخلف وسرعان ما حبذ شيفرنادزة عبارة « كل الوسائل المتاحة » فهى أشمل وأوسع .

الآن عاد بيكر لعبارته التى كانت غير محددة على الإطلاق .

قال شيفرنادزه : « الولايات المتحدة تعى جيدا معنى كل الوسائل اللازمة .. لاتحرجنا ولا تضغط علينا .. ولا تكن متطرفا » . وقال شيفرنادزه بالنسبة للسوفييت المشكلة ليست مشكلة أخلاقية ولكنها مشكلة عملية . لايمكن أن يذهب الاتحاد السوفييتى للأمم المتحدة ويظهر مؤيدا للحرب . ففى الوطن الحرب مازالت تعنى أفغانستان .

قال بيكر إن الولايات المتحدة تسعى لتجنب الغموض وسياسة الخليج شديدة التأثير فى الوطن وإدارة بوش لاتريد مناقشات محلية حول معنى قرار الأمم المتحدة .

لم يتزحزح شيفرنادزه .. وأخيرا وافق بيكر واتفقا على عبارة « كل الوسائل اللازمة » .

سوف يستخدم التحالف كل الوسائل اللازمة لطرد قوات صدام من الكويت إن لم يسحبها هوقبل انتهاء المدة المحددة وهى ١٥ يناير ١٩٩١ .

قال بيكر بما أنه سيكون الرئيس المؤقت لمجلس الأمن اثناء التصويت فسوف يتحدث فيما بعد ويوضح أن القرار هو تفويض واضح باستخدام القوة . وسوف يكون هذا ضمن التسجيل

الرئيسى ولو لم يعارض أحد فسوف يصبح هذا التفسير لعبارة « كل الوسائل اللازمة » .

قال شيفرنادزه : حسناً .

كان وزير الخارجية الروسى لديه مشكلة أخرى . كان يريد أن يحوى القرار اللغة التى يستخدمها الرئيس جورباتشوف والتى تقول إن الستة أسابيع السابقة لانتهاء المهلة ١٥ يناير هى « وقفة لإظهار حسن النوايا » كان جورباتشوف فخوراً بهذه الصيغة . كان يريد الـ ٤٥ يوما لإعطاء فرصة حقيقية للدبلوماسية لكى تقوم بعملها . كان القائد السوفييتى ينوى استغلال العلاقات الثنائية العراقية ـــ السوفييتية فى التوصل لحل سلمى . العبارة لا توصل لذلك وبدون إضافة المعنى الأخير لا يمكن للسوفييت أن يساندوا القرار .

ووافق بيكر .

قبل التصويت قال شيفرنادزه لبيكر : « سيدى الوزير أنت تعلم أنك لا يمكنك التراجع بعدما تبدأ الطريق . فسوف يستخدم القرار » فى حالة ما إذا لم يتم الانسحاب العراق قبل ١٥ يناير .

قال بيكر « أظنك على صواب » .

أخيرا صدر القرار بموافقة اثنى عشر عضواً ورفض اثنين وهما اليمن وكوبا . واتفقت الصين على التصويت .

وفى حديثه لمجلس الأمن قال بيكر : « القرار اليوم واضح جداً . كلماته تجيز استخدام القوة والغرض كما أعتقد وكما قال الكثيرون غيرى هو التوصل لحل سلمى لهذه المشكلة » .

* * *

سعد الأمير بندر بقرار الأمم المتحدة وتلقى فى تلك الليلة خبر أن سفير العراق فى الأمم المتحدة يود مقابلته . كان ذلك عاجلاً . فكر بندر : أخيرا ارتعب صدام . القرار قد أثر بالفعل . وافق بندر على عقد مقابلة فى اليوم التالى .

فى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى تلقى بندر مكالمة فى منزله من البيت الأبيض تقول بأن الرئيس بوش يود ترتيب مكالمة تليفونية مع الملك فى المساء .

وتساءل بندر : حول ماذا ؟

ـــ لاشىء محدد فقط التحدث مع جلالته .

وصل خبر بندر أن الرئيس بوش سيتحدث فى التليفزيون فى الحادية عشرة صباحا . فجلس أمام شاشة التليفزيون .

ظهر بوش وتحدث فى عشرين فقرة عن سياسته فى الخليج مسجلا كل الخطوات التى اتخذها قال « ورغم كل شىء لقطع الميل المتبقى فى طريق السلام فسوف يقابل وزير خارجية العراق

طارق عزيز بواشنطن . وفوق ذلك فإننى أطلب من الوزير بيكر الذهاب لبغداد لمقابلة صدام حسين .. فى وقت ملائم لكليهما بين ١٥ ديسمبر و ١٥ يناير من العام المقبل » .

قفز بندر تقريبا من مقعده فى دهشة وعدم تصديق وفكر : أى غباء ! الأمريكان لن يفهموا العرب أبداً . عرض بالسلام بعد ٢٤ ساعة من فوز الولايات المتحدة والحلفاء بالنصر فى مجلس الأمن سوف يحمل هذا رسالة خاطئة لصدام ؛ رسالة ضعف . أوضح بندر ذلك شاكيا للبيت الأبيض . وسأل سكوكروفت لم لم تستشيرونا ؟ والتوقيت لم يكن هناك ما هو أسوأ منه . العرض بالمقابلة المفتوح حتى نهاية المهلة فى ١٥ يناير سيكون دعوة لصدام للتحايل . تنبأ بندر أن صدام سيعرض مقابلة بيكر يوم ١٤ يناير . بالنسبة لكم إرسال بيكر إظهار لحسن النوايا وبالنسبة لصدام فإنه يعنى أنكم دجاج .

أجاب سكوكروفت أن لم يعتنِ بالتوقيت و لم يمنحوه التفكير الكافى . لقد كان قرارا فى آخر دقيقة ـــ ولكنها كانت خطوة ضرورية للتأكيد للشعب الأمريكى وللكونجرس على رغبة الرئيس فى استنفاد كل البدائل الديبلوماسية قبل الحرب . عرض بيكر بزيارة بغداد هو إعلان عن أن مرحلة حسن النوايا تؤخذ بجدية .

أكد بندر أنها ربما هى الرسالة الصحيحة لمجتمعكم ولكنها التلغراف الخاطىء لصدام . إن الملك فهد غاضب جدا لإسقاط استشارته وتساءل بندر فما الذى سيحدث لو قامت حرب ؟ هل سنتلقى مكالمة تخبرنا « آه .. بالمناسبة لقد بدأنا بالفعل ؟ » .

تحدث بندر أيضا للبعثة العراقية فى الأمم المتحدة متسائلاً عن المقابلة العاجلة التى طلبها سفير صدام فى الليلة السابقة : قال السفير العراقى إنه كان يود الثرثرة فقط ، فهو لم ير بندر منذ زمن بعيد . لم يكن هناك سبب محدد للمقابلة وحتما لاتوجد هناك ضرورة ملحة .

توصل بندر إلى أن بوش وبيكر قد منحا صدام راحة كبرى فى اللحظة التى كان يجب أن تكون أصعب لحظاته .

* * *

كان بيكر قد اقترح مهمة بغداد على بوش . كان قد فكر فيها على مدى أسابيع . لم يذهب أبداً للعراق و لم يقابل صدام من قبل . كان صدام مريضا تبعا لكل مقاييس بيكر . كان يقتل بالفعل من يجلب له أخبارا سيئة ؛ وكان منعزلاً تماماً . أخبر السوفييت بيكر أن الطريقة الوحيدة لتوصيل رسالة لهذا الرجل هو الجلوس أمامه وعرضها .

الاعتبارات السياسية الداخلية كانت لها نفس أهمية الاحتمالات الدبلوماسية بالنسبة لبيكر . المساندة الشعبية لسياسة الإدارة الأمريكية كانت تتداعى ، سنونو كان يتحدى بوش ، قواد

الاتصال السابقون كانوا يدلون بشهادتهم ضد السياسة . الآن وبعد إجازة الأمم المتحدة لاستخدام القوة ، فزع الناس . فكر بيكر فى أن على الرئيس أن يوقف الترف السياسى .

رأى تشينى أنه لا ضرر من تجربة مهمة بيكر ، وتحرى ظنون معاونيه من أن بيكر قد يصل لاتفاق بأى ثمن وسوف يعبث به صدام . كان تشينى يعرف كيف يفكر الرئيس وكان يعرف أيضا أن بيكر يعرف مايدور فى ذهن الرئيس .

خرجت الواشنطن بوست بمقال يعكس أن ٩٠٪ من الأمريكان موافقون على عرض سفر بيكر لبغداد وتلقى بندر ثلاث مكالمات كل منها يجذب انتباهه للتأييد الواسع للأمر . كانت هذه المكالمات من سكوكروفت وتشينى .

* * *

مؤخرا فى ٣٠ نوفمبر التقى بوش برئيس الكونجرس فى حجرة مجلس الوزراء . أدى الإعلان عن مهمة بيكر بالأربعة وعشرين عضوا لحالة مزاح وربما صخب . وهدأ كل هذا حينما استقر بوش فى مجلسه وجلس أيضا كل من كويك وبيكر وسكوكروفت وتشينى وسنونو .

قال بوش إن « وزير الدولة قد قطع ما يشبه سباق الماراثون للحصول على موافقة الأمم المتحدة . كان يعرف بالمصاعب التى تواجه مسألة استخدام القوة وهى مزيج من تزايد انتشار قواتنا وقرار الأمم المتحدة الذى منحنا أفضل فرصة لتحقيق السلام فى هذه القضية » وأضاف الرئيس « اعلم بأن هناك خلافات فيما بيننا وبين القواد السابقين . ولكننى أود أن أعرب لكم عن أننى ليس أدى أى فكرة أخرى » وقال « إن الأسلحة النووية العراقية هى خطر حقيقى » .

وركز بوش على اهتمامه بالبترول وآثار زيادة سعر الطاقة فى كل أنحاء العالم .

وقال « هناك وحشية فى الكويت ولابد لنا من أن نبالى » ثم تصاعد انفعاله « إذا كانت الولايات المتحدة لاتقدر على الاهتمام بذلك إذن فإننى لاعلم . ولست على ثقة أنه حتى الأمس ، وربما حتى اليوم إن كان صدام يعتقد أن الولايات المتحدة جادة » وأكمل بوش « سوف يذهب بيكر لبغداد وعزيز سيأتى لواشنطن ولن تكون هذه جلسات للاتفاق المشترك أو حفظ ماء وجه صدام « فهو لايستحق هذا » .

قال الرئيس إنه يتمنى لو كانت رسالته قد وصلت لصدام . ان الغرض لم يكن هو الوصول لاتفاق . فالاتفاق يعنى تبدد التحالف .

« لو كان الكونجرس يود أن يصدق على قرار الأمم المتحدة إذن فليفعل . ولكن لايجب أن يظل الأمر معلقا . إن لم يستطعوا المساندة الصريحة فسوف أكون حذراً وإن كنت أرحب بتأييدكم » .

ثم حول بوش الحديث لبيكر « فى مدة الخمسة والأربعين يوما دعونا نستخدم التهديد بالقوة لحل المسألة سلميا » واستمر وزير الدولة قائلا « هذا هو الأمل الوحيد لدينا إلا إذا كنتم تريدون من أن نفقد فرصة التسوية .. التهديد باستخدام القوة يختلف عن استخدامها » . وأضاف بصوت متوسل « عليكم أن تمنحونا فرصة استخدام التهديد كوسيلة دبلوماسية » .

امتدح المتحدث تون فوللى الإدارة على صراحتها وتجاوبها . وقال إن على بوش استشاره الكونجرس الجديد فى يناير وأضاف أنه يعتقد أن الحلفاء سيؤيدون المقاطعة الاقتصادية لمدة عام .

هز بوش رأسه .

أضاف فوللى : « إذا قررت الحرب بعد ١٥ يناير فلابد وأن تأتى للكونجرس » .

ركز السيناتور مايكل على ذات النقطة « التصويت ضرورى ومطلوب وفقا للدستور » . وبينما كان السيناتور زعيم الأغلبية يتحدث كان بوش ينظر ببرود للناحية الأخرى .

قال بوش « لاتقللوا من شأن قوة الدلالة التى سوف يحملها تصديق الكونجرس على قرار الأمم المتحدة . سوف يصبح هذا ضمانا لجذب انتباه صدام .. سوف ندفع ثمناً باهظاً إن حاولنا أن نحمى ماء وجهه » .

قال سنونو إن هناك قاعدة مشتركة لابد أن تخرج العراق من الكويت ولكن السؤال هو بحرب أو بدون بحرب ؟ هناك فرق بين تصويت الأمم المتحدة وموت أهلنا . ثانية الوقت فى صالحنا .. السياسة تعمل إذا أثرت فسوف نكون الفائزين » .

كان بيكر يسعى للحصول على الاجماع فتساءل إن كان الكونجرس سيؤيد عمليات هجومية محدودة باستخدام القوات الجوية المتفوقة للتحالف « لو توحدنا فى استخدام الجو فهل تمنحونا هذا ؟ » .

قال مايكل « لا » .

استشهد السيناتور كوهين بتعليق مارك توين « بأن الانسان قد يحارب للدفاع عن بيته ولكن قد يكون لديه موقف مخالف للدفاع عن ملجأ » . حتى الآن الشعب الأمريكى لم يقتنع بأن الكويت هى وطننا ولا السعودية بيتنا لكنهما المعادل للملجأ .. لم نقبل أن نموت من أجل الكويتيين ؟!

قال كوهين إن عليه أن يجد إجابة شافية على ذلك « والسؤال الثانى هو أى نوع من الحرب ستكون تلك الحرب ؟ المعلومة التى تقول بأننا سنستخدم قواتنا البرية لإخراج العراقيين من الكويت تولد فقط صوراً الشباب من النساء والرجال مكدسين كأكوام الحطب » .

تدخل السيناتور الن سيمبون ممثل ويومنج من الجناح الجمهورى موضحا أن قرار الأمم المتحدة . كان من أجل السلام وليس للحرب .

وترك الأمر معلقاً يعد كارثة . كوهين وآخرون غيره كانوا يلقون بحمل ثقيل على بوين العجوز بتحدثهم عن الجثث كأكوام ، أجاب كوهين : « إننى لم أذكر شيئا على الملأ ، ولكن أخبركم بما يدور فى الأذهان » .

السناتور ليوزر أخبر المجموعة فى هذه المقابلة أنه بعد سبع مرات طالب فيها الرئيس بتأييد الكونجرس ورفض زعماء الكونجرس ذلك « ليس من المعقول أن نترك الأمر هكذا فلا يوجد هناك مسألة أكثر أهمية تواجه الوطن من هذه المسألة . وعلى الكونجرس أن يتحمل مسؤلياته . من المُلح أن نجد مخرجاً من الأزمة التى نواجهها » .

أشار تشينى إلى جسامة مسئولية تحريك ٢٠٠,٠٠٠ جندى آخرين للخليج .. مايقرب من ٦٠٠ قطار استخدم لنقل القوات لأوروبا .

قال بوش : نحن لانريد حرباً فيتنامية أخرى .

« نقل القوات سيكون مختلفاً . وحدة العالم تحققت فلن تقيد أيادٍ خلف الظهور ، إنها ليست فيتنام ، إننى أصر على أنها حرب غير طويلة . وكما قال مبارك « قمنا بتدريب الطيارين العراقيين ثم انقلبوا علينا » .

ضجت الحجرة بالضحك مرة أخرى .

## □ ٢٣ □

يوم السبت الأول من ديسمبر ذهب القواد لكامب ديفيد لمقابلة الرئيس . كانوا قد أعربوا سراً عن استيائهم من أنهم لم يروا الرئيس وسط أضخم انتشار للقوات ضد فيتنام .

قدم الأدميرال كيلى والجنرال كارى وصفاً تفصيلياً للقوات التى تحت إمرتهم سواء الموجودة على مسرح الأحداث أو فى طريقها إلى هناك .

قال الجنرال فيونو إن حجم وقوة الجيوش الأمريكية سيقنع صدام أنه سيخسر الحرب . وتساءل رئيس الجيوش : « هل هذا القذر ينوى فعلا محاربتنا » .

الجنرال ميكبسك أحدث قائد فى البنتاجون شمل عرضه تصوراً للمستقبل . قال : لو وقع الهجوم فسوف تستمر العمليات الجوية ثلاثين يوماً قبل أن تبدأ العمليات البرية . سيادة الرئيس سوف نفقد يومياً من أربع لخمس طائرات أو مايقرب من مائة وخمسين فى خلال الثلاثين يوماً .

لم يتأثر بوش .

توقع ميكبسك أن حوالى نصف الطيارين الذين سيسقطون سيتم إنقاذهم . الربع سيقتل والربع سيقع فى الأسر وسيظهر على شاشات تلفزيون بغداد وقال سوف تكون هناك حوادث وأخطاء فالقذائف والقنابل لن تعمل بكفاءة . إصابة الأهداف العسكرية ستؤثر على المناطق المدنية . توقع ميكبسك أن القصف سيقتل ألفين من المدنيين العراقيين ـــ أناس لم يغضبوا الرئيس .

وقال إنه يعتقد أن حملة القصف على مدى الثلاثين يوما ستدمر ما يقرب من ٥٠٪ من المعدات العراقية العسكرية الرئيسية وهى على الأرض ـــ الدبابات والمدفعية والمصفحات وحاملات الأفراد .

سرا كان مكيبسك يظن أن النسبة ستفوق الخمسين فى المائة ولكنه كان يعرف أنه على مدار السنين سيفقد مؤيدو القوات الجوية مصداقيتهم بنبوءاتهم المبالغ فيها .

* * *

كان تشينى يعتقد أن قرار الأمم المتحدة باستخدام القوة هو حد فاصل بالنسبة للرئيس . لدى بوش الآن العديد من الأصدقاء العالميين معظمهم زعماء دول : جورباتشوف ، تاتشر ، مبارك وفهد ـــ كلهم معا فى تحالف غير معتاد . ولو أن صدام لم ينسحب خلال هدنه الخمسة وأربعين

يوما فتشيني لايشك فى أن بوش سيستخدم القوة لإخراج العراق .

دعى الوزير للادلاء بشهادته فى عمليات الخليج أمام إحدى لجان الكونجرس ، ولكنه اعتذر . فهو والبيت الأبيض غير واثقين من الحصول على تأييد الكونجرس كما حصلوا على تأييد الأمم المتحدة . لا يرغب فى أن يدلى أى شخص من الإدارة بشهادته فى أثناء مناقشة الأمم المتحدة . وبدلا من ذلك كان ضغط بعض النواب من معارضى بوش بشأن الحل الهجومى وهو ماجعلهم يطالبون بشهادات أمامهم فى مسألة الدفاع .

وافق تشينى على الذهاب فى أسبوع الاستماع الثانى للكونجرس هو وباول سيدليان بشهادتهما معا .

اجعلو المقدمة طويلة ، أمر تشينى رجاله بجعل المقدمة شديدة الطول ليس فقط ليوضح أسبابه ولكن ليجهدوا الشيوخ حتى إذا ما حان وقت الأسئلة يكون وقتا أسهل بالنسبة لهم .

فى جلسة الاستماع فى ٣ ديسمبر قرأ تشينى بصوت عال خطبة طويلة تراجع كل تاريخ عملية الخليج . وقال إنه مادام صدام سيتغلب على المقاطعة فإن القوة ستكون هى الضمان الوحيد لخروجه من الكويت .

كان باول هو الشاهد الوحيد الثانى . كان قد أمضى اليوم السابق يوم الأحد يعيد صياغة شهادته . لم ينجح رجاله فى عرض أفكاره وهو يريد شرحها .. باول كان يشعر بأن جلسات الاستماع شديدة الأهمية لأنها تقدم نماذج مناقشة العامة لسياسة بوش فى الخليج .

استغل باول الفرصة لانتقاد هؤلاء الذين يعتقدون أن القوة الجوية وحدها قادرة على إخراج صدام من الكويت وقال « كثير من الخبراء والهواة وغيرهم فى هذا البلد يعتقدون أن هذا يمكن تحقيقه بشىء كهجمات جراحية جوية أو ربما عن طريق هجوم حيوى مكثف . وهناك حلول أخرى متنوعة وظريفة ، نظيفة ، وتكلفتها قليلة ، وقد تنجح وتنساب بصورة منتظمة عبر هذا البلد » وقال : سياسة جوية فقط قد لاتضمن النجاح لأنها تترك المبادرة لصدام . وقاعدة الجيش الأساسية تؤكد على أهمية امتلاك المبادرة . والحرب طبقاً لظروف ترتضيها الولايات المتحدة . كان باول ذا عقيدة من نوع « المرء قد يسقط ، أو يتشتت لتنفيذ مثل هذا الهجوم ذا البعد الواحد .. كل هذه السياسات وضُعت على أمل الفوز وليست مصممة للفوز » .

لم يفترب من الأسئلة الرئيسية المطروحة أمام اللجنة وهى كم من الوقت عليهم أن ينتظروا حتى يعرفوا ما إذا كانت المقاطعة الاقتصادية ستكون فعالة .. « بالتحليل النهائىّ كم من الوقت ننتظر هو قرار سياسى وليس قرارا عسكريا » .

فى نهاية خطبة باول سأله سيناتور نون عن مقابلة جرت مؤخرا مع الجنرال شوارسكوف حيث

قال إن الوقت فى صالح الولايات المتحدة والقوات المتحالفة مادام الحصار مستمراً . ولقد أخذ السيناتور من أقوال شوارسكوف قوله « لو كان بديل الموت هو المكوث فى الشمس لمدة صيف آخر فهو ليس بديلا سيئا » وسأل باول : ماذا ترى ؟

قال باول : « إننى لن أنتقد الجنرال شوارسكوف ولن أختلف معه بأية حال . كل ما سأقوله هو أننا لانعلم ما إذا كان الحصار سيكون فعالاً ؟ قال السيناتور بحدة : « ولو قامت الحرب فلن نعرف أبدا ما إذا كانت فعالة أم لا ؟ أليس كذلك ؟ » .

رد باول : « حسنا » .

قاطعه نون : « هذه هى النقطة الرئيسية ، أعنى أن الطريقة التى يمكن بها اكتشاف فعالية الحصار من عدمها هى منحها الوقت لتؤثر » .

فيما بعد فى جلسة الاستماع أخذ السيناتور كوهين من حديث وزير الخارجية السابق هنرى كسنجر قوله : « إن كبار العسكريين لديهم خوف فطرى من القائد الأعلى وهذا يدفعهم لإيجاد سبب عسكرى لما قد يعتبرونه مقبولا بصعوبة ، وبعكس خيالات العامة نادراً ما يعارضون قائدهم الأعلى ، يبحثون دائما عن أعذار للتأييد وليس للمعارضة » .

تساءل كوهين : « ماذا يقول باول فى هذا الشأن ، هل تعارضون القائد الأعلى ؟ » .

أجاب باول : « إننى لاأتردد ولا أخشى من تقديم النصيحة الأفضل والأكثر أمانة والأكثر صراحة ، سواء كان ذلك لوزير الدفاع أو للرئيس أو لعضو آخر من أعضاء لجنة الأمن القومى . سواء كانوا يتقبلون رأيى أم لا . وعليه ففى بعض المناسبات لايتقبلونه » . واستدار لتشينى الجالس بجواره ثم سأله : « أليس ذلك صحيحاً ؟ »

أجاب تشينى : « إنى أؤكد هذا » .

وتعالت الضحكات .

وتساءل باول : « أى جزء تؤكد » ؟ .

أجاب تشينى : « أؤكدها كلها يا كولين » !

* * *

فى يوم الأحد ١٦ ديسمبر غادر بوش كامب ديفيد متجها للبيت الأبيض حيث كان عليه أن يقوم بتسجيل مقابلة تليفزيونية عامة لكى تذاع فى الثانى من يناير . كان لديه نسخة من تقرير منظمة العفو الدولية الجديد بخصوص الاعتداء على حقوق الإنسان من قبل العراقيين فى الكويت من غزو أغسطس .

فى طائرته الهليكوبتر وفى طريق العودة لواشنطن فتح التقرير ذا التسعة وسبعين صفحة . كان

التقرير يقول إن التعذيب والقتل مستمران تماماً بالإضافة للإيذاء الجسدى وهو معروف ومقترف فى العراق منذ سنوات عديدة . كانت لغة تقليدية بالنسبة لتقرير صادر عن منظمة العفو الدولية حتى بالنسبة لبعض الحلفاء الرئيسيين لأمريكا ولكن بوش فُزع للروايات الحية التى وردت فيه . قال لفروست بعد عدة ساعات : « أوه ديفيد . إنه لفظيع ومن الصعب وصفه » شرح بوش كيف أن باربرا قد قرأت صفحتين فقط وقالت إنها لاتقوى على قراءة المزيد . « تعذيب طفل مخطوف ، إطلاق الرصاص على الأطفال أمام ذويهم ، اغتصاب النساء بعد أخذهن عنوة من منازلهن ، وتكرار الاغتصاب ، ثم إرسالهن للمستشفيات فى أسوأ حال ، وربط المُعذبين فى المراوح حتى يدوروا ويدورا ، قتل كويتى ثم تركه معلقاً . وهاهى صورة هذا القتيل وهو معلق على ونش حتى يراه الآخرون . الصعق بالكهرباء فى الأعضاء الحساسة للرجال والنساء . إدخال الزجاجات المكسورة فى أجساد الأشخاص ــ أعنى أن هذا بدائى وأخشى أن أنفعل إذا قمت بوصف الكثير من هذه الحالات » . ولكن بوش استمر واصفاً كيف أن فتى فى الخامسة عشرة من عمره ضُرب على باطن قدميه وكيف أن العراقيين نزعوا أظافره .

قال الرئيس : إن من الممكن إيجاد عالم أكثر سلاماً لو أن الولايات المتحدة والحلفاء وقفوا أمام صدام . « لن يحدث هذا إذا تصالحنا إذا كان لديك حالة واضحة عن الخير فى مواجهة الشر . نحن أمام حالة أخلاقية واضحة وبمثل هذه الضخامة أو بمثل هذه الأهمية . لم يحدث شيىء كهذا منذ الحرب العالمية الثانية . ليس هناك شىء له مثل هذه الأهمية الأخلاقية منذ الحرب العالمية الثانية » .

تساءل فروست : « ماالذى ستفعله بعد ١٥ يناير . علام عولت ؟

قال بوش : « حسنا . إننى لم أقرر بعد » .

* * *

قرر باول أنه شعر أن بوش لايريد الحرب إذا كان الهدف يمكن تحقيقه بوسائل أخرى . وظل مقتنعاً بأن صدام لايريد الحرب مع الولايات المتحدة . كان يود الاستمرار فى إعطاء صدام أسبابا للشعور بهذا الإحساس .

ولكن لو كانت هناك حرب فلابد أن تكسبها الولايات المتحدة .

إن لم تنجح العسكرية الأمريكية بصورة واضحة وحاسمة فسوف يكون هذا مدمراً . مطلوب نصر حاسم . ليست فقط سياسة الدولة الخارجية هى التى تتعرض للمخاطرة ولكن أيضاً سمعة ومعنويات الجيش لسنوات وربما لعصور قادمة . فى ١٧ ديسمبر تحدث بوش مرتين للمراسلين ، فى الجلسة الأولى سُئل عما سيفعله بعد انتهاء مهلة ١٥ يناير . قال بوش : « فقط انتظروا وستروا » .

فى اللقاء الثانى من ذاك المساء . سأله مراسل لماذا يتجنب تهديداً واضحاً لماذا لم يقل إنه سيهاجم ؟ أجاب بوش : « لأننى لاأتبع أسلوب التهديد . ولا أظن أن أيا منا يتبعه نحن لنا طريقة مختلفة » .

هذا اليوم ناقش باول وولفيتز طريقة بوش فى عرض وجهة نظره . كان باول شديد الغضب بالرغم من أن الرئيس لم يكن يقصد ذلك إلا أنه كان يرسل إشارات متضاربة . فى هذا اليوم الواحد انفجر غاضباً ثم هدأ . إن شرح السياسة والتحكم فى توصيل المعنى هو شيء لصيق بالدور الوحيد الذى يلعبه الرئيس وكره باول أن يرى ذلك وهو يفسد . اندفع باول وولفيتز بعيدا حتى تساءلا ما إذا كان من الممكن إيجاد طريق لاقتراح تعيين مدير للاتصالات بالبيت الأبيض .

هذه الفترة خصوصاً قبل نهاية مهلة ١٥ يناير حساسة بشكل خاص كانت حرب أعصاب ، وكلمات الرئيس لها أهمية قصوى .. أولاً : لابد من إرهاب صدام . ثانياً : لابد من اشتراك الكونجرس . وثالثاً : لو أنه يجب استخدام القوة فلابد من الحصول على تأييد شعبى قوى .

* * *

نفس الأسبوع ولكن فى ١٧ ديسمبر ذهب إبسين للبيت الأبيض لجلسه مع سكوكروفت .. كانت لجنة خدمات التسليح التى يرأسها اسبين قد انتهت لتوها من جلسات الاستماع الخاصة بسياسة الخليج . بالنسبة لاسبين كانت تدور حول البترول والأسلحة النووية والعدوان وقد انتهى إلى أنه سيؤيد الحرب فلو أن الولايات المتحدة لن تستخدم جيشها فى حالة كهذه فمتى ستستخدمه إذن . كان واضحا لاسبين أن سكوكروفت قد فقد صبره مع الدبلوماسية . أعلن صدام أنه يمكن مقابلة بيكر فى بغداد فى ١٢ يناير فقط . ثلاثة أيام قبل انتهاء المهلة . وقد رفض بوش ذلك . كان صدام يتلاعب بكل المحيطين به .

قال سكوكروفت : « إنه لا يوجد داع للتعامل معه . إن الأربعة أشهر من الدبلوماسية والمقاطعة الاقتصادية قد باءت بالفشل . سوف تأخذ الحرب وقتاً أقل من هذه الأشهر الأربعة المحبطة والمجهدة التى مروا بها » . كما قال سكوكروفت : « إنه يعتقد الآن بأن الحرب سوف تكون حلاً لن يستمر أكثر من أسبوعين إلى ثلاثة .

توقف أيضا الأمير بندر ليقابل سكوكروفت فى ذلك الأسبوع كان السفير السعودى يعرف أن سكوكروفت يعد مرآه شديدة الوضوح لبوش فلو أن سكوكروفت كان ثائراً أو بارداً فهذا يعنى أن بوش كذلك .

قال سكوكروفت : « تقريباً لقد عقد الرئيس العزم ! » .

إشارة إلى أن الجهود الدبلوماسية أصبحت مسدودة . كما قال لبندر .

فى ١٩ ديسمبر وصل تشينى وباول وولفتيز لمسرح العمليات ليقوموا بفحص دقيق لخطة

شوارسكوف الحربية . كانت الخطة معقدة وحافلة بالاصطلاحات العسكرية ولكن باول ومن معه قاموا بشرحها لتشيني . واعترف تشيني بأنه ليس مخططاً عسكرياً ولكنه قال إنه يود أن يتأكد من أنهم قد أمدوه بكل التفاصيل . لو كانت هناك أشياء يختلف عليها فعليهم أن يمدوه بها .

ثمانون من المراسلين المسافرين مع تشيني وباول كانت مهمتهم مقابلة ــ لمدة ٣٠ دقيقة ــ مع نائب شوارسكوف اللفتنانت جنرال كولفين وولر .. « باول كان قد وضع وولر كرجل معتدل فى الإدارة المركزية ليعمل كعنصر مهدىء لشوارسكوف . أخبر وولر المراسلين بصراحة أن الجيش لن يكون مستعدا لعملية هجومية حتى أوائل أو منتصف فبراير وأنه لا يمكن أن يتصور أن الرئيس بوش يمكن أن يأمر بالهجوم قبل ذلك . وحين سُئل عما سيقوله لو سأله بوش إن كان سيكون مستعداً للهجوم فى ١٥ يناير أجاب وولر سأقول له : « لا إننى غير مستعد لأداء المهمة » . كانت تصريحات وولر تشغل العناوين الرئيسية فى صباح اليوم التالى وجن جنون باول . كلما أظهروا القبضة الحديدية لصدام يأتى شيء أو شخص ليدفعها للخلف .

شعر تشيني بأن وولر الذى لديه خبرة ضئيلة فى التعامل مع الإعلام قد ألقى للذئاب فى الصحافة ، لم يكن من الواجب عقد هذا اللقاء . وبالرغم من ذلك فإن التعليقات والغضب المتصاعد يخدم أغراض تشيني موصلا الانطباع بأنه ليس من الجائز للولايات المتحدة أن تحارب قبل فبراير وسوف يكون هذا مناسباً تماماً إذا فكر صدام بأنه لن يُهاجم حتى ذلك الحين .

فيما يخص تشيني لو لم يخرج صدام من الكويت فإنهم سوف يبدأون الحرب الجوية بعد ١٣ يناير مباشرة وسوف تكون القوات الجوية وقوات الطيران البحرية مستعدة آنذاك .

خلال هذه المرحلة نجح باول وتشيني ووليفيتز أن يتحدثوا فى مناخ أكثر هدوءاً . قال باول إنه بالنظر للموقف ككل يقدر أن صدام سيقوم بسحب قواته من الكويت فى آخر لحظة . حين يرى صدام أنه سيواجه بعضاً من أفضل قوات الولايات المتحدة التى أنشئت لمحاربة الاتحاد السوفييتى فإنه سيتراجع .

إن صدام يعشق البقاء وسوف يفعل أى شيء ليستمر فى السلطة . لقد رأوا ذلك مرة ومرات عديدة وأقربها حينما أعاد كل الأراضى التى أخذها من إيران على مدى سنوات ثمان من الحرب . أو قبل ذلك بأسبوعين حين أطلق فجأة سراح ألفين من الرهائن الأمريكان والغربيين .. دون توقع .

لم يُعر تشيني أى اهتمام لكل هذا وقال لباول وولفيتز انظروا إلى الوقائع فصدام مازال يدفع بتعزيزاته إلى الكويت ولا يأخذها خارجها فلا يوجد هناك أى حادثة ملموسة لتعضيد هذا التفاؤل بل قد يصبح هذا التفاؤل خطرا إذا تركنا هذا الانطباع بأنه « يارفاق سينسحب » . إن صانعى القرار

ستصيبهم عدوى الأفكار الطيبة وهذه قاعدة سياسية خاطئة . ولذا كان تشيني يود أن يتأكد أن شوارسكوف مستعد للحرب وأنه قد وضع خطة قابلة للتنفيذ وواضحة بما يكفى .

أمضى الرجال الثلاثة يوماً ونصف يوم مع شوارسكوف وكانت مناقشات اليوم الأول حول المخابرات واستعدادات القوات والشؤن الإدارية . انطلق تشيني بالأسئلة لم يكن يريد لأى أمرىء أن يضع أى احتمالات متفائلة . كان يود التأكد من أن الإدارة تحتفظ بعدد كاف لمعركة طويلة . كان يريد قذائف ومؤنا أكثر للمعركة الجوية القريبة . فى الجلسة المسائية عرض شوارسكوف خطة الحرب لم تكن سلسلة من الاختيارات التى يمكن لتشيني والرئيس أن يختاروا من بينها ولكنها كانت خطة واحدة شاملة تعتمد على التوجيه الذى تلقاه باستخدام أكبر قدر من القوات العسكرية المتاحة واللازمة لأداء تلك المهمة . تماماً كالخطة المبكرة كانت تحوى ثلاث مراحل للهجوم الجوى تتبعها مرحلة رابعة للهجوم البرى . لو أن أى مرحلة صارت أفضل من التوقع فإن من الممكن أن يتحركوا للهدف التالى بصورة أسرع حتى إنهاءِ الحرب سريعاً . أول مرحلة للهجوم الجوى سوف توجه للدفاعات الجوية العراقية والمطارات .. ستوجه إلى ٨٠٠ طائرة من القوات الجوية وشبكة صدام للاتصالات والإدارة وإصدار الأوامر . وتوصل أحد تحليلات المخابرات أن ٨٠ : ٨٥٪ من القوات الجوية العراقية من الممكن تقليلها من الأيام الأول شريطة أن تقوم الولايات المتحدة بالهجوم أولاً وتحقق المفاجأة التكتيكية .

أراد ولفيتز التأكد من أن كل البدائل قد طُرحت ودُرست كان يعرف أن الضباط كثيراً ما يفسرون أسئلة المدنيين بأنها تحد لسلطاتهم ولكنه كان يحاول جذب شوارسكوف بعيداً عن ذلك إلى حيث الهجمات الجوية .

قال شوارسكوف إنه يخشى من أن الجهاز السياسى ـــ الرئيس ، وزير الدولة ـــ الكونجرس قد يبادر بالتوقف قبل أن يستطيع تحقيق أهدافه ، سواء فى الجو أو البر .

حاول ولفيتز أن يؤكد للجنرال أن الرئيس وتشيني قد قالا إنه من المقبول سياسياً من شوارسكوف أن يأخذ كل الوقت الذى يحتاجه القادة الميدانيون .

قال الرئيس : إنه لايريد فيتناماً أخرى . هكذا ذكَّر تشيني شوارسكوف . إن الإدارة الأمريكية ملتزمة .. القادة العسكريون لن تكون أيديهم مغلولة . إن الرئيس وتشيني وباول عليهم أن يجيزوا الخطة لكن بمجرد إجازتها تصبح غالبيتها تحت سيطرة شوارسكوف . سيتخذ الرئيس القرار النهائى مثل متى يقومون بالهجوم البرى فى المرحلة الرابعة .

المقاييس الرئيسية للهجوم البرى تم عرضها بواسطة ستة من صغار الضباط فى عامهم الثانى فى الخدمة العسكرية . هؤلاء الضباط قد تم إرسالهم للسعودية لتطبيق عناصر المناورات الحربية المتقدمة

مثل الكشف والتطويق والمفاجأة والمبادرة والجرأة .. على خطة المعركة .
إنهم يعملون فى ركن صغير عالى السرية فى مركز قيادة شوارسكوف لمتابعة أوامر العمليات العسكرية كان عليهم مطابقة مايجرى على الخطة ، خاصة الفصل السادس والسابع منها . وقد بنيت خطة الهجوم البرى على ما فعله الجنرال جرنت فى سنة ١٨٦٣ أثناء الحرب الأهلية فى « فيكس برج » فبدلاً من مهاجمة استحكامات العدو مباشرة قام جرنت بإرسال جيوشه فى مناورات واسعة حول الخط الأمامى ثم قام بالهجوم من الجنب والخلف . هذه المعالجة غير المباشرة قدر لها أن تكون أفضل طريقة لمهاجمة صدام .

التحليل المبدئى للأرض دل على أن التربة فى صحراء العراق شديدة النعومة لكن الاستطلاعات أثبتت عكس ذلك ، الصحراء كانت فى الواقع مناسبة للهجوم بالدبابات . بخطة مناورات سوف تكون فعالة . ما دام صدام يضع معظم قواته فى جنوب الكويت وبطول شاطىء الخليج شرقاً فإن الخطة البرية تقول بتحريك الفيلق السابع بضع مئات من الأميال فى قوس واسع غرباً ، وتهاجم عبر العراق لتضرب الحرس الجمهورى . سوف يصبح هذا بمثابة جناح أيسر ضخم وفى قلب الخطة هجمات مكثفة سريعة ومدمرة للدبابات .

فى ذات الوقت هجوم بالطائرات الهليكوبتر سوف تسقط جنودا أمريكيين خلف الخطوط العراقية حيث لامقاومة .
كانت الفكرة هى دفع صدام لتحريك مئات الآلاف من جنوده من مخابئهم وبالتالى يسهل اصطيادهم بالقوات الأمريكية الجوية المتفوقة والنيران البرية .
البحرية سوف تقوم بهجوم برى عند جهة حدود الكويت والسعودية محاولة إحداث ثغرة للنفاذ منها إلى خلف الخطوط العراقية هناك . باقى القوات البحرية فى عرض البحر ستقوم بعمل أى شىء حتى تبدو وكأنها ستقوم بهجوم ضخم للإنزال البرى على شاطىء الكويت حيث بنى العراقيون استحكامات ضخمة لكن ذلك سيكون خدعة المقصود بها ربط العراقيين خلف استحكاماتهم فالبحرية لن تقوم بعملية الإنزال .
قال شوارسكوف مقدماً قادة الأسلحة : « هاهم سادة الحرب » . كان أكثرهم ثقة هم قادة الدبابات أما قادة القوات الخفيفة فقد بدوا شديدى القلق .
كان لتشينى العديد من الأسئلة حول الخطة البرية ، منها كيف يمكن أن يحرك صدام قواته . إنها ستصبح خادعة أكثر من الحرب الجوية . الخطة كانت تعتمد على تحقيق المحافظة على التفوق الجوى . والتأكد من أن صدام ليس لديه معلومات عن التحرك الضخم للقوات باتجاه الغرب .
كان هناك أيضا تحدٍّ ضخم للجنود ؛ على الأقل مائة ألف رجل بمعداتهم وإمداداتهم لابد أن يتحركوا

قاطعين مئات الأميال فى عدة أيام باتجاه الغرب . مهمة تبدو مستحيلة تماماً حتى لو علم بالخطة فلا يمكن أن يصدق أنها تتحقق .

كانت هناك مناقشات طويلة حول الأسلحة الكيماوية . كانت هناك حقيقة مؤكدة بأن صدام سوف يستخدمها ، متى وكيف ؟ لم يكن أحد يعرف بالتحديد ما يملكه من إمدادات لكن المؤكد أنها كبيرة .

الأثر النفسى والعسكرى لهجوم كيماوى كان يصعب تخيله . كان للجيش بعض التقنية الحديثة مثل الرادار متتبع النيران الذى يسمح للولايات المتحدة بتحديد مواقع المدفعية العراقية بتتبع مسار طلقات المدفعية وهى مازالت فى الجو . حلَّ الكومبيوتر المعضلة الحسابية . سوف يحدد على الفور مكان الطلقة ، قبل أن تهبط ستكون الولايات المتحدة قد ردَّت بوابل من النيران على مصدر إطلاق هذه الطلقة . على أمل أن تصيب السلاح القاذف والعراقيين الذى يستخدمونه . أوضح أحد الضباط « وسوف نعلمهم أنهم إذا استخدموا مدافعهم فسوف يموتون » .

مادامت معظم الأهداف مثل مراكز الاتصالات والمطارات كانت محددة فقد كانت الخطة الجوية التى تمت مراجعتها وتعديلها أكثر دقة وأقدر على التنبؤ من الخطة البرية . استطاع تشينى أن يرى بأن المخططين قد بذلوا جهداً خارقاً حتى يوفقوا بين الأسلحة والأهداف قال تشينى وباول لشوارسكوف إن عليه أن يتوقع تنفيذ المراحل الجوية بعد ١٥ يناير بقليل .

تلقى القائد الأعلى والوزير مذكرة طبية عالية التخصص عن الإصابات المتوقعة . قال قائد الخدمات الطبية إنهم خططوا لعشرين ألف إصابة متضمنة سبعة آلاف قتلى — حل الصمت بالحجرة .

ثم تحدث شوارسكوف « إنها أسوأ نموذج للتخطيط . إنه مجرد تصور وأنا لاأضع تنبؤات » .

كان لدى قواد البنتاجون فرص أيضاً لزيارة الجنود فى المواقع الأمامية تجول باول كما لو كان ( البابا ) عائدا للقرية حيث صار قسيساً للإبراشية ، حوصر بالأتوجرافات مسجلاً اسمه فوق أى شيء متاح — مجلات — صحف سعودية — وقام بمساعدة جندى فى حمل كيس من الرمل وتمنى لجميع من حوله أعياد ميلاد سعيدة ثم جلس ليأخذ صوراً تذكارية . قام بزيارة السرية الثانية من الفصيلة القوية رقم ١٠١ وهى وحدة جوية هجومية خاصة .

منذ أربعة عشرة عاماً سابقة كان باول يقود لواء مكونا من ألفى من رجل وهو يقول للرجال الآن إنه يعرف ويفهم جيداً متاعب مهمتهم — الانتظار ، الليالى الطويلة ، وآلام المعدة .

لكل هؤلاء الذين تساءلوا عن مستقبلهم ولكثيرين ممن لم يسألوا ردد باول أربع كلمات « كن مستعدا لأن تحارب »

يوم الجمعة ٢١ ديسمبر دعا بوش سفراء الدول الثمانية والعشرين المتحالفة للبيت الأبيض . بعد المقابلة أخذ المجموعة لجوله لمشاهدة زينة أعياد الميلاد بالبيت الأبيض . كان الأمير بندر هو آخر من غادر .

قال بوش « هل أنت على عجلة من أمرك » ؟

ــ « لا »

ــ «إذن أبقى لترى بربارا » .

تمنى بندر للسيدة الأولى أعياد ميلاد سعيدة ، ثم ذهب مع بوش للمكتب البيضاوى وأغلقا الباب للحديث .

تساءل بوش عن صدام : هل هو مجنون ؟

كان الرجلان قد ناقشا ذات السؤال من قبل فى احاديثهما الدورية عبر الشهور . أخبر بندر بوش عن القلق المتملك صدام بشأن سلامته وكان بوش قد سمع العديد من القصص الشبيهة . كان بندر مازال مقتنعا بأنه لو خير صدام بين رأسه وترك الكويت فسوف يختار حياته فصدام لايريد الموت . إنه ليس شهيدا .

سأل بوش أيضا : هل هو يعرف ما يواجه ؟

على مدى شهور كان بندر يقول سراً لبوش ولآخرين إن هناك مبالغة شديدة فى وصف القدرة العسكرية العراقية . فهو مازال يشعر بأن صدام يمكن هزيمته فى أسبوعين .

لاحظ بندر أن بوش جاد . واستشعر اضطرابا فى النطق . لم تكن هناك ابتسامة بالرغم من أن عينى بوش كانتا تتسمان بالبرود والهدوء ولكنه يبدو كمن يحمل حملا ثقيلا . وحين نظر بندر بعناية وعمق أكثر بدت عيناه مرتعبتين .

فى الشرق الأوسط هناك مقولة تقول اتق شر الحليم إذا غضب لأنه يصعب التحكم فيه . لشهور رأى بندر تصاعد الغضب العام والخاص والذى نجم عن تراكم مخيف للتعنت .

قال بوش عن صدام : إن لم يذعن فسوف ننفذ فيه القرار .

بندر فكر فى نفسه : أنه جاد وسف يفعلها .

* * *

فى ذات الوقت كان مدير المخابرات الأمريكية CIA وبستر يعقد جلسة خاصة قبل عيد الميلاد عن تقديرات المخابرات القومية بغرض تقديم أفضل تصور عما إذا كان صدام سيترك الكويت قبل انتهاء مهلة ١٥ يناير .

فى مناقشات مع وكالات المخابرات المختلفة انتهى كل من وبستر ، وفرع الإدارة الأمريكية إلى

أن صدام حين يدرك حجم القوات المحشود ضده وإصرار الولايات المتحدة والحلفاء فسوف ينسحب .

وكالات المخابرات الأخرى مثل المخابرات الحربية عارضت ذلك تماماً .. ومرة أخرى كان مسئولو المخابرات يعكسون تخيلاتهم فهم ينظرون للعالم من خلال نظرتهم الغبية الضيقة مدعين أنهم لو كانوا صدام فسوف يقدرون القوات العسكرية الضخمة التى قد توجه للعراق والإصرار من جانب التحالف العالمى ، ومادام هذا المنطق مقبولاً فإن صدام سيصل لهذه النتيجة ومن ثم ينسحب .

ولكن مدير المخابرات الحربية كان شديد التأكد أن صدام يركز فقط على حجم قواته وعلى إصراره الشخصى ومن ثم سجل معارضة مكتوبة على العديد من هوامش تقرير المخابرات التى أرسلت للرئيس بوش .

فى لقاء مع مجلة « تايم » قبل أعياد الميلاد بوقت قصير سُئل بوش إن كانت ستكون هناك حرب فقال « ياإلهى » وصمت لحظة مسترجعاً الرأى العام لتقدير المخابرات ثم قال « ظنى يقول أنه سيخرج من هناك » .

عاد باول وتشينى من الخليج وطارا لكامب ديفيد لإفادة الرئيس فى ليلة أعياد الميلاد . كان سكوكروفت وكايتس أيضا هناك .

كان حقيقياً أن القوات البرية لن تكون مستعدة قبل فبراير . هكذا أخبره تشينى . وفى الواقع لم يكن قد اقتنع بعد المرحلة الرابعة البرية من الخطة . ولكن الهجوم الجوى مستعد وكان سعيدا بالتفاصيل .

قال كل من تشينى وباول إنه من المحتمل تماماً البدء والاستمرار فى الهجوم الجوى قبل استكمال إعداد القوات البرية . شوارسكوف كان يأمل فى نهاية مهلة الديبلوماسية فى ١٥ يناير .

حتى هذا الوقت سيكون شوارسكوف والجيوش قد أمضوا إجازات عيد الشكر وأعياد الميلاد ورأس السنة فى الصحراء . ويكونون قد عاشوا الخمسة وأربعين يوما من الهدنة من أجل السلام بلا نتيجة والبعض سيكون قد أمضى خمسة أشهر فى الصحراء .

١٥ يناير صار تاريخا ضمنياً حتما ، صار رافعاً حقيقيا للمعنويات .

قال بوش إن عليهم التفكير جدياً فى بدء الهجمات الجوية فى أفضل وأسرع لحظة بعد ١٥ يناير إن لم ينسحب صدام .

اتُفق على أن باول سيتحدث مع شوارسكوف ويحصل منه على تاريخ وميقات التنفيذ المقترح اعتمادا على القمر وتكهنات المناخ .

وكان باول لديه مسودة عالية السرية لأمر تحذيرى ليرسلها للجنرال شوارسكوف . تبعا لنشرات قيادة الأركان أمر تحذيرى يعنى « إفادة مبدئية بأمر أو فعل سيأتى » فور إرسال الأمر سيوجه شوارسكوف لأن يصبح معدا تماماً لتنفيذ خطة الحرب .

عبر الخط الآمن سأل باول شوارسكوف عن الوقت والتاريخ الذى يقترحه بعد انتهاء مهمة الأمم المتحدة فى ١٥ يناير . قال شوارسكوف فى الثالثة صباحا بتوقيت السعودية يوم ١٧ يناير وهذا سيكون فى السابعة صباحا بتوقيت واشنطن يوم ١٦ يناير فقط بعد نهاية مهمة الأمم المتحدة بتسع عشرة ساعة . سوف تكون ليلة بلا قمر وهى عامل حيوى للقذائف المحاربة النفاثة F-117 A . لأن هذه الطائرات لن ترى بالنسبة للرادار العراق فلا منطق بأن نسمح للعراقيين بأن يروها أو يروا غيرها من الطائرات فى ضوء القمر . التوقعات تقول بأن المناخ سيكون صافيا .

قال ستورمين نورمان إنه بعد الهجوم سوف يغير اسم العملية من « درع الصحراء » إلى « عاصفة الصحراء » .

كان لدى باول صفحتان منقحتان من أمر الإنذار تحددان أن على شوارسكوف أن يكون فى أتم استعداد لبدء « عاصفة الصحراء » فى ١٧ يناير فى الثالثة صباحا . قُدمت الورقتان يدويا للعديدين من موظفى البنتاجون لمراجعتها وأعدت الصورة النهائية للإرسال حين يأمر الرئيس .

* * *

فى ٢٩ ديسمبر صدر الأمر لباول بإرسال أمر التحذير لشوارسكوف . لضمان سرية عالية دفع بنسخة عبر الفاكس الخاص عالى السرية لشوارسكوف بهدف أن يراه شوارسكوف فقط وبهذه الطريقة ستظهر نسخة واحدة فى حجرة عمليات شوارسكوف . لم يكن باول يريد أن تنتشر نسخ عديدة خلال عملية الاتصالات والأوامر .

أرسل أمر التحذير فى صباح يوم السبت الموافق ٢٩ ديسمبر باتصالات التاريخ ـــ الزمن المعدة ٢٩ / ١٦١٢ / ديسمبر ١٩٩٠ وتعنى أنه أرسل فى ديسمبر ٢٩ بالتوقيت العالمى ١٦١٢ وهو يعنى ١٢ : ١١ صباحا بتوقيت واشنطن .

* * *

فى مساء ليلة رأس السنة ، الثلاثاء ١ يناير عاد بوش من إجازته فى كامب ديفيد وتقابل هذا المساء فى البيت الأبيض مع كويل وبيكر وتشينى وباول وسنونو .

أصدر بوش أوامره أن يقوم مجلس الأمن القومى بإعداد مسودة أمر جمهورى أو « أمر أمن قومى » يوضح أسباب الذهاب للحرب . ومادامت هذه ستكون وثيقة تاريخية فهو يود أن تمنح الاهتمام الذى تستحقه .

كان بيكر مايزال يود التأكد من أن الرئيس قد أفنى كل المساعى الدبلوماسية ، وعرض أن يقوم بوش بتقديم عرض آخر لمقابلة صدام .

كان تشينى متخوفاً من خدعة آخر لحظة كان يشعر بعمق أن التحالف يهتز . كما يفهم الأمر فإن أعضاء التحالف ــ خاصة من دول الشرق الأوسط كالسعودية ومصر وسوريا ودول الخليج الصغيرة ــ تخشى أن تجد الولايات المتحدة أسبابا لعدم الحرب .

لايظن تشينى أن قرار الحرب قد صدر فى لحظة محددة أو فى لحظات متتابعة . لم تكن هناك مناقشة واحدة أو مقابلة واحدة ، وتجميع ذلك كان فى ليلة أعياد الميلاد وكانت قريبة من ٢٩ ديسمبر عندما أرسل أمر التحذير وقد عزَّز الأمر . وفى مقابلة ليلة رأس السنة كان الأمر قد تم إقراره نهائيا .

ولان زيارة بيكر إلى بغداد لم تتحقق أبدا ــ لأن صدام قال إنه يستطيع مقابلة بيكر قبل انتهاء المهلة بثلاثة أيام فقط ــ قرر بوش أن يعلن على الملأ أن يتقابل بيكر مع وزير خارجية العراق فى سويسرا خلال الفترة من ٩ إلى ١٧ يناير حيث سيكون بيكر متواجداً فى أوروبا . ولكن لن توجد هناك مباحثات ولا تصالح ولا مصالحة .

فى اليوم التالى الأربعاء ٢ يناير كان سكوكروفت حزيناً . بدأ يخبر رجاله الأمناء بأنه يشعر بالتشاؤم وقال سوف تقوم الحرب .

عقد كايتس مقابلة للجنة النواب . قال إن لديهم مهمتين الأولى : أن بوش سيقوم بعرض طلب أخير لتقابل بيكر وعزيز فى سويسرا وعليهم أن يبدأوا فى إعداد مسودة رسالة من بوش لصدام . والثانية : عليهم البدء فى إعداد مسودة « مرشد الأمن القومى » وهو أمر قرار الرئيس بالحرب .

ولفيتز كان يرى أن رسالة بوش لصدام قد تحدث تغييرا . ووجد إحدى المسودات التى قدمها فريق الأمن القومى ضعيفة . كان متحمساً لجعل الرسالة أكثر حدة . فى الصورة النهائية للرسالة المكونة من ثمانى فقرات قيل « نحن نقف الآن على أعتاب حرب بين العراق والعالم » وذكرت أن مستقبل العراق مهدد والفشل فى الانسحاب سيعنى « كارثة » ، « مأساة » والمزيد من العنف بالنسبة للعراق وكانت العبارة الأخيرة تقول « أتمنى أن تزن اختياراتك بعناية وحكمة لأن الكثير سيعتمد عليها » .

فى الساعة ٤٥ : ٨ دقيقة فى اليوم التالى الخميس ٣ يناير تقابل بوش مرة أخرى مع زعماء الكونجرس . وأعلن أنه سيقوم بمحاولة دبلوماسية أخيرة وهى مقابلة بيكر وعزيز فى الأسبوع التالى . أشار الرئيس لتقرير لجنة العفو الدولية الذى قرأه قبل الإجازات وحث رجال الكونجرس على قرأته .

أخبر الزعماء بوش أنه لن يحصل على تأييد الأغلبية فى الكونجرس باستخدام القوة بعد ١٥ يناير .

وبينما يتناقشون حول الحرب المحتملة قال بوش « لايوجد أى تشابه بينها وبين فيتنام » ذكر تشيني أن هناك بالشرق الأوسط حاليا ما يقرب من ٣٢٥,٠٠٠ من الجيوش وغيرهم ١٢,٠٠٠ يتحركون للسعودية يوميا .

كان تشيني يشعر بينه وبين نفسه أن النافذة الدبلوماسية مازالت تسمح بفرصة وعلى الرئيس أن يحافظ عليها مفتوحة . لو أن صدام انسحب فجأة من الكويت فإن الولايات المتحدة تستطيع أن تعلن نصرها العظيم . تستطيع الإدارة الأمريكية أن تقول « لقد اتخذت الولايات المتحدة قرارات ، وقادت العالم ، وأنشأت التحالف ونشرت القوات وأخرجت النذل من الكويت . ولكن من وجهة نظر تشيني ، أكثر من ذى قبل ، لن يتم الأمر بهذه الطريقة .

* * *

قابل بوش دائرته القريبة فى جناح إقامته مرة أخرى مساء الأحد ٦ يناير . كان بيكر فى أوربا .. وافق صدام على لقاء بيكر وعزيز فى سويسرا يوم الأربعاء .

قال الرئيس إنه يريد دفع الكونجرس لإجازة استخدام القوة إن أمكن . إنها آخر عملية يتم اختيارها . والقطعة الوحيدة الناقصة فى سياسته كلها .

كان تشيني متشككا .. قال : إن لم يتم انسحاب صدام فمن الضرورى جداً استخدم القوة بعد ١٥ يناير . سيادة الرئيس لقد أجسنت اتخاذ القرار . الكونجرس لم يكن أبدا شيئاً مضمونا . إن تصويتا من « زملائى القدامى » — كما يشير إليهم بسخرية كبيرة — سوف يفسد كل شيء . كان تشيني سيء الظن فى الديمقراطيين الذين يحكمون الكونجرس . وظن أنهم سيحبون إغلاق الباب على جهود الإدارة المركزية .

قال تشيني : الإدارة المركزية ، التحالف ، الجيوش فى الميدان لايمكنها تحمل تصويت سلبي . قال إنه يشعر بشدة أنه إذا نجح استخدام القوة ولو أن الأهداف تحققت بأقل تكلفة ممكنة وبمستوى ساحق فلا شيء يهم بعد ذلك . ومن الناحية الأخرى لو فشلت الهجمات العسكرية أو كانت خسائرها ضخمة جداً فلن يهم حينئذ الموافقة المسبقة للكونجرس فسوف يكون الأمر كله مسئولية الرئيس لقد كان يرى الا مكسب هناك بل الكثير من المخاطرة .

لم يقل أى أمرىء آخر إنه يشارك تشيني تحفظاته الشديدة . وانتهت الجلسة والمسألة معلقة .

اليوم التالى فى ٧ يناير أعلن فلوى وهو متحدث من البيت الأبيض أن البيت الأبيض سيبدأ مناقشات فى نهاية الأسبوع لاتخاذ قرار بشأن استخدام القوة . هو شخصيا يعارض استخدام القوة حتى يتم منح المقاطعة الاقتصادية وقتا أطول ولكنه قال إن الإجازة ستتم عبر ممر ضيق . وقال

السيناتور مايكل زعيم الأغلبية إن الشيوخ قد يبدأون أيضا مناقشة لاتخاذ القرار .

بدأ بوش بالاتصال بالشيوخ وأعضاء البيت الأبيض من الجمهوريين فى هذه الليلة للحصول على عدد كافٍ من المؤيدين . وقام بنفسه بطباعة نسخة من رسالة يستطيع إرسالها للكونجرس مطالبا أن يقوم كلا المجلسين بالتصديق على قرار الأمم المتحدة باستخدام كل الوسائل اللازمة . ثم أصدر أوامره بأن يجتمع معه كبار مستشاريه ومجلس وزارئه ومديرو الشئون التشريعية وكبار المحامين وذلك فى اليوم التالى بالبيت الأبيض .

شعر باول أنه من الضرورى الحصول على موافقة الكونجرس . كان يخشى إرسال جيوش الحرب دون التأييد الواضح من الكونجرس . إنه لايريد للجيوش أن تتخبط هناك وهى تعرف أنها فى حرب رغم أن الساسة يسمونها شيئا آخر . لقد كانت الحرب تدعى « حماية » فى كوريا ، و « صراعا » فى فيتنام وكلاهما غير شاق . إن دولة تحارب لابد أن تقول إنها تحارب ولابد أن تتحدث كلها بصوت واحد .

ملماً بوجهة نظر تشينى ، لم يكن باول راغباً فى حضور مقابلة موسعة بالبيت الأبيض ، حيث يختلف مع الوزير . وعليه استدعى باول مستشاره القانونى الكولونيل الحربى فريد . ك كورن وأخبره أن يحضر المقابلة بدلا عنه وينقلها إليه .

فى الساعة ١١ صباح ٨ يناير ذهب بوش لحجرة مجلس الوزراء . كان تشينى وسكوكروفت وسنونو حاضرين . كان ايجلبرج حاضرا بالنيابة عن بيكر ، وكذلك كان هناك كبار محامى الإدارة الأمريكية بما فيهم فريد كورن من رئاسة الأركان .

كان لدى بوش نسخة من مسودة رسالته . وقال إنه يعتزم إرسالها . السؤال المطروح كان هل سيبقى سلبيا أم يحاول التحكم فيما قد يأتى بتقديم عرض خاص بالإدارة الأمريكية وسأل مديرى التشريع للدولة والدفاع بالبيت الأبيض إن كان سيفوز .

كان الرأى أنه سيفوز . ولكن ذلك ليس مؤكدا مائة فى المائة .

وطلب بوش إعادة تقييم سلطاته الشرعية .. قال وليم بير نائب المحامى العام إنه فى رأيه ورأى إدارة المحامين العليا أن للرئيس السلطة الكاملة لتنفيذ عمليات عسكرية كقائد أعلى للجيش بصرف النظر عن تأييد الكونجرس . « الدستور يمنحك سلطة استخدام القوة » دور الكونجرس هو تقديم القوانين التى يعملون بها . ولقد قام الكونجرس بهذا . لو أنهم لايوافقون على الطريقة التى تُستخدم بها القوات يستطيعون سحب المال الذى ينفذ به . قال بير : إنه على الرغم من ذلك فهو يرى أن على الرئيس أن يكون نشطا فى الحصول على إعلان صريح من الكونجرس بالتأييد .

تساءل أحد مستشارى الرئيس « هل نصيحتك سياسية فقط ؟ » قال بير « لا » . الحرب هى

المنطقة الرمادية . قوة الحرب هى قوة مشتركة مع الكونجرس . الدستور أراد لها أن تكون مشتركة . للكونجرس حق إعلان الحرب . ولكن عادة ما يصوت بعد بدء الحرب ، وقال : كما فى أى قوة مشتركة تصبح قبضتك أقوى حين يوافق الجناح التنفيذى والكونجرس . سوف يُضعف من وضعك إذا قام الكونجرس بالمعارضة . قرار بالمعارضة لن يأخذ من سلطاتك . الكونجرس يستطيع فقط سحب المال ويقوم بتسريح الجيش . يستطيع الكونجرس أن يضعك فى موقف سياسى عسير . وعليه فالأمر يستحق أن تنشط للتأثير على ماقد يقومون به . هكذا أضاف نائب المحامى العام .

طلب من كل محامى الحكومة الحاضرين أن يتحدثوا . كان يود التأكد من سلطاته الدستورية .. ماهى النتائج التى تترتب على تصويت الكونجرس ضد القرار أو اتخاذ الكونجرس لموقف سخيف فهل تشترك المحاكم الآن أو آنذاك ؟

بالرغم من عدم أعفائه من التحديات القانونية قال المحامون إن الرئيس لديه أرضية دستورية صلبة وأكدوا بوجه عام الخطوط العريضة لمنطق بير الذى قال : إن الرئاسة قامت منذ البدء بالتصرف بصورة غير شرعية بنشر القوات وفى أثناء كل ذلك كانت هناك أكثر من ٢٠٠ مناسبة كررت فيها الرياسة ذلك وكان هناك خمس مرات فقط للإعلان عن الحرب . الوضع يشابه بصورة قريبة حرب كوريا حين تصرف ترومان بدون الكونجرس وبقرار من مجلس الأمن تماماً كما يحدث الآن . تحدث سكوكروفت مؤيدا الذهاب للكونجرس وتقديم عرض بالقرار حتى ولو أن للرئيس سلطات دستورية فإن وضعه السياسى سيزيد كثيرا بتأييد الكونجرس له وقال سكوكروفت إن الرئيس لايريد أن يبدأ حرباً والوطن منقسم على نفسه .

كان تشينى حذراً من إرسال رسالة فالتصرف البسيط بطلب قرار سوف يحمل إيماءات ضخمة .

لايهم كيف كُتبت وكيف عُرضت رسالة الرئيس ؟ المهم أن الرئيس كان يشعر باحتياجه للتصويت . على مدى سنوات خبرته أدرك تشينى أن الكونجرس غير معد للتعامل مع مثل هذه المسائل الضخمة فى هذا الوقت القصير . الذهاب بالرسالة ثم الخسارة ، سوف يكون هذا مدمراً .

قال بوش : « إن عليه أن يحاول » بعد إرسال الرسالة سوف يقومون بشن حملة واسعة للتأييد . لقد قال إنه لايستطيع أن يعتقد أن الكونجرس يمكنه ترك الجيوش معلقة فى الخليج .

قال سنونو : « إن علينا أن نحاول صياغة ذلك » .

أعاد المحامون كتابة الرسالة وفى خلال الساعة كانت فى الطريق إلى مبنى الكونجرس .

* * *

مبكراً ذلك المساء جلس بوش فى كرسيه الأبيض المرتفع الظهر أمام المدفأة فى المكتب البيضاوى

واتخذ تشينى المقعد الوثير الآخر أمام المدفأة لأنه فى غياب بيكر فى أوروبا كان هو أعلى أعضاء المجلس الموجودين . وجلس على المقاعد الأخرى باول ووبستر وسنونو وسكوكروفت وجيتس .. روبرت هيس قائد فصيلة الشرق الأوسط لفريق الأمن القومى قام باستدعاء أربعة من أعلى خبراء العرب بالحكومة لعرض الأمر على الرئيس . هيس قدم أولاً السفيرة ابريل جلاسبى والتى لم تعد أبداً لوظيفتها فى بغداد ولكنها استمرت فى العمل بمبنى وزارة الخارجية .

قالت جلاسبى « إن صدام يسيطر على جيوشه بقبضة حديدية والسر فى أنهم لم ينسحبوا أو يثوروا هو خوفهم على ذويهم من الإيذاء » . لن يكون هناك تمرد لأن صدام يحكم الجيوش وفى رأيها أنه لن ينسحب من الكويت . وهو يعرف أننا سنحاربه إن لم ينسحب . إن البناء الثابت للجيوش يظهر أنه يتوقع هجوماً عليه . سأل سنونو : هل تقولين بأن صدام قد تفهم تماماً أننا سنهاجمه ؟ قالت جلاسبى : « نعم !! » .

وتساءل سنونو : « من أين لك هذا ؟ » فأجابت : « مما يقوله » .

فى اليوم السابق توجه صدام لجيوشه فى العيد السبعين للجيش العراقى . أذيعت الخطبة فى تليفزيون أمريكا من خلال القناة الرسمية وكذلك الراديو . ولقد قال : « إننا لانعتقد بأن التضحيات ستكون صغيرة » ووعد بأن تكون المعركة « هى أم المعارك » . لقد فسرت جلاسبى الخطبة على أنها رسالة داخلية للجيش العراقى لكى يُعد نفسه لحرب لن تكون قصيرة .

وقالت أيضا : « بالرغم من أن صدام بالنسبة لدول الغرب لايعد له وجه القائد الشرعى إلا أن العديد من العراقيين يؤيدونه » قد لايحبونه ولكنهم يحبون برنامجه . « انه وهم أن تظن أنه بلا تأييد » .

ثم قام هيس بعد ذلك بتقديم وليم روجاه الذى عمل لمدة طويلة كموظف للخدمات الأجنبية وسفيراً سابقاً لليمن . قال لو أن هناك حربا كاملة فإنه كلما استمرت لوقت أطول كان ذلك أسوأ لأن العديد من العرب سوف ينضمون إلى صدام لأنه سيكون الرجل الذى تحدى الغرب سوف يصبح بطلا . الانتصار شديد الأهمية للعرب كما قال ، وحتى الخسارة أمام القوة الأعلى ستعد نصرا . لدى صدام بعض القضايا واسعة المدى يمكنه استغلالها ــ القضية الفلسطينية ، الشكوك العميقة حول المستعمرات الجديدة والفروق بين أغنياء وفقراء العرب .

تحدث محلل بـ CIA عن ردود الفعل العنيفة المتوقعة فى إسرائيل لو قامت الحرب . سيكون من الصعب كبح جماح قادة إسرائيل لو هاجمهم صدام . تحدث بوتلنج وهو من الخبراء بالشئون العربية وقرر أنه قد دُعى لحضور الاجتماع لأنه قد تنبأ بغزو الكويت وتخيل أن هذا الاجتماع شبيه بمداولات الحرب التى عقدها لنكولن ومجلس وزارته فى الأيام السابقة للحرب الأهلية .

لدينا افتقاد دائم لفهم الثقافات الغربية حتى القريبة بنسبة بسيطة هكذا بدأ لانج حديثه . نحن لانفهم العراقيين . هناك فرضيتان دائماً ماتثاران الأولى : أن العراقيين جبناء ، وهذا غير صحيح . أكد لانج أنه قد قام بدراستهم على مدى خمس سنوات وزار العراق العديد من المرات ورأى جيوشهم فى مواقعها وقام بدراسة الحرب العراقية الإيراينة ودراسة العرب عسكرياً . « وما استخلصته واضعاً فى الاعتبار كل هذه الأشياء هو كالتالى : لن يتراجعوا . سوف يحاربون بمهارة إنهم قساة . لن ينسحبوا ، إن حرباً لإخراجهم من الكويت تتطلب هجمات برية طويلة حتى يمكن إخراجهم من حصونهم » .

لم يقل باول أى شىء واكتفى بايماءات من رأسه عدة مرات على بعض هذه التخمينات .

أكد لانج أنه تخصص فى دراسة الألوية الثمانية الخاصة للحرس الجمهورى والتى استخدمت فى غزو الكويت وهى وحدات تتكون من ١١٠ آلاف جندى وقد وضعت كقوات بديلة لخط جبهة صدام الذى يتكون من ٤٠٠ ألف جندى آخر . الحرس شديد المران ومسلحون تسليحاً عالياً ومماثلون للجيش الأمريكى فى هذه النواحى .

تساءل سكوكروفت : « هل لو طحنا الحرس الجمهورى ينسحب الباقون ؟ » . أجاب لانج : « لا !! » .

قال لانج : « الفرضية الشائعة الثانية : أن صدام مجرم متوحش ويفتقد الإنسانية وأنه قائد غير شرعى » وأكد « أن هذا أيضاً غير صحيح فهو يتفق مع السفيرة جلاسبى أن صدام لديه إما تأييد الشعب أو هذه القبضة القوية عليه حتى أنه يبدو شرعياً فى عيونهم . فلا تخدعوا فى هذا . إن حرباً مع هذه الدولة الصغيرة بأسلحتها شديدة التطور وبقائدها المعتدى ستكون عسيرة وطويلة » .

قال بوش : « الآخرون يقولون شيئاً مختلفاً . ولم يقل لى أى شخص آخر ذلك . شامير ومبارك والرئيس السورى الأسد وبندر كلهم قالوا لى : « إن الحرب ستكون مجرد معركة خاطفة » .

كان لانج قد قرر أنه ليس موجوداً هنا لإخافة بوش وعليه فقد أجاب : « سيدى إننى أستطيع أن أقول إن ذلك الكلام يبدو لى متماثلا ويخدم قائليه » .

"O. K" قال بوش .

وفى النهاية تساءل بوش : « هل سيقومون بشىء مدهش بالنسبة لبيكر غداً هناك ؟ » .

قال الخبراء الأربعة : « غالباً لا » .

فى جنيف فى اليوم التالى ٩ يناير عقد بيكر اجتماعا على مدى ست ساعات ونصف مع طارق عزيز فى فندق الإنتركونتيننتال . قدم وزير الدولة رسالة بوش ذات الثمانى فقرات بشأن « الاقتراب من الحرب » . قرأ عزيز الرسالة وتركها على المائدة . ورفض أن يقبلها أو يحملها لصدام . ظهر بيكر فيما بعد فى مؤتمر صحفى بوجه منفعل وكئيب وقال « إننى لم أسمع أى شىء يشى بمرونة العراقيين على الإطلاق » . بمتابعة التليفزيون وهو جالس فى البيت الأبيض علم سكوكروفت أن المباحثات قد انتهت الآن تماماً .

طار وزير الخارجية للسعودية لمقابلة الملك فهد . بناء على الاتفاق السرى مع الولايات المتحدة كان على فهد تقديم موافقته على أى عمل هجومى قد يصدر من دولته . وبيكر طلب الآن موافقته . قدم فهد موافقته بسرعة مطالبا فقط بإعلامه مقدماً بموعد الحرب .

وعد بيكر بأن سيقوم بنفسه بإعلام الأمير بندر فى واشنطن قبل أى هجوم .

اتفقا على أن ترتيبات الاتصالات بين فهد فى السعودية وبندر فى واشنطن يجب أن تكون شديدة الحذر حتى تمنع أى تسرب . وحتى لايقلقوا من توصيل الرسائل أو يبحثوا عن تليفونات آمنة اتفق فهد وبندر على استخدام كلمة سرية هى « سليمان » وهو اسم موظف كان يعمل لدى الأسرة المالكة عندما كان بندر طفلاً . إن ذكر بندر : سليمان فى الحديث التليفونى مع الملك فهذا سوف يعنى الحرب .

بالرغم من أن تشينى كان حذراً من طلب قرار تأييد من الكونجرس إلا أنه كان ينتظر بفارغ الصبر تأييد الكونجرس .

مارس كل من بوش والبيت الأبيض ضغوطا عنيفة لتأكيد أن القرار هو آخر وأفضل فرص لحث صدام على الانسحاب .

فى يوم السبت ١٢ يناير بعد ثلاثة أيام من مداولات مرنة منح الكوجرس بوش سلطة شن الحرب . القرار الذى صدر حوى تعبير « كل الوسائل الممكنة » الذى تضمن قرار الأمم المتحدة وأيضا حول سلطات « استخدام القوة العسكرية »

انتهى التصويت فى مجلس الشيوخ باثنين وخمسين صوتاً مقابل سبعة وأربعين . ووافق البيت الأبيض بتأييد مائتين وخمسين صوتا مقابل مائة وثلاثة وثمانين معارضا .

اتصل تشينى بالرئيس وهنأ معترفاً بأنه كان مخطئا وأن الرئيس يفهم الكونجرس أفضل منه .

قال بوش للمراسلين « هذا التصريح من الكونجرس آخر وأفضل فرص للسلام » وحين سُئل إن كان هذا يجعل الحرب لامناص منها قال بوش « لا » .

وسأله أحد المراسلين : « هل اتخذت القرار ؟ » .

ــ « لا لأننى مازلت آمل أنه سيكون هناك حل سلمى » وأضاف « إن البدء الفورى فى انسحاب أعداد ضخمة من الجيوش بلا شرط ، فقط الخروج قد يكون الوسيلة الوحيدة المثلى لتجنب الحرب وبالرغم من ذلك فإنه فى الوقت الحالى استطيع أن أقول إنه يبدو من المستحيل بالنسبة لصدام الإذعان تماماً لقرارات الأمم المتحدة » .

سافر ولفيتز وايجلبرج لإسرائيل فى عطلة نهاية الأسبوع . مازالت إسرائيل صاحبة الكارت الضعيف فى الأزمة ، ففى الشهر الماضى قدم رئيس الوزراء إسحق شامير تعهداً رائعا لبوش على الرغم من الاستعدادات الواضحة للعراق للهجوم على إسرائيل وتأكيدات العراقيين أنهم سيفعلون فلن تقوم إسرائيل بغزو العراق . وهذا يمثل بعدا من إصرار إسرائيل التقليدى على الهجمات المفاجئة التى لها مميزات عسكرية واضحة . إسرائيل لم تبدأ الحرب .

ومن بين الأسباب الأخرى كان شامير لا يود الحد من الهجرة والتى ستتراجع إن شاركت إسرائيل بصورة مباشرة فى الحرب وتصبح مكانا خطراً .

ولكن لم يكن أحد فى الولايات المتحدة واثقا مما ستفعله إسرائيل إن هاجمها صدام ، وهو شيء مؤكد الآن . حاول ولفيتز وايجلبرج أن يستطلعا آراء زعماء إسرائيل . قال شامير إنه بالطبع لا يستطيع تقديم وعود بما ستقوم به إسرائيل . لايمكن لأى دولة أن تتعهدِ بهذا خاصة إسرائيل بتاريخها الطويل فى الرد على أى وعلى كل عمل عدوانى . ولكنه وافق على التشاور مع الولايات المتحدة قبل التصرف كما وعد ألا يكون مجرد إعلان روتينى بعد أن يكون مجلس الوزراء قد قرر الرد . سوف تكون استشارة فعلية . قال شامير إنه يرى مميزات البقاء بعيداً عن الحرب ، ولكنه أضاف : إن مبادىء بقاء الدولة قد تملى تصرفا فردياً .

عرض ايلجبرج وولفيتز تحسين دفاع إسرائيل بنشر قذائف باتريوت الأمريكية والتى كانت بالفعل فى الطريق . هذه الصواريخ أرض ــ جو مضادة للصواريخ يمكن استخدامها ضد صواريخ سكود العراقية . لم تكن شديدة الكفاءة ولكنها أفضل صواريخ موجودة وتشكك الإسرائيليون ولكنهم وافقوا على العرض والذى سيتبعه تواجد فريق عمل وصيانة أمريكى .

أمر بوش بوصلة اتصالات مسموعة آمنة وعالية السرية بين مركز عمليات البنتاجون وحجرة عمليات قوات الدفاع الإسرائيلي فى تل أبيب . الفريق الأمريكى فى إسرائيل سوف يقوم بضبط وتشغيل جهاز الشفرة الذى هو جزء من النظام . يستطيع تشينى الدخول على هذا الخط الآمن من مكتبه مقدما كلمة السر « هامان ريك » وعد بوش أن تشينى سيقوم بإبلاغ الإسرائيليين قبل أن تتم أية عملية هجومية .. هامان ريك ستستخدم أيضا لنقل أحدث وأفضل معلومات المخابرات للإسرائيليين حول أى هجمات عراقية محتملة على إسرائيل .

بدأ النظام يعمل يوم الأحد ١٣ يناير .

قابل بوش تشينى فى تلك الليلة وسكوكروفت وباول فى منزله بالبيت الأبيض . كان بيكر مايزال مسافرا . بعد اتخاذ القرار العصيب كل ما على المجموعة الآن أن تسير بالعملية وفق مسارها .. وقت شوارسكوف المفضل للغزو هو الثالثة صباحا بتوقيت السعودية ، يوم ١٧ يناير مازال مناسباً وكان السؤال . متى وكيف يتم اعلام الحلفاء والكونجرس . مبكراً بما يكفى . ولكن ليس مبكرا جدا . هكذا اتفقوا .. بساعة أو اثنين قبل العملية فى غالب الأمر .

راجع تشينى أيضا قائمة الأهداف مع الرئيس للتأكد من حسم نقاط الخلاف . كان يود أن يكون بوش راضيا عنها جميعها . كان الرئيس مهتماً بقائمة إحدى المهام وطلب إسقاطها وكانت تضم تماثيل صدام وأقواس النصر وهى معروفة بقيمتها النفسية العالية لدى شعب العراق كرموز وطنية .

* * *

صباح يوم الاثنين ١٤ يناير أمضى تشينى وباول ساعة فى الـ « ستوك » STOC متباحثين حول أهداف الضربة الجوية للمرة الأخيرة . تكون قوات للمهام الخاصة من مئات من رجال المخابرات والمخططين لتقديم كل المعلومات ــ صور بالأقمار الصناعية ووسائل اختراق الاتصالات وأى شيء آخر متاح ــ وذلك للتأكد من أن ضربة قاضية سوف توجه لمركز اتصالات صدام ودفاعاته الجوية فى الـ ٢٤ ساعة الأولى . وبعد ذلك سوف تصبح الهجمات الجوية مجرد هجوم منظم بحيث يضعف قدرات الآلة العسكرية العراقية كل يوم .

دعا بوش رئيس فريق القوات الجوية ماك بك وتشينى وسكوكروفت إلى الغداء بالبيت الأبيض . كان ماك بك عائدا لتوه من زيارة استمرت ١٠ أيام للخليج زار فيها وحدات القوات الجوية وبوش كطيار بحرى من الحرب العالمية الثانية يطلب معلومات من الميدان . مازال ماك بك يعتقد أن العملية يمكن تنفيذها بقوة أقل كثيراً وهو يعتقد فى القوات الجوية بشدة شأنه شأن الجنرال دوجان المعزول ويشعر بأن الأسلحة الأخرى قد بالغت كثيراً فى الانتشار . كانت قوات

المارينز شديدة الرغبة فى بناء نصب تذكارى ثان لشهدائها . البحرية لاتحتاج لست من حاملات الطائرات لإتمام العملية والجيش حتماً لا يحتاج للفيلق السابع . القوات البرية تلزم فقط حتى يتسنى لأى شخص أن يدخل مكتب صدام شاهراً سلاحه ويجعله يوقع وثيقة الاستسلام ولكن ليس لأكثر من ذلك . ولكن ماك بك احتفظ برأيه لنفسه . لقد ابتلع سريعاً « نظرية » باول التى تقول بأقصى قوة من الحشود وكف عن المناقشة .

رئيس القوات الجوية أخبر بوش أنه حتى يُرضى نفسه بشأن استعداد قواته فقد قام بزيارة القواعد الجوية الـ ١٦ بالخليج وخرج مع الطاقم الجوى فى مناورات حية فوق الصحراء السعودية . لقد حفرت طرق شبيهه بالمسافات والظروف التى سيواجهها الطاقم الجوى فى العراق .

قال ماك بك لبوش : « هؤلاء الرجال مستعدون للحرب ، لقد كنت معهم هناك . وقمت بالتحليق معهم إنهم ممتازون ومنتقون » وقال إن الرئيس يعتزم شن هجوم فإن رأيه أن يكون ذلك فى أقرب موعد بعد إنتهاء مهلة ١٥ يناير وقال ماك بك إنه فى الأسابيع الأولى من الانتشار فى أغسطس كانت هناك أحاديث عديدة للطيارين المحاربين ــ « سوف نقطع رقبته » وأشياء كهذه ــ والآن لا يوجد ادعاء بالشجاعة . الطيارون هادئون وباردون . كان بوش يريد التفاصيل .

شرح ماك بك أنه خرج بسرب من أربع طائرات إف ــ ١٥ " F.15 " مطار فى الوضع الثانى حيث يضعون ــ الرجال الضعاف ــ حاملاً ٢٠٠٠ رطل من الذخيرة الحية وقمت بست غارات . فى ظروف مطابقة لظروف المعركة بدون توجيه لاسلكى وطرنا فى طائرة أرمادا مزودة بأجهزة إلكترونية وخزانات إضافية للوقود . بدت كفيلم من أفلام « حرب الكواكب » وقال لبوش إن الطيارين لن يقدروا على تحمل مزيد من الانتظار . إن أى تأخير أبعد من الغد سوف يُفرغ بالوناتهم من الهواء نفسياً وسوف يكون لذلك تأثير مدمر .

دُعى الكونجرس للاجتماع العاجل مؤخراً فى هذا اليوم بالبيت الأبيض سُئل بوش عن متى ستقوم الولايات المتحدة بالهجوم ؟ .

فأجاب : « مبكرا خير من التأخير » .

فى وقت متأخر من هذا المساء ذهب بيكر وبوب كميت للبنتاجون وأمضوا ساعة فى الـ STOC يراجعون المهام ، أراد تشينى أن يتفحص بيكر بعينه السياسية الهجمات الجوية ليرى إن كان قد أغفل أى نتيجة غير متوقعة . لم يحدث أى تغيير من قائمة الهام والأهداف ، أى شىء .

* * *

تحدث بوش مع بيكر فى السادسة والنصف صباحا يوم الثلاثاء ١٥ يناير ثم ذهب يتريض منفردا حول البيت الأبيض .

استدعى الرئيس ذلك الصباح اثنين من القساوسة أحدهما كان رئيسا لكنيسة بوش القس أدمون برين رئيس كنيسة « ابيكونال » . أقام القس صلوات المساء الليلة السابقة أمام البيت الأبيض .

اتصل أيضا بوش ببعض نواب الكونجرس الذين شاركوه الصلاة من أجل الوطن .

في العاشرة والنصف صباحا التقى بوش في المكتب البيضاوى مع دائرته الخاصة كول ، وبيكر ، وتشينى ، وسكوكروفت ، وباول ، وسنونو ، وكايتس . كان أمام بوش مسودة ذات صفحتين تحوى مرسوم الأمن القومى عالى السرية(NSD) . عُدلت لتضم شرطين وهى الآن تجيز تنفيذ عملية « عاصفة الصحراء » بشرط :

١ ـــ ألا تتدخل المساعى الدبلوماسية فى اللحظة الأخيرة .

٢ ـــ وأن يعلم الكونجرس بصورة لائقة .

تعرض الوثيقة أمر الإدارة الأمريكية بشن الهجوم بعد انتهاء المهلة المحددة بفترة قصيرة واكدت أنها تبعا لسياسة الولايات المتحدة يجب أن تخرج العراق من الكويت بكل الوسائل السلمية بما فيها الدبلوماسية والمقاطعة الاقتصادية ودستة من قرارات الأمم المتحدة فشلت فى حث العراق على الانسحاب .. الانتظار سوف يكون ضارا بمصالح الولايات المتحدة لأن العراق مستمرة فى إضافة تعزيزات عسكرية فى الكويت ( مسرح العمليات ) وهى تحسن من تحصيناتها فى الكويت المحتلة ، العراق مستمرة فى سلب الكويت وإساءة معاملة شعبه ، لابد من مهاجمة قوات العراق العسكرية للدفاع عن قوات الولايات المتحدة وقوات التحالف . وأشارت أيضا على وجوب تقليل الإصابات المدنية والدمار الذى سيحدث فى العراق مع المحافظة على قوات الأصدقاء والأماكن الإسلامية المقدسة يجب حمايتها .

وقع الرئيس على المرسوم . وكان NSD غير ممهور بتاريخ عن عمد . التاريخ والوقت سوف يضافان حين يتم تنفيذ الشرطين .

خول بوش لتشينى توقيع أمر تنفيذى رسمى وإرساله لشوارسكوف فى ذلك اليوم .

ذهب تشينى للقواد مع الشيوخ الجمهوريين . وفى اجتماع منفصل مع الشيوخ الديمقراطيين سُئل « حين تنتهى المدة المحددة هل ستنتظرون أو ستتحركون سريعا ؟ » .

كانت العمليات الأمنية لها الأولوية فى ذهن تشينى ولكن لم يشأ خداعهم فأجاب : « الأقرب أفضل من التأخير » مستخدما عبارة بوش التى قالها بوش فى حديثه مع زعماء الكونجرس .

فى حوالى الخامسة مساء عاد تشينى لمكتبه . حضر باول ومعه ملف غاية فى السرية يحوى أمر القيادة قام القائد بكتابته بنفسه . تصفحه مع تشينى فى غلاف برتقالى اللون . والآخر يخول لشوارسكوف تنفيذ عملية « عاصفة الصحراء » وفقاً للأمر المبدئى الصادر فى ٢٩ ديسمبر . لو

كان أمراً تنفيذيا عادياً لكان تشينى قد وقع بحروف اسمه الأولى على مقدمته مشيراً إلى اعتماده له . وسوف يقوم باول بتنفيذه إدارياً تحت رئاسته ، لربط الاتصالات بين وزير الدفاع و CINC . لكن كلا الرجلين يعرف أنها وثيقة تاريخية ولذا فقد وقعاها باسميهما كاملين أرسل باول نسخة لتقرأ بالعين فقط . لشوارسكوف على دائرة الفاكس العالية السرية من خلال ٢٦ ساعة سوف تتحول عملية « درع الصحراء » إلى « عاصفة الصحراء » .

وحتى الآن احتفظ باول بالقرار سراً عن رجاله . الآن استدعى توم كيلى وقال باول سوف تبدأ الحرب غداً مساء . رئيس التحرير السابق كيلى سيكون المتحدث الرسمى اليومى للصحف فى البنتاجون كما سبق وكان بالنسبة لعملية بنما . لم يكن أحد يستطيع التنبؤ بكم النشرات اليومية اللازمة . أصدر إليه باول أوامره بأن يجيب على الأسئلة ولا يقدم أية أخبار .

قال كيلى « حسنا يا سيدى » بالرغم من أن كيلى لم يكن يعرف بالتأكيد ولكن على مدى الأسابيع الأخيرة أصبح مقتنعاً بأن الحرب سوف تقوم . كانت أجهزة المخابرات تقول بأن صدام يستعد . كان مايزال يوسع فى تحصيناته ـــ يحفر الخنادق ويرسل المزيد من الجيوش .

كان هناك المزيد من البترول يضخ من خلال الأنابيب كافياً لحرق الدبابات الأمريكية ـــ المزيد من الأسلاك الشائكة ، المزيد من الخنادق ، المزيد من المخابىء . كان كيلى مندهشاً لتوقعات صدام الواضحة . كان يبدو وعليه أنه يفكر أن الولايات المتحدة تخطط لجعل هذه المعركة مثل الحرب العراقية ـــ الإيرانية أى بجيشين يجهلان نفسيهما مما جعل الحرب تستمر ٨ سنوات . وفكر كيلى فيما قد يتراءى لصدام وجنرالاته لو ألقوا بنظرة على كتب العمليات الأمريكية العسكرية غير المصنفة بتركيزه على المناورات الحربية .

اندهش كيلى لهدوء البنتاجون . بدت عملية بنما له أكثر فوضى . كان هناك على كل حال تشابه وحيد أنه على الرغم من شهور الإعداد والمميزات الضخمة لجيوش الولايات المتحدة والتحالف كان لايزال غير واثق من إمكانية حدوث خدعة فلقد تمكن منه الخوف القديم من الفشل .. الأمير بندر جاء لزيارة تشينى فى تلك الأمسية وتساءل بندر : « هل هناك جديد ؟ هل نحن على بعد أيام أم أسابيع ؟ ابتسم تشينى وقال : « إنه يبدو كأسبوع طيب » أخذ بندر الكلام على محمل أن الأمر قريب ولكن حينما تذكر الحادثة مؤخراً لم يكن واثقاً .

* * *

بعد العديد من اللقاءات والاستشارات مع رجال الإعلام ، وضع بيت ويليامز القواعد الأساسية للمراسلين . كانت الاثنتا عشرة قاعدة المدونة فى صفحة واحدة تحوى حظر النشر أو إذاعة معلومات معينة تبغى الإدارة الأمريكية فى حفظها فى طىّ الكتمان ـــ تشمل أعداد الجيوش

والطائرات والذخائر والإمدادات والمعدات والخطط والعمليات المستقبلية ومواقع القوات والتكتيكات . وكل تقارير المعركة سيقوم بها مجموعات من المراسلين فى شكل فرق وستخضع أعمالهم للمراجعة الأمنية قبل نشرها ولن يسمح لأى مراسلين بأن يتحركوا بحرية فى ميدان المعركة كما حدث فى فيتنام .

أعجب كيلى بالكيفية التى تحكم فيها باول فى عملية « درع الصحراء » من إعداد عسكرى وصناعة القرار . جزء كبير من العمل الفعلى الذى لم يتم خلال لقاءات بالبيت الأبيض تم بمد التليفون السحرى الذى يؤمن الاتصالات الهاتفية التى تربط فقط الرئيس ونائب الرئيس سكوكروفت وسنونو وبيكر وتشينى وباول والـ CINC بما فيهم شوارسكوف كان حامل التليفون الأبيض الضخم الخاص بباول والذى يوصله بهذه الدائرة موجوداً دائماً فى مكتبه .

كان يستخدمه بكثرة مع تأمينه بأن يكون رجل واشنطن العسكرى مع المدنيين . مستخدماً وصلته السحرية ، كان شوارسكوف يلعب نفس الدور فى السعودية . لتجنب تكرار الكابوس العسكرى فى فيتنام ـــ حين كان الرئيس جونسون ينحنى فوق الخرائط فى البيت الأبيض راسماً دوائر حول بعض الأهداف ـــ احتفظ باول قدر المستطاع بعدم تسرب المعلومات عن الأهداف خارج واشنطن . قائمة الأهداف الأحدث بالنسبة للأيام الأولى من الهجمات الجوية لم تكن متاحة حتى لكيلى ورجاله . قيل لكيلى إنه سيحصل عليها فى اليوم التالى مع تقرير بما حدث ، وأن الأوامر اليومية تنفذ التى خطط الهجمات الجوية لن تصل واشنطن مسبقاً . استخدم باول رئيس الخدمات بكفاءة عالية ـــ هكذا بدا الأمر لكيلى لقد وافاهم بالأخبار لم يشعروا بأنهم خارجها رغم أنهم فى الواقع لم يلعبوا أى دور فى صناعة القرار . كان تأثيرهم يقترب من الصفر هكذا فكر كيلى .

الجنرال فيونو شارك بمعنى واحد وهو التأكد من أن شوارسكوف لديه أحدث المعدات . فى بعض الأحيان كان يجب إجباره على قبولها . أصر فيونو على وجود أكثر من ألف دبابة من أحدث الأنواع تطوراً .M. I. A. I لابد وأن ترسل لوحدات الجيش التى انتشرت بالفعل بدون هذا النوع الحديث جداً .. قاوم شوارسكوف فى البداية رغبته فى تجنب الارتباك الناجم عن التحول للمعدات الحديثة التى يجب أن تتعلم الجيوش استخدامها ولكن الدبابات الجديدة تحسن من كفاءة المعركة وتزيد من ثقة الجنود . إن مدى تأثير MIAI يقترب من ضعف تأثير أفضل دبابة عراقية T 72 إنها ستجعل الولايات المتحدة تبدو كملاكم يملك ذراعاً طوله ستة أقدام . وافق شوارسكوف على أن يأخذ الدبابات .

ضغط قائد الجيوش أيضا على شوارسكوف لقبول نظام مراقبة يسمى '' J. STARS '' نظام الإشراف على نقاط الوصول للأهداف المحددة رادارياً . نظام جديد تماماً ولم يختبر فى المعارك .

يقوم الـ " J. STARS " بتتبع تحركات الدبابات والعربات المصفحة . حسب الذبذبات بنفس الطريقة التى تغطى بها طائرات « الأواكس » الجو . وحدتا الـ " J. STARS " المرسلتان لشوارسكوف تقدمان تغطية كاملة بالصور الرادارية فى المجال البرى على مدى ١٠٠ ميل داخل العراق والكويت ، مؤمنة تماماً القوات الأمريكية من المباغتة أو التطويق من القوات العراقية على الجبهة .

* * *

فى الصباح التالى ١٦ يناير وقبل الذهاب للبنتاجون حزم تشينى حقيبته . فقد توقع قضاء العديد من الليالى فى مكتبه وحتى لاينبه سائقه ورجال أمنه قرر ترك الحقيبة فى المنزل وقرر أن يرسل السائق لجلبها حين تقترب الساعة من ساعة الصفر .

وفى الوقت الذى وصل فيه تشينى لمكتبه كانت حاملة القذائف B- 52 إحدى القواعد العسكرية الجوية إلى الخليج . وكان لابد من إعادة تزويدها بالوقود خلال الثانى عشرة ساعة التى تقطعها الوصول لأهدافها . هذه الطائرات يمكن أن تسترد ثانية فالقرار لم يصل بعد لنقطة اللارجعة .

حرر تشينى نفسه من كل ارتباطاته ودفع بالميزانية وكانت المواضيع الأخرى لنائبه . ثم التقط وحدة التحكم عن بعد وأدار التليفزيون فى مكتبه على قناة CNN . وكان يظن أن أول أشارة أو تلميح بأن العملية الجوية فى طريقها للبدء سوف تأتى من برنامج أخبار ٢٤ ساعة .

كان الوزير يتساءل كم ستجيد القوات الأمريكية وبأى ثمن ؟ وبأى مستوى من الدمار ؟ لقد وصلته التكهنات فى نماذج عديدة بالكمبيوتر ولكنه واثق إنها ليست أكثر من تكهنات . لم ترتبك معدلته فالأمر خرج من يديه .

* * *

استدعى بيكر بندر للإدارة الأمريكية ليخبره أن الحرب ستبدأ فى السابعة مساء اليوم بتوقيت أمريكا والثالثة صباحا بتوقيت السعودية .

اتصل بندر بالملك فهد وبعد أن تحدثا قليلا حاول بندر أن يظهر كما لو كان يعرض خاطرا مر بذهنه قائلا « صديقنا سليمان سوف يصل فى الثالثة صباحا . هو مريض وسيصل عندكم فى الثالثة صباحا » .

كان بندر مندهشا أن الأمر يبدو كما لو كانت القوات الأمريكية وقوات الحلفاء ستنجح فى تحقيق المفاجأة . والسبب الذى توصل إليه هو أن الرسائل التى وصلت صدام كانت مختلطة ومشوشة خلال الشهور الماضية . وعلى ما يبدو فإن صدام لم ينجح فى قراءة جورج بوش .

والحقيقة الساخرة التى استشعرها بندر هى أن ضمانات هذه الحرب كان مبعثها سوء فهم ثقافة لثقافة أخرى .

فى الرابعة وخمسين دقيقة مساء كانت أوائل النسور F- 15 تنطلق لأهدافها . ويمكن أيضا استردادها . كانت خزانات الوقود الجوية مرفوعة .. المزيد والمزيد من قطع الحرب الجوية كان يتحرك نحو الهدف . كان تشينى يتفقد بنفسه حتى لاتقوم أى وكالة أنباء برصد التحركات .. المراسلون كانوا مقيدين تماماً بالقواعد ولقد كان هناك نشاط حيوى ضخم خلال الشهور الماضية مما جعل الأمر يبدو روتينيا . خول البيت الأبيض لتشينى مسئولية إعلام الإسرائيليين ولكن ليس للدرجة التى تجعلهم مماثلين فى المعرفة لأعضاء التحالف . كانت مهمة حساسة . لقد وعد صدام بضرب إسرائيل إن قام التحالف بضربه ولابد من تحذير الإسرائيليين لكن أى مشاركة إسرائيلية فى المعركة سيكون لها أثر سيء فى العالم العربى وقد تضعف التحالف . فى حوالى الخامسة مساء رفع تشينى خط هامان ريك ليتحدث لوزير الدفاع الإسرائيلى موشيه أرينز مع أول إشارة إلى أن الهجوم سيشن .

فى الخامسة والنصف أطلقت قذيفة هوك من « بنكر هيل » وهى عبارة فى الخليج ووجهت القذيفة لهدفها داخل العراق والقذيفة كان لايمكن استعادتها . لايمكن التراجع الآن .

كان هناك حوالى ٢٠ قذيفة توك هوك مبرمجة مسبقاً لقذف القصر الرئاسى لصدام والخطوط التليفونية الرئيسية ومحطات توليد الكهرباء فى بغداد وذلك فى الساعة الحاسمة ساعة الصفر . تسعة سفن حربية أمريكية كانت معده لقذف ١٠٦ توم هوك فى الـ ٢٤ ساعة الأولى من الحرب . وبما أن القذيفة لم تستخدم قبلا فى معارك كانت هناك قوات جوية قاذفة معدة لتعضيد أهداف توم هوك . الهجمات الجوية ستضم أكثر من ألف طلقة فى الـ ٢٤ ساعة الأولى وتزداد بعد ذلك .

وفى الخامسة وواحد وثلاثين دقيقة ألقت السفينة ويسكنسون أول قذيفة توم هوك ووحدة استطلاع متمركزة فوق ويسكنسون أصدرت تقريرا عن إطلاق النيران عبر نظام الطوارىء CRITIC والذى كان مصمما لإرسال رسالة فورية حين « تظهر دلالات قوية لاندلاع أى نوع من العدوان » صنعت CRITIC للتأكد من أن كل قوات الولايات المتحدة فى كل أنحاء العالم سيصلها التحذير المبكر لإمكانية العدوان خاصة هجوماً من الاتحاد السوفيتى . الرسالة تسبق غيرها من الرسائل فى الوصول فهى تطلق صفارات بصورة أتوماتيكية فى أجهزة لاسلكية فى آلاف المراكز حول العالم .

قال كيلى « لماذا فعل هؤلاء الحمقى ذلك » وأعلم باول على الفور « البحرية فعلتها ثانية » .

فكر باول : ياإلهى سوف نحطم أمن العملية بأنفسنا .

صدرت الأوامر للسفينة ويسكنسون بإلغاء الرسالة . إلغاء الرسالة تم بنفس السرعة . يعرف الرجال والنساء العسكريون فى كل أنحاء العالم أن التقرير الأول لأية حادثة كثيرا ما يخطىء فلم يقرر أى أمرىء أى شيء . وحُفظ أمن العملية .

أمر تشينى وباول أن يُفصل مؤقتا نظام CRITIC . كان باول يحاول الوصول لذلك الغبى الذى شغل النظام حتى يقوم بفصله .

استمر تشينى فى متابعة C N N . وكانت برناردشو مراسل المحطة المعتمد فى بغداد يقابل المعتمد السابق CBSN ولتر كرونكيت فى نيويورك حول تغطية الحروب . كان كرونكيت يتذكر خبراته التى تعود للحرب العالمية الثانية . وأوضح برناردشو أنه ذهب لبغداد ليقابل صدام ولكن المقابلة لم تتم وعليه فهو سيطير عائدا فى الليلة التالية .

لن تكون هناك أية طائرات فى الليلة التالية كما يعرف تشينى . وشعر بحساسية غريبة وهو يتابع هذه المحادثة وهو يعلم أن مئات الطائرات الهجومية تتجه للكويت والعراق على غير علم من الإعلام ومعظم الأمريكيين .

عندما اقتربت ساعة الصفر أرسل الوزير سائقه لمنزله لإحضار حقيبته . وبعث أحد الموجودين بالمكتب لإحضار طعام صينى .

## □ ٢٥ □

لم يكن باول يريد أن يحتفظ طويلاً بحالة الأنتظار فى مركز العمليات لقد شعر أن هذا هو ما سبق أن قاموا به أثناء غزو بنما حيث مكث هو وتشينى فى وضع اشرافى على المائدة المركزية الآن يجلس تشينى فى الدور الأعلى فى مكتبه . وسوف يمكث باول فى مكتبه لساعة أو أكثر قبل السابعة مساء .

كان يجلس فى مقعده المصنوع من الجلد الكستنائى . كان وحيداً . فى حديثه مع « شوارسكوف » فى الصباح الباكر لهذا اليوم على الخط الآمن قال « باول » حظاً سعيداً يا « نورم » . وبدا البيت الأبيض راضياً كما حدث فى بنما شعر باول أنه قد أحسن إعداد الرئيس بوش . العديد من الأشياء السيئة سوف تحدث سيدى الرئيس . قال باول سوف تكون هناك أخبار سيئة وأشياء تنفجر فى وجوهنا . سوف تُدفع للتورط ومحاولات أن تحل المشاكل بنفسك . سوف تجمع الضمادات وسوف يسخط عليك الناس فى التليفزيون . هذا سوف يستمر فترة كلما تركتنا نعمل بأنفسنا وبطريقتنا خلالها كمحترفين عسكريين كان ذلك أفضل . بالرغم من قوة الغضب وامتزاج العنف بالرقة فإن باول قد بذل مجهوداً خارقاً مع شوارسكوف للتأكد من أن الهجوم سوف يحظى ببعض الانضباط والدمار الشامل لابد أن يُحّد . من بين إثنى عشر جسراً داخل بغداد الهجمات الجوية سوف تصيب اثنين فقط كما حث باول . سوف يبقى أربعة ، كان باول مقتنعاً أن ليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تجد العراق مهزوماً تماماً بدون أدنى قدره للدفاع عن النفس . وعليه لابد من ترك بعض الدبابات والجيش العراقى فى حالة جيدة . تم إعلام بيكر وأُجيبت أسئلة تشينى ، هدأ فريق اتصالات باول ، كان القواد ( الإخوة الستة ) كما كان يسميهم باول جميعهم متفقين . كانت قاعدة باول رقم (٨) تقول : « راجع الأشياء الصغيرة » . لم يكن هناك أى منها متروكاً . لقطع الوقت وجد نفسه يراجع بذهنه قائمة الأهداف الخاصة بالمعركة الجوية . هل هذا هدف جيد ؟ هل هذا هدف سيىء ؟ هل يجب أن نقذف « توم هوك » أو صواريخ F- 15 على ذلك ؟ أو كليهما معا ؟ أو لاشيء ؟ كان يعلم أن الأهداف أعيدت دراستها وكان عليه أن يتوقف .

أدرك أن هذه هى النهاية وجرت بذهنه عبارات بلاغية عن المقامرة . إنها مشانق عالية وإنهم يستخدمون كل مميزاتهم ــ التكنولوجيا ــ المخابرات المتفوقة وخطة تبدو محبوكة تماما . كل الأوراق الرابحة فى جانبهم تقريباً هذا شيء مؤكد ولكن فى القمار يعرف أنه لاضمان . بين المخالب ، الوطن على المائدة وقد أُلقى الزهر . إنها لحظة الإنتظار حيث الزهر ما يزال فى الهواء سرعان ماسيصيبون الهدف ، يصلون إلى أبعد نقطة ، يصطدمون ثم يركنون إلى السكون تماماً .

بول لقد كتب ووضع تحت زجاجة مكتبه سطر من فيلم " The Hustler " « أسرعى يا « إيدى » دعينا نملأ بعض الأحواض » . إنها لحظة المواجهة « لاتدعهم يرونك أبداً غارقاً فى عرقك » . كانت هذه حكمة يضعها تحت الزجاج . على كل حال فى هذه اللحظة كان مبتلاً بالعرق . ما يزال فى استطاعة صدام أن يقوم بعمل مثير من أى نوع . فى دقائق معدودة يستطيع القائد العراقى أن يرسل بعض إشارات الاستسلام المشروط ويفسد العملية كلها . مايزال باول مقتنعاً بأن صدام « لايستطيع ، لايرغب ، لايجب أن يؤيد الحرب » لقد أساء صدام قراءة القرار الأمريكى وحتماً لايستطيع أن يتفهم عِظَم ماقد يتأتى .

تساءل « باول » « كيف سنحافظ على أمن العملية » لقد تطوروا بصورة عظيمة فى حفظ الأسرار ولكن إلى أى درجة من الكفاءة ؟ قد تفسد العملية . شيء يقارب المستحيل ، ولكن لا يوجد ماهو مؤكد .

توقع باول أن تستمر الهجمات الجوية لمدة تقارب الثلاثة أسابيع وبعد ذلك على التحالف أن يحجب المبادرة عن صدام . الحرب البرية لايمكن تجنبها .

وحين خطرت له الحرب البرية وجد نفسه يقلق بشأن « المارينز » سيقع على عاتقهم العمل الأصعب . سيتحركون داخل تحصينات الجبهة . فكر باول : ياإلهى قد نفقد العديد من المشاة البحرية . إن الجيش بعجلتى التطويق الضخمة سوف يكون أكثر أماناً . إنه يخطر بذهنه أن هذا هو أهم يوم فى حياته على مدى أكثر من ٣٢ عاماً من الجيش إنه الآن أعلى رتبة عسكرية فى أمسية حرب ضخمة ولكن يبدو أقصر من المعتاد . لقد مر بذهنه بعض من أقوال العجوز روبرت ايليه : إن الحرب حقيقة كريهة جداً وإلا لكنا تغزلنا فيها » . كان لى يراقب مذابح عدوه ، الجيوش الاتحادية فى مدينة فريدريكبرج فى عام ١٨٦٢ . كم يحب العسكريون الإعداد للحرب . بالنسبة للبنتاجون ، تبدو الحرب فى بعض الأحيان كما لو كانت مباراة كبيرة . لو أن الناس لن يموتوا لكانت تسلية عظيمة . هكذا فكر باول . كان عليه أن يذكر نفسه بصفة مستمرة أن هذا الأمر حقيقى وليس لعبة . سوف ترى العامة والعالم صورة للحرب شديدة التحديد ولكنها مُطهرة . سيبقى الإعلام بعيداً حتى الفيديو الذى تقوم بتصويره كاميرات بعيدة المدى فى داخل القاذفات

والتى تعرض الهجوم سوف يتم تشويهها إذا أذيعت على العامة . سوف يعاد إخراج التسجيلات الصوتية فى كثير من الحالات بحيث تبدو صرخات الطيارين العصبية مثل « اللعنة » أو ماشابهها سيتم حذفها ، ستتم تنقية عالية لمشاعر الطيارين المميزة ورد الفعل السريع لهم عندما يشعرون بضغط بدله الطيارين على أجسادهم وخشية المعركة كل ذلك لن تسمعه العامة .

كان يرى الجيوش والطيارين كالمراهقين . سيطيرون فى الظلام أو يسقطون خلف الخطوط لتحديد الأهداف وينتهى الأمر إلى الطفل الأمريكى مع الطفل العراقى كلاهما يريد الحياة . شعر باول بنذير شؤم وبرعدة . إن الحرب فى أيدى هؤلاء الأطفال ولو أنهم أساءوا فإن هذا يعنى أن باول وغيره من الجنرالات لم يقوموا بعملهم كما ينبغى . هذا ما يجب أن يكون . سوف تمضى الساعات قبل أن يعرف باول ما حدث . « شوارسكوف » مسئول عن أرض المعركة وأخبار واشنطن لن تكون أهم أولوياته .

مايزال « باول » وحيداً وظل هادئا فى مكتب القائد . لا أحد يعرف أو يقدر كم من الأمريكان سيموتون فى الحرب . هذا ما توصل إليه بعض من كبار العسكريين فى فريق الاتصالات قد قدروا بصورة سرية إن الذين سيقتلون فى المعركة من جانب الأمريكان سيصلون إلى ألف ولكن لايوجد تقدير جاد من الممكن أن يكون أكثر من هذا . هو يعلم أنهم سيفقدون البعض ويتمنى لو لم يكونوا كثرة .

فى هذا اليوم شديد الأهمية فى حياته كانت تتملكه فكرة واحدة ، لم تكن هناك أى بهجة ، أى إثارة ، أى حماس ، لا حمية للمعركة ، لاشىء من المشاعر التى تؤججها الحروب . كان يفكر فقط « كم عدد الذين لن يعودوا ؟ »

على الحدود داخل العراق كانت الساعة تقارب الثالثة صباحاً كانت هناك طائرة نفاثة عسكرية أمريكية على بعد ١٢ كم من محطة توليد الكهرباء لموقع دفاع جوى رادارى عراقى يحمى بغداد . سوف يكون هذا هو الهدف الأول للحرب . كان الطيار يستطيع أن يرى المبنى بالعدسة « تحت الحمراء » الحساسة الأمامية يبدو كمربع صغير راقص فى الأفق . أظهرت آلته أن مدة التحليق بالنسبة للقذيفتين التى ستلقى الحمم على الهدف هو عشرون ثانية وقذف قائلا « هذه لك ياصدام » وفى لحظات استطاع أن يرى على الشاشة الحمم تشتعل فوق المبنى وتسقط كحجر وبدا المربع الصغير متفجراً وفجأة ملأ شاشاته الرادارية .

فى البيت الأبيض اجتمع « بوين » ، « كويل » ، « سكوكروفت » ، و « سنونو » فى الحجرة الصغيرة الخاصة الملحقة بالمكتب البيضاوى لمشاهدة التليفزيون وحين سمعت أصوات القذائف خلف أصوات المراسلين الذين مايزالون فى حجرات فنادق بغداد بدا « بوش » مستريحاً وقال : « تماماً

كما قدرنا » .

استمرت حرب الخليج ٤٢ يوماً أخذت المراحل الجوية الثلاثة ٣٨ يوماً . استمرت الحرب البرية ٤ أيام قبل أن يعلن بوش إطلاق النار .

سيطرت القوات الأمريكية وقوات التحالف على الكويت وجنوب العراق وحطمت جيش صدام ، سحقت الحرس الجمهورى ، أملت شروط السلام وقتلت عشرة آلاف عراقى . تحررت الكويت كانت الخسائر الأمريكية ٧ مفقودين فى المعركة و١٣٧ قتلى .



الرئيس الامريكى بوش يغادر البيت الابيض ومعه ديك تشينى وزير الدفاع الامريكى




ديك تشيني وكولين باول على ظهر طائرة عسكرية متوجهة لمنطقة الخليج

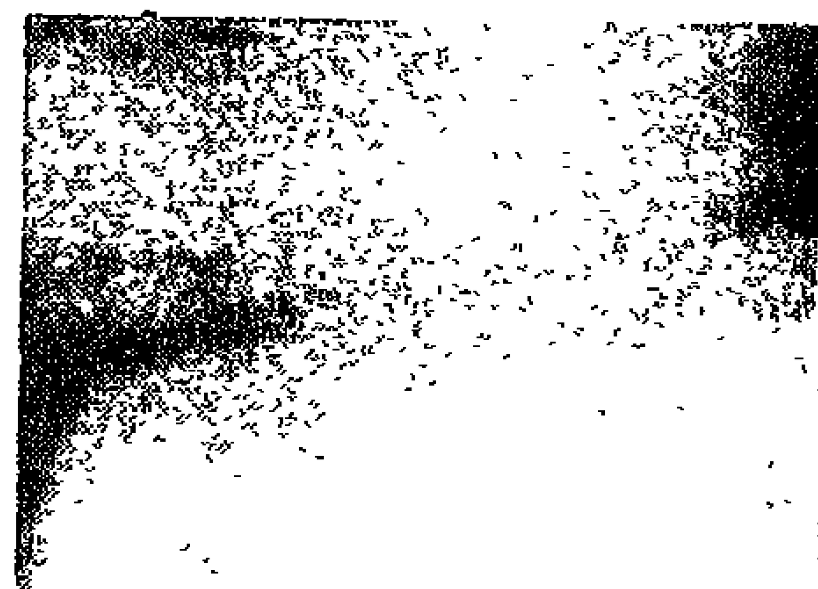


اديدال وليام .ج . كرو قائد الاركان الامريكى من الفترة ١ اكتوبر ١٩٨٥ حتى ١ اكتوبر ١٩٨٩

جنرال ماكويل . و . ثورمان قائد الجبهة الجنوبية الامريكية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٩ بعد يومين من عملية غزو بنما

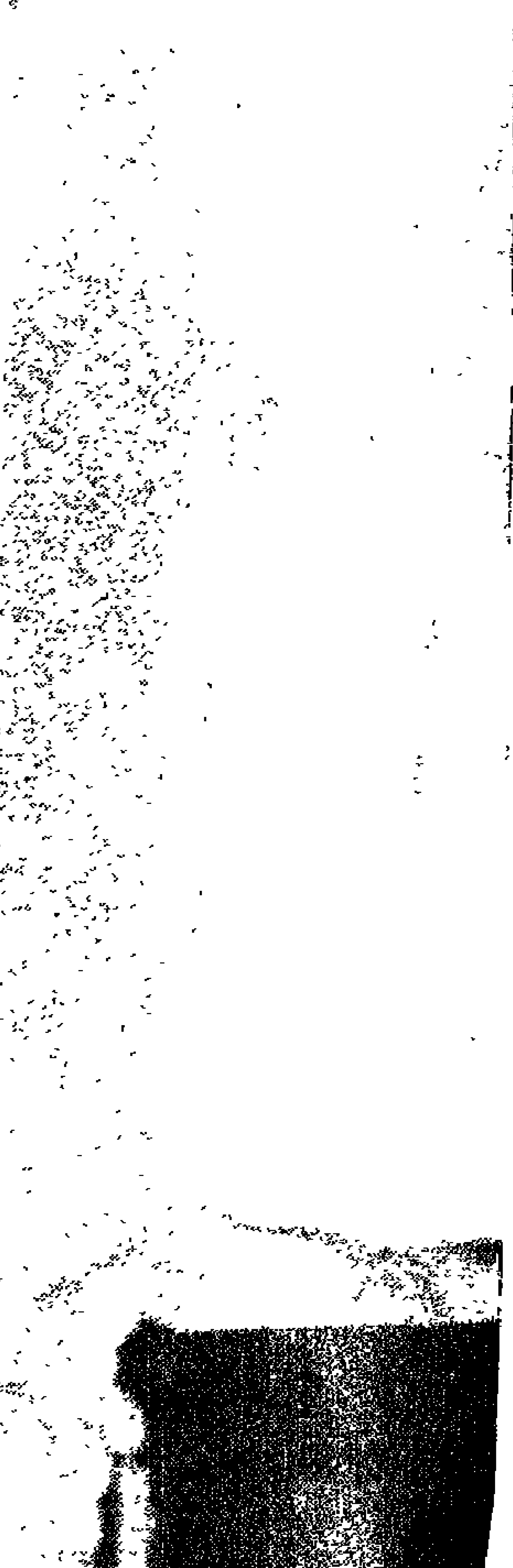


الـزعيـم البنمـى
الجنـرال مانـويل
نوريبجا فى صورة
لـه ١٤ اكتـوبـر
١٩٨٩





ليفتنـانت جنـرال
كـارل . و بستنير
قـائـد القـوات
الامريكية فى غزو
بنما عام ١٩٨٩





جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكية يصوت فى الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ مع حل استعمال القوة لطرد المعتدين العراقيين من الكويت

الامير بندر بن سلطان السفير السعودى فى الولايات المتحدة مع وزير الدفاع الامريكى بمقر البنتاجون فى واشنطن



الرئيس العراقى صدام حسين

الرئيس الامريكى بوش يلتقى بالشيخ
جابر الصباح امير دولة الكويت فى
٢٨ سبتمبر ١٩٩٠





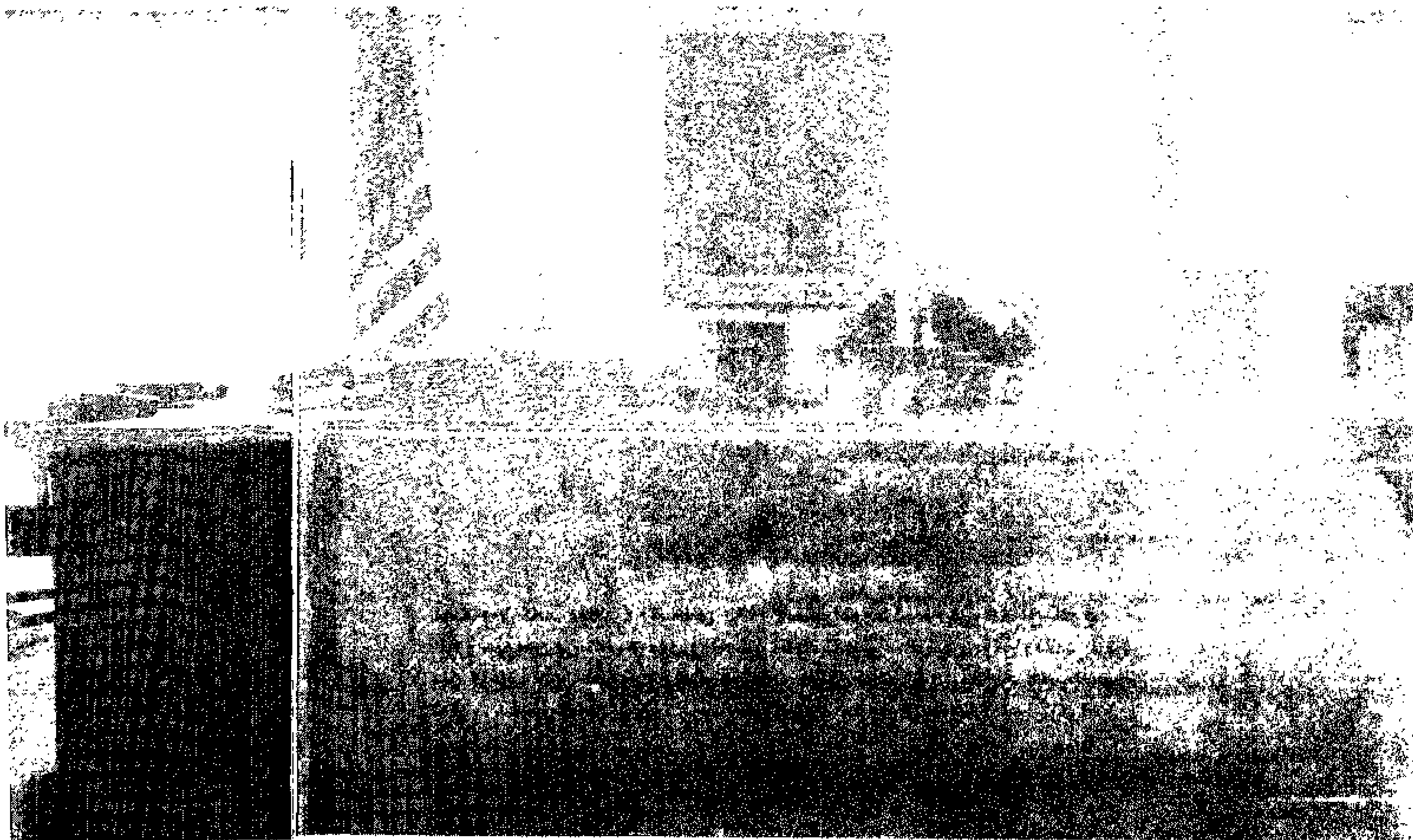
الرئيس بوش يجتمع مع مجلس الحرب فى كامب ديفيد

اجتماع فى كامب ديفيد ٤ اغسطس ١٩٩٠ لاستعراض ما تم من غزو العراق للكويت بعد الغزو بيومين من اليسار بول وولفوتيز ، ديك تشيني ، الرئيس بوش ونائب الرئيس دان كويل ، جون سنونو ، ويليام وبستر ، مارلين فيتزووتر ، ريتشارد هاس ، جيمس بيكر ، جنرال كولين باول ، برنت سكوكروفت والجنرال نورمان شوارتزكوف





يوم الاحد ٥ اغسطس ١٩٩٠ الرئيس بوش يتحدث في البيت الابيض عن الغزو العراقي وان ذلك الغزو لن يصمد طويلا



وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني في مكتبه بالبنتاجون مقر وزارة الدفاع الامريكية بالدور الثالث

الجنرال باول يتفقد القوات الامريكية المتوجهة للخليج في سبتمبر ١٩٩٠



الجنرال شوارتزكوف والملك فهد ملك المملكة العربية السعودية يتفقدون القوات قبل الضربة الجوية الأولى





ليفتنانت جنرال توماس . و . كيلى مدير عمليات القوات الامريكية



بيتر وليامز المتحدث الرسمى للبنتاجون

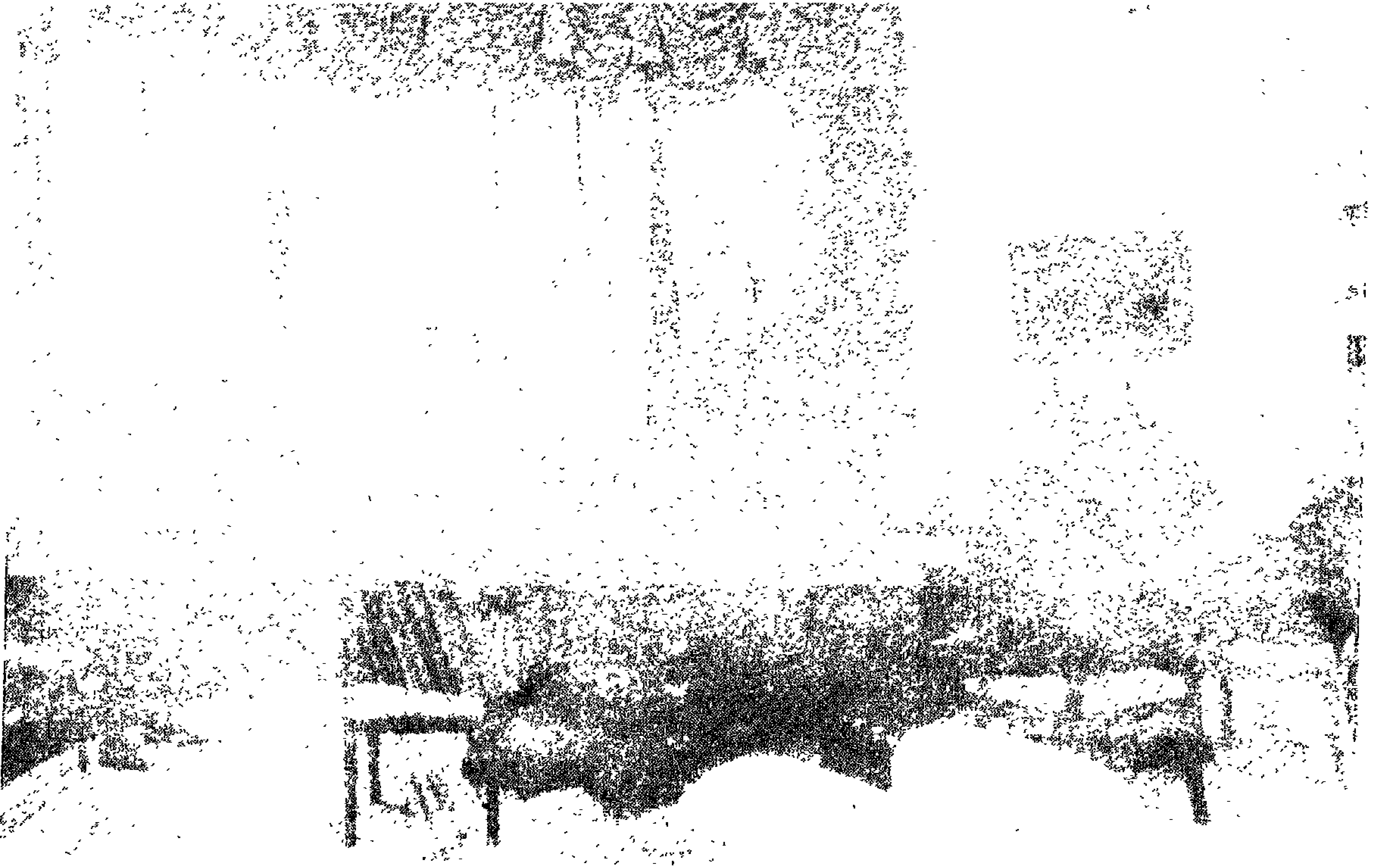
حجرة الحرب بمقر وزارة الدفاع الامريكية ومركز القوات الامريكية بالبنتاجون





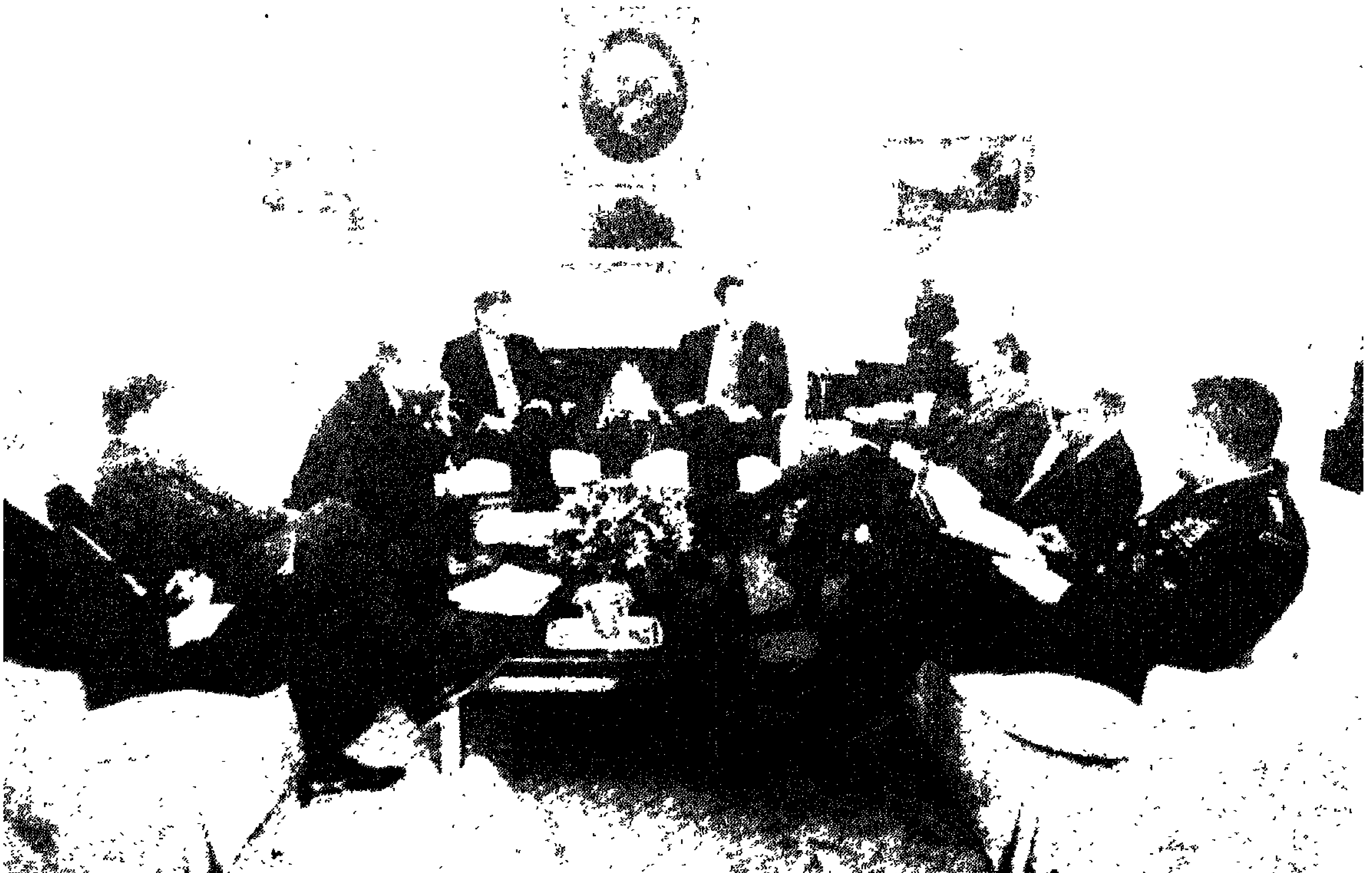


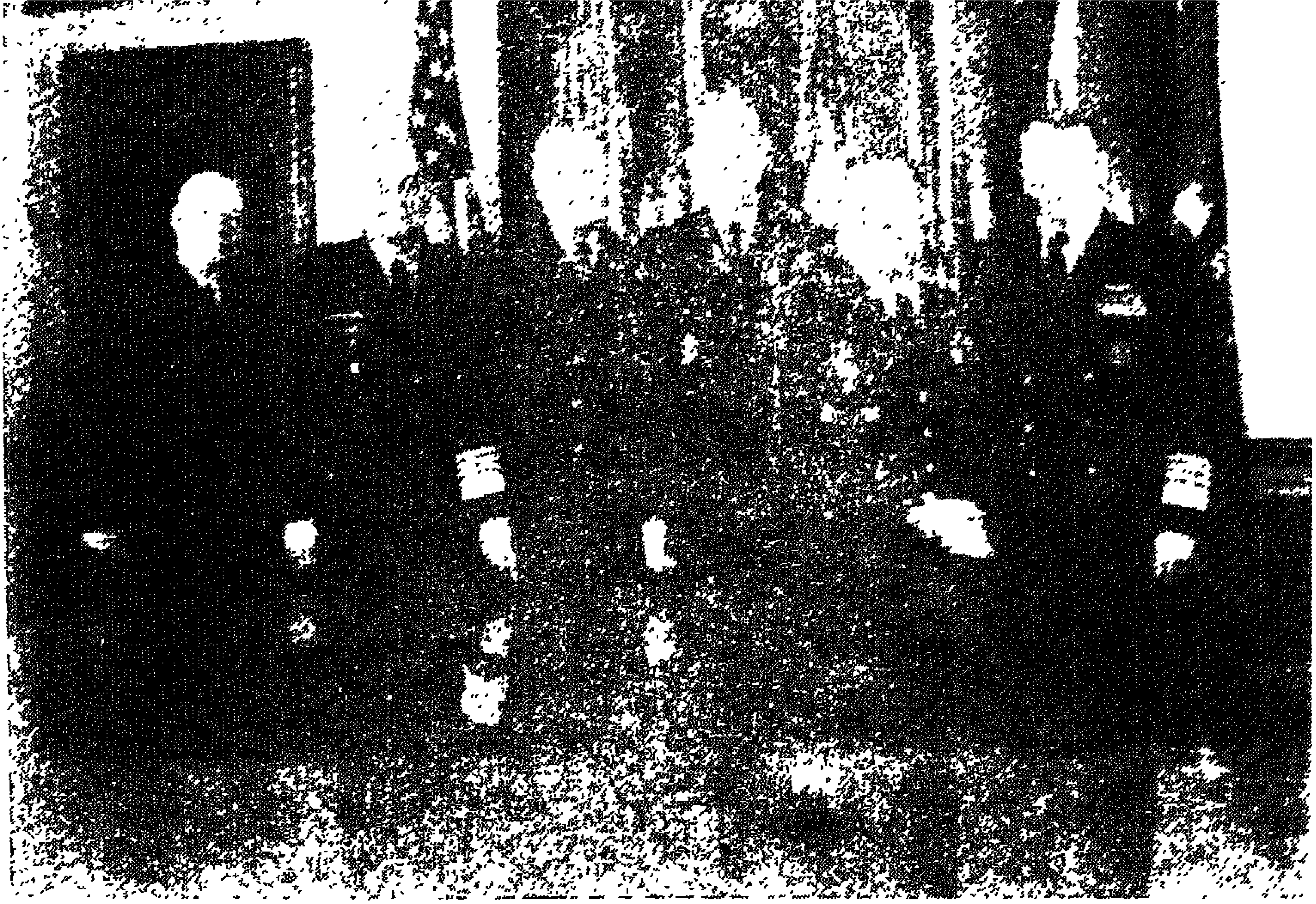
ديك تشينى وجنرال باول وجنرال شوارتزكوف يتطلعوا من نافذة الطائرة اثناء توجههم لمنطقة الخليج



اجتماع تم فى ديسمبر ١٩٩٠ بين كل من الرئيس بوش وروبرت جاتس وديك تشينى وجنرال باول وجون سنونو وبرنت سكوكروفت

اجتماع الثمانية الكبار فى البيت الابيض يوم ١٥ يناير ١٩٩١ ليراجعوا موقف العمليات الحربية قبل الضربة الجوية الأولى ضد العراق لتحرير الكويت من اليسار جاتس ، سنونو ، تشينى ، كويل ، الرئيس بوش ، بيكر ، سكوكروفت ، باول





مجلس اركان الدفاع فى الولايات المتحده الامريكية فى صورة تذكارية بعد الانتصار فى ٤ مايو ١٩٩٠

باول وتشينى وشوارتزكوف اثناء العمليات الحربية فى السعودية





وزير الدفاع الامريكى ديك تشينى ينظر فى تحد

احتفال الانتصار بين الجنرال شوارتزكوف والجنرال كولين باول بعد الحرب

## دار سفنكس للطباعة والنشر

تقدم

الكتاب الذى اختير كتاب لعام ١٩٩٠




## الموساد واغتيال المشد

للكاتب الصحفى : **عادل حموده**

□ أول كتاب يروى تفاصيل اغتيال عالم الذرة المصرى د. يحيى المشد فى باريس ويثبت أن الموساد هى التى قتلته □ أسرار الصراع النووى فى الشرق الأوسط □ كيف دمرت الموساد المفاعل النووى العراقى مرتين □ قصة القنبلة الذرية المصرية من عبد الناصر إلى السادات □ جاسوس الشمبانيا فى مصر وجاسوس المخابرات المصرية فى مفاعل ديمونة الإسرائيلى □ من قتل سميرة موسى وغيرها من علماء الذرة المصريين □ كيف خططت المخابرات الإسرائيلية للإستيلاء على شحنة الماء الثقيل من النرويج باختطافها لاحدى الناقلات البحرية التى كانت على متنها تلك الشحنة وأسرار أخرى تجمع بين المتعة والخبرة يكشفها هذا الكتاب

دار سفنكس للطباعة والنشر

تقدم

الكتاب الذى حاولت إسرائيل منعه




**بطريق الخداع**

تحقيق وتقديم : **عادل حموده**

الترجمة الكاملة الوحيدة التى تشمل على الأجزاء المصادرة

- قيادات الموساد عرايا مع المجندات الإسرائيليات .
- أخطر عمليات التجسس الإسرائيلية داخل البلاد العربية واختراق الموساد لها .
- عملاء إسرائيل من مساعد عرفات إلى رئيس لبنان .
- شذوذ ومخدرات للسيطرة على العرب .
- خبير الذرة العراقى الذى سهل للموساد اغتيال عالم الذرة المصرى د. يحيى المشد وأسرار خطيرة أخرى عن عالم المخابرات الإسرائيلية

محمود فوزي



# نميري.. والعودة لحكم السودان

حوار في المنفى

تم الجمع التصويرى والتجهيز الفنى والتصحيح اللغوى
**بالدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع**
١١ ش مدكور متفرع من المروة غرب نادى
الصيد ــ الدقق ــ المهندسين ت : ٣٤٨١٠٦٨

رقم الايداع
١٩٩١/٥٠٢٩

الترقيم الدولى
I . S . B . N
977 - 5 / 85 - 03 - 3

مطابع الأهرام بكورنيش النيل




أسرار صناعة القرار الأمريكي لحرب الخليج

تقديم ومراجعة عادل حمودة

تأليف : بوب وودورد




## هذا الكتاب .. وغيره !

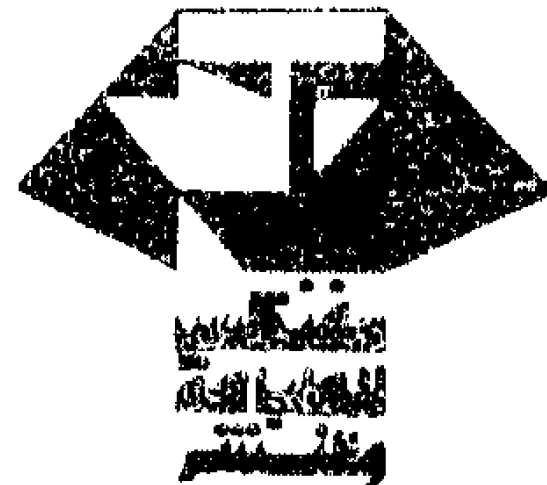
فى فجر يوم الخميس ٢ أغسطس ــ عندما دخلت القوات العراقية الكويت ــ تغير العالم .. تماما .. لم يعد هو نفسه العالم الذى نعرفه .. وتعودنا عليه .. وهذا التغير يشمل كافة مظاهر الحياة .. من الصراع السياسى إلى الإرسال التليفزيونى .. ومن أسلحة الحرب إلى موضة الثياب .. ومن علاقة العرب بالغرب إلى علاقة العرب بالعرب ... إن أزمة الخليج فتحت أبواب التغيير التى لن تغلق قبل سنوات وسنوات .

وهذا الفهم هو ما جعل دار « سفنكس » للنشر تضع خطة جديدة ومؤثرة لنشر أهم وأخطر الكتب الغربية عما جرى فى الخليج .. فريق من المراسلين ، يسلم أحدث ما يقرأه العالم إلى فريق من المترجمين والمراجعين والمحققين ، الذى بدوره يدير المطابع بما يقدمه إليها ، وفى النهاية سيكون من حق القارىء العربى أن يعرف أولا بأول كل ما يُكشف من خبايا وأسرار .

إنها ترجمات سلسلة ، مكتملة ، محققة ، ومطبوعة بجودة ، وسعرها ــ بالرغم من انفلات الأسعار ــ فى متناول الجميع .. ولكن الأهم أنها تجعلنا غير متخلفين عن العالم الذى يسعى إلى التغيير . ولا مكان فيه لمن لا يعرف .

والبداية .. كتاب « بيير سالينجر » و« اريك لوران » : « حرب الخليج ــ الملفات السرية » ، الذى يكشف كل ماجرى قبل ساعة صفر الحرب .. وكتاب « بوب وود ورد » : « القادة » الذى يدور حول كيفية اتخاذ قرار الحرب فى البنتاجون والبيت الأبيض .. وهذه البداية مجرد الخطوة الأولى على طريق الألف ميل .. الذى سنمضى فيه من أجل إنسان عربى جديد .. لايشترى الترام .

« الناشر »



مطابع الأهرام بكورنيش النيل